



4 vols  
30/

2272  
621737  
3495  
Y.1

al-Nakhiy. Kitab al-Khitab

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
<del>APR 9</del>	<del>FEB 13</del>	<del>JUN 2</del>	
<del>AUG 9</del>	<del>JUN 18 '75</del>		
<del>NOV</del>	<del>MAY 7</del>	<del>JUN 16 '76</del>	
		<del>NOV 6</del>	<del>JUN 15 '77</del>
<del>MAY 29</del>			
<del>NOV 1</del>			
<del>JAN 72</del>			
<del>APR 14</del>	<del>JUN 2-'6</del>		

**XXXXXXX**  
 DUE: DEC 04 1981  
 RETURNED: DEC 5  
 JUN 15 1987  
 RETURNED DEC 16 1986



Princeton University Library



32101 075684918

lv9 : 11a



صحيفة	صحيفة
٩٢	٠٢
ذكر مقاييس النيل وزيادته	خطبة الكتاب
٩٨	٠٤
ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه	ذكر الرؤس الثمانية
٩٩	٠٦
في النيل	فصل أول من رتب خطط مصر
ذكر ما قبل في ماء النيل من مدح	وآثارها الخ
وذم	٠٧
١٠٤	ذكر طرف من هيئة الافلاك
ذكر عجائب النيل	١٢
١٠٨	ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها
ذكر طرف من مقدمة المعرفة	٢١
بحال النيل في كل سنة	ذكر محل مصر من الارض وموضعها
١١٠	من الاقسام السبعة
ذكر عيد الشهيد	٢٢
١١٢	ذكر حدود مصر وجهاتها
ذكر الخلدجان التي شقت من النيل	٢٤
٠٠٠	ذكر بحر القلزم
خليج سخا	٢٦
١١٣	ذكر البحر الرومي
خليج سردوس	٢٨
٠٠٠	ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد
خليج الاسكندرية	اسماها
١١٤	٣٥
خليج الفيوم والمنهي	ذكر طرف من فضائل مصر
٠٠٠	٤٨
خليج القاهرة	ذكر العجائب التي كانت بمصر من
١١٥	الطلسمات والبرابي ونحو ذلك
بحر ابي المنجا	٦٤
٠٠٠	ذكر الدفائن والكنوز التي يسميها
٠٠٠	أهل مصر المطالب
ذكر ما كانت عليه أرض مصر في	٦٦
الزمن الاول	ذكر هلاك أموال أهل مصر
١١٦	٦٧
ذكر أعمال الديار المصرية وكورها	ذكر أخلاق أهل مصر وطبائعهم
١١٩	وأمر جنهم
ذكر ما كان يعمل في أراضي مصر	٨٠
من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو	ذكر شيء من فضائل النيل
ذلك من أجل ضبط ماء النيل	٨١
وتصرفه في أوقاته	ذكر مخرج النيل وانبعاثه
١٢٠	٨٧
ذكر مقدار خراج مصر الزمن في	فصل في الرد على من اعتقد أن
	النيل من سيل يفيض

صحيفة

٢٠٢ ذكر الرصد

٢٠٦ ذكر مدائن أرض مصر

٢٠٨ ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملوكها

٢١٦ ذكر مدينة منف وملوكها

٢٣٢ ذكر مدينة الاسكندرية

٢٤٢ ذكر الاسكندر

٢٤٥ ذكر تاريخ الاسكندر

٢٤٧ ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلان

٢٤٨ ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر

٢٥١ ذكر منارة الاسكندرية

٢٥٥ ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره من العجائب

٢٥٧ ذكر عمود السوارى

٢٦١ ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

٢٦٣ ذكر فتح الاسكندرية

٢٦٩ ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاص الروم

٢٧٣ ذكر بحيرة الاسكندرية

٢٧٤ ذكر خليج الاسكندرية

٢٧٨ ذكر جبل حوادث الاسكندرية

٢٨٣ ذكر مدينة أريب

٢٨٤ ذكر مدينة تيس

٢٩٤ ذكر مدينة صا

٢٩٥ رمل الغرابي

٢٩٦ ذكر مدينة بليس

الاول

١٢ ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الحراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط

١٢٧ ذكر انتقاص القبط وما كان من الاحداث في ذلك

١٢٨ ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث

١٣١ ذكر قبالات أراضي مصر بعد ما فشا الاسلام في القبط ونزول العرب في القرى وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصري

١٤١ ذكر الروك الاخير الناصري

١٤٧ ذكر الديوان

٥٠٠ ذكر ديوان انعاكر والجيش

١٥٤ ذكر القطائم والاقطاعات

١٥٨ ذكر ديوان الحراج والاموال

١٥٩ ذكر خراج مصر في الاسلام

١٦٢ ذكر اصناف أراضي مصر واقسام زراعتها

١٦٦ ذكر اقسام مال مصر

١٧٩ ذكر الاهرام

١٩٧ ذكر الصنم الذى يقال له أبو الهول

١٩٨ ذكر الجبال

١٩٩ ذكر الحيل المقطم

٢٠١ الحيل الاحمر

٥٠٠ جبل يشكر

22  
62173  
3495

2272

61  
3495



صحيفة	صحيفة
٣٣٢ ذكر منية الناسك	٢٩٧ ذكر بلدالورادة
٠٠٠ ذكر الجزيرة	٢٩٨ ذكر مدينة ايلة
٣٣٤ ذكر سجن يوسف عليه السلام	٣٠١ ذكر مدينة مدين
٣٣٥ ذكر قرية ترسا	٣٠٤ بقية خبر مدينة مدين
٠٠٠ ذكر منية اندونة	٠٠٠ ذكر مدينة قاران
٣٣٦ ذكر وسيم	٣٠٥ ذكر أرض الجفار
٠٠٠ ذكر منية عقبة	٠٠٠ ذكر صعيد مصر
٣٣٧ ذكر حلوان	٣٠٧ ذكر الجنادل ولمع من أخبار أرض النوبة
٣٣٨ عبد العزيز بن مروان	٣٠٩ ذكر تشعب انبيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم
٣٤٠ ذكر مدينة العريش	٣١٣ ذكر البجة ويقال انهم من البربر
٣٤١ ذكر مدينة الفرما	٣١٩ ذكر مدينة اسوان
٣٤٣ ذكر مدينة القلزم	٣٢١ ذكر بلاق
٣٤٤ التيه	٣٢٢ ذكر حائط العجوز
٠٠٠ ذكر مدينة دمياط	٠٠٠ ذكر البقط
٣٦٤ ذكر شطا	٣٢٧ ذكر صحراء عيذاب
٣٦٦ ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق	٣٢٨ ذكر مدينة الاقصر
٣٦٧ ذكر مدينة حطين	٠٠٠ ذكر البلينا
٠٠٠ ذكر مدينة الرقة	٣٢٩ ذكر سمهود
٣٦٨ ذكر عين شمس	٠٠٠ ذكر ارجنوس
٣٧٣ المنصورة	٠٠٠ ذكر أبوبط
٣٧٤ العباسة	٠٠٠ ذكر ملوى
٠٠٠ ذكر مدينة قفط بصعيد مصر	٠٠٠ ذكر مدينة انصنا
٣٧٧ ذكر مدينة دندرة	٣٣٠ ذكر القيس
٠٠٠ ذكر الواحات الداخلة	٣٣١ ذكر دروط بلهاسة
٣٧٩ ذكر مدينة سنترية	٠٠٠ ذكر سكر
٣٨٠ ذكر الواحات الخارجة	٠٠٠ ذكر منية الخصب
٣٨١ ذكر مدينة قوص	

صحيفة	صحيفة
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام	ذكر مدينة اسنا ٣٨٢
ذكر ما قيل في الفيوم وخراجها وضياعها	ذكر مدينة ادفو ٠٠٠
ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق	اهناس ٠٠٠
مدينة النحريرية ٤٠٣	ذكر مدينة البهنسا ٠٠٠
	ذكر مدينة الأشمونين ٣٨٥
	ذكر مدينة أخميم ٣٨٦
	ذكر مدينة العقاب ٣٨٧
	ذكر مدينة الفيوم ٣٩٩

( تمت فهرست الجزء الاول من المخطوط المقرئيه )





# كِتَابٌ

## الخطوط المصرية

المسماة

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار يختص

ذلك باخبار إقليم مصر والنيل وذكركم القاهرة

وما يتعلق بها وباقليمها (تأليف) سيدنا

الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين

أحمد بن علي بن عبد القادر بن

محمد المعروف بالمقرزي

رحمه الله ونفع

بعلومه آمين

الجزء الأول

( مبيعه بمكتبة ملتزمه )

( حضرة الفاضل الشيخ احمد علي الميحيي الكنتي الشهير )

« بمصر قريبا من الجامع الازهر المنير »

( طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ )

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي عرف وفهم • وعلم الانسان ما لم يكن يعلم • وأسبغ على عباده نعمًا باطنة  
وظاهرة • ووالى عليهم من مزيد الآئه مننا متظافرة متواتره • وبهم في أرضه حينًا يتقبلون  
واستخلفهم في ماله فهم به يتمتعون • وهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم •  
وشوقهم للتفنن في مسارج التدبر والركض بمسادين النهوم • وأرشد قوما الى الانقطاع  
من دون الخلق اليه • ووقفهم للاعتاد في كل امر عليه • وصرف آخرين عن كل مكرمة  
وفضيله • وقبض لهم قرنًا قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق ورذيله • وطبع على قلوب  
آخرين فلا يكادون يفقهون قولًا • وشبّاهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا  
ثم حكم على الكل بالقناء • ونقلهم جميعا من دار التمحيص والابتلاء • الى برزخ اليهود والبلاء  
وسيحشرهم أجمعين الى دار الجزاء • ليوفى كل عامل منهم عمله • ويسأله عما أعطاه وخوّله  
وعن موقفه بين يديه سبحانه وما أعدّ له • لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون • أحمدده سبحانه  
حمد من علم أنه اله لا يعبد الاياه • ولا خالق للخلق سواه • حمدا يقضى المزيد من النعماء  
ويوالى المنن بتجدد الآلاء • وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله • ونبيه وخليفه •  
سيد البشر • وأفضل من مضى وغبر • الجامع لمحاسن الاخلاق والسير • والمستحق لاسم  
الكمال على الاطلاق من البشر • الذي كان نبيا وآدم بين الماء والطين • ورقم اسمه من  
الازل في علمين • ثم تنقل من الاصلاب الفاخرة الزكية • الى الارحام الطاهرة المرضيه  
حتى بعثه الله عز وجل الى الخلائق أجمعين • وختم به الأنبياء والمرسلين • وأعطاه مالم  
يعط أحدا من العالمين • وعلى آله وصحابه والتابعين • وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين  
( وبعد ) فان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا • وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا • لما يحويه  
من المواعظ والانذار • بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار • والاطلاع على مكارم الاخلاق  
ليقتدى بها • واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أو لو النهى • لاجرم ان كانت النفس  
الفاضلة به راقية • والهلم العالية اليه مائلة وله عاشقه • وقد صنّف فيه الاثمة كثيرا • وضمن  
الاجلة كتبهم منه شيئا كبيرا • وكانت مصر هي مسقط راسي • وملعب أترابي ومجمع ناسي •  
ومغني عشيرتي وحامتي • وموطن خاصتي وعامتي • وجوؤجوى الذى ربى جناحي في وكره •



وعش مأربى فلا تهوى النفس غير ذكره . لآزات مذ شدوت العلم . وآتاني ربي الفطانة  
والفهم . أرغب في معرفة أخبارها . وأحبّ الاشراف على الاغتراف من آبارها . وأهوى  
مساءلة الركبان عن سكان ديارها . فقيدت بخطي في الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد  
قل ما يجمعها كتاب . أو يحويها لغزتها وعضايتها اهاب . الا أنها ليست بمرتبة على مثال . ولا  
مهذبة بطريقة مانسج على منوال . فأردت أن ألخص منها أبناء ما بديار مصر من الآثار  
الباقية . عن الامم الماضية والقرون الحالية . وما تبقى بقسطا من مصر من المعاهد غير ما كاد  
يفنيه البلى والقدم . ولم يبق الا أن يمحو رسمها الفناء والعدم . وأذكر ما بمدينة القاهرة  
من آثار القصور الزاهرة . وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع . وحوته من المباني  
البديمة الاوضاع . مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الامائل . والتتويه بذكر  
الذي شادها من سراة الاعاظم والافاضل . وأثر خلال ذلك نكتنا لطيفه . وحكا بديمة  
شريفه . من غير اطالة ولا اكثار . ولا اجحاف محل بالعرض ولا اختصار . بل وسط  
بين الطرفين . وطريق بين بين . فهذا سميت (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط  
والآثار) واني لارجو أن يحظى ان شاء الله تعالى عند الملوك . ولا ينبوعه طباع العامي  
والصعلوك . ويحله العالم المنتهى . ويعجب به الطالب المبتدى . وترضاه خلائق العابد الناسك  
ولا يمجحه سمع الخليع الفانك . ويتخذة أهل البطالة والرفاهية سمرا . ويمدّه أولو الرأى  
والتدبير موعظة وعبرا . يستدلون به على عظيم قدرة الله تعالى في تبديل الابدال . ويعرفون  
به عجائب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال . فان كنت أحسنت فيما جمعت  
وأصبت في الذي صنعت ووضعت . فذلك من عيم منن الله تعالى وجزيل فضله . وعظيم  
أنعمه عليّ وجيل طوله . وان أنا أسأت فيما فعلت . وأخطأت اذ وضعت . فما أجدر الانسان  
بالاساءة والعيوب . اذا لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب

وما أبرئ نفسي اني بشر \* أسهو وأخطي \* ما لم يحمى قدر

ولا ترى عذرا اولى بذى زلل \* من أن يقول مقرا اني بشر

فليسبل الناظر في هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره ان مرّت به هفوه . وليغض  
تجاوزا وصفحا ان وقف منه على كبوة أو نبوه . فأى جواد وان عنق ما يكو . وأى  
عضب مهند لا يكل ولا ينبو . لاسيما والخطاير بالافكار مشغول . والغزم لالتواء الامور  
وتعسرها فآر محلول . والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل . والقلب لتوالى  
الحن وتواتر الاحن اعليل

يemandني دهرى كآني عدوه \* وفي كل يوم بالسكريمه يلقاني

فان رمت شيئا جاءني منه ضده \* وان راق لي يوما تكدر في الثاني



اللهم غفرا ما هَذَا من التبرُّم بالقضاء ولا التضجر بالمقدور . بل أنه سقيم ونفثة  
 مصدور . يستروح أن أبدى التوجع والابتن . ويجد خفا من ثقله إذا باح بالشكوى والحزين  
 ولو نظرُوا بين الجوانح والحشا \* رأوا من كتاب الحب في كبدى سطرًا  
 ولو جرُّوا ما قد لقيت من الهوى \* إذا عذروني أو جعلت لهم عذرا  
 والله أسأل أن يحلِّي هذا الكتاب بالقبول عند الحلة والعلماء . كما أعوذ به من  
 تطرَّق أيدي الحساد اليه والجهلاء . وأن يهديني فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال  
 الى سواء السبيل . انه حسبنا ونعم الوكيل . وفيه جلت قدرته لي سلو من كل حادث .  
 وعليه عز وجل أنوكل في جميع الحوادث . لاله الا هو ولا معبود سواه

### ❦ ذكر الرؤس الثمانية ❦

اعلم أن عادة القدماء من المامنين قد جرت أن يأتوا بالرؤس الثمانية قبل افتتاح كل  
 كتاب وهي الغرض والعنوان والمنفعة والرتبة وصحة الكتاب ومن أى صناعة هو وكم  
 فيه من اجزاء وأى أنحاء التعاليم المستعملة فيه فنقول (أما الغرض) في هذا التأليف فانه جمع  
 ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها كي ياتم من مجموعها معرفة جمل أخبار  
 إقليم مصر وهي التي اذا حصلت في ذهن انسان اقتدر على أن يخبر في كل وقت بما كان  
 في أرض مصر من الآثار الباقية والبايدة ويقص أحوال من ابتدأها ومن حلها وكيف  
 كانت مصائر أمورهم وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما يحصل به الفائدة  
 الكلية بذلك الأثر (وأما عنوان هذا الكتاب) أعني الذي وسمته به فاني لما فحصت عن أخبار  
 مصر وجدتها مختلطة متفرقة فلم يتبها لي اذ جمعتها أن أجعل وضعها مرتبا على السنين لعدم  
 ضبط وقت كل حادثة لاسيما في الاعصر الخالية ولا أن أضعها على أسماء الناس لعل أخر  
 تظهر عند تصفح هذا التأليف فلهذا فرقتها في ذكر الخطط والآثار فاحتوي كل فصل منها  
 على ما يلائمه ويشاكله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من أخبار مصر ولم  
 أتخاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطريقة يستحسنها الاريب ولا يستهجنها الفطن  
 الاديب كي يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما في غيره من الفصول فلذلك سميته (كتاب  
 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) \* (وأما منفعة هذا الكتاب) فان الامر فيها يتبين  
 من الغرض في وضعه ومن عنوانه أعني أن منفعته هي أن يشرف المرء في زمن قصير على ما كان  
 في أرض مصر من الحوادث والتغييرات في الازمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتهدب بتدبر  
 ذلك نفسه وترتاض أخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف فناء الدنيا  
 فيحفظي بالاعراض عنها والاقبال على ما يبق (وأما مرتبة هذا الكتاب) فانه من جملة أحد قسمي  
 العلم اللذين هما العقلي والنقلي فينبغي أن يتفرغ لمطالعتهم وتدبر مواعظه بعد اتقان ما يجب معرفته



من العلوم الثقلية والعقلية فانه يحصل بتدبره لمن أزال الله أكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه أبناء جنسه بعد التخون في الاموال والجنود من الفناء والبيود فاذا مرتبته بعد معرفة أقسام العلوم العقلية والثقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبل ( وأما واضع هذا الكتاب ومرتبته ) فاسمه أحمد بن علي بن عبد القادر ابن محمد ويعرف بالمقرزى رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة المعزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبعمائة من سني الهجرة المحمدية ورتبته من العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه وألفه ( وأما من أي علم هذا الكتاب ) فانه من علم الاخبار وبها عرفت شرائع الله تعالى التي شرعها وحفظت سنن أنبيائه ورسله ودون هداهم الذي يقتدى به من وفقه الله تعالى الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت أخبار من مضى من الملوك والفراعنة وكيف حل بهم سخط الله تعالى لما أتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليفة من أبناء البشر على معرفة مادونوه من العلوم والصنائع وتأتي لهم علم ماغاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر فضله ولكل أمة من أمم العرب والعجم على تباين آرائهم واختلاف عقائدهم أخبار عندهم معروفة مشهورة ذائعة بينهم ولكل مصر من الامصار المعمورة حوادث قد مرت به يعرفها علماء ذلك المصر في كل عصر ولو استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم في ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره ( وأما أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة ) أولها يشتمل على جمل من أخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها \* وثانيها يشتمل على كثير من مدنها وأجناس أهلها \* وثالثها يشتمل على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها \* ورابعها يشتمل على أخبار القاهرة وخلائقها وما كان لهم من الآثار \* وخامسها يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال \* وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها \* وسابعها يشتمل على ذكر الاسباب التي نشأ عنها خراب أقليم مصر \* وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزاء السبعة عدة أقسام ( وأما أي أنحاء التعاليم التي قصدت في هذا الكتاب ) فاني سلكت فيه ثلاثة أنحاء . وهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم . والرواية عن أدركت من شيخة العلم ووجهة الناس . والمشاهدة لما عاينته ورأيت \* فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في أنواع العلوم فأنى أعزو كل نقل الى الكتاب الذي نقلته منه لأخلص من عهده وأبرأ من جريرته فكثيراً ممن ضمني واياه العصر واشتمل علينا المصر صار لقلعة انرافه على العلوم وقصور باعه في معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس بهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو أنصف لعلم أن العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة اليه



وحسب العالم أن يعلم ما قيل في ذلك ويقف عليه \* وأما الرواية عن أدركت من الجلة والمشايخ فاني في الغالب والاكثر أصرح باسم من حدثني الا أن لا يحتاج الى تعيينه أو أكون قد أنسيته وقل ما يتفق مثل ذلك \* وأما ما شاهدته فاني أرجو ان أكون والله الحمد غير متهم ولا ظنين . وقد قلت في هذه الرؤس الثمانية ما فيه قنع وكفاية ولم يبق الا أن أسرع فيما قدمت وعزمي أن أجعل الكلام في كل خط من الاخطاط وفي كل أثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار أجمع وأكثر فائدة وأسهل تناولا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفوق كل ذى علم

(فصل) أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ثم كتب بعده القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاي كتابه المنعوت بالختار في ذكر الخطط والآثار ومات في سنة سبع وخمسين وأربعمائة قبل سني الشدة فدفن أكثر ما ذكره ولم يبق الا يجمع وموضع بلقع بما حل بمصر من سني الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين الى سنة أربع وستين وأربعمائة من الفلاة والوباء فمات أهلها وخربت ديارها وتغيرت أحوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجناحي الفسطاط الغربي والشرقي فأما الغربي فنن قطرة بني وائل حيث الوراقات الآن قريبا من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف الآن بالرصد وأنت مار الى القرافة الكبرى وأما الشرقي فنن طرف بركة الحبش التي تلى القرافة نحو جامع أحمد بن طولون ثم دخل أمير الجيوش بدر الجمالي مصر في سنة ست وستين وأربعمائة وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها وأيسها قد أبادهم الوباء والتباب وشتهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم أموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوائف العبيد والملحجية ولم يجد من يزرع الاراضي هذا والطرق قد انقطعت بجرا وبرأ الابحفاة وكافة كثيرة وصارت القاهرة أيضا بيابا دائرة فأباح للناس من العسكرية والملحجية والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ماشاء في القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت أهلها فأخذ الناس في هدم المساكن ونحوها بمصر وعمرها بها في القاهرة وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنبه بعد القضاي على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي في تأليف لطيف نبه فيه الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي على مواضع قد اغتصبت وتمسكت بعد ما كانت أحباسا ثم كتب الشريف محمد بن أسعد الجواني كتاب النقطة بمجم ما أشكل من الخطط نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت



وأخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل في الخطط بين فيه جملا من أحوال مصر وخططها الى أعوام بضع وعشرين وسبعائة قد دثرت بعده معظم ذلك في وباء سنة تسع واربعين وسبعائة ثم في وباء سنة احدى وستين ثم في غلاء سنة ست وسبعين وسبعائة وكتب القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة النبية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية اليه ثم زایدت العمارة من بعده في الايام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى أن كادت تضيق على أهلها حتي حل بها وباء سنة تسع واربعين وسنة احدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين نخرت بها عدة أما كن فلما كانت الحوادث والحزن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم وسأورد من ذكر الخطط ما متصل اليه قدرتي ان شاء الله تعالی

### ﴿ ذكر طرف من هيئة الافلاك ﴾

اعلم أنه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض وتبين موضع الارض من الفلك أن أذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموضع الاقليم منها وأذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقليم وأذكر حدودها واشتقاقها وفضائلها وعجائبها وكنوزها وأخلاق أهلها وأذكر نيلها وخالجتها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل التروع في ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول علم النجوم ثلاثة أقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب واقسام البروج وابعادها وعظمتها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم الثاني علم الزيج وعلم التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمي هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذ من علم الهيئة تكون توطئة لما يأتي ذكره \* اعلم ان الكواكب أجسام كريات والذي أدرك منها الحكماء بالرصد الف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا وهي على قسمين سيارة ونابتة فالسيارة سبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد نظمت في بيت واحد وهو

زحل شرى مريخه من شمس \* قتراهت بعطارد الاقار

ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التي عناها الله تعالى بقوله فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والتي عناها الله تعالى بقوله فالسدرات أمرا وقيل لها الخنس لاستقامتها في سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تجرى في البروج ثم تكنس أي تستتر كما يكنس الظبي وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهي ماسوى الشمس والقمر سميت بذلك من الانخناس وهو الانقباض وفي الحديث الشيطان بوسوس للعبد فاذا ذكر الله



خمس أى اتقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع وسميت  
 بالكنس من قولهم كنس الظبي اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا في  
 الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لانها ترجع  
 أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية في رأى العين فيكون هذا  
 الارتداد لها شبه التحير وهذه الاسماء التي لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها  
 فزحل مشتق من زحل فلان اذا أبطأ سمي بذلك لبضء سيره وقيل للزحل والزحل  
 الحقد وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد في قوله تعالى والسماء والطارق وما  
 أدراك ما الطارق النجم الثاقب والمشتري سمي بذلك حسنه كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل  
 لانه نجم الشراء والبيع ودليل الربح والمال في قولهم والمرخ مأخوذ من المرخ وهو شجر  
 يحتك بعض أغصانه ببعض فيورى نارا سمي بذلك لاجرارته وقيل المرخ سهم لاريش له  
 اذا رمى به لا يستوى في مره وكذا المرخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه  
 ذلك والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب عنوية لانهم من فوقها وثلاثة سفلية لانهم  
 من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التي في الخنقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو  
 الابيض النير من كل شئ وعطارد هو النافذ في كل الامور ولذلك يقال له ايضا الكاتب  
 فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلاسه من الكواكب والقمر مأخوذ من القمره وهي  
 البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل كيوان وللمشتري تبر والبرجيس أيضا وللمرخ بهرام  
 وللشمس مهر وللزهرة أياهيد وسدحت أيضا ولعطارد هرمنس وللقمر ماه وقد جمعت في  
 بيت واحد وهو هذا

لازلت تبقي وترقى للملا أبدا \* ما دام للسبعة الافلاك احكام

مهر وماه وكيوان وتبر معا \* وهرمنس وأياهيد وبهرام

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك  
 لثباتها في الفلك بموضع واحد وقيل لبضء حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة  
 وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة \* ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة  
 فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشفات بعضها في جوف بعض وهي  
 تسعة أقربها اليها فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس  
 وفوقه فلك المرخ ثم فلك المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب  
 يرى في السماء سوى السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك  
 التاسع ويسمي الاطلس وفلك الافلاك وفلك الكل وقد اختلف في الافلاك فقيل هي  
 السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هي كرية وقيل غير ذلك وقيل الفلك



الثامن هو الكرسي والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالذولاب ويدور في كل أربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون أبداً من المشرق الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لادارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليس والنهار فالنهار مدة بقاء الشمس فوق أفق الارض والليل مدة غيوبة الشمس تحت أفق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسما كحجج البطيخة كل قسم منها يقال له برج وهي الحمل • والثور • والجوزاء • والسرطان • والاسد • والسنبلة • والميزان • والقرب • والقوس • والجدي • والدلو • والحوت • وكل برج من هذه البروج الاثني عشر ينقسم ثلاثين قسما يقال لسكل قسم منها درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لسكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوالت والرابع والخوامس الى الثواني عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك أربعة فصول وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء \* وجهات الاقطار أربعة المشرق والغرب والشمال والجنوب \* والاركان أربعة النار • والهواء • والماء • والتراب \* والطبائع أربعة • الحرارة • والبرودة • والرطوبة • واليبوسة • والاخلاط أربعة • الصفراء • والسوداء • والباقم • والدم • والرياح أربعة • الصبا • والذبور والشمال • والجنوب \* فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهي الحمل والثور والجوزاء وثلاثة صيفية هابطة في الشمال آخذة الليل من النهار وهي السرطان والاسد والسنبلة وثلاثة خريفية هابطة في الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والقرب والقوس وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدي والدلو والحوت \* والفلك المحيط كما تقدم دائم الدوران كالذولاب يدور أبداً من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها فيكون دائما نصف الفلك وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الآخر وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة تحت الارض وكما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها ثلثمائة وستون درجة غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائما ستة بروج طلوعها بانهار وستة بروج طلوعها بالليل والافق عبارة عن الحد الفاصل من الارض بين المرتي والخطي من السماء والفلك يدور على قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الحق على قطبي المحرطة ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين بعدهما من كلا القطبين سواء وتسمى هذه الدائرة دائرة معدّل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج تقاطع دائرة معدّل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر أربع وعشرين درجة تقريبا وهذا النصف



فيه قسمة البروج الستة الشمالية وهي من أول الحمل الى آخر السنبلة ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل ذلك وفيه قسمة البروج الستة الجنوبية وهي من أول برج الميزان الى آخر برج الحوت وموضع تقاطع هاتين الدائرتين أعنى دائرة معدل النهار ودائرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين أعنى رأس الحمل ورأس الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذة دائرة فلك البروج دون دائرة معدل النهار وتمر الشمس على دائرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لانها موضع تقاطع الدائرتين وهذا هو خط الاستواء الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين الشمالي والجنوبي سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثنى عشر برجا في مدة ثمانمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم بالتقريب وهذه هي مدة السنة الشمسية وتقيم في كل برج ثلاثين يوما وكسرا من يوم وتكون أبدا بالنهار ظاهرة فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة فانها تكون مرتفعة في الهواء قريبة من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل الصيف واذا حلت في البروج الجنوبية وهي الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت كان فصل الخريف وفصل الشتاء وأنحطت الشمس وبعدت عن سمت الرؤس وزعم وهب بن منه أن أول ما خلق الله تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله باردا رطبا وخلق الربيع فجعله حارا رطبا وخلق الصيف فجعله حارا يابساً وخلق الخريف فجعله بارداً يابساً وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عند ما تنتقل الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء في البداية من الفصول ففهم من اختار فصل الربيع وخيره أول السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفي ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوي فاذا حلت أول جزء من برج الحمل استوي الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيها عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتالأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض ونتجت البهائم ودرت الضروع وأخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصبية شابة قد تزينت للناظرين ولله در القائل وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعمرى رحمه الله تعالى

واستشقوا هوا الربيع فانه \* نعم النسيم وعنده أطفاف  
يغذى الجسوم نسيمة وكأنه \* روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك ففهم من يجعل الربيع



الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعده  
 الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذي تدعوه العامة  
 الصيف ومن العرب من يسمى الفصل الذي يتبدل وتدرك فيه الثمار وهو الخريف  
 الربيع الاول ويسمى الفصل الذي يتلوه الشتاء ويأتي فيه الكمام والنور الربيع الثاني وكلهم  
 مجتمعون على أن الربيع هو الخريف فاذا حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول برج  
 السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدأ نقص النهار وزيادة الليل وانصرم فصل  
 الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحى الهواء وهبت السهائم ونقصت المياه الا بمصر  
 وبس العشب واستحكمت الحب وأدرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت  
 قوة الابدان ودرت اخلاف النعم وصارت الارض كأنها عروس فاذا بلغت آخر برج الدبيلة  
 وأول برج الميزان تساوي الليل والنهار مرة ثانية وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان  
 وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت  
 الانهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار ودرست الياذر واختزن الحب  
 واقتنى العشب واغبر وجه الارض الا بمصر وهزلت البهائم وماتت الهوام وانحجرت  
 الحشرات وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافئة وأخذ الناس يخزنون القوت للشتاء  
 وصارت الدنيا كأنها امرأة كهلة قد أدبرت وأخذ شبابها يولى ولله در القائل وهو الامام  
 عز الدين أبو الحسن أحمد بن علي بن معقل الازدي المهلبى الحمصى حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذ به \* برد الهواء لقد أبدى لنا عجبا  
 أهدي الى الارض من أوراقه ذهباً \* والارض من شأنها أن تهدي الذهبا

وقال أيضاً لله فصل الخريف فصلا \* رقت حواشيه فهو رائق

فالماء يجرى من قاب سال \* والدمع يبدو بوجه عاشق

فبرد هذا ولون هذا \* يلذه ذائق وواق

وقال أيضاً أتى فصل الخريف بكل طيب \* وحسن معجب قلبا وعينا

أرانا الدوح مصفرا نضارا \* وصافى الماء مبيضا لجينا

فأحسن كل احسان الينا \* وأنعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف

خذ في التدثر في الخريف فانه \* مستوبل ونسيمه خطاف

يجرى مع الاجسام جرى حياتها \* كصديقها ومن الصديق يخاف

وقال آخر يا عابثا فصل الخريف وغائباً \* عن فضاله في ذمه لزمانه

لاشيء الطف منه عندي موقعا \* أبدا يعري الغصن من قصانه



وتراه يفرش تحته أثوابه \* فاعجب لرأفته وفرط خنائه  
والذ ساعات الوصال اذا دنا \* وقت الرحيل وحان حين أوامه

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدى تناهي طول الليل وقصر  
النهار وأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان وانصرم فصل الحريف وحل فصل الشتاء  
واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات وغارت الحيوانات  
في جوف الأرض وضعف قوى الابدان وعمرى وجه الأرض من الزينة ونشأت الغيوم  
وكثرت الانداء وأظلم الجو وكالج وجه الأرض الا بمصر وامتنع الناس من التصرف وصارت  
الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد  
الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لاله  
الاهو وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان العفولية وفصل الصيف بالشباب والحريف  
بالكهولة والشتاء بالشيخوخة . وعن حركة الشمس وتنقلها في البروج الاثني عشر المذكورة  
تكون أزمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتها وعن حركة القمر في البروج  
الاثني عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثني عشر ويقطع  
الفلك كله في مدة ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقم في كل برج يومين وثلاث يوم  
بالتقريب ويقم في كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوما وليلة فيظهر عند  
اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره في كل ليلة قدر نصف سبع  
حتى يكمل نوره ويمتلئ في ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر  
في النقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدا الي أن يمحق نوره في آخر  
الثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويمر في هذه المدة منذ يفارق الشمس ويبدا في ناحية  
الغرب ويستمر الى أن يجامعها ثمانية وعشرين منزلة وهي السرطان والبطين والثياو والدبران  
والهقمة والهنة والذراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة والصرقة والعوا والسمك والغفر  
والزبانا والاكيل والقلب والشولة والتعائم والبلدة وسعد الداج وسعد بلع وسعد السعود  
وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر وبطن الحوت \* ولحساب ذلك كتب موضوعة  
وفيما ذكر كفاية والله يعلم وأتم لا تعلمون

ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها

ولما تقدم في الافلاك من القول ما يتبين به لمن ألهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التي بها  
الليل والنهار وتركب الشهور والاعوام منهما جاز حينئذ الكلام على الارض فأقول \* الجهات  
من حيث هي ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل قطر  
من الافق والغرب وهو حيث تغرب والشمال وهو حيث مدار الجدي والفرقدين



والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو مما يلي السماء والتحت وهو مما يلي مركز الأرض \* والأرض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرة الشكل وهي واقفة في الهواء بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالمخ في جوف البيضة وبعدها من السماء متساو من جميع الجهات وأسفل الأرض ما تحققة هو عمق باطنها مما يلي مركزها من أى جانب كان ذهب الجمهور الى أن الأرض كالكرة موضوعة في جوف الفلك كالمخ في البيضة وأنها في الوسط وبعدها في الفلك من جميع الجهات على التساوي وزعم هشام بن الحكم أن تحت الأرض جسما من شأنه الارتفاع وهو المانع للأرض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما بعده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان الله تعالى وقفها بلا عمد وقال ريمقرطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال وقال آخر هي واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فذلك لا تميل الى ناحية من الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس في جذبه الحديد فان الفلك بالطبع مغناطيس الأرض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدبير الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما اذا وضعت ترابا في قارورة وأدرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وقال محمد بن أحمد الخوارزمي الأرض في وسط السماء والوسط هو السفلى بالحقيقة وهي مدورة مخرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الغائرة وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت حملتها لان مقادير الجبال وان شمخت يسيرة بالقياس الى كرة الأرض فان الكرة التي قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا نثا منها شي أو غار فيها لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شي فحينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة في المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم أسرار حكمه الا هو \* وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الأرض يحيط بها ويجذبها من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا فوق آخر الى الفلك التاسع الذي هو أعلى الافلاك ونهاية الخلوقات بأسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاء وقيل ملاء وقيل لا خلاء ولا ملاء وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الأرض فان رأسه أبدا يكون مما يلي السماء الى فوق ورجلاه أبدا تكون أسفل مما يلي مركز الأرض وهو دائما يرى من السماء نصفها ويستتر عنه النصف الآخر حذبة الأرض وكلما انتقل من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفي عنه . والأرض غامرة بالماء كغنية طافية فوق الماء قد انحسر عنها نحو النصف وانعمر النصف الآخر في الأرض وصار المتكشفت من الأرض نصفين كأنما قسم بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرة



وجميع البلاد التي على هذا الخط لا عرض لها البتة والقطبان غير مرتين فيها ويكونان  
 هناك على دائرة الافق من الجانبين وكما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية الشمال قدر  
 درجة ارتفاع القطب الشمالي الذي هو الجدى على أهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب  
 الجنوبي الذي هو سهيل درجة وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة في  
 ناحية الجنوب كذلك من ارتفاع القطب الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي وبهذا عرف عرض  
 البلدان وصار عرض البلد عبارة عن ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤس أهله وارتفاع  
 القطب عليهم وهو أيضا بعد ما بين سمت رؤس أهل ذلك البلد وسمت رؤس أهل بلده لا عرض  
 له فأما ما انكشف من الارض مما يلي الجنوب من خط الاستواء فانه خراب والتصف  
 الآخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء فهو الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط  
 الاستواء لا وجود له في الخارج وانما هو فرض بوهما أنه خط ابتداءه من المشرق الى المغرب  
 تحت مدار رأس الحمل وسمى بذلك من أجل أن النهار والليل هناك ابدا سواء لا يزيد ولا  
 ينقص أحدهما عن الآخر شيئا البتة في سائر أوقات السنة كلها ونقطتا هذا الخط ملازمان  
 للافق أحدهما على مدار سهيل في ناحية الجنوب والاخرى مما يلي الجدى في ناحية  
 الشمال . والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من الجنوب الى الشمال من خط  
 أريس الى بنات نعش ثمان وأربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف خط  
 أريس وهو مقدار ستة عشر درجة وجملة المعمور الارض نحو من سبعين درجة لاعتدال  
 مسير الشمس في هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة وأما الشمال  
 والجنوب فالشمس لا تحاذيهما الا مرة واحدة ولان اوج الشمس مرتين في جهة الشمال  
 كانت العمارة فيه لا ارتفاعها وانقضاء ضرر قوتها غير ساكنة ولان حضيضها في الجنوب عدمت  
 العمارة هنالك . وقد اختلف الناس في مسافة الارض ف قيل مسافتها خمسمائة عام ثلث عمران  
 وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون ليا جوج وما جوج  
 واثنان عشر للسودان وثمانية لروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الأمم وقيل الدنيا سبعة أجزاء  
 ستة ليا جوج وما جوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمسمائة عام البحار ثلثمائة ومائة خراب  
 ومائة عمران وقيل الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنان عشر ألف وللروم  
 ثمانية آلاف وللفارس ثلاثة آلاف وللعرب ألف . وعن وهب بن منبه ما للعمارة من الدنيا  
 في الخراب الا كفسطاط في الصحراء وقال ازدشير بن تابلك الارض أربعة أجزاء جزء  
 منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعة والاطراف  
 أربعة والنواحي خمسة وأربعون والمدائن عشرة آلاف والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون  
 ألفا وقيل المدن والحصون أحد وعشرون ألفا وسبعمائة مدينة وحصن في الاقليم الاول



ثلاثة آلاف ومائة مدينة كبيرة وفي الثاني الفان وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وقريّة كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون مدينة وقريّة وفي الرابع وهو بابل أنان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة وفي الخامس ثلاثة آلاف مدينة وست مائة وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الأرض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الأرض والحياض والمنازل والبحار والباقي خراب يباب لا نبات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الأرض مثل طائر رأسه الصين والجنّاح الإيمن الهند والسند والجنّاح الأيسر الخزر وصدرة مكة والعراق والشام ومصر وذنبه المغرب وقيل قطر الأرض سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلاً ودورها عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل وذلك جميع ما أحاطت به من بر وبحر وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي طول الأرض من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب نحو أربعمائة مرحلة وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكن يأجوج ومأجوج إلى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة وما بين براري يأجوج ومأجوج إلى البحر المحيط في الشمال وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب خراب ليس فيه عمارة ويقال إن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه أقوال لا دليل على صدقها . والطريق في معرفة مساحة الأرض أنألو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب إلى الشمال بقدر ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤسنا إلى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزءاً وارفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة فانا نعلم أنا قد قطعنا من محيط جرم الأرض جزءاً من ثلاثمائة وستين جزءاً وهو نظير ذلك الجزء من الفلك فلو قسمنا من ابتداء مسيرنا إلى انتهاء مكاتنا الذي وصلنا إليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فانا نجد حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الأرض ستة وخمسين ميلاً وثلاثي ميل عنها خمسة وعشرون فرسخاً فإذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الأميال في ثلاثمائة وستين خرج من الضرب عشرون ألفاً وأربعمائة ميل وذلك مساحة دور الأرض فإذا قسمنا هذه الأميال التي هي مساحة دور الأرض على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلاً وهي مساحة قطر الأرض فلو ضربنا هذا القطر في مبلغ دور الأرض بلغت مساحة بسط الأرض بالتكبير مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وسبعمائة ألف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الأرض المسكون بالتكبير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءاً وسدس جزء وهذا هو سدس الأرض



واتهاؤه الى جزيرة تولى في برطانية وهى آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثة  
 آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذى هو مساحة عرض  
 الارض في النصف وهو مقدار الطول كان المعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض  
 وأما الطول فانه يقل لتضايق أقسام كرة الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب  
 أربعة آلاف وثمانون ميلا وفي الربع المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة  
 جزائر وفيه خمسة عشر بحيرة منها مالح وعذب وفيه مائتا جبل طوال ومائتا نهر وأربعون  
 نهرا طوالا ويشتمل على سبعة أقاليم تحتوى على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة \* وقال في  
 كتاب هرشيوس لما استقامت طاعة بوليس الملقب قيصر الملك في عامة الدنيا تخير أربعة  
 من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها أرباعا  
 فولى أحدهم أخذ وصف جزء المشرق وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث  
 أخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على  
 أيديهم فى نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار الممتدة فى الدنيا تسعة وعشرين بحرا  
 قد سموها منها بجزء المشرق ثمانية وبجزء الغرب ثمانية وبجزء الشمال أحد عشر وبجزء الجنوب  
 اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات إحدى وسبعون جزيرة منها فى المشرق ثمان وفى  
 الغرب ست عشرة وفى جهة الشمال إحدى وثلاثون وفى جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجيال  
 الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة وثلاثون وهى أمهات الجيال وقد سموها فيما فسروه  
 منها فى جهة المشرق سبعة وفى جهة الغرب خمسة عشر وفى الشمال اثنا عشر وفى الجنوب  
 اثنان والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها فى المشرق سبعة وفى المغرب خمسة وعشرون وفى  
 الشمال تسعة عشر وفى الجنوب اثنا عشر وقد سموها والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان  
 منها فى المشرق خمس وسبعون وفى المغرب ست وستون وفى الشمال ست وفى الجنوب اثنان  
 وستون والانهار الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة وخمسون منها لجزء المشرق سبعة عشر  
 وجزء الغرب ثلاثة عشر وجزء الشمال تسعة عشر وجزء الجنوب سبعة والاقاليم السبعة كل إقليم  
 منها كانه بساط مفروش قد مد طول من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب  
 وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم الاول منها يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها  
 الاطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ست  
 عشر ساعة لان ما حاذى حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة  
 فيه وما حاذى الاقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من  
 المشرق الى الغرب مسافة اثنتي عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل نصف  
 ساعه من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى



المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخاً وأقصرها طولاً وعرضاً الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب ألف وخمسة مائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخاً وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعا القدماء الذين جالوا في الارض ليقفوا على حقيقة حدودها وبقينوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون وأما الثلاثة الارباع الباقية فانها خراب فجأة الشمال واقعة تحت مدار الجدي قد أفرط هناك البرد وصارت ستة أشهر ليلاً مستمرا وهي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار وبظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان وبقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة أشهر بغير ليل وهي مدة الصيف عندهم فيحتمى الهواء ويصير سموماً محرقاتاً يهلك بشدة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم أمواجه وشدة ظلماته وناحية الشرق تمنع من سلوك الجبال الشامخة وصار الناس أجمعهم قد أمحصروا في الربع المسكون من الارض ولا علم لاحد منهم بالارض أى بالثلاثة الارباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطة في دائرة وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعة بساعات النهار وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل في سائر الاقاليم كلها فاذا انتقلت في درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل إقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الاول ثلاث عشرة ساعة سواء وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهاراً كله \* ومعنى طول البلد هو بعدها من أقصى العمارة في الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في أقصى الغرب لا طول له ومن أقصى الغرب الى أقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله أقل من تسعين درجة فانه أقرب الى الغرب وأبعد من الشرق وما كان طوله من البلاد أكثر من تسعين درجة فانه أبعد عن الغرب وأقرب الى الشرق \* وقد ذكر القدماء أن العالم السفلي مقسوم سبعة أقسام كل قسم يقال له إقليم فاقليم



الهند لرحل وأقليم بابل للمشتري وأقليم الترك للمريخ وأقليم الروم للشمس وأقليم مصر لعطارد  
وأقليم الصين للقمر . وقال قوم الحمل والمشتري لبابل والجدي وعطارد للهند والاسد والمريخ  
للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثني عشر برجا فالحمل ومثلاه للمشرق  
والشور ومثلاه للمغرب والجنوزاء ومثلاها للمغرب والسرطان ومثلاه للشمال قالوا وفي  
كل أقليم مدينتان عظيمتان يحسب بين كل كوكب الا أقليم الشمس وأقليم القمر فانه ليس  
في كل أقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقليم السبعة وحصونها أحد  
وعشرون لف مدينة وستائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك وقال هرمس اذا جمعت  
هذه الدقائق رابع كانت أناس هذه الاقليم واذا مات أحد ولد نظيره ويقال ان عدد مدن  
الاقليم الاول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وأن في الثاني  
ألفان وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون  
وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون وفي الخامس ثلاثة آلاف وست  
مدن وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة  
مدينة وقرية كبيرة في الجزائر . فالاقليم الاول يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول  
ثلاث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالي فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلاثا درجة وهو  
العرض وانتهاء عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشرة  
ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو  
مسافة أربعمائة وأربعين ميلا وابتداءه من أقصى بلاد الصين فيمر فيها الى ما يلي الجنوب  
ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد الهند ويمر في البحر على جزيرة العرب وأرض اليمن ويقطع  
بحر القزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة ومدينة دنقلة من أرض  
التوبة ويمر في أرض المغرب على جنوب بلاد البربر الى نحو البحر المحيط وفي هذا الاقليم عشرون  
جبالا فيها ما طوله من عشرين فرسخا الى ألف فرسخ وفيه ثلاثون نهارا طولا منها ما طوله  
ألف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة أهل هذا الاقليم سود  
الالوان ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وانه من الكواكب السيارة المشتري وهو  
مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع أهله الذرة والارز الا أن الاعتدال عندهم  
معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقرة عندهم كثير لكثرة المروج وفي مشرقه البحر  
الخارج وراء خط الاستواء بثلاث عشرة درجة وفي مغربه النيل وبحر العرب ومن هذا الاقليم  
يأتي نيل مصر وشرقهم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند واليمن . والاقليم الثاني حيث  
يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه قدر أربعة  
وعشرين جزءا وعشر جزء وهو عرض من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول



ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ومساحة هذا الاقليم أربعمائة ميل ويبتدى من بلاد الشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الهند والسند ثم بملتقى البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة فيدخل في هذا الاقليم النجامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وانصنا واسوان ويمر في أرض المغرب على وسط بلاد افريقية فيمر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طولا وأربعمائة وخمسون مدينة كبيرة وألوان أهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدي ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة ففي المغرب منهم حداله وصنهاجه وملتونه ومسوفه ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون يحل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من أهل العراق الى رحاله الترك \* والاقليم الثالث وسطه حيث يكرن طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حسد الاقليم الثاني الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومسافته ثلاثمائة وخمسون ميلا ويبتدى من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويتر بالاهواز والعراق والبصرة وواسط وبفداد والكوفة والانببار وهيت ويمر ببلاد الشام الى سامية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ويقطع أسفل أرض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندرية والعرما وتيس ودمياط ويمر ببلاد برقة الى افريقية فيدخل فيه القيروان وينتهي في البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلا كبيرا وأثنان وعشرون نهر اطوالا مائة وثمانية وعشرون مدينة وأهلهم سمر اللوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهرة وفي هذا الاقليم العمائر المتواصلة من أوله الى آخره اه \* والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحدث هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض تسعا وعشرين درجة وثلاث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويبتدى من الشرق فيمر ببلاد البيت وخراسان وحجنده وفرغانه وسمرقند وبخاري وهراء ومرو والروذ وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان



وقزوين والديلم والرى وأصفهان وهمدان ونها وند ودينور والموصل ونصيبين وآمدوراس  
العين وشميساط والرقة ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومسح وملطية وحلب وانطاكية  
وطرابلس والبيصة وحماء وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على  
جزيرة قبرس وروودس ويمر ببلاد طنجة فينتهي الى بحر المغرب وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون  
جبلًا كبيرًا وخمسة وعشرون نهرًا طويلاً ومائتا مدينة وأثنا عشرة مدينة وألوان أهله ما  
بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومي من  
مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسول صلوات الله عليهم  
أجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية وهو في  
قسم الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهما على جنبيه وبقية الاقليم منحصلة  
أهلها ناقصون ومنه طون عن الفضيلة لسماجة صورهم وتوحش أخلاقهم كالزنج والحبشة  
وأكثر أمم الاقليم الاول والثاني والسادس والسابع يأجوج ومأجوج والتغرغر والصقالبة  
ونحوهم \* والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشر ساعة وارتفاع القطب  
الشمالي وهو العرض احدى وأربعون درجة وثلاث درجة وابتدأؤه من نهاية عرض الاقليم  
الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثاً وأربعين  
درجة ومسافته خمسون ومائتا ميل وابتدئ من المشرق الى بلاد يأجوج ومأجوج ويمر  
بشمال خراسان وفيه خوارزم واسديجاب واذريجان وبردعه وسجستان وأردن وخلاط  
ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهي الى البحر الذي في المغرب وفي  
هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلاً ومن الانهار السكبار خمسة عشر نهرًا ومن  
المدائن السكبار مائتا مدينة وأكثر أهلها بيض الالوان وله من البروج الدلو ومن السيارة  
القمر \* والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة  
وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض خمساً وأربعين درجة وخمسة درجة وابتدأؤه من حد  
نهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع  
ساعة والعرض سبعة وأربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة أميال  
ويبتدئ من المشرق فيمر بمساكن الترك من البحر خير والتغرغر الى بلاد الخزر من شمال  
نجومهم على اللان والشرير وأرض برحان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط  
الغربي وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلاً ومن الانهار الطوال اثنان  
وثلاثون نهرًا ومن المدن السكبار تسعون مدينة وأكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين الشقرة  
والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة المربخ \* والاقليم السابع وسطه حيث يكون  
النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ثمانياً وأربعين درجة



وثلاثي درجة وابتداء هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم السادس الى حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مائة وخمسة وثمانون ميلا فبين أن ما بين أول حد الاقليم الاول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وأن ارتفاع القطب الشمالي ثمانية وثلاثون درجة تكون من الاميال ألفين ومائة وأربعين ميلا وابتدئ الاقليم السابع من المشرق على بلاد يأجوج ومأجوج ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلي الشمال ويقطع بحر الروم على بلاد جرجان والصقالة الى أن ينتهي الى البحر المحيط في المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال طوال وأربعون نهرا طويلا واثنان وعشرون مدينة كبيرة وأهله شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن السيارة الشمس وفي كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة أمم مختلفة الألسن والالوان وغير ذلك من الطبائع والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والاعمال والصنائع والعبادات والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف أهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوابع كل بلد من البروج على أفقه وممر الكواكب على مسامحة البقاع من الارض ومطرح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب الحكمة ليتدبر أولو النهي ويعتبر ذوو الحجة بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك فان الربع المسكون من الارض على تفاوت أقطاره مقسوم بين سبع أمم كبار وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض في يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض في يد الهند وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان وفي شمال مغرب الارض البربر وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الأمم الست

ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة

واذ يسر الله سبحانه بذكر جل أحوال الارض ومعرفة ما في كل اقليم من اقليم الارض فليذكر محل مصر من ذلك فنقول ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني وبعضها واقع في الاقليم الثالث فما كان منها في الصعيد الاعلى كقوص واخميم واسفي وأنصنا وأسوان فان ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهة الشمال من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهرة والاسكندرية والغرما وتينيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهرة وهو بعدها من أول العمارة في جهة المغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من خط الاستواء ثلاثون درجة وطول النهار الاطول أربع عشرة ساعة وغاية



ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلاث وربع درجة وفسطاط مصر مع القاهرة من مكة شرفها الله تعالى واقعان في الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد تشرقا بعده عن مدينة الفسطاط بأيام عديدة في جهة الجنوب فيكون على ذلك مقابلا لمكة من غربها ومصر لا يتوصل اليها الا من مفازة فني شرقها بحر القلزم من وراء الجبل الشرقي وفي غربها صحراء المغرب وفي جنوبها مفازة النوبة والحبشة وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي فيما بين بحر الروم وبحر القلزم وبين مصر وبغداد على ما ذكره ابن جرداديه في كتاب المهالك والمسالك ألف وسبعمائة وعشرة أميال يكون خمسمائة وسبعين فرسخا ومائة وبضعا وأربعين بريدا وبين مصر والشام أعنى دمشق ثلاثمائة وخمسة وستون ميلا تتكون من الفراسخ مائة واحدى وعشرين فرسخا وثاني فرسخ عنها ثلاثون بريدا وكسر وقال ابن جرداديه أرض الحبشة والسودان مسيرة سبع سنين وأرض مصر جزء واحد من ستين جزءا من أرض السودان وأرض السودان جزء واحد من الارض كلها وفي كتاب هردوشيش بلد مصر الادنى شرقه فلسطين وغربه أرض لبيسه وأرض مصر الاعلى تمتد الى ناحية الشرق وحدته في الشمال خليج العرب وفي الجنوب البحر المحيط وفي الغرب مصر الادنى وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنسا

#### ذكر حدود مصر وجهاتها

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود على ما هو عليه والحد هو نهاية الشيء والحدود تكثر وتتل بحسب المحدود والجهات التي تحد بها المساكن والبقاع أربع جهات وهي جهة الشمال التي هي اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكب الجدي والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبي الذي يقرب منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين اللذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس في الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الاوقات وبها تحد الاراضي ونحوها من المساكن وبها يهتدي الناس في أسفارهم وبها يستخرجون سمت محاريهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهتي المشرق والمغرب على تربيعة الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمي بخط الاستواء على زوايا قائمة وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمتقبل للجنوب يكون أبدا مستدبرا للشمال ويصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الاربع هي التي ينسب اليها ما يجد من البلاد والاراضي والدور الا أن أهل



مصر يستعملون في تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية لفظة القبلة فيقولون الحد القبلي ينتهي الى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي الى كذا ويريدون بالبحري الحد الشمالي وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك أن البلاد التي توافق عرضها عرض مكة اذا كانت أطوالها أقل من طول مكة فإن القبلة تكون في هذه البلاد نفس الشروق بخلاف التي توافق عرضها عرض مكة إلا أن أطوالها أطول من طول مكة فإن القبلة في هذه البلاد تكون نفس الغرب فمن حدد في شيء من هذه البلاد أرضاً أو مسكناً بمحدود أربعة فانه يصير حدان منها حداً واحداً وكذلك جهة البحر لما جعلوها قبالة جهة القبلة وحددوا ما بينهما من الاراضي والدور بما يسامتها منه فانهم أيضا ربما غلطوا وذلك أن القبلة والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة فاذا عرفت ذلك فاعلم أن أرض مصر لها حد يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي الى ظهر الواحات ويمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة في حد أسوان على حد أرض السبخة في قبلي أسوان حتى ينتهي الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طور سيناء ويعطف على تيه بني اسرائيل مارا الى بحر الروم في الجفار خلف العريش وروح ويرجع الى الساحل مارا على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في رسالته المصرية أرض مصر بأسرها واقعة في المعمورة في قسمي الاقليم الثاني والاقليم الثالث ومعظمها في الثالث وحي المعتون بأخبارها وتواريخها أن حدها في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من أربعين يوما وحدها في العرض من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبة الى رشيد وما حاذها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما ويكتشفها في العرض الى منهاها جيلان أحدها في الضفة الشرقية من النيل وهو المقطم والآخر في الضفة الغربية منه والنيل متشرف فيما بينهما وما جيلان أجردان غير شامخين يتقاربان جدا في وضعهما من لدن أسوان الى أن ينتها الى الفسطاط ثم يتسع ما بينهما وينفج قليلا ويأخذ المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وراب في مأخذيهما وتفرج في مسلكيهما فتتسع أرض مصر من الفسطاط الى ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرماء وتيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فهناك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين أوغلا في الجنوب واوغلا في الشمال واذا نظرنا بالطريق البرهانية في مقدار هذه المسافة من الاميال لم تبلغ ثلاثين ميلا بل تنقص عنها نقصانا ماله قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة أسوان التي هي أوغلا في الجنوب وعرض مدينة تيس التي



هي وأغلها في الشمال تسعة أجزاء ونحو سدس جزءه وليس بين طولها فضل له قدر يعتد به وينوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالقرب وذلك مسافة عشرين يوما أو قريب منها وفي هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو أكثر من ذلك لما في الطريق من التعويج وعدم الاستقامة وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم مصر من العريش الى آخر لوية ومراقية وفي آخر أرض مراقية تلتقى أرض أنطابلس وهي برقة ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة أربعين ليلة وهو ساحل كله على البحر الرومي وهو بحرى أرض مصر وهو مهب الشمال منها الى القبلة شيئا ما فاذا بلغت آخر أرض مراقية عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وأنت متوجه الى القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك الى أفرقة وعن يسارك من أرض مصر الى أرض الفيوم منها وأرض الواحات الأربعة فذلك غربى مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من آخر أرض الواحات وتستقبل المشرق سائرا الى النيل تسير ثمانى مراحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهي آخر أرض الاسلام هناك ويلها بلاد النوبة ثم ينقطع النيل فتأخذ من أسوان فى المشرق منكبا عن بلد أسوان الى عيذاب ساحل البحر الحجازى فمن أسوان الى تيداب خمس عشرة مرحلة وذلك كله قبلى أرض مصر ومهب الجنوب منها ثم ينقطع البحر الملح من عيذاب الى أرض الحجاز فينزل الحوزاء أول أرض مصر وهي متصلة باعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم وهو داخل فى أرض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه أرض الحوزاء وطنسه والنبك وأرض مدين وأرض ايلة فصاعدا الى المقطم بمصر والغربى منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم والبحرى منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم الى الفرماة مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز فبا بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي أرض مصر من الحوزاء الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من أرض مصر وما كان بعد هذا من الحد الغربى فمن فتوح أهل مصر ونغورهم من البرقة الى الاندلس

### ذكر بحر القلزم

القلزم الدواهي والمضايقه ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت أرض مصر منحصرة بين بحرين هما بحر القلزم من شرقيها وبحر الروم من شمالها وكان بحر القلزم داخلا فى أرض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف به فنقول هذا البحر انما عرف فى ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله الغربى فى شرقي أرض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكرى قرى مصر ومدنها فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على



الاضافة ويقال له بالعبرانية ثم تسوب وهذا البحر انما هو خليج يخرج من البحر الكبير  
 المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقبانس ويعرف أيضا ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد  
 منه وضئف الشمس عن حله فيغالب وتشد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر احواله  
 ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزأره وفي جانب  
 هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الآتي ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات  
 وهي فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي  
 الصين ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السبلى نزلها بعض العلويين في أول الاسلام خوفا  
 على أنفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة أبحر أعظمها اثنان وهما اللذان عنها الله  
 تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا فأحدهما من جهة  
 الشرق والآخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر  
 الهندي والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان وأما  
 الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي فأما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فان  
 مبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجرى الى ناحية  
 الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبانه والى التعير من بلاد كمران فاذا  
 صار الى بلاد كمران ينقسم هناك قسمين أحدهما يسمى بحر فارس والآخر يسمى بحر اليمن  
 فيخرج بحر اليمن من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيعمد من  
 هناك الى مدينة طقار ويسير الى المسجر وساحل بلاد حضر موت الى عدن والى باب  
 المنذب وطول هذا البحر الهندي ثمانية آلاف ميل في عرض ألف وسبعمائة ميل عند  
 بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فاذا انتهى الى باب المنذب يخرج الى  
 بحر القلزم والمنذب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخر من  
 البر تجاهه فاذا فارق باب المنذب مر في جهة الشمال بساحل زبيد والحرون الى عثر وكانت  
 عثر مقر الملك في القديم ويمر من هناك على حلى الى عسفان وانمار وهي فرضة المدينة النبوية  
 على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومنها على ما يقابل الجحفة حيث  
 يسمى اليوم رابع الى الحوراء ومدين وايلة والطور وفاران ومدينة القلزم فاذا وصل الى  
 القلزم انعصف من جهة الجنوب ومر الى القصير وهي فرضة قوص ومن القصير الى عيذاب  
 وهي فرضة التحية ويمتد من عيذاب الى بلد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربر  
 وطول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل وعرضه من أربعمائة ميل الى مادونها وهو بحر  
 كرية المنظر والرائحة وفي هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى أطرافه بلاد السند وبلاد  
 اليمن كأنها جزائر أحاط بها الماء من جهاتها الثلاث وهو نهر يردع مهران كردع البحر



الرومي اثيل مصر وفيه فيها بين مدينة القلزم ومدينة ايلة مكان يعرف بمدينة فاران وعندها جبل لا يكاد ينحونه منه مركب لشدة اختلاف الريح وقوة ممرها من بين شعرتي جبلين وهي بركة سعتها ستة أميال تعرف ببركة الغرنديل يقال ان فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال ان الغرنديل اسم صنم كان في القديم هناك قد وضع ليحبس من خرج من ارض مصر مغاضبا للملك أوفارا منه وأن موسى عليه السلام لما خرج بنى اسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا أمره الله سبحانه وتعالى أن ينزل نجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يهدونه منه فخرج بخنوده في طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه فكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسيرد خبير موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دمونه من هذا الكتاب في ذكر كنائس اليهود وفي بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها أربع عامرات وهي جزيرة دهلك وجزيرة سواكن وجزيرة النعمان وجزيرة السامري ويخرج من هذا البحر خليجان خليج لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الاعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض دقاغه نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في أعمال بلاد الشام وديار مصر حتى يكون بينهما نحو يوم

### ذكر البحر الرومي

ولما كانت عدة بلاد من ارض مصر مطلة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية ودمياط وتيس والفرما والعريش وغير ذلك وكان حد ارض مصر ينتهي في الجهة الشمالية الى هذا البحر وهو نهاية مصب النيل حسن التعريف بشيء من أخباره وقد تقدم أن مخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب وهو يخرج في الاقليم الرابع بين الاندلس والغرب ساثرا الى القسطنطينية ويقال أن اسكندر الجبار حفره وأجراه من البحر المحيط الغربي وأن جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت ارضاً واحدة يسكنها البربر والاشبان فكان بعضهم يغير على بعض الي أن ملك اسكندر الجبار ابن سلقوس بن امرئيس بن دويان فرغ اليه الاشبان في أن يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يمكن به احتراز كل طائفة عن الاخرى فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا وبنى بجانبه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها الا باذن وكان قاموس البحر أعلى من ارض هذا الزقاق فطما الماء حتى غطى السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطغى على عدة بلاد ويقال أن المسافرين في هذا الزقاق بالبحر يجبرون أن المراكب في بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين حائطين ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض



حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر ميلا ويدكرون أن البحر اذا جزر ترى القنطرة حينئذ وهذا الخبر أظنه غير صحيح فان أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الاول قبل اسكندر بزمان طويل فلما أن يكون ذلك قد كان في أول الدهر مما عمله بعض الاوائل واما أن يكون خبزا واهيا والا فزمان اسكندر حادث بعد كون هذا البحر والله أعلم \* وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مر مشرقا في بلاد البربر وشمال الغرب الاقصى الى وسط بلاد المغرب على افرقة وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وأرض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ثم يعطف من هناك الى العسلايا وانطاكية الى ظهر بلاد القسطنطينية حتى ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقيل ستة آلاف ميل وعرضه من سبعمائة ميل الى ثلاثمائة ميل وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها أم كثيرة معروفة الا أنه ليس من شرط هذا الكتاب منها صقلية وصورقة واقريطش وقبالة البحر الهندي من جهة المغرب بحر خارج من المحيط في مغرب بلاد الزنج ينتهي الى قريب من جبل القمر وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفي أسفله جزائر الخالدات التي هي منتهى الطول في المغرب ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق بحر جرجان وقيل أنه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال شامخة وبحر الصقلب بحر يخرج من جهة المغرب بين الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزائر كثيرة ومنها جزيرة الاندلس الا أنها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند بر سلونه ولهم بحر يعرف بأجوج ومأجوج غزير وفيه عجائب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البر الرومي نحو أربعة أشهر وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن وقد كان حرض بعض ملوك الفرس في بعض استيلائهم على مصر على أن يحفروا ما بين البحرين القلزم والرومي ويرفخوا من بينهما البرزخ وكان أولهم شاميس بن طراطس الملك ثم من بعده دارنوش الملك فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع ماء القلزم على أرض مصر فلما كانت دولة اليونانيين جاء بطليموس الثالث ففعل ذلك على يد أرسمدس بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم القياصرة طموه منما لمن يعسل اليهم من أعدائهم وذكر بعض أصحاب السير من الفلاسفة أن ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية كان في قديم الزمان أرضا تبت الجميز وكانت مسكونة وحمّة وكان أهلها من اليونانية وأن الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان بها فيما يزعمون الطائر الذي يقال له ققنس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بسبعة أيام حتى لا يمكن أحد يسمع صوته لانه يغلب



على قلبه من حسن صوته ما يمت السامع وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور فلا يهدأ من الصياح وزعموا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت قفقس في تلك الحال فغشي ان هجم عليه أن يقتله حسن صوته فسدا أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من أذنيه شيئا بعد شيء حتى استكمل فتح الاذنين في ثلاثة أيام يريد أن يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة فلا يفتته حسنه في أول مرة فيأتي عليه وزعموا أن ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شيء بسبب هجوم ماء البحر عليه وعلى رهطه بالليل في الاوكار فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة أراد ملك من الملوك قتله فأعطاه قدحا فيه سم ليشربه فأعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هذا أيها الحكيم فقال هل أعجز أن أكون مثل قفقس

### ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسماؤها

ويقال كان اسمها في الدهر الاول قبل الطوفان جزله ثم سميت مصر وقد اختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر بن مراكيل ابن دوايل بن عرياب بن آدم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن يعراوش الجبار بن مصرم الاول وبه سمي مصر بن نصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن نصر بن حام بن نوح وهو اسم أعجمي لا ينصرف وقال آخرون هي اسم عربي مشتق فأما من ذهب الى أن مصر اسم أعجمي فانه استدلل بما رواه أهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن نصر بهذه الارض وقسمها بين أولاده فعرفت به اه وذكر الحسن بن أحمد الهمداني أن مصر بن حام وهو مصرم وقيل أن بنصر بن هرمس ابن هرديوس جد الاسكندر قال ونكح لوما بن حام بنت شاويل بن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا القبط قبط مصر ومن ههنا أن مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس بن هرديش بن يبطون بن روى بن ليطي بن يونان وبه سميت مصر فهي معدونية وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن بني آدم لما تحاسدوا وبغى عليهم بنو قاييل بن آدم ركب بقراوس الجبار بن مصرم بن مراكيل بن دوايل بن عرياب بن آدم عليه السلام في نيف وسبعين راكبا من بني عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الارض يقطنون فيه فرارا من بني أبيهم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشى عليه فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه أعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فأقطنوا فيه واستوطنوا وبنوا فيه الابنية المحكمة والصنائع العجيبة وبني بقراوس مصر وسمها باسم ابيه مصرم وكان بقراوس جبارا له قوة وكان مع ذلك علما وله ائتمرن الجن في هلاك بني ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التي كان زواميل علمها لآدم عليه السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله



وملوكم ثم امر حين ملك ببناء مدينة في موضع خيمته فقطعوا له الصخور من الجبال  
وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها امسوس وأقاموا فيها أعلاما طول كل علم منها  
مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية  
من الارض من رأى ثم حفروا النيل حتى أجروا ماء الهم ولم يكن قبل ذلك معتدل  
الجرى انما كان ينطبع ويتفرق في الارض حتى يتوجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه  
انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم امسوس بحرى  
في وسطها ثم سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن بنصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون  
السكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته  
وركب معه في السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة  
وقسم الارض بين اولاده وكانت ابنته قليمون قد ولدت لبنصر ولدا سماه مصرام فقال قليمون  
لنوح ابنتى يا بنى الله انى حتى أمضى به بلدى وأظهره على كنوزى وأوقفه على علومه  
ورموزه فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته وكان غلاما صرفها فلما قرب من مصر بنى له  
عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة  
وسماها درسان أى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر  
فصارت هناك زروع واجنة وعمارة وكان الذى مع مصرام جبارة فقطعوا الصخور وبنوا  
المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش ويقال ان اهل مصر أقاموا عليهم مصرام بن بنصر  
ملكا في ايام تالغ بن عامر بن شايخ بن أرغشد بن سام بن نوح فملك مصر وهى مدينة  
منبعا على النيل وسماها باسمه ويقال ان مصرام غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها  
عظيمة بحيث يشقى الاترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القناء في طول أربعة عشر  
شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثمانمائة ذراع طولاً في عرض  
مائة ذراع ويقال أن مصرام نكح امرأة من بنى الكهنة فولدت له ولدا سماه قبطيم ونكح  
قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة فولدت له أربعة نفر قبطيم واشمون وأتريب وصا فسكثروا  
وعمروا الارض وبورك لهم فيها وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا  
مدينة سموها نافة ومعنى نافة ثلاثون بقلعتهم وهى منف وكشف اصحاب قليمون السكاهن  
عن كنوز مصر وعلومهم وأثاروا المعادن وعلموهم علم الطلسمات ووضعوا لهم علم الصنعة  
وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصرام الوفاة عهد الى  
ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من قفط الى اسوان ولا شمون  
من اشمون الى منف ولا أتريب الحوف كله واصا من ناحية صا البحرية الى قرب برقة  
وقال لاختيه فاروق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقة واولاد الافارق وأمر كل



واحد من بنيه أن يبني لنفسه مدينة في موضعه وأمرهم عند موته أن يحفروا له في الأرض  
سربا وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من  
الذهب والجوهر ويذروا عليه أسماء الله تعالى المانعة من أخذه حفروا له سربا طوله مائة  
وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفايح الذهب وجعلوا أربعة ابواب على  
كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على كرسي من ذهب  
قوائمه من زبرجد وزبروا في صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده في جمد مرمر مصفح  
بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن ينصر بن حام بن نوح بعد سبع مائة عام مضت  
من أيام الطوفان ولم يعبد الأصنام إذ لاهرم ولا سقام ولا حزن ولا اهتمام وحصنه باسماء  
الله العظام ولا يصل إليه الا ملك ولدته سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان ويؤمن بالمبعوث  
بالفرقان الداعي الى الايمان آخر الزمان وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد  
المحروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة من الدر الفاخر والصنعة الالهية  
والعاقرة والطلسمات العجيبة وسبائك الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمال  
بين جبلين وولى ابنه قبطيم الملك قال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التحالف  
أن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود أخي عاد بن عامر بن شالح بن أرغند  
ابن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد شمس لانه أول من عبد  
الشمس وقيل له أيضا سبا لانه أول من سبا وهو سبا الا كبر ابو حمير وكهلان ملك بمسد  
أبيه يشجب بأرض اليمن جمع بني قحطان وبني هود عليه السلام وحثهم على الغزو ثم سار  
بهم الى أرض بابل ففتحها وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ أرض ارمينية وملك أرض  
بني يافث بن نوح وأراد أن يعبر من هناك الى الشام وأرض الجزيرة فقيل له ليس لك مجاز  
غير الرجوع في طريقك فبني قنطرة على البحر وجاز عليها الى الشام فأخذ تلك الاراضي الى  
الدرب ولم يكن يخاف الدرب إذ ذاك أحد ثم نهض يريد بلاد العرب فنزل على النيل وجمع  
اهل مشورته وقال لهم اني رأيت أن أبني مصرا الى حد بين هذين البحرين يعني ببحر الروم  
وبحر القلزم فيكون فاصلا بين الشرق والغرب فقالوا نعم الرأي أيها الملك فبني مدينة سماها  
مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بني حام بن نوح وهم نزول في البراي الى يمنية  
ويمنية القبط فوقع بجميع تلك الطوائف وسى ذرارهم كما فعل بلاد الشرق فقيل له  
من أجل ذلك سبا ثم عاد الى مصر ومضى فيها الى الشام يريد الحجاز وأوصى ابنه بابليون  
عند رحيله اه

ألا قل لبابليون والقول حكمة \* ملكت زمام الشرق والغرب فاجل  
وخذ لبني حام من الامر وسطه \* فان صدقوا يوما عن الحق فاقبل



وان جنحوا بالقول للرفق طاعة \* يريدون وجه الحق والعدل فاعدل  
ولا تظهرن الرأي في البأس يعبروا \* عليك به واجمله ضربة فيصل  
ولا تأخذن المال في غير حقه \* وان جاء لآذنيه نحوك وابذل  
وداوى ذوى الاحقاد بالسيف انه \* متى يلق منك العزم ذو الحقد يجمل  
وجد لذوي الاحساب لينا وشدة \* ولا تك جبارا عليهم وأجمل  
وكن لسؤال الناس غوثا ورحمة \* ومن يك ذا عرف من الناس يسأل  
واياك والسفر القريب فانه \* سيفنى بما يوليه في كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبني سد مارب وهو سد فيه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة  
ثلاثة اشهر في مثلها ثم مات عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه حمير بن سباعتا بنو حام على  
بابلون وأرادوا تخريب مصر فاستدعي أخاه حمير لينجده عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى  
بلاد المغرب فأقام بها مائة عام ببني المسدائن وتخذ المصانع فمات ببابلون بن سبا بمصر وولى  
بعده ابنه امرئ القيس ببابلون ثم مات حمير بن سبا عن أربعمائة سنة وخمس وأربعين سنة  
منها في الملك اربعمائة سنة وأقام من بعده ويل بن حمير ثم مات فقام من بعده ابنه سليمان  
ابن وائل الذي يقال له مققع الحمد وقد افترق ملك حمير فخارب الثوار وسار الى الشام  
فأقيمه عمرو بن امرئ القيس بن ببليون بن سبا بالرملة وقد ملك بعدايبه وقدم له هدية  
فأقره على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووجهه هاجر \* وقال أبو القاسم  
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما قال كان نوح عليه السلام أربعة من الولد سام وحام ويافت ويخظون وأن  
نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالتمام  
والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فنادى ساما فأجابه يسعى وصاح سام  
في ولده فلم يجبه أحد منهم الا ابنه أرغشد فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام  
وشماله على أرغشد بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام أفضل البركة وأن يجعل الملك  
والثبوة في ولد أرغشد ثم نادى حاما وتلفت يميننا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد  
من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعاهم عبيدا لولد سام وكان مصر  
ابن بنصر بن حام نائما الى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح  
وقال يا جدى قد أجبتك اذ لم يجيبك جدى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك  
ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه  
الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا واجعل فيها  
أفضل البركات وسخر له ولولده الارض وذلها لهم وقوهم عليها ثم دعا ابنه يافت فلم يجبه أحد



من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق وعاش سام مباركا الى أن مات وعاش ابنه أرغشد  
ابن سام مباركا حتى مات وكان الملك الذي يحبه الله والنبوة والبركة في ولد أرغشد بن سام وكان  
أكبر ولد حام كنعان بن حام وهو الذي حمل به في الرجز في الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان  
في ولده الملك والجبروت والجفاء وهو أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام  
وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو أبو البربر وابنه الاصغر الرابع بنصر  
ابن حام وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة مصر بن بنصر وهو أكبرهم  
والذي دمه نوح بما دعا له وفارق بن بنصر وماع بن بنصر وقيل ولد مصر أربعة فقط بن  
مصر وأشمن بن مصر وآريب بن مصر وصابن مصر وعن أبي طيبة وعبد الله بن خالد  
أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله تعالى قومه وأول  
مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة اولاد له قد  
بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وياع وماع وكان مصر أكبرهم فبنوا مصر وكان  
اقامتهم قبيل ذلك بسفح المقطم وتقرؤا هناك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد  
دعا لمصر أن يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد ونهرها افضل  
الانهار ويحمل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذلها لهم ويقومهم عليها  
فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها قالوا وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لما دعا له  
وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها  
وبذلك سميت مصر فلما قر قرار بنصر وبنيه بمصر قال لمصر اخوته فارق وماع وياع بنو  
بنصر قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا وأن هذه الارض التي اسكنك اياها جدك نوح ونحن  
نضيق عليك أرضك وذلك حين كثر ولده وأولادهم ونحن نطلب اليك البركة التي جعلها  
فيك جدنا نوح أن تبارك لنا في أرض تلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولاولادنا فقال نعم  
عليكم بأقرب البلاد الى ولا تباعدوا مني فان لي في بلادى مسيرة شهر من أربعة وجوه  
أحوزها لنفسى فتكون لي ولولدى ولاولادهم فحاز مصر بن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين  
التي بالعريش الى اسوان طولا ومن برقة الى ايلة عرضاً وحاز فارقاً لنفسه ما بين برقة الى  
أفريقية وكان ولده الافارقة ولذلك سميت افريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماع ما بين  
الشجرتين من منتهي حد مصر الى الجزيرة مسيرة شهر وهو أبو قبط الشام وحاز باح ما وراء  
الجزيرة كلها ما بين البحر الى الشرق مسيرة شهر وهو أبو قبط العراق ثم توفي بنصر بن حام  
ودفن في موضع دير ابي هرمة غرب الاهرام فهي أول مقبرة قبر فيها بارض مصر وكثر  
اولاد مصر وكان الاكبر منهم فقط وآريب واشمن وصا والقبط من ولد مصر هذا ويقال  
أن قبط أخو فقط وهو بلسانهم فقطيم وقبطيم ومصر ايم قال ثمان بنصر بن حام توفي واستخلف



ابنه مصر وحاز كل واحد من اخوة مصر قطعة من الارض لنفسه سوى ارض مصر التي حازها لنفسه ولولده فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لسكل واحد من ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه فقطع موضع فقطع فسكنها وبه سميت فقطع فقطع وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمن من اشمون ثمان دونها الى منف في الشرق والغرب فسكن اشمن اشمون فسميت به وقطع لآريب ما بين منف الى صا فسكن آريبها فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزأين بالصعيد وجزأين بأسفل الارض قال البكري ومصر مؤنثة قال تعالى اليس لي ملك مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر بن أبي وائلة السكناي لمعاوية أما عمر وبن العاص فأقطعته مصر وأما قوله سبحانه اهبطوا مصرا فانه أراد مصر من الامصار وقرأ سليم الاعمش اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها سليم بن علي فلم يجرها وقال القضاعي وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصر وجمع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف في المعرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيها التائيد والتعريف فمنعها الصرف ثم قيل لسكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فاذا أريد مصر من الامصار صرف لزوال احدى العليتين وهي التعريف وأما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام اهبطوا مصرا فان لكم ما سأتم فانه مصروف في قراءة سائر القراء وفي قراءة الحسن والاعمش غير مصروف فمن صرفها فله وجهان أحدهما انه أراد اهبطوا مصرا من الامصار لانهم كانوا يومئذ في التيه والآخر أنه أراد مصر هذه بعينها وصرفها لانه جعل مصرأ اسما للبلد وهو مذكر اسم سمي به مذكر فلم يمنع الصرف وأما من لم يصرفه فانه أراد بمصر هذه المدينة وكذلك قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام ادخلوا مصر ان شاء الله آمين وقول فرعون اليس لي ملك مصر ايراد به مصر هذه فاما المصر في كلام العرب فهو الحدتين الارضين ويقال ان اهل هجر يقولون اشترت الدار بمصورها أي بمحدودها وقال الجاحظ في كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر لمصير الناس اليها واجتماعهم بها كما سمي مصير الجوف مصيرا ومصر انا لمصير الطعام اليه قال وجمع المصر من البلدان أمصار وجمع مصير الطعام مصر ان وليس لمصر هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطال هممت بالاسلام ثم توقفت عنه قيل ولم ذلك قال آيت امرأة لي وانا جائع فملت أطمعيني شيئا فقالت يا جارية ضمي لابي مالك مصيرا في النار ففعلت فاستعجلتها بالطعام فقالت يا جارية أين مصير أبي مالك قالت في النار قال فتطيرت وهممت بأن اسلم فتوقفت وقال الجوهري في كتاب الصحاح مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث عن ابن السراج والمصر ان السكوفة والبصرة وقال



ابن خالويه في كتاب ليس أحد فسر لنا لم سميت مصر مقدونية قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونية مغيث وانما سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جديما وقف على الكنيسة العظمى التي بالقسطنطينية ويسمون بلاد مقدونية الاوصفية وهي عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهي مصر كلها بأسرها الا الصعيد الاعلى ويقال لمصر ام خنوز وتفسيره النعمة والمصر الفرق بين الشيتين قال الشاعر يصف الله تعالى

وجاعل الشمس مصرا لاخفائه \* بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قاله عدى بن زيد العبادي وروى لامية بن الصلب الثقفي وهو من آيات أولها

اسمع حديثا كما يوما تحدثه \* عن ظهر غيب اذا ما سائل سأل

كيف بدا ثم رب الله نعمته \* فيها وعلمنا آياته الأولا

كانت رباح وسيل ذو كرانية \* وظلمة لم تدع فتقا ولا خلا

فأمر الظلمة السوداء فانكشفت \* وعزل الماء عما كان قد شغلا

وبسط الارض بسطاً ثم قدرها \* تحت السماء سوا ميل وما نقل

وجاعل الشمس مصرا لاخفائه \* بين النهار وبين الليل قد فصلا

وفي السماء مصابيح تضيء لنا \* ما ان تكلفنا زيتا ولا فتلا

قضى لسته أيام من خلقته \* وكان آخر شيء صور الرجال

فاخذ الله من طين فصوره \* لما رأى أنه قد تم واعتدلا

دعا آدم صوتا فاستجاب له \* فنفخ الروح في الجسم الذي جبالا

ثم أوره الفردوس يسكنها \* وزوجه صلعة من جنبه جمالا

لم ينه ربه عن غير واحدة \* من شجر طيب ان شم أو أكلا

وكانت الحية الرقشاء اذ خلقت \* كما ترى ناقة في الخلق أو جمالا

فلامها الله اذ أطقت حليفته \* طول الليالي ولم يجعل لها أجلا

تمشى على بطنها في الارض ما عمرت \* والترب تأكله حزنا وان سهلا

وقال الحافظ أبو الخطاب مجد الدين عمر بن دحية ومصر أخصب بلاد الله وسهاها الله

بمصر وهي هذه دون غيرها باجماع القراء على ترك صرفها وهي اسم لا ينصرف في معرفة

لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع فيه التأنيث والتعريف فنعاه الصرف وهي

عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا اخذت من ضرعها اللبن فسميت مصرا لكثرة ما فيها من

الخير مما ليس في غيرها فلا يخلو ساكنها من خير يدر عليه منها كالشاة التي ينتقع بلبها

وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابي المصر الوعاء ويقال للوعاء المصير وجمعه مصران

ومصارين وكذلك هي خزائن الارض قال أبو نضرة الغفاري من اصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها الا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فأغاثه الله بمصر يومئذ وخزانتها كل حاضر وباد ذكره الحوفي في تفسيره وقال البركري أم خنوز بفتح أوله وتشديد ثانيه وبالراء المهملة اسم لمصر وقال أرتاء بن شبة قال ذبيان ذودوا عن دماءكم \* ولا تكثرنوا كقوم أم خنوز يقول لا تكونوا أذلاء ينالكم من اراد ويأخذ منكم من حب كما يمتار مصر وهي أم خنوز قال كراع أم خنوز النعمة ولذلك سميت مصر أم خنوز لكثرة خيرها وقال علي بن حمزة سميت أم خنوز لانها يساق اليها القصار الاعمار ويقال للضيع خنوز وخنوز بالراء والزاي وقال ابن قتيبة في غرائب الحديث ومصر الحد واهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها أي بمحدودها وقال عدى بن زيد

وجاعل الشمس مصرا لاختفاء به \* بين النهار وبين الليل قد فصلا

أى حدًا

### ذكر طرف من فضائل مصر

ولمصر فضائل كثيرة منها أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكر وتارة إيماء \* قال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره وجمهور الناس يقرؤون مصرا بالتوين وهو خطأ المصاحف الا ما حكى عن بعض مصاحف عثمان رضی الله عنه وقال مجاهد وغيره من صرفها أراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من أمرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة ممن صرفها أراد مصرا فرعون بعينها واستدلوا بما في القرآن ان الله تعالى أورث بني اسرائيل ديار فرعون وآثاره وأجازوا صرفها قال الاخفش لحقتها وشبهها بهند ودعد وسيبويه لا يميز هذا وقال غير الاخفش أراد المكان فصرف وقرأ الحسن وابان بن ثعلب وغيرهما اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب وقال هي مصر فرعون قال الاعمش هي مصر التي عليها صالح بن علي وقال أشهب قال لي مالك هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون قال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد الشيعي قال خرج يوسف عليه السلام يتاقي يعقوب عليه السلام وركب أهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا فنظر يعقوب الى الخليل والى الناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب الاحزان عني \* هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه



أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة قال الطبري عن ابن عباس  
 وغيره كانت بنو اسرائيل تخاف فرعون فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال  
 قتادة وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا  
 نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون  
 أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلية الكعبة يصلون  
 فيها سرا وعن مجاهد في قوله أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً قال مصر الاسكندرية \* وقال  
 تعالى مخبراً عن فرعون انه قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا  
 تبصرون قال ابن عبد الحكم وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس وغيرها عن أبي  
 زهم السماعي انه قال في قوله تعالى أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي قال  
 ولم يكن يومئذ في الارض ملك أعظم من ملك مصر وكان جميع أهل الارضين يحتاجون  
 الى مصر وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدير حتى أن الماء يجري من تحت  
 منازلها وأقيمتها فيحبسونه كيف شاؤا فهذا ما ذكره الله سبحانه في مصر من أي الكتاب  
 العزيز بصريح الذكر (وأما) ما وقعت اليها الاشارة فيه من الآيات فعدة \* قال تعالى ولقد  
 بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى وآتيناهم الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس  
 وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هي  
 الاسكندرية وقال تعالى فأخر جناتهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وقال تعالى كم  
 تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس في  
 قول الله سبحانه فأخر جناتهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال أبو زهم كانت  
 الجنات بحافتي النيل من أوله الي آخره من الجانبين ما بين أسوان الي رشيد وسبعة خليج  
 خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج  
 الفيوم وخليج المنهي متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء وزروع ما بين الجبلين كله من أول  
 مصر الي آخرها مما يباغاه الماء وكان جميع أرض مصر كلها تروى يومئذ من ستة عشر ذراعا  
 لما قد دبروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر وقال مجاهد  
 وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم أي حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين  
 ناعمين قال أي والله أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورطه في البحر وقال سعيد  
 ابن كثير بن عفير كنا بقبة الهواء عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا ما أدرى ما أعجب  
 فرعون من مصر حيث يقول أليس لي ملك مصر فقلت أقول يا أمير المؤمنين فقال قل  
 ياسعيد فقلت ان الذي ترى بقية مدمر لان الله عز وجل يقول ودمرنا ما كان يصنع  
 فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم أمسك وقال تعالى ونريد أن نمن على الذين



استضعفوا في الارض ونجمهم ائمة ونجمهم الوارثين وتمسك لهم في الارض وزى فرعون وهامان وجنودها منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال يا قوم انكم الملك اليوم ظاهرين في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض يعني أرض مصر وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعاني على خزائن الارض اني حفيظ علم روى ابن يونس عن أبى نضرة الغفارى رضى الله عنه قال مصر خزائن الارض كلها وسلطانها سلطان الارض كلها الا ترى الى قول يوسف عليه السلام لملك مصر اجعاني على خزائن الارض ففعل فانعيت بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر وباد من جميع الارض وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبأ منها حيث يشاء فكان ليوسف بساطانه بمصر جميع سلطان الارض كلها لحاجتهم اليه والى ماتحت يديه وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام انه قال ربنا انك آيت فرعون وملاؤه زينة وأمواالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد يعني أرض مصر وقال تعالى ان فرعون علا في الارض يعني أرض مصر وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف عليه السلام فلن أبرح الارض يعني أرض مصر وقال تعالى ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض يعني أرض مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما سميت مصر بالارض كلها في عشرة مواضع من القرآن فهذا ما يحضرنى مما ذكرت فيه مصر من آي كتاب الله العزيز وقد جاء في فضل مصر أحاديث روى عبد الله بن طهية من حديث عمرو بن العاص أنه قال حدثني عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جندا كثيرا فذلك الجند خير أجناد الارض قال أبو بكر رضى الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال لانهم في رباط الى يوم القيامة وعن عمرو بن الحلق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون فتنة أسلم الناس فيها أو خير الناس فيها الجند العربى قال فلذلك قدمت عليكم مصر وعن تميم بن عامر الكلاعي قال أقبلت من الصائفة فلقيت أبا موسى الأشعري رضى الله عنه فقال لي من أين أنت فقلت من أهل مصر قال من الجند العربى فقلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت أهو الضعيف قال نعم قال أما انه ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لي وأى شيء تذهب به الى بلادك



أحسن من هذا الحديث أكتب في أسفل أواحك فلما رجعت الى معاذ أخبرني أن بذلك أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا للتوبة في الغرب عرضه سبعون عاما لا يفلق حتى تطلع الشمس من نحوه وروى ابن طهيمه من حديث عمر بن العاص حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم سهرا وذمة وروى ابن وهب قال أخبرني حرمة بن عمران النخعي عن عبد الرحمن بن شماسه المهرى قال سمعت أباذر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فاذا رأيت رجلا ينقطع لان في موضع لبنه فاخرجوا منها قال فر بريعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل يتنازعا في موضع لبنه شجر منها وفي رواية ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا الحديث ورواه مالك والليث وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا أخرجه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال ان أم اسماعيل منهم قال الليث بن سعد قلت لابن شهاب ما رحمتهم قال ان أم اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما منهم وقال محمد بن اسحاق قلت لازهرى ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر أم اسماعيل منهم وروى ابن طهيمه من حديث أبي سالم الحيشاني أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون أجنادا وان خير أجنادكم أهل القرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تأكلوهم أكل الخضر وعن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال العدو وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله في قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن أبوب الغافقي عن رجل من الرند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغمى عليه ثم أفاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم أغمى عليه الثانية ثم أفاق فقال مثل ذلك ثم أغمى عليه الثالثة فقال مثل ذلك فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدم الجعد فافاق فسألوه فقال قبط مصر فانهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم قالوا كيف يكونون أعوانا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم أعمالا لدنيا وتفرغون للعبادة فالراضي بما يؤتى اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم



كالمثززه عنهم وعن عمرو بن حريب وأبي عبد الرحمن الحلبي أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قال انكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم وبلاغ  
 الى عدوكم باذن الله يعني قبض مصر وعن ابن طيبة حدثني مولى عفرة أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال الله الله في أهل المدرة السوداء السحيم الجماد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر  
 مولى عفرة صهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى فيهم ونسبهم ان أم اسماعيل عليه  
 السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن طيبة أن أم اسماعيل هاجر من أم العرب قربة كانت  
 أمام الفرما من مصر وقال مروان القصاص صاهر الى القبط من الانبياء ثلاثة ابراهيم خليل  
 الرحمن عليه السلام تسرى هاجر ويوسف تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول الله صلى  
 الله عليه وسلم تسرى مارية وقال يزيد بن ابي حبيب قرية هاجر باق التي عندها أم دنين  
 وقال هشام العرب تقول هاجر وآجر فييدلون من الهاء الالف كما قالوا هراق الماء وأراق  
 الماء ونحوه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال الامصار سبعة \* فالمدينة مصر  
 والشام مصر ومصر الجزيرة والبحرين والبصرة والسكوفة وقال مكحول أول الارض  
 خرابا رمية ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو و قبضة مصر أكرم الاعاجم كلها وأسماهم يدا  
 وأفضاهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن أراد أن يذكر الفردوس  
 أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين ينحصر زرعها وتنور ثمارها وقال  
 كعب الاحبار من أراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا أخرفت وفي رواية اذا  
 أزهرت ( ومن فضائل مصر ) أنه كان من أهلها السحرة وقد آمنوا جميعا في ساعة واحدة  
 ولا يعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط وكانوا في قول يزيد بن ابي حبيب  
 وغيره اثني عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر منهم عشر ون عريف تحت يد كل عريف منهم  
 ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتي ألف وأربعين الفا ومائتين وأربعين وخمسين انسانا  
 بالرؤساء والعرفاء فلما عابوا ما عابوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقوم لامر الله نخر  
 الرؤساء الانسا عشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بقى وقالوا آمنا برب  
 العالمين رب موسى وهارون قال تبيع كانوا من أصحاب موسى عليه السلام ولم يفتن منهم احد  
 مع من اقتن من بني اسرائيل في عبادة العجل قال تبيع ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة  
 مثل جماعة القبط وقال كعب الاحبار مثل قبض مصر كالغيضة كلما قطعت نبتت حتى يجرب الله  
 عز وجل بهم وبصنائعهم جزائر الروم وقال عبدالله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس صور  
 على صورة الطير برأسه وصدرة وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشام  
 ومصر والجناح اليمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف واق امة يقال لها  
 واق واق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند وخلف



السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم مالا يعامه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس وشرف في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشرة \* الصناعة بالبصرة \* والفصاحة بالكوفة \* والتخثيث ببغداد \* والحي بالرى \* والجفا بديسابور \* والحسن بهراة \* والطرمدة بسمرقند \* والمرومة ببلخ والتجارة بمصر \* والبخل بمرطو الطرمدة كلام ليس له فعل وعن يحيى بن داخر الحافرى أنه سمع عمر بن العاص يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لمكث الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمسال واخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري أنه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال ما أقدمك الى بلادنا قال كنت تحدثني أن مصر أسرع الارض خرابا ثم أراك قد اتخذت منها وبنيت فيها القصور واطمأنت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطيم البخت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم أطيب الارضين ترابا وأبعدها خرابا ولا يزال فيها بركة مادام في شئ من الارض بركة ويقال مصر متوسطة الدنيا قد سامت من حر الاقليم الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواها وضف حرها وخف بردها وسلم أهلها من مشاقق الاهواز \* ومصايف عمان \* وصواعق تهامة \* ودماميل الجزيرة \* وجرب اليمن \* وطواعين الشام \* وبرسام العراق \* وعقارب عسكر مكرم \* وطحال البحرين \* وحمي خيبر \* وأمنوا من غارات الترك \* وجيوش الروم \* وهجوم العرب \* ومكايد الديلم \* وسرايا القرامطة \* ونزف الانهار \* ومخبط الامطار وبها ثمانون كورة ما فيها كورة الاوبها طرائف ومعائب من أنواع البر والابنية والطعام والشراب والفاكهة وسائر ما تنتفع به الناس وتدخره المملوك يعرف بكل كورة وجهاتها وينسب كل لون الى كورة فصعيدها أرض حجازية حره حر العراق وينبت التخل والاراك والقرظ والدوم والعشر وأسفل أرضها شامي يمطر مطر الشام وينبت ثمار الشام من السكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين ويقع به الثلج والبرد \* وكورة الاسكندرية ولوبية ومرافية برارى وجبال وغياض تنبت الزيتون والاعنشاب وهي بلاد ابل وماشية وعسل وابن وفي كل كورة من كور مصر مدينة في كل مدينة منها آثار كريمة من الابنية والصخور والرخام والمعائب وفي نيلها السفن التي تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بعير وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى وابعث في المسدائن حاشرين ويعمل بمصر معامل كالتناير يعمل بها البيض بصنعة يوقد عليه فيحاكي نار الطبيعة في حضانة الدجاجة ليضعها ويخرج من تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاج مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمر بن ميمون خرج موسى



عليه السلام ببني اسرائيل فلما أصبح فرعون أمر بشاة فأثى بها فأمر بها أن تذبح ثم قال  
 لا يفرغ من سلعها حتى يجتمع عندي خمسمائة ألف من القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم  
 فرعون ان هؤلاء لشر ذمة قلوبون وكان أصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وسبعين ألفاً  
 ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر  
 زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في أشهر أبيب  
 ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب  
 قد أحيطت بها المياء من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها الا في الزوارق . وأما  
 المسكة السوداء فان في أشهر بابيه وهاتور وكهك ينكشف المياء عن الارض فتصير أرضا  
 سوداء وفي هذه الاشهر تقع الزراعات وأما الزمردة الخضراء فان في أشهر طوبه وأمشير  
 وبرمات يكثر نبات الارض وريبعها فتصير خضراء كأنها زمردة . وأما السبيكة الحمراء فان  
 في أشهر برمودة وبشش وبؤنة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التي  
 من الذهب منظرا ومنفعة \* وسأل بعض الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذي تطيب فيه  
 مصر . فقال اذا غاض ماؤها وارتفع وبها وحف تراها وأمكن مرعاها \* وقال آخر نيلها  
 عجب \* وأرضها ذهب \* وخيرها جلب \* وملكها سب \* وماها رغب \* وفي أهلها صحب  
 وطاعتهم رهب \* وسلامهم شعب \* وحرهم حرب \* وهي لمن غلب \* وقال آخر مصر من  
 سادات القرى ورؤساء المدن \* وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل هي  
 مصر ان لم يصبها مطر أزكت وان أصابها مطر أضعفت قاله المسعودي في تاريخه ويقال لما  
 خالق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقتها وغربها وسهاها وجبلها وأنهارها وبحارها  
 وبناءها وخزايبها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر أرضا سهلة  
 ذات نهر جار مادته من الجنة تخدر فيه البركة ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو  
 من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه أشجار مشمرة وفروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا  
 آدم عليه السلام في النيل بالبركة ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في نيلها  
 وجبلها سبع مرات وقال يا أيها الجبل انرحوم سفحك جنة وتربتك مسكة يدفن فيها  
 غراس الجنة أرض حافظة مطيعة رحيمة لا خلتك يا مصر ركة ولا زال بك حفظ ولا زال  
 منك ملك وعزيا أرض مصر فيك الحبايا والكنوز ولك البر والثروة وسال نهرك عسلا  
 كثر الله زرعك ودر ضرعك وزكى نباتك وعظمت بركتك وخضبت ولا زال فيك خير  
 ما لم تجبرى وتكبرى أو تخونى فاذا فعلت ذلك عداك شر ثم يغفور خيرك فكان آدم أول  
 من دعاها بالرحمة والخصب والرفقة والبركة \* وعن ابن عباس أن نوحا عليه السلام دعا  
 لمصر بن بيبصر بن حام فقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه



الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الارض وذلك لهم وقوم عليها \* وقال كعب الاحبار لولا رغبتني في بيت المقدس لما سكنت الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من الفتن ومن أرادها بسوء أكرهه الله على وجهه وهو بلد مبارك لامله فيه وقال ابن وهب أخبرني يحيى ابن أبوب عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال أن كعب الاحبار كان يقول اني لاحب مصر وأهلها لان مصر بلد معافاة وأهلها أصحاب عافية وهم بذلك مفارقون ويقال ان في بعض الكتب الالهية مصر خزائن الارض كلها فمن أرادها بسوء قسمه الله تعالى \* وقال عمرو ابن العاص ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعني اذا جمع الخراج مع الامارة \* وقال أحمد ابن مديبر يحتاج مصر الى ثمانية وعشرين ألف ألف فدان وانما يعمر منها الف الف فدان وقد كشفت أرض مصر فوجدت غامرها أضعاف عامرها ولو اشتغل السلطان بعمارها لوفت له بخراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يكن قط أوفر منه في ايام عمر بن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم وسبعة عشر الف درهم ولم تكن مصر قط أقل من خراجها في ايام عمرو بن العاص وأنه بلغ اثني عشر الف الف دينار وكانت الشامات باربعة عشر الف الف سوى الثغور \* ومن فضائل مصر أنه ولد بها من الانبياء موسى وهارون وبوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات الله عليه أخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى أمه وقال يا أماه هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر أنه ولد في قرية اهناش من نواحي صعيد مصر وانه كانت به نخلة يقال انها النخلة المذكورة في القرآن بقوله سبحانه وتعالى وهزى اليك بجذع النخلة وهذا القول وهم فانه لاخلاف بين علماء الاحبار من أهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين أن عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس ودخل مصر من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب ودخلها أيضا يعقوب وبوسف والاسباط وقد ذكر ذلك في خبر القيوم ودخلها ارميا وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذي اتى عليه الله جل جلاله في القرآن ويقال انه ابن فرعون لصدبه وأظنه أنه غير صحيح وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله فضيلة عقلمهم بحسن مشورتهم في امر موسى وهارون عليهما السلام لما استشارهم فرعون في امرها فقال تعالى قال للملأ حوله ان هذا ساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فاذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأثوك بكل ساحر عليم وأين هذا من قول أصحاب التمرود في ابراهيم صلوات الله عليه حيث أشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين \* ومن أهل مصر امرأة فرعون التي مدحها الله



تعالى في كتابه العزيز بقوله وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومن أهلها ماشطة بذت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام فمشطها فرعون بامشاط الحديد كما يمشط السكتان وهي نابتة على إيمانها بالله \* وقال صاعد اللغوى في كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تسكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية وهو اول من ابنتى الهياكل ومجد الله فيها واول من نظر في علم الطب وأنف لاهل زمانه قصائد موزونة في الاشياء الارضية والسموية وقالوا انه اول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تصيب الارض من الماء أو النار تخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي التي في صعيد مصر الاعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم . وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن الفرات في أخبار مصر أن الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكماء جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتديبرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطبقات ويقال كانت مصر في الزمن الاول يسير اليها طلاب العلوم لتزكو عقولهم وتجدد أذهانهم وتميز عندهم الذكاء وتدفق الفطنة \* ومن فضائل مصر أنها تميز أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فريضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشجر وساحلها من جهة تيس ودمياط والفرما فريضة بلاد الروم والافرنج وسواحل الشام والتغور الى حدود العراق وثمر اسكندرية فريضة اقرطس وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد يحمل الى بلاد المغرب والنوبة والبيجة والحبشة والحجاز واليمن وبمصر عدة من التغور المعدة للرباط في سبيل الله تعالى وهي البرلس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتيس والاشتموم والفرما والورادة والعريش وأسوان وقوص والواحات فيغزى من هذه التغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي والاديار والسكنائس وأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى أنه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع البلاد وبمصر دهن البلسان الذي عظمت منفعة وصارت ملوك الارض تطالبه من مصر وتمتى به وملوك النصرانية تتراحم على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى أنه لا يتم نصير نصراني الا بوضع شيء من دهن البلسان في ماء المعمودية عند تعطيسه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تسكرو بها النفس والعرس



ولهما في أكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل لولا العرس والنس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة ونفعها في البرء من الحمى إذا علققت على المحموم عجيب وبمصر حطب السنط ولا نظير له في معناه فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطي الخمود ويقال انه أبنوس غيرته بقعة مصر فصار أحمر وبها الافيون عصارة الخشخاش ولا يجهل منافعه الا جاهل وبها البنج وهو ثمر قدر اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا أنه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة وبها الاترج قال أبو داود صاحب السير في كتاب الزكاة شبرت قناء بمصر ثلاثة عشر شهرا ورأيت أترجة على بعير قطعتين وصيرت مثل عدلين قال المسعودي في التاريخ والاترج المدور حمل من أرض الهند بعد الثلاثمائة من سني الهجرة وزرع بعمان ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وفي انطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الاراهج الحمراء الطيبة واللون الحسن الذي كان فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصة البلد وفي مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا وأهل مصر يأكلون صيد بحر الروم وصيد بحر اليمن طريا لان بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما وذلك يوم وليلة وهو الحاجز المذكور في القرآن قال تعالى ( وجعل بين البحرين حاجزا ) قيل هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى ( مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ) قال بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر أنه يوجد بها في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من الماء كوكول والمشموم دون ماعدها من بقية الشهور فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وخزوف أمشير ولبن برمها وورد برمودة ونبق بشنس وتين يؤنه وعسل أيب وعب مسرى \* ومنها أن صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون بمصر حينئذ من القرظ والسكران. ومن محاسنها أن الذي ينقطع من الفواكه في سائر البلدان أيام الشتاء يوجد حينئذ بمصر ومنها أن أهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول في جوف الارض كما يمانية أهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتاء الى البس الفرو والاصطلاء بالنار الذي لا يستغنى عنه أهل الشام كما أنهم أيضا في الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج ويقال زبرجد مصر وقباطى مصر وحمير مصر واماين مصر ومنافعها في الدرياق جليلة. ومن فضائل مصر أن الرخامة التي في الحجر من الكعبة من مصر بعث بها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد في سنة احدى وأربعين ومائتين مع رخامة أخرى خضراء هدية للحجر فجعلت احدى الرخامتين على



سطح مدر السكبة وهما من أحسن الرخام في المسجد خضرة وكان المتولى عليهما  
 عبد الله بن محمد بن داود ذرعها ذراع وثلاث أصابع قاله الفاكهي في أخبار مكة \*  
 ومن فضائل مصر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من أهلها وولد له صلى الله  
 عليه وسلم من نساء مصر ولم يولد له ولد من غير نساء العرب الا من نساء مصر \* قال ابن  
 عبد الحكم لما كانت سنة ست من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى الملوك فمضى حاطب بن أبي بلتعة بكتاب رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على  
 البحر فركب البحر فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصبعيه  
 فلما رآه أمر بالكتاب فقبض وأمر به فأوصل اليه فلما قرأ الكتاب قال مامنه ان كان  
 نبيا أن يدعوا عليّ فيسلط عليّ فقال له حاطب ما منع عيسى بن مريم أن يدعوا علي من أبي  
 عليه أن يفعل به ويفعل فوجم ساعة ثم استعادها فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له حاطب  
 انه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الاعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا  
 تعتبر بك وان لك دينان تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ماسواه  
 وما بشاره موسى بعيسى الا بشاره عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك  
 أهل التوراة الى الانجيل ولسنا نهك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به \* ثم قرأ الكتاب فاذا  
 فيه ( بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من  
 اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يوثقك الله أجرك مرتين  
 ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا  
 ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ) فلما  
 قرأه أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه \* وعن ابان بن صالح قال أرسل المقوقس  
 الى حاطب ليلة وليس عنده أحد الا الترجمان فقال له ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها  
 فاني أعلم أن صاحبك قد تحريك حين بعثك قلت لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الى م  
 يدعوا محمد قال الى أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتخالع ما سواه ويأمر بالصلاة قال  
 فكم تصلون قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان وحج البيت والوفاء  
 بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم قال من أسبأه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل  
 يقبل قوله قال نعم قال صفه لي قال فوصفته بصفة من صفته ولم أت عنها قال قد بقيت أشياء  
 لم أرك ذكرتها في عينيه حمرة قل ما تفارقه وبين كنفه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس  
 الشملة ويجتري بالتمرات والسكر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قالت هذه صفته قال  
 أعلم قد كنت أن نبيا بقي وقد كنت أظن أن مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من



قبله فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطلو عني في اتباعه  
 ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك وسيظهر على البلاد ويترك أصحابه من بعده بساحتنا هذه  
 حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا فأرجع الى صاحبك قال ثم  
 دعا كاتبنا يكتب بالعربية فكتبه محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما  
 بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد  
 كنت أظن أن نبياً يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبثت اليك بجاريتين لهما مكان  
 في القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام \* وعن عبد الرحمن بن عبد  
 القارى قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب  
 وأكرم حاطبا وأحسن نزله ثم شرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له كسوة  
 وبغلة بسرجهما وجاريتين احدهما أم إبراهيم ووهب الاخرى لجهم بن قيس العبدي فهمي  
 أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر ويقال بل وهبها رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسleme الانصاري ويقال بل لدحية بن خليفة الكلبي وقيل  
 بل لحسان بن ثابت \* وعن يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس لما أتاه كتاب رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجت نعته وصفته في  
 كتاب الله تعالى وإنما لتجد صفته أنه لا يجمع بين أخين في ملك يمين ولا نكاح وأنه يقبل  
 الهدية ولا يقبل الصدقة وأن جلساءه المساكين وأن خاتم النبوة بين كتفيه ثم دعا رجلا  
 عاقلا ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجل من مارية وأختها وهما من أهل جفن بفتح أوله  
 وسكون ثانيه ثم نون بعده من كورة أنصنا فبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وأهدى له بغلة شهباء وحمارا أشهب وثيابا من قباطي مصر وعسلا من غسل بنها وبعث  
 اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوارى  
 وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحمارا اسمه يعفور وقبأؤ ألف مثقال ذهباً وعشرين  
 ثوباً من قباطي مصر وخصياً يسمى مايور ويقال انه ابن عم مارية وفرسا يقال لها الكرار  
 وقدحا من زجاج وعسلا من غسل بنها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة  
 وقال صن الحبيث بملكه ولا بقاء لملكه فان المقوقس قال خيرا وأكرم حاطب بن أبي  
 بلتعة وقارب الامر ولم يسلم \* وقال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر الواقدي أبو يعقوب  
 ابن محمد بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال أهدى المقوقس  
 صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية وأختها  
 سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً وبغلة الدلدل وحمارة عفيرا وخصياً يقال له مايور  
 فمرض حاطب على مارية الاسلام فأسلمت هي وأختها ثم أسلم الحصى بعد وكان الذي بعته



المقوقس مع مارية اسمها ابن عبد الله القبطي مولى بني عفار قال ابن عبد الحكم وأمر رسوله أن ينظر من جساؤه وينظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والدابتين والعسل والثياب وأعلمه أن ذلك كله هدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لايردها من أحد من الناس قال فلما نظر الى مارية وأختها اعجبته وكره أن يجمع بينهما وكانت احدهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر لتيك فاختر الله له مارية وذلك انه لما قال لهما اشهدا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فبادرت مارية فشهدت وآمنت قبل أختها ومكثت أختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها لمسلمة ابن محمد الانصاري وقال بعضهم بل وهبها لدحية بن خليفة السكلي \* وعن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شامة المهري عن عبد الله بن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم ابراهيم أم ولده القبطية فوجد عندها نسيبا لها كان قدم معها من مصر وكان كثيرا ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء فرجع فلقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمرف ذلك في وجهه فسأله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقربها عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان محبوبا ليس بين رجله شيء فلما رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتاني فاخبرني أن الله عز وجل قد برأها وقربها وأن في بطنها غلاما مني وأنه أشبه الخلق بي وأمرني أن أسميه ابراهيم وكناني بأبي ابراهيم \* وقال الزهري عن أنس لما ولدت أم ابراهيم ابراهيم كأنه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى جاءه جبريل فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم ويقال ان المقوقس بعث معها نخعي كان يأوى اليها وقيل ان المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جواري منهن أم ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن جهنم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان ابن ثابت فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابن ابراهيم وكان أحد الناس اليه حتى مات فوجد به وكان سنه يوم مات ستة عشر شهرا وكانت البغلة والحمار أحب دوابه اليه وسمى البغلة الدلدل وسمى الحمار يغفورا وأعجبه العسل فدعا في عسل بنها بالبركة وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم أخت مارية قيصر وقيل بل كان اسمها سبرين وقيل حمنة \* وكلم الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان في أن يضع الجزية عن جميع قرية أم ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم خراج وكان جميع أهمل القرية من أهلها وأقربائها فاقطعوا \* وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو بقي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنده الجزية ومات



مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب وابن لهيعة عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخفش عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخل ابلدس العراق ففقد حاجته منها ثم دخل الشام ففقد دونه حتى دخل جبل شاق ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عقبه حديث صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقل محاسنها مجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حمل الماء والافهى رمل محض لانتبت الزرع والنار لا يوجد بها شجرها والهواء لا يهب بها الا من أحد البحرين اما من الرومي واما من القلزم وقد زاد هذا في تحامله \* وقال كعب الاحبار الجزيرة آمنة من الحراب حتى تحرب ارمينه ومصر آمنة من الحراب حتى تحرب الجزيرة والكوفة آمنة من الحراب حتى تكون الملحمة

ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماخرجات أنه كان بمصر حجر من جمع كفيه عليه تقياً جميع ما في جوفه قال القضاةي ذكر الجاحظ وغيره أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات وهي • مسجد دمشق • وكنيسة الرها • وقنطرة سنجر وقصر غمدان • وكنيسة رومية • وصنم الزيتون • واوان كسرى بالمدائن • وبيت الريح بتدمر • والخورنق • والسدير بالحيرة • والثلاثة الاحجار يعلبك وذكر أنها بيت المشتري والزهره وانه كان اسكل كوكب من السبعة بيت فيها فهدمت ( ومنها بمصر عشرون أعجوبة ) فمن ذلك الهرمان وهما أطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما واذا رأيتهما ظننت انهما جيلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شيء الا وأنا أرحم من الدهر الا الهرمين فاني لأرحم الدهر منهما • ومن ذلك صنم الهرمين وهو يلهوية ويقال بلهيت ويقال انه طلسم للرمل لثلا يقبل على ابلير الحيزه • ومن ذلك بربا سمود وهو من أعاجيبها وذكر عن أبي عمرو السكندی أنه قال رأيت وقد خزن فيه بعض عمالها قرظاً فرأيت الجمل اذا دنا من بابه بحمله واراد ان يدخله سقط كل ديب في القرظ لم يدخل منه شيء الى البربا ثم خرب عند الحمسين والثلاثمائة • ومن ذلك بربا اخميم عجب من العجائب بما فيه من الصور وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذو النون الاخيمني يقرأ البرابي فرأى فيها حكماً عظيمة فأفسد أكثرها • ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجيب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهي الى آخرها ثم تكرر راجعة الى موضع بدائها • ومن ذلك حائط العجوز من العريش الى اسوان يحيط بأرض مصر شرقاً وغرباً \* ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسوارى والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة



ثم يرمون بكرة فلا تقع في حجر أحد الاملاك مصر وحضر عيداً من اعيادهم عمرو بن  
العاص فوقت السكرة في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا الملعب ألف  
الف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قريئ كتاب  
سموه جميعاً أو لعب نوع من أنواع اللعب رأوه عن آخرهم لا يتطاولون فيه بأكثر من  
المراتب العلية والسفلية \* ومن عجائبها المستان وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس في  
اركانها كل ركن على سرطان فلو أراد مرید أن يدخل تحتها شيئاً حتى يعبره من جانبه  
الآخر لفعلى . ومن عجائبها عمودا الاعيا وهما عمودان ملتقيان وراء كل عمود منهما جبل  
حصباً كصبر الجمار بمنى يقبل المعنى التعب التصب بسبع حصيات حتى يلتقي على احدهما ثم  
يرمي وراءه السبع ويقوم ولا يلتفت ويمضي لطيبته فكأنما يحمل حملاً لا يحس بشيء من تعب  
ومن عجائبها القبة الخضراء وهي أعجب قبة ملبسة نحاساً كأنه الذهب الابرز لا يبليه القدم  
ولا يخلقه الدهر \* ومن عجائبها منية عقبة وقصر فارس وكنيسة أسفل الارض ثم هي  
مدينة على مدينة ليس على وجه الارض مدينة بهذه الصفة سواها ويقال انها ارم ذات  
العماد سميت بذلك لان عمدها ورخامها من البديختنا والاصطيدس المخطط طولاً وعرضاً \*  
ومن عجائب مصر أيضاً الجبال التي هي بصعيدها على نيلها وهي ثلاثة أجبل فمنها جبل  
الكهف ويقال الكف . ومنها الطيامون . ومنها جبل زماجير الساحرة يقال ان فيه حلقة من  
الحليل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوق باسمك اللهم \* ومن  
عجائبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه  
البوقيرات في يوم من السنة كان معروفاً فتمرض انفسها على الصدع فكما أدخل بوقير منها  
منقاره في الصدع مضى لسبيله فلا يزال يفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فتجسسه  
وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذي يجسسه متعلقاً حتى يتساقط ويتلاشى \* ومن عجائبها عين شمس  
وهي هيكल الشمس وبها العمود ان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء  
نحو من خمسين ذراعاً وهما محمولان على وجه الارض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى  
رأسهما شبه الصومعيتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسهما ماء وتستبينه وتراه منهما  
واضحاً ينبع حتى يجري في أسفلهما فينبت في أصلهما العوسج وغيره واذا حلت الشمس دقيقة  
من الجدى وهو أقصر يوم في السنة انتهت الى الجنوبي منها فطلعت عليه على قمة رأسه وهي  
منتهى المليون وخط الاستواء في الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجانية سائر السنة  
كذا يقول أهل العلم بذلك \* ومن عجائبها منف وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودقائنها وكنوزها  
وما يندكر فيها أكثر من أن يحصى من آثار الملوك والحكام والانبيا لا يدفع ذلك \* ومن عجائبها  
الفرما وهي أكثر عجائبها وأكثر آثارها \* ومن عجائبها الفيوم \* ومن عجائبها نيلها . ومن عجائبها



الحجر المعروف بحجر الخل يطفو على الخل ويسبح فيه كأنه سمكة وكان يوجد بها حجر إذا أمسكه الانسان بكلتا يديه تقايا كل شيء في بطنه وكان بها خرزة تجعلها المرأة على حقوها فلا تجبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنسور فيساقط خبزه وكان يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتتقد كالمصاييح \* ومن عجائبها حوض كان بدلالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والاربعه ويحركون الماء بشيء فيمبرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فأخذ كافر الاخشيدى الى مصر فنظر اليه ثم أخرج من الماء فلقى في البر وكان في اسفله كتابة لا يدري ماهي ثم بطل \* ومن عجائبها أن بصعيدها ضيعة تعرف بدشني فيها سنطة اذا تهددت بالقطع تدبل وتجتمع وتضمض فيقال لها قد عفونا عنك وتركناك فتراجع والمشهور وهو الموجود الآن سنطة في الصعيد اذا نزلت اليد عليها دبلت واذا رفعت عنها تراجعت وقد حملت الى مصر وشوهدت وبها نوع من الخشب يرسب في الماء كالأبنوس وبها الخشب السنط الذي يوجد منه القدر الكثير في الزمن الطويل فلا يوجد له رماد - وذكر ابن نصر المصرى أنه كان على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الريحان عند الكنيسة المعلقة صنم من نحاس على خلقة الجمل وعايه رجل راكب عليه عمامة منتكب قوسا عربية وفي رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا تظالموا بينهم واعتدى بعضهم على بعض يجاروا اليه حتى يققوا بين يدي ذلك الجمل فيقول المظلوم للظالم أنصفني قبل أن يخرج هذا الراكب الجمل فيأخذ الحق لي منك شئت أم أبيت يعنون بالراكب النبي محمدا صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لثلا يكون شاهدا عليهم قال ابن هليعة بلغني أن تلك الصورة في ذلك الموضع قد أتى الآن عاينها سنين لا يدري من عماما \* قال القاضي فهذه عشرون أعجوبة من جماتها ما يتضمن عدة عجائب فلو بسطت لجاء منها عدد كثير ويقال ليس من بلد فيه شيء غريب الا وفي مصر مثله أو شبيهه به \* ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التي ليست في بلد سواها . وفي كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب تحته صبي ميت ملفوف في نطع اديم مشدود بجبل وعلى السرير مثل الباطية فيها أنبوب من نحاس فيه قيتل اذا اشتعل القيتل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الانبوب الزيت الصافي الحسن الفائق حتى تمتلي تلك الباطية وينطلق السراج بكثرة الزيت فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شيء فاذا خرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شيء والباطية يريقها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعا فيه ثقب وأولئك الرهبان يتعيشون من ذلك الزيت يشتره الناس منهم فينتفعون به \* وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عديم الملك ابن تقطريم كان جبارا لا يطاق عظيم الخلق فأمر بقطع الصخور ليعمل هرما كما عمل الاولون وكان في وقته الملكان اللذان أهبطا



من السماء وكانا في بئر يقال له اقتاره وكان يعلمان اهل مصر السحر وكان يقال ان الملك  
عديم بن البودشير استكثر من علمهما ثم انتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون  
انهما شيطانان يقال لهما مهله وبها له وليس هما الملكين والملكان ببابل في بئر هناك يشاها  
السحرة الى أن تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال قوم كان الشيطان يظهر  
وينصبها لهم وقال قوم أول من نصبها بدوره وأول صنم أقامه صنم الشمس وقال آخرون  
بل النمرود الاول أمر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم أول من صلب وذلك أن امرأة زنت  
برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فأمر بصلبها على منارين وجعل  
ظهر كل واحد منهما الى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي  
عمل ذلك بهما فيه فأنتهى الناس عن الزنا وبني اربع مداين وأودعها صنوفا كثيرة من  
عجائب الاعمال والظلمات وكثر فيها كنوزا كثيرة وعمل في الشرق منارا وأقام على رأسه  
صنا موجهها الى الشرق مادما يديه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده وزبر في صدره  
تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ولولا هذا لغلغ الماء  
الملح من البحر الشرقي على ارض مصر وعمل على النيل قطرة في أول بلد النوبة ونصب  
عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا في يدي كل واحد من الاصنام حربتان  
يضرب بهما اذا أت من تلك الجهة فلم تزل بجهاها الى أن هدمها فرعون موسى عليه السلام  
وعمل البربا على باب النوبة وهو هناك الى وقتنا هذا وعمل في احدى المداين الاربع التي  
ذكرناها حوضا من صوان أسود مملوء ماء لا ينقص طول الدهر ولا يتغير ماؤه لانه اجتلب  
اليه من رطوبة الهواء وكان اهل تلك الناحية واهل تلك المدينة يشربون منه ولا ينقص ماؤه  
وعمل ذلك لبعدهم عن النيل وذكر بعض كهنة القبط أن ذلك الماء ثم لقربه من البحر  
الملح فان الشمس ترفع بحرها بخار البحر فينحصر من ذلك البخار جزء بالهندسة او بالسحر  
وتجمله يخط ذلك في ذلك الموضع بالجواهر مثل الظل وتمد بالهواء فلا ينقص بذلك ماؤه على  
الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحا لطيفا على مثل هذا العمل وأهداه حوميل الملك  
الى اسكندر اليوناني وملكهم عديم مائة واربعين سنة ومات وهو ابن سبعمائة وثلاثين سنة  
ودفن في احدى المدائن ذات العجائب وقيل في صحراء فقط \* وذكر بعض القبط أن ناپوس  
عديم عمل في صحراء فقط على وجه الارض تحت قبة عظيمة من زجاج اخضر براق  
معقود على رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب موشح بجواهر منشور الجناحين يمنع  
من الدخول الى القبة وكان قطرها مائة ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سرير  
من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المغروز بالجواهر المنظوم  
وطول القبة اربعون ذراعا وجعل في القبة مائة وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة وسبع



موايد بأوانها منها مائدة من در رماني احمر وأوانها منها ومائدة من ذهب قلموني وأوانها  
منها ومائدة من حجر الشمس المضيء بأينها وهو الزبرجد الذي اذا نظرت اليه الاقاعي  
سالت اعينها ومائدة من كبريت احمر مدبر بأينها ومائدة من ملح ابيض مدبر برآق بأينها  
ومائدة من زبيق معقود وجعل في القبة جواهر كثيرة وبراني صنعة مدبرة وحوله سبعة  
اسياف وأتراس من حديد ابيض مدبر وتماثيل افراس من ذهب عليها سروج من ذهب  
وسبعة توابيت من دنابر عليها صورته وجعل معه من اصناف العقاقير والسمومات  
والادوية في براني من حجارة وقد ذكر من رأى هذه القبة أنهم أقاموا أياما فما قدروا على  
الوصول اليها وأنهم اذا قصدوها وكانوا منها على ثمانية اذرع دارت القبة عن ايمنهم أو عن  
شمالهم \* ومن اعجب ما ذكره أنهم كانوا يحاذون آزاجها أزجا فلا يرون غير  
الصورة التي يرونها من الازج الآخر على ماضي واحد وذكروا انهم رأوا وجه الملك  
قدر ذراع ونصف بالسكبر ولحيته كبيرة مكشوفة وقد رآوا طول بدنه عشرة اذرع وزيادة  
وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم خرجوا لحاجة فوجدوها اتفاقا وانهم سألوا اهل قبة عنها  
فلم يجدوا احدا يعرفها سوى شيخ منهم وأوصى عديم الملك ابنه شداب بن عديم ان ينصب  
في كل حيز من أحياز ولايته منارا ويزبر عليه اسمه فأنحدر الى الاشمونين وعمل مناراتها  
وزبر عليها اسمه وعمل بها ملاعب وعمل في محراثها منارا اقام عليه صنما برأسين على اسم  
كوكبين كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه الى اتريب وبنى فيها قبة عظيمة مرتفعة على  
عمد وأساطين بعضها فوق بعض وعلى رأسها صنما صغيرا من ذهب وعمل هيكلًا للكواكب  
ومضى الى حيز صافعمل فيه منارا على رأسه مرآة من اخلاط توري الاقاليم ورجع وعمل شداب  
ابن عديم هيكل ارممت وأقام فيه اصناما باسماء الكواكب من جميع المعادن وزينه بأحسن  
الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساء الوشي والديباج وعمل في المدائن الداخلة من  
انصنا هيكلًا وأقام فيه بآريب وهيكلًا شرقي الاسكندرية وأقام صنما من صوان اسود باسم  
زحل على عبرة النيل من الجانب الغربي وبنى في الجانب الشرقي مدين في احداها صورة  
صنم قائم وله احليل اذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا يتشتر ذكره فسحه بكفتي يديه  
انتشر ذكره وقوى على البساء وفي احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا انعقد لبن امرأة  
أتمها ومسحتها بيديها فانه يدر لبنها وجمع التماسيح بطاسم عمله بناحية اسيوط فكانت تنصب  
من التبل الى اخميم انصبابا فيقتلها ويستعملها جلودا في السفن وغيرها \* وعمل متقاوس  
الملك بيتا تدور به تماثيل بجميع العائل وكتب على رأس كل تمثال ما يصلح من العلاج  
فانتفع الناس بها زمانا الى ان افسدها بعض الملوك وعمل صورة امرأة متبسمة لا يراها  
مهموم الازال همه ونسيه فكان الناس يتناوبونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من جملة ما عبدوه



بعد ذلك \* وعمل تمثالا من صفر مذهب بجناحين لا يمر به زان ولا زانية الا كشف عورته بيده وكان الناس يمتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقا منه فلما ملك كلسكن عشقت حظية عنده رجلا من خدمه وخافت أن تمتحن بذلك الصنم فأخذت في ذكر الزواني مع الملك وأكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلسكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب في امره لانه أتعب نفسه وحكاه فيها جملة لاصلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا ان ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه فان افترت احداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا لمن متى عرض بقلوبهن شيء من الشهوة فقال كلسكن صدقت وظن أن هذا منها تصح فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله الى داره فبطل عمله وعملت المرأة ما كانت همت به \* وبني هيكلا على جبل التصير للسحرة فكانوا لا يطلقون الرياح للمرآب المقلعة الا بضربة يأخذونها منهم للملك \* وبني منقاوس بن منقاوس في صحراء الغرب مدينة بالقرب من مدينة السحرة تعرف بقنطرة ذات عجائب وجعل بوسطها قبة عابها كالسحابة تمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا وتحت القبة سيطرة فيها ماء أخضر يداوى به من كل داء فيبريه وعمل في شرقها بربا لطيفا له اربعة ابواب لسكل باب عضادتان في كل عضادة صورة وجه يخاطب كل واحد منهما صاحبه بما يحدث في يومه فمن دخل البربا على غير طهارة نفخا في وجهه فأصابه رعدة فظيعة لاتفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان في وسطه مهبط النور في صورة العمود من اعتنقه لم يحتاج عن نظره شيء من الروحانية وسمع كلامهم ورأي ما يعملون وعلى كل باب من ابواب هذه المدينة صورة راهب في يده مصحف فيه علم من العلوم فمن أحب معرفة ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها بيديه وأمرها على صدره فيثبت ذلك العلم في صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس وهو عطارد وأنهما بحالهما ( وحكي ) عن رجل أنه أتى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر فمر فبه أنه تاه في صحراء الشرق فوقع على مدينة خراب فيها شجرة تحمل كل صننف من الفاكهة وأنه اكل منها وتزود فقال له رجل من القبط هذه احدى مدينتي هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم ماء وزاد فأقاموا يطوفون تلك الصحارى شهرا فلم يقفوا لها على أثر \* وعملت أم ميلاطس الملك بركة عظيمة في صحراء الغرب وجعلت في وسطها عمودا طوله ثلاثون ذراعا وفي اعلاه قصعة من حجارة يفور منها الماء فلا يتقص ابدا وجعلت حول البركة اصناما من حجارة ملونة على صور الحيوانات من الوحش والطيور والبهائم فكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ باليد وينتفع به \* وعملت لابنها منترها لانه كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مركبة على اساطين من مرمر مصفح بالذهب مرصع بالجوهر والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبة والنقوش فكان الماء يطلع من



فوارات وينصب الى أنهار قد صفحت بالفضة تجرى الى حدائق فيها بديع الفروشات وقد أقيم حولها تماثيل تصفر بانواع اللغات وأرخت على المجلس ستورا من ديباج واختارت لابنها من حسان بنات عمه وبنات الملوك وزوجته وحواته الى هذه الجنة وبنات حول الجنة مجالس للوزراء والسكينة وأشرف اهل الصناعات فكانوا يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من أعمالهم حمل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد ابيه مرقوه وهو صبي وكانت أمه مدبرة الملك وهي حازمة مجربة فأجرت الامور على ما كانت عليه في حياة ابيه وأحسنّت وعدلت في الرعية ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها في الحصب الكثير والسعة للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لكل من معه بالجوائز والاطعمة ويجلس للنظر يوما في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويخلو يوما بنسائه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وجدر فمات \* وعمل فرسون بن قيلمون ابن اتريب منارا على بحر القلزم وعلى رأسه مرآة تجذب بها المراكب الى شاطئ البحر فلا يمكنها أن تبرح الا أن تعشر فاذا عشت سرت المرآة حتى تجوز المراكب واقام فرسون مائتي سنة وستين سنة وعمل لنفسه ناووسا خائف الجبل الاسود الشرقي في وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا في كل بيت أعجوبة لانشبه الاخرى وزر عليها اسمه ومدة ملكه \* وكان مرقوس الملك حكيما محبا للنجوم والعلوم والحكمة فعمل في ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطالب عليه زيادة فيغير البائع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم ابطال كثيرة تساوى عشرة أضعافه وكان اذا أحب أن يدخل في وزنه اضعاف تلك الاطال دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزائن بنى أمية وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم آخر قيل انها عملت في وقته ايضا فيكون الدرهم منها في ميزان الرجل فاذا اراد أن يبتاع حاجة أخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذ كر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى منزله وبجد البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس أو قرطاسا أو مثل ذلك بدور الدرهم وفي وقته عملت الآنية الزجاج التي توزن فاذا ملئت ماء أو غيره ثم وزنت لم تزد عن وزنها الا اول شيئا وعمل في وقته الآنية التي اذا جعل فيها الماء صار خرا في لونه ورائحته وفعله وقد وجد من هذه الآنية باطفيح في امارة هارون بن جاريه بن احمد بن طولون شربة جزع بمرودة زرقاء بياض وكان الذي وجدها ابو الحسن الصائغ الحراساني هو ونفر معه فأكلوا على شاطئ النيل وشربوا بها الماء فوجدوه خرا سكرًا ومنه وقاموا ليرقصوا فوقعت الشربة فانكسرت عدة قطع فأتهم الرجل وجاء بها الى هارون فأسف عليها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها ببعض ملكي \* وأما الآنية النحاسية التي تجعل الماء خرا



فإنها منسوبة الى قلوبطرة بنت بطليموس ملكة الاسكندرية فكثير وفي وقته عملت الصور الخيشية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات وكانت اذا جمعت في موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكأنه يعمل اعماله كلها بصور درج الفلك واسماؤها وطوالها فيتم له من ذلك ما يريد \* وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون في وسطه قبة من زجاج اخضر صافي اللون فاذا طلعت عليها الشمس ألت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل في جوانبه الاربعة اربعة مجالس عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لونها طلسمات عجيبة ونقوشات غريبة وصورا بدعية كل ذلك من زجاج مطلق يشف وكان يقيم في هذا الملعب الايام وعمل له ثلاثة أعياد في كل سنة فكان الناس يحجون اليه في كل عيد وبذبحون له ويقمون فيه سبعة ايام ولم يزل هذا الملعب تقصده الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل في العالم مثله الى ان هدمه بعض الملوك لعجزه عن عمل مثله \* وكانت أم مرقونس ابنة ملك النوبة وكان أبوها يعبد الكوكب الذي يقال له السها ويسميه الها سألت ابنها أن يعمل لها هيكلًا يفردها به فعمله وصفحها بالذهب والفضة وأقام فيه صنما وأرخت عليه الستور الحرير فكانت تدخل اليه بجواربها وحشمها وتسجد له في كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عيدا تقرب له قرايين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب له ويبخره ولم تزل بابنها حتى سجد له ودعا الى عبادته فلما رأى السكاهن الامر في عبادة الكواكب قد تم وأحكم من جهة الملك أحب أن يكون لكوكب السها مثالا في الارض على صورة حيوان يتعبد له فاقام يعمل الخيشة في ذلك الى أن اتفق أن العقبان كثرت بمصر وأضررت بالناس فاحضر الملك هذا السكاهن وسأله عن سبب كثرتها فقال ان الهك أرسلها لتعمل لها نظيرا لبيسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فانا فاعله فقال ان ذلك رضاه فأمر بعمل عقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على أنابيب جوهر أخضر وفي منقار درة معلقة وسروله بالدر الاحمر وأقامه على قاعدة من فضة منقوشة قد ركبت على قائمة زجاج أزرق وجعله في ازج عن يمين الهيكل وأتى عليه ستور الحرير وجعل له دخنة من جميع الافاويه والصبوغ وقرب له عجلا أسود وبكارة الفراريج وباكورة الفواكه والرياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود اليه فأجابه الناس ولم يزل السكاهن يجهد نفسه في عبادة العقاب وعمل له عيدا فلما تم لذلك أربعون يوما نطق الشيطان من جوفه \* وكان أول ما دعاهم اليه أن يبخر له في أنصاف الشهور بالندل ويرش الهيكل بالخر العتيقة التي تؤخذ من رؤس الخوابي وعرفهم أنه قد أزال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون فسر



السكان بذلك وتوجه الى أم الملك يعرفها ذلك فسارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب  
فسرها ذلك وأعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه فسجد له  
وأقام له سدنة وأمر أن يزين بأصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد  
لتلك الصورة ويسألها عما يريد فتخبره \* وعمل من السكيميا ما لم يعمله أحد من الملوك  
فيقال انه دفن في صحراء الغرب خمسمائة دين \* ويقال انه عمل على باب مدينة صاعموذا  
عليه صنم في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة تنظر اليها وكان العليل يأتي الى هذه المرأة  
وينظر فيها أو ينظر له أحد فيها فان كان يموت من علته تلك رأى ميتا وان كان يعيش رآه  
حيا وينظر فيها أيضا للمسافر فان رآوه مقبلا بوجهه علموا أنه راجع وان رآوه موليا علموا  
أنه يتماذي في سفره وان كان مريضا أو ميتا رآوه كذلك في المرأة \* وعمل بالاسكندرية  
صورة راهب جالس على قاعدة وعلى رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاز فاذا مر به تاجر جعل  
بين يديه شيئا من المال على قدر بضاعته فان تجاوزه ولو عن بعد من غير أن يضع بين يديه  
المال لم يقدر على الجواز وثبت قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق في الزمى  
والضعفا والفقرا \* وعمل في زمنه كل أعجوبة ظريفة وأمر أن يزرر اسمه عليها وعلى كل  
علم وكل طلسم وكل صنم \* وعمل لنفسه ناووسا في داخل الارض عند جبل يقال له سداه  
وعمل تحته ازجا يقال ان طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا  
وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالحجارة وعمل فيها دائرة مساطب مبلطة بزجاج  
على كل مسطبة أعجوبة وفي وسط الازج دكة من زجاج على كل ركن من اركانها صورة  
تمنع الدنو اليها وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضي وفي وسط الدكة حوض من ذهب  
فيه جسده بعد ما ضمه بالادوية للماسكة ونقل اليه ذخائره من الذهب والجوهر وغيره  
وسد باب الازج بالصخور والرصاص وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة  
وعمره مائتين وأربعين سنة وكان جميلا ذا وفرة حسنة فنسكت نساؤه ولزمن الهيكل من  
بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صابن ايساد وقيل صابن مرقونس أخو ايساد فعلم مرآة  
في مدينة منف ترى الاوقات التي تخصب فيها مصر وتجذب وبني بداخل الواحات مدينة  
ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة \* وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة فكان كل من  
تعذر عليه أمر يأتيه ويخبره فيتيسر ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه  
أمر البحر وما يحدث فيه من أقصى ما يصل اليه البصر على مسيرة أيام وهو أول من اتخذها  
ويقال انه بني اكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية \* ولما ملك بدارس بن صا  
الاحياز كلها بعد ابيه وصفا له ملك مصر بني في غربي مدينة منف بيتا عظيما لسكوكب  
الزهرة وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب بلوح بزرقه وسوره بسواربن



من زبرجد اخضر وكان الصنم في صورة امرأة لها ضفيران من ذهب اسود مدبر وفي  
رجليها خلدالان من حجر احمر شفاف وعلان من ذهب ويدها قضيب مرجان وهي  
تشير بسبابتها كأنها مسامة على من في الهيكل وجعل بجذاتها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين  
من نحاس احمر مموه بذهب موشحة بحجر انلازورد ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما  
مطهرة من اخلاط الاجساد على عموم رخام مجزوع وفي المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل  
داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها في كل سبعة ايام وجعل في الهيكل كراسي للسكنة  
قد صفحت بالذهب والفضة وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير  
وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل  
راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها رأس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل  
الى أن هدمه بخت نصر في أيام مالميق بن تدارس وكان موحدًا على دين قطيم ومصرايم  
خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر وأرض أفريقية وبلاد الاندلس وأرض  
الافرنج الى البحر وعمل في البحر اعلاما زبر عليها اسمه ومسيره ورجع فهابه ملوك الارض  
وكان في غربي مصر مدينة يقال لها قرميده بها قوم قدملکوا عليهم امرأة ساحرة ففزاها  
فلم ينل منهم قصدا ورجع فارادت ملكتهم افساد مصر فعملت من سحرها وأمرت فأتى  
في النيل ففاض الماء على المزارع حتى أفسدها وكثرت التماسيح والضفادع وفشت الامراض  
في الناس وانبتت فيهم الثعابين والعقارب فاحضر مالميق السكنة والحكام في دار حكمهم  
وألزمهم بالنظر لذلك فنظروا في نجومهم فرأوا أن هذه الآفة آتتهم من ناحية الغرب وان  
امرأة عملته وألقته في النيل فلعنوا حينئذ أنه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا في دفع  
ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد وهلكت الدواب المضرة وجهزوا  
قائدا في جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير رجل واحد فاخذوا من الاموال والجواهر  
والاصنام ما لا يحصى فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد اخضر على قائمة من حجر الاسبايم وصورة  
روحاني من ذهب رأسه من جوهر احمر وله جناحان من دروي يده مصحف فيه كثير من علومهم  
في دفتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة زجاج اخضر فيها ماء لدفع الاسقام  
وفرس من فضة اذا عزم عليه بزازم ودخن بدخنته وركبه أحد طاربه فأحضر ذلك وغيره من عجائب  
السحرة وأصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فسأله الملك عن أعجابهم  
قال قصدهم بعض ملوك البربر بجمع كنيف وتحاييل هائلة فاغلق أهل مدينتنا حصنهم  
ولجوا الى الاصنام فأتى الكاهن الى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها فجلس  
على حافتها وأحاط رؤساء السكنة بها وأخذ يزمرم على الماء حتى فار وخرج من وسطه نار  
في وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء نخر الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى صعدت



وخرقت القبة وسمع منها قد كفيتم شر عدوكم فقاموا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه  
 وذلك أن صورة الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها\* ولما ملك  
 كلسكن مصر بعد أبيه خريبا كان النمرود في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره  
 ووجه اليه أن يلقاه وكان النمرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الامم فقبل  
 كلسكن على أربعة أفراس تحملها لها أجنحة قد أحاطت به كالنار وحوله صور هائلة فدخل  
 بها وهو متوشح بشعبان ومخزم ببعضه وذلك التين فاغر فاه ومعه قضيب آس أخضر كلما جرك  
 التين رأسه ضربه بالقضيب فلما رأى النمرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكم\* وتقول  
 القبط أن كلسكن كان يرتفع فيجاس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه وكان أهل  
 البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم ويقولون انه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل  
 ولا يشرب ثم انه استتر مدة حتى توهما أنه هلك فطعم الملوك في مصر وقصدها ملك من  
 المغرب يقال له سادوم في جيش عظيم الى أن بلغ وادي هيب فأقبل كلسكن وجلهم من  
 سحره بشئ كالغمام شديد الحرارة وهم تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون ثم ارتفع وصار  
 بمصر يعرفهم ما عمل وأمرهم نخرجوا فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فهاه جميع الكهنة  
 وصوروه في سائر الهياكل وبني هيكلًا لزلحل من صوان اسود في ناحية الغرب وجعل له  
 عيدا\* ( وفي أيام دارم بن الريان ) وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند النبط دريموش  
 ظهر معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل فأناروا منه شيا عظيما وعمل صنما على اسم القمر  
 لان طالعه كان برج السرطان ونصه على القصر الرخام الذي بناه أبوه في شرقي النيل ونصب  
 حوله اصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الاحمر وعمل للصنم عيدا كلما دخل برج السرطان  
 ولما ولى اكسايس الملك بعد أبيه معدان بن معاديوس بن دارم بن دريموش وهو الفرعون  
 السادس أقام أعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين يمشي من بعضها الى بعض وعمل  
 برقودة وصا ومدائ الصعيد وأسفل الارض أعلاما ومنائر لاقود وطلسمات كثيرة وعمل  
 كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها بالدهن الصيني وأقامها على منار في  
 وسط منف وعمل في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر وعمل في وقته ميزانا  
 يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة وسلسله من ذهب فكان معلقا في هيكل  
 الشمس وكتب على احدي كفتيه حق والآخرى باطل وتحت فصوص قد نقش عليها أسماء  
 الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليه  
 ما يريد ويجعل أحد الفصين في كفة والآخر في كفة فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم  
 ومن أراد سفرا أخذ فصين وذكر على أحدهما اسم السفر وعلى الآخر الإقامة وجعل كل  
 واحد في كفة فان ثقلا جميعا ولم يرتفع احدهما على الآخر لم يسافر وان ارتفعا سافر وان ارتفع



احدها أخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو ينظر في صلاح أمره وفساده \* ويقال أن بخت نصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فمما حمل الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار وعمل في ايامه تنورا أيضا يشوى فيه من غير نار ويطبخ فيه بغير نار وسكينا تنصب فاذا رآها شيء من البهائم أقبل حتي يذبح نفسه بها وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء وشيا من التبريحيات والنواميس \* (وأما البرابي) فذكر ابن وصيف شاه أن سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنى البرابي كلها وعمل فيها السكونوز وزبر علمها علوما ووكل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها وقال في كتاب الفهرست وبمصر أبنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة وهي على اشكال مختلفة وفيها مواضع الصحن والسحق والحل والمقد والتقطير تدل على انها عملت لصناعة الكيمياء وفي هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدري ماهي وقد أصيبت تحت الارض فيها هذه العلوم مكتوبة في التوز وهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة \* وذكر الحسن بن أحمد الهمدان أن برابي مصر تنسب الى براب بن الدرمسيل بن نحويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام \* وذكر أبو الرحمان محمد بن أحمد البروبي في كتاب الاشارات الباقية عن القرون الخالية أن كنيسة في بعض قرى مصر قد شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهتهم الرواية عنهم فيها سرداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرقاة وفيه سرير تحته رجل وصبي مشدودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قينة من نحاس في جوفها قتيلة كتان توفد فيصب فيها زيت فلا يلبث الا أن تمتلئ الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى الثور الرخام فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها \* وذكر الجهماني أنه صار اليه من وثق به ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا الا الزيت فانه صب زيتا من عنده وأبدله قتيلة أخرى وأشعلها فمالبث الزيت أن فاض الى الباطية الزجاج ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر \* وذكر الجهماني أنه اذا خرج الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفض الزيت \* وذكر عن اهل القرية أن المرأة المتوهمة في نفسها حملت ذلك الصبي واتضعه في حجرها فيتحرك ولدها في البطن ان كان الحمل حقيقة أو تياأس ان لم تحس بحركة \* قال المؤلف رحمه الله أخبرني داود ابن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة أحوالها أنه عبر في مغارة كبيرة يقال لها مغارة شقلقييل بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سندروس وأنه غطاه ومضى فاذا شيء كثير الى الغاية من السمك وجميعها ملفوفة ببياب كأنها قد كفتت بعد الموت وأنه أخذ منها سمكة وفتشها فاذا في فيها دينار عليه كتابة لا يحسن قراءتها وأنه صار يأخذها سمكة ويزجر من فم كل واحدة دينارا حتى اجتمع له من ذلك عدة دنائير



وأنه أخذ تلك الدنانير ورجع ليخرج حتى جاء الى السكوم السندروس واذا به ارتفع حتى  
 سد عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كما  
 كان أولا بحيث يتجاوزه ويخرج فعاد وأخذ الدنانير ومشى يخرج بها فاذا السندروس قد  
 ارتفع حتى سد عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى موضعها وخرج فاذا السندروس  
 على حاله كما كان أولا بحيث يتجاوزه ويخرج وأنه كرر أخذ الدنانير واعادتها مرارا والحال  
 على ما ذكر حتى خشى الهلاك فتركها وخرج فلما كان مدة سكن موضعها فرأى حجرا في  
 جدار وقد قور ووضع حجرا آخر فحاول الحجر الآخر حتى رفعه فاذا تحته ستة دنانير  
 من تلك الدنانير التي وجدها في أفواه السمك فأخذ منها واحدا وترك البقية في موضعها  
 وأعاد الحجر على الحجر وقدر الله به ذلك أنه ركب النيل ليعدى من البر الشرقى الى  
 البر الغربى قال فلما توسط البحر واذا بالاسماك تب من الماء وتلقى أنفسها في المركب حتى  
 كدنا نفرق من كثرتها فصاح الركاب خوفا من الهلاك قال فتذكرت الدينار الذى معي  
 وأن هذا ربما كان بسببه فأخرجته من جيبى وألقيته في الماء فتوانبت الاسماك من المركب  
 وألقت نفسها في الماء حتى لم يبق منها شيء \* قلت وأخبرنى قديما بعض من لا أنهمه أنه ظفر  
 بطلسم من هذا المعنى وأنه عنده وأراد أن يري السمك بيت من الماء فلم يقدر لى أن أرى  
 ذلك قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من  
 أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن  
 يولين منهم أحدا وأجمع رأين أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة بنت زبا وكان لها عقل  
 ومعرفة ومجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة فملىسكوها  
 تخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها  
 أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أ كبرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا تقوى بهم  
 وقد رأيت أن أبني حصنا أحقق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا  
 لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع  
 والمدائن والقرى وجمعت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه  
 محارس ومساح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل  
 ميل وجمعت فى كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يجرسوا بالاجراس  
 فاذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فاتاهم الخبر من اى وجه كان فى  
 ساعة واحدة فنظروا فى ذلك فتمت بذلك مصر بمن ارادها وفرغت من بنائه فى ستة اشهر  
 وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة قال  
 المسعودى وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص تخافت عليه سبع البر والبحر



واغتيال من جاور ارضهم من الملوك والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فملكتم ثلاثين سنة في قول قال المؤلف رحمه الله قد بقي من حائط المعجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا أخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي أنه سار في بلاد الصعيد على حائط المعجوز ومعه رفقة فاقتلع احدهم منها لبنة فاذا هي كبيرة جدا تخالف المعهود الآن من اللبن في المقدار فتناولها القوم واحدا بعد واحد يتأملونها ويبناهم في رؤيتها اذ سقطت الى الارض فانقلقت عن حبة فول في غاية السكبر الذي يتعجب منه لعدم مثله في زماننا فقتلوا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس واليبس كأنها قريبة عهد بمصاها لم يتغير فيها شيء البتة فاكلها الجماعة قطعة قطعة وكأنها انما خبثت لهم من الزمن القديم والاعصر الخالية انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها \* قال ابن عبد الحكم وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها بدور وكانت السحرة تعظمها وتقدمها في علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوكة ابنة زبا انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولا نأمن أن يقطع فينا الملوك فاعلمى لنا شيئا تغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب أكبرنا يعني في الفرغ مع فرعون موسى وبقي أقلنا فعملت بربا من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها اربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من أرادكم من كل جهة تؤتون منها برأ أو بجر أو هذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فانهم ان كانوا في البر على خيل أو بغال أو ابل أو في سفن أو رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التي يؤتون منها فما فعلتم بالصور من شيء أصابهم ذلك في انفسهم على ما تفعلون بهم فلما بلغ الملوك حولهم أن امرهم قد صار الى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التي في البربا فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشيء ولا يفعلون بها شيئا الا أصاب ذلك الجيش الذي كان اقبل اليهم مثله ان كان خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة في البربا من قطع رؤسها أو سوقها أو فقع عيونها أو بقر بطونها أثر مثل ذلك بالخيال التي ارادتهم وان كانت سفنا أو رجالة فقتل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر وأقواهم عليه وانتشر ذلك فتبادرهم الناس وكان نساء اهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتزوجه وتزوج الاخرى أجيدها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا الا بأذنهن فاجابوهن في ذلك فكان أمر النساء على الرجال قال يزيد بن أبي حبيب ان نساء القبط على ذلك الى اليوم انبعا لمن مضى منهم لا يبيع احد منهم ولا يشتري الا قال استأمر امرأتي فملكتم دلوكة بنت زبا عشرين سنة تدبر أمرهم بمصر حتى بلغ صبي من أبناء أكبرهم وأشرفهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه



عليهم فلم تزل مصر ممتعة بتدبير تلك العجوز نحواً من أربعين سنة وكما أنهدم من ذلك البربا الذي صور فيه الصور لم يقدر أحد على اصلاحه الا تلك العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع أهل ذلك البيت وأنهدم من البربا موضع في زمان لقاس بن مرنسوس فلم يقدر أحد على اصلاحه ومعرفة علمه وبقي على حاله وانقطع ما كان يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا أن الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بخت نصر بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وسباهم وخرج بهم الى ارض بابل قصد مصر وخرّب مدائنها وقراها وسي جميع اهلها ولم يترك بها شيئاً حتى بقيت مصر أربعين سنة خراباً ليس فيها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا يتفجع به ثم رد أهل مصر اليها بعد أربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ \* وقال بعض الحكماء رأيت البرابي وأخذت أتأملها فوجدتها مستحكمة على جميع أشكال الفلك والذي ظهر لي أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة وثلاثون ألف سنة شمسية لان مثل هذه الاعمال لا تعمل الا بالارصاد ولا يتكامل رصد المجموع في اقل من هذه المدة المذكورة وكانوا يعملون الكتاب حفراً ونقراً في الصخور ونقشا في الحجارة وحلقة مركبة في البنيان وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان متضمناً لامر جسيم أو عهداً لامر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو أحياء شرف يريدون تخليد ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المستقر وعلى الابلق المفرد وعلى باب الزها وكانوا يعمدون الى الاماكن الشريفة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في أبعاد المواضع من الدور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراها من مر بها ولا ينسى على طول الدهر \* وقال المسعودي واتخذت دلوكة بمصر البرابي والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودواهم ابلا كانت أو خيلاً وصورت فيها من يرد من البحر في المراكب من بحر الغرب والشام وجمعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنباتات والحيوانات وجعلت ذلك في اوقات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التي في البربا من الابل وغيرها فيتعور مافي ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث في ذلك الجيش من الآفات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها لزم أقطار المملكة وأحكامها



السياسية\* (وقد) تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص وأسرار الطبيعة التي كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل المعجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت في بعض الاشياء أحدثت أفعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم في الطبائع والله أعلم بكيفية ذلك (قال) وأخبرني غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبي الفيض ذى التون بن ابراهيم المصري الاخميمي الزاهد وكان حكما وكانت له طريقة يأتيها ونحلة يعصدها وكان ممن يقر على اخبار هذه البرابي وامتنح كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو أحذر العيسد المعتقين والاحداث والجد المتعبدن والنبط المستعربين ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدر والقضاء يضحك وفي آخره كتابة تبينها في ذلك العلم فوجدتها

تدبر بالنجوم ولست تدري \* ورب النجم يفعل ما يريد

قال وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم من المواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون في الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو أنار تأتي على الارض فتحرق ما عليها أو ماء يفرقها أو سيف بيد أهلها نخافت دنور العلوم وقضاءها بقاء أهلها فاتخذت هذه البرابي ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجارة وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى بالطين وان كان الطوفان الوارد ماء أذهب ما بنينا بالطين ويبقى ما بنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كل من النوعين مما هو من الطين وما هو من الحجر وهذا ما قيل والله أعلم انه كان قبل الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يعينوه أنار هو أمماء أم سيف كان سيفا أتى على جميع اهل مصر من أمة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان وباء عم أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المتقدرة من الناس من صغير وكبير وذكر وأنني كالجبال العظام وهي المعروفة ببلاد تنيس من ارض مصر بذات السكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في السكوف والغيران والتواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدري من اى الامم هم فلا النصرارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم ولا اليهود تقول أنهم من اوائلمهم ولا المسلمون يدرون من هؤلاء ولا تاريخ بني عن حالهم وعليهم أنوابعهم وكثيرا ما يوجد في تلك البرابي والجبال من حليتهم \* والبرابي ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا التي بأخميم والتي بسمنود وغير ذلك



### ذكر الدفائن والكنوز التي تسمىها أهل مصر المطالب

الاصل في جواز تتبع الدفائن ما رواه أبو عمرو بن عبد البر والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف كان إذا هلك قوم صاح في الحرم فتمنع الله فلما خرج من الحرم رماه بقارعة وآية ذلك أنه دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه عصا من ذهب ان نبشتم عليه أصبتموه معه فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذي كان معه \* ويمصر كنوز يوسف عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكثر ما يفضل عن النفقات والمؤون لنواب الدهر وهو قول الله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعبور وكنوز ويقال ان علم الكنوز في كنيسة القسطنطينية نقات اليها من طليطلة ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنزت كثيرا من أموالها في مواضع أعدتها لذلك وكتبت كتباً بأعلام مواضعها وطرق الوصول اليها وأودعت هذه الكتب قسطنطينية ومنها يستفاد معرفة ذلك وقيل ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين والكلدانيين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في الكنيسة وقيل انه لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودي ولمصر أخبار عجيبه من الدفائن والبنيان وما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية وقد آتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا \* (فن أخبارها) ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملاً على مصر لآخيه عبد الملك بن مروان فأناه رجل متصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهي بنا الحفر الى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضر حان بالياقوت والزمر ذور أسه على صفايح من الذهب على أعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة لاجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه وكان هناك تل عظيم فاحتفروا حفيرة عظيمة في الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصاً على ذلك وأوسع في النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره



لمعان عظيم لما في عينيه من الياقوت ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع الحجارة والرخام وقناطر منقطرة وطاقت على أبواب معقودة ولاحت منها تماثيل وصور اشخاص من أنواع الصور الذهب وأجربة من الاحجار قد أطبق عليها أغطيتها وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فأسرع بعضهم ووضع قدمه على درجة من نحاس ينتهي الى ما هناك فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزأه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصغر الديك صغيرا عجيبا أسمع من كان بالبعد من هناك وحرك جناحيه وظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالسكواكب والحركات اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شي أو ماسها شي فالتفت قتهاوي من هناك من الرجال الى أسفل تلك الحفرة وكان فيها بمن يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويمول ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هناك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم \* قال المسعودي وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قداعتي وأغرني بحفر الحفائر وطلب الكنوز ودخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الاهرام بأن فيه مقابلا عجيبا فأخبروا الاخشيد محمد بن طفج بذلك فأمرهم بحفره وأباحهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى أن انتهوا الى أزج وأقباء وحجارة مجوفة في صخرة منقورة فيها تماثيل قائمة على أرجلها من الخشب قد طلى بالاطلية المانعة من سرعة البلاء وتفرق الاجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والزرجد والفيروز ومنها ما وجوها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا في أجوافها رما بالية وأجساما قانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابي وغيرها من المرمر والرخام وفيه من العلى الذي قد طلى منه ذلك الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لارائحة لها فعمل منه على النار شي ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من انواع الطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف استنائهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور عليها أنواع من الكتابات لم يقف أحد على استخراجها من أهل الملل وزعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم منذ فقد من أرض مصر أربعة



آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء ليسوا يهود ولا نصاري ولم يؤدهم الحفر  
 الا لما ذكرناه من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان من  
 سلف وخلف من ولاة مصر من أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين  
 وثلثين وثلثمائة لهم أخبار عجيبة فيما استخرج في أيامهم من الدفائن والامول والجواهر  
 وما أصيب في هذه المطالب من القبور وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا\* (وركب)  
 احمد بن طولون يوما الى الاهرام فأناه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحي  
 والمعاول فسألهم عن ما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا بعدها  
 الا بمشورتى أو رجل من قبلى وأخبروه أن في سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم  
 اليهم الرافقى وتقدم الى عامل الجزيرة في اعانتهم بالرجال والتفقات وانصرف فأقاموا مدة  
 يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن حوض  
 مملوء دنائير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه فاذا فيه انا فلان بن فلان  
 الملك الذى ميز الذهب من غشه ودنسه فمن أراد أن يعلم فضل ملكى على ملكه فليظن  
 الى فضل عيار دينارى على عيار ديناره فان مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبمده  
 وفاته فقال احمد بن طولون الحمد لله ان ما سبتهنى عليه هذه الكتابة أحب الى من المال  
 ثم أمر لكل من القوم المطالية بمائتي دينار منه ولكل من الصناع بخمسة دنائير بعد  
 توفية أجره عمله وللرافقى بثلثمائة دينار ولتسيم الخادم بألف دينار وحمل باقي الدنائير فوجدها  
 أجود من كل عيار وشدد من حيث في العيار بمصر حتى صار عيار ديناره الذى عرف  
 بالاحمدى اجود عيار وكان لا يطل الا به

### ❦ ذكر هلاك أموال أهل مصر ❦

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة  
 الدنيا ربنا ليصلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى  
 يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما هذا دعاء من موسى عليه السلام على فرعون  
 وقومه من أهل مصر لكفرهم أن يهلك الله أموالهم قال الزجاج طمس الشيء اذا هابه  
 عن صورته\* عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وعن محمد بن كعب القرظى أهما قالا  
 صارت اموال أهل مصر ودرهمهم حجارة منقوشة كهيئة اصحاحا وأمثالنا وأنصافا فلم يبق معدن  
 الاطمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا أن اموالهم وزروعهم صارت  
 حجارة وقال مجاهد وعطية أهلكتها الله تعالى حتى لا ترى يتال عين معطوسة أى ذاهبة  
 وطمس الموضع اذا عفا ودرس وقال ابن زيد صارت دنائيرهم ودرهمهم وفرشهم وكل  
 شيء لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع اهله وفرشه وقد صاروا



حجرين قال وقد سألتني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخريطة اصيبت بمصر فأخرج منها الفواكه والدرهم والدنانير وانها لحجارة وقال محمد بن شهاب الزهري دخلت على عمر ابن عبد العزيز فقال يا غلام ائتني بالخريطة فجاء بخريطة نثر ما فيها فاذا فيها درهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن شهاب فاهويت فاذا هو حجارة فقلت ما هذا يا امير المؤمنين قال هذا مما اصاب عبد العزيز بن مروان في مصر اذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب بن عبد الله الشامي اخبرني من رأي النخلة بمصر مصر وعة وانها لحجر ولقد رأيت ناسا كثيرا قياما وقعودا في اعمالهم لو رأيتهم ما شككت فيهم قبل أن تدنو منهم أنهم أناس وانهم لحجارة ولقد رأيت الرجل من رقيقهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجارة وتقل وسمة بن موسى في قصص الانبياء أن فرعون لما هلك وقومه وآمنت بنو اسرائيل بما تلته ندب موسى عليه السلام من نقبائه الاثني عشر نقيبين احدها كالب بن موقيا والآخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثنا عشر الفا وأرسلهما الي مصر وقد خلت من حاميتها لفرق اهلها مع فرعون فأخذوا ذخائر فرعون وكنوزه وعادوا الى موسى فذلك توريسهم أرض مصر يعني قول الله عز وجل عن قوم فرعون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها قوما آخرين وقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغارها التي باركنا فيها يعني ارض مصر اورثناها بني اسرائيل لانهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض \* قال جامعه ومؤلفه رحمه الله تعالى اخبرني داود بن رزق ابن عبيد الله وكانت له سياحات كثيرة بارض مصر أنه عبر الى واد بالقرب من القامون بالوجه القبلي فرأى فيه مقاطات كثيرة ما بين بطيخ وقناء وتفاح وكلها حجارة وكان قد اخبرني قديما بعض الاعيان أنه شاهد في سفره الى البلاد من ارض مصر بطيخا كثيرا كله حجارة وكذلك البطيخ من الصيف الذي يقال له العبدلي

ذكر أخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد اولاد نوح النبي عليه السلام فانهم ذكروا أن مصر هذا نزل بهذه الارض فأُنزل فيها وعمرها فسميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم هو الارض التي يفيض عليها النيل ويحيط بها حدود اربعة وهي أن الشمس تشرق على اقصى العمارة بالشرق قبل أن تغيب عن آخر العمارة بالغرب بثلاث ساعات وثاني ساعة فيجب من ذلك أن تكون هذه الارض في النصف الغربي من الربع العامر والنصف الغربي من الربع العامر علي ما قال



ابقراط وبطليموس أقل حرارة وأكثر رطوبة من النصف الشرقي لأنه قسم كوكب القمر  
 والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس وذلك أن الشمس تشرق على النصف الشرقي قبل  
 شروقها على النصف الغربي والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف الشرقي وقد زعم  
 قوم من القدماء أن أرض مصر في وسط الربع من المعمور من الأرض بالطبع فأما بالقياس فعلى ما  
 ذكرنا من أنها في النصف الغربي والحد الثالث هو أن أول بعد هذه الأرض عن خط الاستواء  
 في جهة الجنوب أسوان وبعدها عن خط الاستواء أنان وعشرون درجة ونصف فالشمس  
 تسامت رؤس أهلها مرتين في السنة عند كونها في آخر الجوزاء أو في أول السرطان وفي  
 هذين الوقتين لا يكون للقائم بأسوان نصف النهار ظل أصلا فالحرارة واليبس والاحراق  
 غالب على مزاجها لان الشمس تنشف رطوباتها ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم  
 جعدة لاحتراق أرضهم والحد الرابع هو أن آخر بعد أرض مصر عن خط الاستواء في  
 جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد  
 ودمياط وتينس والفرما وبعدها دمياط عن خط الاستواء في الشمال أحد وثلاثون جزءا وثلاث  
 وهذا البعد هو آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا  
 تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل  
 على الصحة من البلدان العامرة وهو أول وسط الاقليم الرابع وأيضا فمجاورة دمياط للبحر  
 واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال الى الرطوبة فيكون الغالب  
 عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة  
 وشعورهم سبطة واذا كان أول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من  
 جهة الشمال الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فما بين هذين الموضعين من  
 أرض مصر الغالب عليه الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده من أسوان وقربه من  
 بحر الروم ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس ان المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة  
 قال وجبل ثوقا في مشرق هذه الأرض يعوق عنها ريح الصبا فانه لم يوجد بفسطاط مصر صبا  
 خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكبا بين المشرق والشمال أو المشرق والجنوب  
 وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن وقد عدت أهل مصر هذه الفضيلة ومن أجل ذلك  
 صارت المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالاسكندرية  
 وتينس ويعوق أيضا هذا الجبل اشراق الشمس على أرض مصر واذا كانت على الافق فيكون  
 زمان لبث الشعاع على هذه الأرض أقل من الطبيعي ومثل هذه الحال سبب لركود الهواء  
 وغاظته وأرض مصر أرض كثيرة الحيوان والنبات جدا لا تكاد تجد فيها موضعا خلوا من  
 الحيوان والنبات وهي أرض متخلخلة فانك تراها عند انصراف النيل بمنزلة الحمأة فاذا حلت



الحرارة ما فيها من الرطوبة تشققت شقوقا عظاما والمواقع السكثيرة الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت أرضا سوداء وما قرب منها من الجبل سبخ اما بورتقي أو مالخ ويظهر من أرض مصر بالعشيات بخار أسود أو أغبر وخاصة في أيام الصيف وأرض مصر ذات أجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشيء دون غيره وعلّة ذلك ضيق عرضها واشتمال طولها على عرض الاقليم الثاني والثالث غان الصعيد فيه من التخل والسنط وأجام القصب والبردى ومواقع احراق الفحم وغير ذلك شيء كثير والفيوم فيه من النقايع وأجام القصب ومواقع تعطين السكتان شيء كثير وأسفل أرض مصر فيه من النبات أنواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من أرض مصر لها أشياء تختص بها وتفضل عن غيرها قال والتيل يرطب يبس الصيف والحريف فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات أجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديتان وقد بين الاوائل أن المواقع السكثيرة العفن يتخلل منها في الهواء فضول كثيرة لاندته يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان أن هواء أرض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لايبثت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن أجل هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حر ومرة برد ومرة يابس وأخرى رطب ومرة متحرك وأخرى ساكن ومرة الشمس صاحبة ومرة قد سترها الغيم وبالجملة هواء مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من أجل ذلك في الاوعية والعروق من أخلاط البدن لايلزم حدا واحدا وأيضا فان ما يتخلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة سمك الجبال وكثرة حرارة الارض عن الاجتماع في الجو فاذا برد الهواء يبرد الليل أنحدر هذا البخار على وجه الارض فيتولد عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والندا وربما يتخلل هذا البخار بالتخلل الخفي فاذا يتخلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله فمن أجل هذا لايجتمع الغيم الممطر بأرض مصر الا في الندرة وظاهر أيضا أن أرض مصر يترطب هواؤها في كل يوم بما يترقي اليه من البخار الرطب وما يتخلل ( وقد قال ) بعض الناس ان الضباب يتكون من استحالة الهواء الى طبيعة الماء فاذا انضاف هذا الى ما قلناه كان أزيد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع اليها العفن ( والعلّة القسوى ) في جميع ذلك هو أن أخص الاوقات بالجفاف في الارض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لانها تترطب في الصيف والحريف بمد النيل وفيضه وهذا بخلاف ما عليه البلدان الأخر \* وقد علمنا أبقراط أن



رطوبة الصيف والخريف فضلية أعنى خارَجة عن المجرى الطبيعي كرطوبة المطر الحادث في الصيف ومن أجل هذه قلنا ان رطوبة مصر فضلية وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي وانما عرض له ما أخرجه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية بمد النيل في الصيف والخريف ولذلك كثرت العفونات بهذه الارض فهذا هو السبب الاعظم في أن صارت أرض مصر على ما هي عليه من سخافة الارض وكثرة العفن ورداء الماء والهواء الا أن هذه الاشياء لا تحدث في ابدان المصريين استحالة محسوسة اذا جرت على عادتها من أجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكلة ابدانهم لها فان كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الابدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الامراض وقصر المدة كالخنطة بمصر فانها وشبكة الزوال سريع اليها العفن في المدة اليسيرة ولا مطعم أن ابدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الخنطة من سرعة الاستحالة وكيف لا يكون الامر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الاشياء فخال ما يتولد بأرض مصر من النبات والحيوان في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الامراض كحال سخافة أرضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة ولذلك أمكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الاشياء من حيث نسبتها ولم تبعدهن مشاكلتها أمكن حياتها (فاما) الاشياء الغريبة فانها اذا دخلت الى مصر تغيرت في اول لقاءها لهذا الهواء حتى اذا استقرت وألفت الهواء واستمرت عليه صحت مشاكلة لارض مصر \* قال وأما جنس ما يؤكل ويشرب بارض مصر فان الغلات سريعة التغير سخيفة متخلخلة تفسد في الزمان اليسير كالخنطة والشعير والعدس والحمص والبقلاء والجلبان فان هذه تسوس في المدة القليلة ليس اثنى من الاغذية التي تعمل منها لذاذة ما نظيره في البلدان الأخر وذلك أن الخبز المعمول من الخنطة بمصر متى لبث يوما واحدا بليته لا يؤكل وان كل لم يوجد له لذاذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة والسكنه يتكرج في الزمان اليسير وكذلك الدقيق وهذا خلاف أخبار البلدان الأخر وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل فيها فانها وشبكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير فاما ما يحمل من هذه الى مصر فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة أرض مصر الا أن ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بقاياصالحة فهذا حال الغلات (وأما) الحيوان الذي يأكله الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الاراضي في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملائم لطبائعهم والمجلوب كالكبش البرقية فالسفر يحدث في ابدانها خنلا ويبسا وأخلاطا لاتشاكل أخلاط المصريين ولهذا اذا دخلت مصر مرض اكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين (وأهل مصر) يشرب الجمهور منهم من ماء



النيل وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار وهي قريبة من مشا كلتهم  
 والمياه المخزونة فقل من يشربها بأرض مصر وأجود الأشربة عندهم الشمشى لان العسل  
 الذى فيه يحفظ قوته ولا يدعه يتغير بسرعة والزمان الذى يعمل فيه خالص الحر فهو  
 ينضجها والزيب الذى يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواء (وأما الحر) فقل من  
 يعصرها الا ويلقى معها عسلا وهي معتصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا  
 يختارون الشمسى عليها وما عدا الشمسى والتمر من الشراب بأرض مصر فردي لاخبر فيه  
 لسرعة استحالته من فساد مادته التبيد التمرى والمطبوخ والمزر المعمول من الخنطة\* وأغذية  
 أهل مصر مختلفة فان أهل الصعيد يفتنون كثيرا بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب  
 السكر ويحملونها الى انفساط وغيرها تتبع هناك وتؤكل وأهل أسفل الارض يفتنون كثيرا  
 بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك الى مدينة انفساط وغيرها فتباع هناك وتؤكل وكثير  
 من أهل مصر يكثرون أكل السمك طريا ومالحا وكثيرا يكثرون أكل الالبان وما يعمل  
 منها وعند فلاحهم نوع من الحبز يدعى كعكا يعمل من جريش الخنطة ويجفف وهو أكثر  
 أكلهم السنة كلها وبالجلمة فكل قوم منهم قد ابتنت أبدانهم من أشياء بأعيانها وألفها ونشأت  
 عليها الا أن الغالب على أهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير مزاجهم ما دامت جارية على  
 العادة وهذا أيضا مما يؤكدهم في السخافة وسرعة الوقوع في الامراض وأهل الريف  
 أكثر حركة ورياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح أبدانا لان الرياضة تصلب أعضاءهم  
 وتقويها وأهل الصعيد أخلاطهم أرق وأكثر دخانية وتخلخلا وسخافة لشدة حرارة أرضهم  
 من أسفل الارض وأهل أسفل الارض بمصر أكثر استفراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور  
 حرارة أرضهم واستعمالهم للأشياء الباردة والعليلة كالقلقاس (وأما أخلاط المصريين فبعضها  
 شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وأبدانهم سخيفة سريعة التغير قليلة الصبر  
 والجلد وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شئ الى شئ والدعة والجبن  
 والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والتهمة والكذب والسعي  
 الى السلطان وذم الناس وبالجلمة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة النفس  
 وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في أكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل  
 وحسن الخلق وبرأه من الشرور ومن أجل توليد أرض مصر الحين والشرور الدنيئة في  
 النفس لم تسكنها الاسد واذا دخلت ذلت ولم تتاسل وكلاهما أقل جراءة من كلاب غيرها  
 من البلدان وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره في البلدان الاخر ما خلا ما كان منها في  
 طبه ملامية لهذه الحال كالحمار والارنب \* وقال ان جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته  
 الاعتدال ويناقض من ظن أنه حار رطب ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الابدان



ويجود هضمها وتنتشر الحرارة الغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني لاعتدال الهواء وصفائه ومساواة ليله لنهاره وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه ببرد ظاهر ولا حر ولا رطوبة ولا يبس ويكون في نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط الحيوان وتمو الاشياء وتزيد وتتوالد واذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجده في وقت من السنة الا في أمشير وبرمات وبرمودة وبشنس عند ما تكون الشمس في النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور فانا نجد بمصر في هذا الزمان أياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بجزر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا يبوسة وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم والهواء ساكنا لا يتحرك الا أن يكون ذلك في برمودة وبشنس فانه يحتاج الى أن تهب ريح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن أصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهر وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل في أرض مصر يتقدم زمانه الطبيعي بمقدار ما يتقص عن آخره وعلّة ذلك قوة حرارة هذه الأرض وقد يعرض في أول هذا الفصل أيام شديدة البرد وذلك في أمشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلّة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتاء فاذا هبت ريح الشمال برد ببردها الهواء فاعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة ما يصعد من الأرض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء ويعود الى حاله في فصل الشتاء وربما برد الهواء من هبوب رياح آخر فان ريح الجنوب التي هي أشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان اكتسبت برودة من الأرض والماء اللذين قد بردهما هواء الشتاء فاذا مرت بشيء برده يبرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها أياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها وأسخت الهواء وأحدثت فيه يبسا والدليل على أن برد رياح الجنوب التي تعرفها المصريون بالمريسي يتولد من برد مياه مصر وأرضها لا بشيء طبيعي لها أنه لا يجتمع في الجو في أيام هبوبها الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب تفرق البرودة عن جمعه وتبدده في الهواء واذا دام هبوب هذه الريح أسخت الماء والأرض وعادت الى طبيعتها في الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي ويختلف هذا الاختلاف والهواء في الاصل بمصر يختلف بكثرة استحالته وما يرقى اليه من البخار فما ظنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطباء فيه سقي الادوية المسهلة الى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف في آخر بشنس وبؤنة وأيب وبعض مسرى عند ما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد وبعض السنبله فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان وتنجف الغلات وتنضج الثمار ويجتمع من أكلها في الابدان كيموسات



رديئة واذا نزلت الشمس في السرطان أخذ النيل في الزيادة والفيض على أرض مصر فيتعير  
 مزاج الصيف الطبيعي بكثرة ما يترقى الى الهواء من بخار الماء ويوجد في أول هذا الفصل  
 عند ما تكون الشمس في الجوزاء أيام يشا كل هواؤها هواء الربيع عند ما تكون الشمس  
 مستورة بالغيوم أو تكون الريح الشمال هابة ولهذا يغلط كثير من الاطباء ويسقى الادوية  
 المسهلة في هذا الزمان لظنه أن فصل الربيع لم يخرج الا من كان منهم أحذق فهو يختار  
 ما كان من هذه الايام أسكن حرارة والاكثر لا يشعرون البتة بهذه الحال \* وفي آخر  
 الصيف يكون فيض النيل فظاهر أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعي بقدر ما يتقدم  
 آخره وانه كثير الاضطراب بكثرة ما يرقى اليه من بخار الارض فلولا استمرار أبدانهم  
 على هذا الاختلاف ومشا كلهم لهذه الحال لحدثت فيهم الامراض التي ذكر ابقراط  
 أنها تحدث اذا كان الصيف رطبا \* ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسة من النصف  
 الاخير من مسرى ثم توت وبابة وبعض أيام هاتور وتكون الشمس في آخر السنبلة والميزان  
 والعقرب فتكمل زيادة النيل في أول هذا الفصل ويطلق على الارضين فيطبق أرض مصر  
 ويرتفع منه في الجو بخار كثير فينتقل مزاج الخريف عن اليبس الى الرطوبة حتى انه ربما  
 وقع فيه الامطار وكثرة الغيم في الجو ويوجد في هذا الفصل أيام شديدة الحر لانها  
 على الحقيقة ضعيفة فاذا بقي الجو من البخار الرطب عادت الى طبيعتها من الحرارة وفيه  
 أيضا أيام شديدة الشبه بأيام الربيع تكون عند ما يساوى الليل النهار ويرطب الماء بيس  
 الهواء ويشد في هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة ما يرتقى اليه من البخار الرطب فيكون  
 مرة حارا وأخري باردا ومرة يابسا وأكثر أوقاته يغلب عليه الرطوبة فلا يزال كذلك  
 يتزوج حتى يغلب عليه رطوبة الماء في آخر الامر ويصاد في أيام الخريف من النيل أسماك  
 كثيرة جدا يولد أكلها في الابدان أخلاطا لزجة وكثيرا ما يستحيل الى الصفراء اذا  
 صادت في البدن خلطا صفراويا فمن أجل ذلك يضطرب ما في الابدان من الروح الحيواني  
 وتهيج الاخلاط ويفسد الهضم في البطون والاوعية والعروق ويتولد من ذلك كيموسات  
 رديئة كثيرة الاخلاط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها بلغم لزج وبعضها  
 خلط خام وبعضها مرة محترقة وكثير منها يتركب من هذه الاشياء فثبير الامراض حتى  
 اذا انصرف النيل في آخر الخريف وانكشفت الارض وبرد الهواء وكثرت الاسماك  
 واحتقن البخار وكثيرا يرتفع به من الارض من العفونة واستحکم عند ذلك وجود العفن  
 تزايدت الامراض ولولا ألف أهل مصر لهذه الاشياء لسكان ما يحدث فيهم من الامراض  
 أكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتاء وطبيعته باردة رطبة من النصف الآخر من  
 هاتور ثم كهك وطوبية وذلك عند ما تكون الشمس في القوس والجدي وبعض الدولو



وذلك أقل من ثلاثة أشهر والعلّة في ذلك قوة حرارة أرض مصر وكون الابدان مضطربة  
وتسكف الارض في أول هذا الفصل وتحرث وتعفن بالجملة لكثرة ما يلقى فيها من البزور  
ومافها من أزبال الحيوان وفضوها ولانها سخيفة وهي كالحمأة في هذا الزمان فيتولد فيها  
من أنواع الفاروالدود والنبات والعشب وغير ذلك ما لا يحصى كثرة ويخل منها في الجو  
أبخرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات سآرا للابصار عن الالوان القريبة ويصاد أيضا من  
الاسماك المحبوسة في المياه الخزونة شيء كثير وقد داخلها العفن لقلّة حركتها فيولدا كلها  
في الابدان فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوي الامراض في أول هذا الفصل  
حتى اذا اشتد البرد وقوى الهضم في الابدان واستقر الهواء على شيء واحد وعادت الحرارة  
الغريزية الى داخل وتطبقت الارض بالنبات وسكنت عفوتها صحت عند ذلك الابدان وهذا  
يكون في آخر كهك أو في طوبة فقد استبان أن الفصول بارض مصر كثيرة الاختلاف وأن  
أردأ أوقات السنة عندهم وأكثرها أمراضا هو آخر الخريف وأول الشتاء وذلك في شهر  
هاتور وكهك فاذا اختلفت الفصول مشاكل لما عليه أرضهم من الرداءة فمضرة الفصول اذا  
بالابدان في أرض مصر أقل منها في البلدان الأخر اذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان  
أيضا أن السبب الأول في ذلك هو مدّ النيل في أيام الصيف وتطبيقه الارض في أيام الخريف  
بجلاف ما عليه مياه الأنهار في العمارة كلها فانها انما تمتد في أخص الاوقات بالرطوبة وهو  
الشتاء والربيع \* قال وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضائية بأرض مصر كثيرة وظاهر  
أن أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة فاني أنا قلما رأيت أمراضهم البلدية تكون  
من نوع هذه كلها لا يشوبها في أول أمرها البالغم واخلط الخمام والامراض كلها يحدث عندهم  
في الاوقات كلها كما قال أبقراط وأكثر أمراضهم هي الفضلية أعنى العفنة من أخلاط صفراوية  
وبلغمية على ما يشاكل مزاج أرضهم وما ذكرناه فيما تقدم بوجوب حدوث الامراض كثيرا  
الا أن مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفقها في سنة واحدة تمنع من أن تكون في نفسها ممرضة  
مقى لزمّت العادة فأما اذا خرجت عن عاداتها فهي تحدث مرضا وخروجها عن عاداتها بمصر  
هو الذي أعده اختلافًا ممرضا لا الاختلاف الموجود فيها على الدائم والنيل ليس يحدث في  
الابدان كل سنة مرضا ولكنه اذا أفرطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان ذلك  
سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت أبدان الناس بأرض مصر من السخافة على  
ما ذكرت فلعلها في مرض دائم فالجواب لسنا نبالي بهذا كيف كان لان المرض هو ما يضر  
بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط فن أجل ذلك ليس أبدان المصريين في مرض دائم  
ولسكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال أما أمراض مصر البلدية فقد ذكرنا من أمرها  
ما فيه كفاية وظهر أن أكثرها الامراض الفضلية التي يشوبها صفراء وخام على أن باقي



الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب وخاصة في آخر الخريف وأول الشتاء \* وأما الامراض الوافدة ومعنى المرض الوافد هو ما يعي خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذي يكثر معه الموت وحدوث الامراض الوافدة تكون عن أسباب كثيرة يجتمع في أجناس أربعة وهي تغير كيفية الهواء وتغير كيفية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية فالهواء تغير كيفية على ضربين أحدهما تغيره الذي جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا وليس تغيرا ممرضا والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد وكذلك الحال في الاجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون اما بأن يسخن أكثر أو يبرد أو يرطب أو يجفف أو يخالطه حال عفنة والحالة العفنة اما أن تكون قريبة أو بعيدة فان ابقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض واحد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة وتراقت الى الجو وانحدرت على اليونانيين فأحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وقد كثير قد أنهك أبدانهم طول السفر وساءت أخلاطهم فيخالط الهواء منها شيء كثير وبقع الاعداء في الناس ويظهر المرض الوافد والماء أيضا قد يحدث المرض الوافد اما بأن يفرط مقداره في الزيادة أو النقصان أو يخالطه حال عفنة ويضطر الناس الى شربه ويعفن به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم وهذه الحال تخالطه اما قريبا أو بعيدا بمنزلة ما يمر في جريانه بموضع جرب قد اجتمع فيه من حيف الموقى شيء كثير أو بمياه تقاطع عفنة فيحدرها معه ويخالط جسمه والاعذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها البرقان وارتفعت أسعارها واضطر الناس الى أكلها واما اذا أكثر الناس منها في وقت واحد كالذي يكون في الاعياد فيكثر فيهم التخمر ويمرضون مرضا متشابها واما من قبيل فساد مرعى الحيوان الذي يؤكل أو فساد الماء الذي يشرب والاحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سيرهم وتفكرهم في الخلاص منه وفي وقوع البلاء فيسوء هضمهم وتغير حرارتهم الغريزية وربما اضطروا الى حركة عنيفة في هذه الحال أو يتوقعوا تحط بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد في ادخار الاشياء ويشدد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشياء تحدث في أبدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد وظاهر أنه اذا كثر في وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من أبدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فاذا صادف بدنا مستعدا أمرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجربه العادة بعرض الهواء سواء كان مادة فساده من أرض مصر أو من البلاد التي تجاورها كالسودان والحجاز والشام وبرقة أو يعرض للنيل بأن تفرط



زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن أو تقل زيادته جدا فيجف الهواء عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديئة أو يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض مصر أو ببلاد السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم في الهواء فيعفنه ويتصل عفنه اليهم أو يسيل الماء ويحمل معه العفن أو يغلو السعير أو يلحق الغلات آفة أو يدخل على السكباش ونحوها مضره أو يلحق الناس خوف عام أو قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث في أرض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان أكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد وأقوى وأسرع في القتل \* قال فزراج أرض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بارض مصر كان أسخن وأقل عفنا في ماء النيل مما كان منها في الشمال ولا سيما من كان في شمال القسطنطينية مثل أهل البشمور فان طباعهم أغلظ والله عليهم أغلب وذلك أنهم يستعملون أغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الرديء \* وأما اسكندرية وتيس وأمثال هذه فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد عنهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم ولا يمرض لهم ما يمرض لاهل البشمور من غلظ الطبع والجمادية واحاطة البحر بمدينة تيس توجب غلبة الرطوبة عليها وما يسر أخلاق أهلها قال انه لما كانت أرض مصر وجميع ما فيها سخيفة الاجسام سريعا اليها التغير والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد حديثا لان قوته تعد باقية عليه لم تتغير كل التغير وان يجعل علاجه ملائما لما عليه الابدان بأرض مصر ويجتهد في أن يجعل ذلك الى الجهة المضادة أميل قليلا ويجنب الادوية القوية الاسهال وكل ماله قوة مفرطة وان نكاهة هذه الابدان سريعة سيما وأبدان المصريين سريعة الوقوع في النكايات ويختار ما يكون من الادوية المسهلة وغيرها ألين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق أبدانهم مضره ولا يقدم على الادوية الموجودة في كتب اطباء اليونانيين والفرس فان أكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الاخلاط وهذه الاشياء قلما توجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب أن يتوقف في اعطاء هذه الادوية للمرضى ويختار ألينها وينقص عن مقدار شرباتها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون ألين منه فيتخذ السكندنجين السكرى في مقام العسلي والجلاب بدلا من ماء العسل واعلم ان هواء مصر يعمل في المعجونات وسائر الادوية ضعفا في قوتها فأعمار الادوية المفردة والمركبة المعجون منها وغير المعجون بمصر أقصر من أعمارها في غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تقدير ذلك وتمييزه حتى لا يشتهه عليه شئ مما يحتاج اليه واذا لم يكتف في تنقية البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة فلا بأس باعادته بعد أيام فان ذلك أحمد من ايراد الدواء الشديد القوة في دفعة واحدة قال ولكون أرض مصر تولد في الاجسام سخافة وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الابدان



على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جداً فأما الابدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر في القرينة من الهيئة الفاضلة والطريق الاولى التي تدبر بها الابدان ان في الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر الى أن يدبر الهواء والغذاء والماء وسائر الاشياء تدبيراً يصير به في غاية الاعتدال ولان الهضم كثيراً ما يسوء بأرض مصر وكذلك الروح الحيواني فيجب صرف العناية الى مراعاة أمر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق وسائر الاعضاء الباطنة في تجويد الهضم واصلاح أمر الروح الحيواني وتنظيف الاوساخ الاححة وقال في شرح كتاب الارباع لطليموس وأما سائر أجزاء الربع الذي يميل الى وسط جميع الارض المسكونة أعني بلاد برقة وسواحل البحر من مربوط الى الاسكندرية ورشيد ودمياط وتينس والفرما وأسفل الارض بمصر ونواحي مدينة منف ومدينة الفسطاط وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر والفيوم الى أعلى الصعيد مما في غرب النيل وأرض الواحات وأرض النوبة والبجة والارض التي على البحر في شرقي بلاد النوبة والحبشة فان هذه البلاد موضوعة في الزاوية التي تؤثر في جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جملة النصف الغربي من الربع المعمور والكواكب الخمسة المتحيرة تشترك في تدبيرها فصار أهلها محيين لله ويعظمون الجن ويحبون التسوح ويدفنون موتاهم في الارض ويخفونهم ويستعملون سنن مختلفة وعادات وآراء شتى لميلهم الى الاسرار التي تدعو كل طائفة منهم الى أمر من الامور الخفية فيعتقده وبواقفه جماعة ومن أجل هذه الاسرار كان المستخرج للعلوم الدقيقة كالفنسة والتنجوم وغيرها في الزمان الاول أهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا ساسهم غيرهم كانوا اذلاء والغالب عليهم الجين والاستحذاء في الكلام واذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم طيبة وهمهم كثيرة ورجالهم يتخذون نساء كثيرة وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال وهم منهكون في الجماع ورجالهم كثير والنسل ونساؤهم سريعات الحمل وكثير من ذكر انهم تكون انفسهم ضعيفة مؤنثة \* وقال أبو الصلت وأما سكان أرض مصر فأخلاقهم من الناس مختلفو الاصناف والاجناس من قبط وروم وعرب واكراد وديلم وحبشان وغير ذلك من الاصناف الا أن جمهورهم قبط قالوا والسبب في اختلاطهم تداول الممالك لها والمتغلبين عليها من العمالقة واليونانيين والروم وغيرهم فلهذا اختلطت انسابهم واقتصروا من التعريف بأنفسهم على الاشارة الى مواضعهم والالتواء الى مساقطهم فيها وحيي أنهم كانوا في الزمن السالف عباد أصنام ومدبري هياكل الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على أرض مصر فتصروا وبقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم وبقى بعضهم على دين النصرانية وأما أخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات والاشتغال بالترهات والتصديق بالمخالات وضعف المنزائر



والعزيمات ولهم خبرة بالسكيد والمكر وفيهم بالفطرة قوة عليه وتلطف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملقق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخروا خصوصا بالافراط فيها دون جميع الامم حتى صار أمرهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضروبا وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي \* ألا نخذوا من ناصح بنصيب  
رماكم أمير المؤمنين بحية \* أأكل لحيات البلاد شروب  
فان يك باق افك فرعون فيكم \* فان عصا موسى بكف خصيب

قال مؤانر رحمه الله تعالى وقد مر لي قديما أن منطقة الجوزاء تسامت رؤس أهل مصر فلذلك يتحدثون بالاشياء قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلية ولهم في هذا الباب أخبار مشهورة (قال) ابن الطوير وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فما زالت محمية بالابدال المجردة اليها من العساكر والاساطيل والدولة تضعف أولا فأولا باختلاف الآراء فقلقت على الاجناد وكبر أمرها عندهم واشتغلوا عنها فضايقها الفرنج حتى أخذوها في سنة ثمان واربعين وخمسائة ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنين يحث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالامان\* ومن هذا الباب واقعة الكنائس التي للنصارى وذلك أنه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة كانوا نودى في إقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنائس فهدم في تلك الساعة بهذه المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى ومن هذا الباب واقعة الدمر وذلك أنه خرج الامير الدمر أمير جندار يريد الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت فتنة بمكة قتل فيها الدمر يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقاعة الجليل بأن واقعة كانت بمكة قتل فيها الدمر فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكثر الملك الناصر محمد بن قلاوون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة أخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين الدمر في ذلك اليوم الذي كانت الاشاعة فيه بالقاهرة قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن في الغربة وقد خرج اليها كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض غلماننا من القاهرة فأخبرنا أنه أشيع بأن فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل فيها الامير الدمر أمير جندار فقال له الامير علم الدين هل حضر أحد من الحجاز بهذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ماتحضر من منى بمكة الا نالت يوم بعد عيد النحر فكيف سمعت هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما أشيع (ووقع) لي في شهر



رمضان من شهور سنة احدى وتسعين وسبعائة أني مررت في الشارع بين القصرين  
 بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة تحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالسرك  
 واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب  
 من هذا كثير \* (ومن) اخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفاك ما قصه الله سبحانه وتعالى من  
 خبر يوسف عليه السلام ومرودة امرأة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من أهلها  
 عليها بما بين لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله استغفري لذنبك انك كنت  
 من الخاطئين \* وقال ابن عبد الحكم وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم  
 مع فرعون ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تمتق عبدها  
 وتزوجه وتزوّج الاخرى أجبرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئاً الا باذنهن  
 فأجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال فحدثني ابن طهية عن يزيد بن أبي حبيب  
 أن نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعن من مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال  
 أستأمر امرأتي وقال ان فرعون لما غرق ومعه أشراف مصر لم يبق من الرجال من يصلح  
 للمملكة فعد الناس في مراتبهم بنت الملك ملكة وبنت الوزير وزيرة وبنت النوالى وبنت  
 الحاكم على هذا الحكم وكذلك بنات القواد والاجناد فاستولت النساء على المملكة مدة  
 سنين وتزوجن بالعبيد واشترطن عليهم أن الحكم والتصرف لهن فاستمر ذلك مدة من  
 الزمان ولهذا صارت ألوان أهل مصر سمرا من أجل أنهم أولاد العبيد السود الذين نكحوا  
 نساء القبط بعد الغرق واستولد وهن وأخبرني الامير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد  
 ابن الغرابيلي السركي رحمه الله تعالى انه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في أخلاقه  
 وترخصا لاهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة ومما لم نزل نسمعه دائماً بين الناس ان شرب  
 ماء التيل ينسى الغريب وطنه \* ومن أخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب  
 فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون أغذية  
 كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن أخلاقهم الانهماك في الشهوات والامعان من الملاذ  
 وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه  
 الله تعالى أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله  
 عنه أنه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان وأخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق  
 الاشياء جعل كل شيء لشيء فقال العقل أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الخصب  
 أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك \*  
 ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أخلاق الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر  
 والتفاق والغني والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك



وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال  
 النفاق وأنا معك وقال الغني أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق  
 بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن ابن عباس رضى الله عنهما المكر عشرة أجزاء تسعة منها  
 في القبط وواحد في سائر الناس ويقال أربعة لا تعرف في أربعة السخاء في الروم والوفاء في  
 الترك والشجاعة في القبط والعمر في الزنج \* ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيد بن  
 غلب أ كيس الناس صغاراً وأجهلهم كباراً ( وقال المسعودي ) لما فتح عمر بن الخطاب رضى  
 الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب الى حكيم من حكماء العصر  
 انا لناس عرب قد فتح الله علينا البلاد وزيد أن نتبوا الأرض ونسكن البلاد والامصار فصف  
 لي المدن وأهويتها ومسكنها وما تؤثره التربة والاهوية في سكانها فكتب اليه وأما أرض مصر  
 فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومسكن الحيابرة ذمها أكثر من مدحها هواؤها كدر  
 وحرها زائد وشرها ما تدكر الالوان والفظن وترك الاحن وهي معدن الذهب والجوهر  
 ومقارس الغلات غير أنها تسمن الابدان وتسود الانسا وتتمو فيها الاعمار وفي أهلها مكر  
 ورياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لترادف فتنها واتصال  
 شرورها وقال عمر بن شبه ذكر ابن عبيدة في كتاب أخبار البصرة عن كعب الاحبار خير  
 نساء على وجه الأرض نساء أهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قریش  
 وشر نساء على وجه الأرض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمر ولما أهبط إبليس وضع  
 قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر أرض نجسة كالمراء العاذل يطهرها  
 النيل كل عام \* وقال معاوية بن أبي سفيان وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف فثلث ناس وثلث  
 يشبه الناس وثلث لا ناس فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس  
 فالموالى والثلث الذين لاناس المسالمة يعنى القبط

### ❦ ذكر شئ من فضائل النيل ❦

أخرج مسلم من حديث أنس رضى الله عنه في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال حجر واذا ورقها مثل أذان الفيلة قلت  
 ماذا يا جبريل قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت  
 ماهذا يا جبريل قال أما الباطنان فههران في الجنة وأما الظاهران فالتليل والفرات وفي التوراة وخاق  
 فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه وأخرج منه نهران فقسهما اربعة أجزاء حيحون  
 المحيط بأرض حويلا وسيحون المحيط بأرض كوش وهو نيل مصر ودجلة الآخذ الى  
 العراق والفرات \* وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال  
 نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا أراد الله أن يجبرى



نيل مصر أمر كل نهر أن يمدد فتمده الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيوناً فأجرته الى ما أراد الله عز وجل فاذا انتهت جريته أوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد ابن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه سأله كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبراً قال أى والذي فلق البحر لموسى انى لاجده في كتاب الله ان الله يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند جريته ان الله يأمرك أن تجري فيجرى ما كتب الله له ثم يوحى اليه بعد ذلك ينيل عد حيداً وعن كعب الاحبار أنه قال أربعة اناهار من الجنة وضعها الله في الدنيا النيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الحمز في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وسيحان نهر اللبن في الجنة وقال المسعودى نهر النيل من سادات الانهار وأشرف البحار لانه يخرج من الجنة على ماورد به خبر الشريعة وقد قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادته من غيضاها وغيضه من زيادتها وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحراً غير نيل مصر لكبره واستبحاره \* وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مؤمنان ونهران كافرين أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافرين فدجلة ونهر بلخ اتما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث والشجر بلاتعب في ذلك ولا مؤنة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان الا شيئاً قليلاً وذلك القليل بتعب ومؤنة فهذان في الخير والنتفح كالمؤمنين وهذان في قلة الخير والنتفح كالكافرين

#### ذكر مخرج النيل وانبعائه

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه نهر الهند افترق قطعاً كما تقدم وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج وهي مما يلي بلاد اليمن وبحر بربر وفي هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم وراء مهملة ويقال لهذه الجزيرة أيضاً جزيرة ملاي وطولها أربعة أشهر في عرض عشرين يوماً الى أقل من ذلك وهذه الجزيرة محاذى جزيرة سرديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قرية واليها ينسب الطائر القمري ويقال ان بهذه الجزيرة خشب يمت من الخشبية ساق طوله ستون ذراعاً يحذف على ظهره مائة وستون رجلاً وان هذه الجزيرة ضاقت بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر \* واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها تشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في آخر وهو كالدائرة لا يعرف له أول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم يكن استدارة كرية ولكنها استدارة احاطة وزعم قوم أن أمهات الجبال جيلان خرج أحدهما من البحر المحيط في المغرب آخذاً جنوباً وخرج الآخر من البحر الرومي آخذاً شمالاً حتى تلاقيا عند ( م - ١١ خطط )



السد وسموا الجنوبي قاف وسموا الشمالي قاقونا والاظهر أنه جبل واحد ومحيط بغالب بسيط المعمور وانه هو الذي يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قاقونا ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد أخذنا من وراء صنم الخط المشجوج الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذنا على غربي صين الصين ثم ينطف على جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقى لشعبة المحيط الخارجة الى بحر الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب وتبقى الظلمات من هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجائئة على جنوب الظلمات شرقا مغربا ومخرج البحر الهندي الجائئة على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتنفصيل السراويل ثم ينفرج برأس البحر من شعبتان على مبدا هذا الجبل ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة اربن عن شرقها وبعده منها خمس عشرة درجة ويقال لهذا الجبل في أوله المجرى ثم تمتد حتى تنتهي في القسم الغربي الى طوله الى خمس وستين درجة من أول المغرب وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب منه النيل وبه أحجار براقعة كالفضة تتلأأ تسمى ضحكة الباهت كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت ويسمي مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب تسمى اسيفي أهله كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب الى نهاية المغرب في البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سبع قرون طوال لاتطاق وينطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاب منها شعبتان الى خط الاستواء يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرق يعرف بجبل قاقول وينقطع عند خط الاستواء والغربي يعرف بادمرية يجرى عليه نيل السودان المسمى بحر الدمام وينقطع لتقاء مجالات الجبسة ما بين مدينة سفرة وحيمي وراء هذه الشعبة يمتد منه شعبة هي الام من الموضع المعروف فيه الجبل بأسيفي المذكور الى خط الاستواء حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك بجبل كرسقا به وبه وحوش ضارية ثم ينتهي الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء السكرور عند مدينة قلمتورا ووراء هذا الجبل السودان يقال لهم تتم بأكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل البحر الشامي في شماله شرقي رومية الكبرى مسامتا للشعبة المماة أدممه المنقطعة بين سمعرة وحيمي لا يكاد يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشأ اتصال هذه الام على عرض خمسين درجة وكذلك تقع شعبها الآخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرها ما بين سردانة وبلنسية وتنتهي وصلة هذه الام الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانيية



وتبقي سوسية داخل الجبل ثم تمد هذه الام بعد انقطاع لطيف وينعطف انعطاف خرجة البحر المحيط في المغرب على الصقلب المسماة ببحر الانفالشين ممتداً الى غاية المشرق ويسمى هناك بجبل قاقونا ويسمى وراءه البحر جامدا لشدة البرد ثم ينعطف من الشمال الى المشرق جنوبا بتقريب الى كتف السد الشمالي فيتلاقى هناك الطرفان وينهما في الفرجة المنفرجة سوى ذو القرنين بين الصدفين وفي جودة القمر ثلاثة أنهار أحدها في شرقها من انطورا ومعلا وثانيها في غربها ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سبا ويأخذ مارا على مدينة فردرا ونجر هناك بحيرة في جنوبها مدينة كما حيث محمل السودان الذين يأكلون الناس وثالثها في غربها أيضا ويخرج من الجبل المشبه ماء محدودب الذيل يطوف بمدينة دها فتبقي مدينة دها في جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا ويصبر لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي وتقع مدينة قواره في غربيه حيث يصب في البحر الهندي \* ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم تقراوش الحدار بن مصر بن مصر بن دواييل بن عرباب بن آدم عليه السلام الى أرض مصر ومعه عدة من بني عرباب واستوطنوها وبنوا بها مدينة أمسوس وغيرها من المدائن حفروا النيل حتى أجروا ماء اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينقطع ويتفرق في الارض حتى وجه الى النوبة الملك تقراوش فهندسوه وساقوا منه أنهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها وساقوا منه نهر الى مدينة أمسوس ثم لما خربت أرض مصر بالطوفان وكانت أيام البودشير بن فقط بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام عدل جاني النيل تعديلا ثانيا بعد ما أتلفه الطوفان \* قال الاستاذ ابراهيم ابن وصيف شاه فملك البودشير ونجر وهو أول من تكمن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت أسماءه أشمن وأتريب وصا ملوكا على أحيازهم الا أنه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كما تجبر أبوه على من قبله لانه كان أكبرهم وكذلك أغضوا عنه فيقال أنه أرسل هرمس السكاهن المصري الى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك التماثيل النحاس وعدل البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل ويقال أنه الذي عدل جاني النيل وقد كان يفيض وربما انقطع في مواضع وهذا القصر الذي فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقدوم صاب مدورة وقنوات يجري فيها الماء وينصب لها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعلها قياسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى بطيحتين ويخرج منهما حتى ينتهي الى البطيحة الجامعة للماء الذي يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير



من الماء الذي يكون معه الصلاح بأرض مصر وينتفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلاثون أصبعا وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشاهاها الى مسارب يخرج ويصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التي يمر عليها \* قال وكان الوليد بن درمع العمليقي قد خرج في جيش كثيف ينتقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقها منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان أمرها قد صار الى النساء وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسار اليها بعده واستباح أهلها وأخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها ثم سرح له أن يخرج ليقف على مصب النيل فيعرف ما بحافته من الائم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج في جيش عظيم فلم يمر بأمة الا أبداها ومر على أمم السودان وجاوزهم ومر على أرض الذهب فرأى فيها قصبانا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزته حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمي جبل القمر لان القمر لا يطالع عليه لانه خارج من تحت خط الاستواء ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمر في طرايق وأهوار دقاق حتى ينتهي الى حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى حظيرة أخرى فاذا جاوز خط الاستواء مدته عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والاسماك التي مثل أسماك النيل ووجد الوليد بن دومع القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس الاول في وقت البودشير بن قطيريم بن قبطيم بن مصرام وقد ذكر قوم من أهل الأثر ان الانهار الاربعة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيحون وجيحون والفرات والنيل وأن تلك الارض من أرض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد وأنها قبل أن تسلك البحر المظلم أحل من العسل وأطيب رائحة من الكافور ومن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حايد وقال آخرون تقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا للامم وقال آخرون هذه الانهار من ثلوج تشكاف وبذيها الحر فتسيل الى هذه الانهار وتسقى من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جيسل القمر رأى جبلا عاليا فعمل حيلة الى أن صعد اليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الاسود الزفتي المنن ونظر الى النيل يجري عليه كالانهار الدقاق فأنسه من ذلك البحر رواثع منتنة هلك كثير من أصحابه من أجلها فأسرع النزول بعد أن كاد



يهلك \* وذکر قوم أنهم لم يروا هناك شمسا ولا قرأ الا نورا أحمر كنور الشمس عند غيابها وأما ما ذكر عن حاید وقطعه البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدمه منه شئ وكان فيما يذكر نيبا وأوتي حكمة وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال انه أقام يمشى عليه ثلاثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا وأقام الوليد في غيبته أربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر فاستبد أهلها واستباح حریمهم وأموالهم وملسكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسثموه الى أن ركب في بعض أيامه متصيدا فالتقاه فرسه في وهدة فقتله وأستراح الناس منه ( وقال ) قدامة بن جعفر في كتاب الخراج انبعث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار كل خمسة منها تصب الى بطيحة ثم يخرج من كل بطيحة نهران وتجرى الانهار الاربعة الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع الیهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهر غانة وبحر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وبلادينه وهم طائفة من السودان بين كاتم والنوبة فاذا بلغ دفقة مدينة النوبة عطف من غربها وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطبه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجبال \* وقال المسعودي رحمه الله تعالى رأيت في كتاب جعفر النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من أنقى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء منهما جاريا فيمر برمال هناك وجبال ويخرق أرض السودان فيما يلي بلاد الزنج فيتسعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى يأتي أسوان من صعيد مصر \* وقال في كتاب هردسوس نهر النيل مخرجه من ريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير في وسطه جزيرة وآخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقى أرض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الحيل ثم يغيب في الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يسار البحر المحيط على قفار الحبشة ثم يميل على اليسار الى أرض مصر فيحرق ما يظن بهذا النهر أنه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيناه قال ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه خفي ولكن ظاهر اقباله من أرض الحبشة ويصير له هناك محبس عظيم مجراه اليه مائتا ميل وذکر مخرجه حتى ينتهي الى البحر قال وكثيرا ما يوجد في نهر النيل التماسيح واقبال النيل من أرض الحبشة ليس يختلف فيه أحد وعدة أمياله من مخرجه المعروف الى موقفه مائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثون ميلا وماء النيل عكر مرمل



عذب وفيّ انتهى والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عند انتهاء مراكب التوبة انحسارا  
ومراكب الصعيد اقلاعا وهناك حجارة مخرسة لا مرور للمراكب عليها الا في أيام زيادة  
النيل ثم يأخذ على الشمال فيكون على شرفه أسوان من الصعيد الاعلى ويمر بين جبلين  
يكشفان أعمال مصر أحدهما شرقي والآخر غربي حتى يأتي مدينة فسطاط مصر فتكون في  
بره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فرقتين فرقة تمر حتى تصب في بحر  
الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر الشرق والفرقة الاخرى هي عمود النيل ومعظمه  
يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب في بحر الروم أيضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة في  
قديم الزمان \* ويقال ان مسافة النيل من منبعه الى أن يصب في البحر عند رشيد سبعمائة  
وثمانية وأربعون فرسخا وأنه يجري في الخراب أربعة أشهر وفي بلاد السودان شهرين  
وفي بلاد الاسلام مسافة شهر \* وذهب بعضهم الى أن زيادة ماء النيل انما تكون بسبب  
المد الذي يكون في البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضي ووضع في ذلك  
كتابا حاصله ان حركة البحر التي يقال لها المد والجزر توجد في كل يوم وابلة مرتين وفي  
كل شهر قرى مرتين وفي كل سنة مرتين فالمد والجزر اليومي تابع لقرص القمر ويخرج  
الشعاع عنه من جنوبي جرم الماء فاذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد وكذا  
اذا كان القمر في وتد الارض فاذا بزغ القمر طالعا من الشرق أو غرب كان الجزر والمد  
الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال له الامتلاء أيضا عند  
الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون أيضا في وقتين عند تربع القمر للشمس في سابع  
الشهر وفي ثاني عشره \* والمد السنوي يكون أيضا في وقتين أحدهما عند حلول الشمس  
آخر برج السنبلة والآخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت فان اتفق أن يكون ذلك  
في وقت الامتلاء أو الاجتماع فانه حينئذ يجتمع الامتلاء الشهري والسنوي ويكون عند  
ذلك البحر في غاية الفيض لا سيما ان وقع الاجتماع أو الامتلاء في وسط السماء ووقع مع  
النيرين أو مع أحدهما أحد الكواكب السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكب فصاعدا  
مع أحد النيرين تزايد عظم الفيض وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وزاد أيضا  
نهر مهران فان كان الاجتماع أو الامتلاء زائلا عن وسط السماء وليس مع احد النيرين  
كوكب فان النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التي تثير المياه ويكون  
بمصر في السنة الغلاء والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس برأس الجدى والسرطان  
فأما المد اليومي الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط أكثر  
من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرفه  
هو الجزر وكذلك الاودية اذا كانت الارض مهددة والمد الشهري ينتهي الى أقاصي البحار



وهو يمسكها حتى لا تنصب في البحر المحيط وحيث ينتهي المد الشهري فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه وأما المد السنوي فانه يزيد في البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر مهران والديتلو الذي ببلاد الهند ( قال ) ولما جاء ارسطو الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم ان من المحال ان يكون النيل في اسوان واد من الاودية وكلما اسجل اتسع حتى ان عرضه في أسفل ديار مصر لينتهي الى مائة ميل عند غاية الفيض وله أفواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من الميزان في ذلك الصنع فرأى محالاً أن يكون الوادي بحيث يضيق أسفله عن حمل ما يأتي به أعلاه مع ضيق أعلاه وسعة أسفله فلما رأى ذلك قال ان رياحا تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندر ان من المحال ان يكون الريح يردع الماء السائل في الوادي حتى يفيض أكثر من مائة ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان المساء ينفلت من أسفل الوادي ويسيل الى البحر لان البحر لا يمسك إلا أعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل في أفواه تلك الشوارع التي تفضي الى البحر فيعثر بها شبه الردم فيفيض قال وأغفل ان الرمل جسم متداخل فلما يخله وينفذه سائلاً الى البحر مع أن الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر للحس والماء سائل في كل حين على حلق تينس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية فقطنوا الاستحالة كونه سائلاً عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهم استقصوا الهواء واستقصوا الارض وأغفلوا الاستقصاء الثالث الذي هو الماء لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلاثة أشهر فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم للحس ولذلك وضع أمير مصر المقياس بديار مصر \* قال والمد كله واحد وهو أن القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس لارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض سخنها كما تسخن الشمس الهواء المحيط فيعثرى الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء فيفيض وينمو بخارته كالمرآة المحرقة الملهية للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المرآة والشمس فهذا مثاله في المقابلة ومثاله في المسرار كون الزجاج المملوء ماء يلقى الشعاع الى حلقها فتحترق القطنة أيضاً فالقمر جسم نوري باكتسابه ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض خرج عن جانبي الماء شعاع نافذ يمر مع جنبي الماء فيسخن ما يقابله فينمو الماء جسم شفاف عن جانبيه يخرج الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاج فيحدث لها نور يسخن الهواء الذي يحيط بالزجاجه أو بالارض فيقترف الماء شبه تسخين ينمو به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتد القمر فهذا هو المد دائماً ويستدير باستدارة الفلك وتدويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمد الشهري هو أن يقابل القمر الشمس أو يستتر تحتها لانه ليس الاكون القمر قبالة الشمس لكونه في تربيعة الشمس أضعف وفي



المقابلة أقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة الارض بحيث تكون الحركة أشد والاكتشاف للماء والارض أعم فذلك هو المد السنوي

فصل في الرد على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض

أما العمامة فليس عندهم مايجي على وجه الارض انه سيل ومن تفتن الى عظمه واتساعه في أسفله وضيقه في أعلاه ولم ينظر الى ماء ولا أرض ولا هواء نسب ذلك الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذي زعم أن الماء يسافر من كل أرض وموطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض في الحريف والعيون والآبار في ذلك الوقت يقل ماؤها والنيل يكثر فرأوا كثرة وقلة فأضافوا أحدهما الى الآخر بالخيال ومما يدلك على أنه ليس عن سيل يفيض أن السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لسكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع ( ومنها ) أن فيض النيل على تدرج مدة ثلاثة اشهر من حلول الشمس رأس السرطان الى حلولها بآخر برج السنبلة والناس يحسبون به قبل فيضه بمدة شهرين ولعامل مصر في وسط النيل مقياس موضوع وهو سارية فيها خطوط يسمونها اذرا يعلم بها مقدار صعوده في كل يوم ( ومنها ) أن فيضه أبدا في وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلاف بعض الاختلاف ( ومنها ) أنه قد يجي السيل في غير هذا الوقت فلا يفيض ( ومنها ) أن الحدائق بمصر اذا رأوا الحر يزيد علموا أن النيل سيزيد لان شدة الحر تذيب الهواء فيذبوب الماء ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودنو نور ( ومنها ) أن موضع مصبه من أسوان انما هو واد من الاودية وما أسجل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحو من مائة ميل وأسوان هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل مسيره نصف شهر لان نسبة بين مصب أعلاه واسفله كيف كان يكون أعلاه لو كان امتلاء اسفله عن السيل ( ومنها ) أن أهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبة ويحافظون عليه بالنهار محافظة فاذا جن الليل أخذوا حقة خزف فوضعوا فيها مصباحا ثم يضعونه على حجر معد عندهم لذلك وجعلوا يرقبونه فاذا طفي المصباح يطفو الماء عليه علموا أن الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم بأخذه في الجزر فيكتبوا بذلك الى أمير مصر يعلموه أن الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم وأنهم قد أخذوا بقسطهم من الشرب فينشد يأمر بكسر الاسداد التي على أفواه قرص المشارب فيفيض الماء على أرض مصر دفعة واحدة ( ومنها ) أن جميع تلك المشارب تسد عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من الماء العذب في النيل ويكثر ويم جميع أرضهم ويمنع بجماعته دخول الماء الملح عليه فلو كان سيلا ما احتاج الى ذلك وافتحت له أفواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره ( ومنها ) أن الخليجان اذا سدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل من جنبه الى البحر اذا أسفل النيل اوسع



وأخفض من أعلاه (ومنها) أن ماء البحر يصدأ أكثر من عشرين ميلا في حاق رشيد  
وتيس ودمياط كما يفعل في سائر الاودية التي تدخل المد والجزر فلو كان النيل خاليا من  
الماء العذب وصل البحر من أسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الماء يطلب بطبعه ما انخفض  
من الارض وأن يكون في صفحة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط متساوية  
(ومنها) انها اذا فتحت تلك الاسداد وكسرت الخليج وفاض النيل على بطائع أرض مصر  
شعر بذلك أهل اسوان للحين وقالوا في هذه الساعة كسرت الخليج وفاض ماء النيل على أرض  
مصر لان ذلك يتبين لهم بتحول الماء دفعة فلو كان سيلا وهم على أعلى المصب لقالوا قد ارتفع  
المطر عن الارض التي يسيل منها السيل (ومنها) أن قسيمة الذي يمر ببلاد الحبشة المنبعث  
واياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة أشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه  
لكنه اذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها واذا نصبت مادته أردع عليه فلو  
كان فيض النيل عن السيل وهما من شعب واحد لكان شأنهما واحدا ولا نقول ان فيض  
النيل بسبب فيض البحر فقط اذ لو لا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر اليه ولما كان شاطي  
ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولو لا السيل السائل فيه لردمه البحر اذ عادة البحر  
ردم السواحل وانما دخل الشك على أهل مصر في أيام النيل لانهم لم يشاهدوا منشأه ولا  
عابنوا مبداه من جبل القمر لانه في موضع لا ساكن عليه ولا محققوا المد السنوي  
الرادع له فلم يتحققوا شيئا من أمره لانه بعيد من أذهان العامة أن يعلموا أن ماء البحر  
يعظم في أيام الصيف لان المعهود عندهم في البحر أن يعظم في أيام الشتاء وطمو البحر في  
الشتاء انما يكون عن الرياح الهابة عليه من أحد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الآخر  
الاما كان من البحر المحيط فانه يتحرك أبدا من داخل البحر الى البر وهو أن المحيط يطلب  
بطبعه أن يكون على وجه الارض والارض ليست بسيطة فهي تمانه بما فيها من التركيب فهو  
يطلب أبدا أن يعملوها ويركها بيردها قال والسبب في عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا  
زاحت الشمس والقمر والكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت  
الانهار وكذلك اذا نهض القمر لمقابلة أحد السيارة ارتفع البخار وصدت الى كورة الزمهرير  
ونزل المطر فاذا فارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون في نصف  
النهار عند توسط الشمس لرؤس الخاق وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على  
وسط خط أرين والله تعالى أعلم بالصواب (قال مؤلفه رحمه الله تعالى الذي تحصل من هذا  
القول أن النيل يخرج من جبل القمر وان زيادته انما هي من فيض البحر عند المد فاما كون  
مخرجه من جبل القمر فلم اذلا نزاع في ذلك وأما كون زيادته لا تكون الا من ردع البحر  
له بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم توالي هبوب الرياح الشمالية على وفور الزيادة وردع  
(٢ - ١٢ خطط)



البحر له اعانة على الزيادة ومن تأمل النيل علم أن سيلا سال فيه ولا بد فانه لا يزال أيام الشتاء وأوائل فصل الربيع ماؤه صافيا من السكررة فاذا فرغت أيام زيادته وكان في غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في اناء يرسب منه شبه أجزاء صغيرة من طحلب وسبب ذلك أن البطيخة التي في أعالي الجنوب تردها الفيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت أمطار الجنوب في فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيخة فاض منها ما تغير من الماء وجرى الى أرض مصر فيقال عند ذلك توحم النيل ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ويزاد عكزه بزيادة الماء فاذا وضع منه أيام الزيادة شي في اناء رسب بأسفله طين لم يهد فيه قبل أيام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تنصب في النيل حتى تكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والافارض مصر سبخة لا تنبت ولا ينبت منها الا ما مر عليه ماء النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لسكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم وأن العادة أن السيول التي عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وأمطار الجنوب لا تكون الا في أيام الصيف ولم يهد قط زيادة النيل في الشتاء وأول دليل على أن كون زيادته عن سيل يسيل فيه انما يزيد بتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول وانما استدلاله بصب النيل في أسوان واتساعه أسفل الارض فاما ذلك لانه يصب من علو في منحرق بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبطح في الارض حتى يصب في البحر فانتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط وأما قوله ان الاسداد اذا كثرت فاض الماء على الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الماء عند كسر كل سد من الاسداد في خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى الخليج الى بناء على جانبيه من الاراضي حتى يروى من تلك الاراضي ما يروى سرىا ومنها ما يروى بعد أيام ومنها مالا يروى لعلوه وأما قوله ان جميع تلك المشارب تستد عند ابتداء صعود النيل ليجتمع ما يسيل من المساء في النيل ويكثر فيعم جميع أرضهم ويمنع بجماعته دخول الماء المالح عليه فقير مسلم أن تكون السداد كما ذكر بل أراضي مصر أقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة والاراضي متفاوتة في الارتفاع والانخفاض تفاوتا كثيرا ولذلك احتيج في بلاد الصعيد الى حفر الترع وفي أسفل الارض الى عمل الجسور حتى يجسب الماء ليروى أهل النواحي على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والا فهو يزيد أولا في غير سقى الاراضي حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذي هو كفاية الاراضي في وقت خلو الاراضي من الغلال وذلك غالبا في اثناء شهر مسرى فتح سد الخليج حتى يجرى فيه الماء الي حدم معلوم ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذي وقف عنده الماء من الارض



ثم فتح ذلك الحد في يوم النيروز حتى يجرى الى حد آخر ويقف عنده حتى يروى ماتحت هذا الحد الثاني من الاراضى ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد النوروز بسبعة عشر يوما حتى يجرى الماء ويقف على حد نالك حتى يروى ماتحت هذا الحد من الاراضى ثم يفتح هذا الحد فيجى الماء ويروى ما هنالك من الاراضى ويصب في البحر المالح هذا هو الحال في سدود اراضى مصر وقوله ان ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وسينس ودمياط فلو كان خاليا من الماء العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فنقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر فان النيل عند مصبه بأعلى اسوان يكون أعلى منه عند كونه أسفل الارض بقامات عديدة فاذا فاض ماء البحر حبسه أن يتدافع هو وماء النيل وربما غلب ماء البحر ماء النيل في أيام نقصان النيل حتى يملح ماء النيل فيما بين دمياط وفارس كور وأما في أيام زيادة النيل فاني شاهدت مصب النيل في البحر من دمياط وكل منهما يدافع الآخر فلا يطيقه حتى صارا متمايزين عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسداد اذا فتحت علم اهل اسوان بذلك في الحال غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل في الاعوام الكثيرة اذا فتح منه خليج أو اقطع مقطع فأغرق ماؤه اراضى كثيرة لا يظهر النقص فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع وما برح المفرد يخرج من قوص بشاردة وفاء النيل وقد أوفى عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفي ذلك المقياس بمصر الا بعد ثلاثة أيام ونحوها وأما قوله ان ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة يخالفه فليس كذلك بل الزيادة في النيل أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وما وراءها في الجنوب كما تكون في أرض مصر ولا فرق بينهما الا في شئين أحدهما أنه في أرض مصر يجرى في حدود وهناك يتبدد على الاراضى والثاني أن زيادته تعتبر بالقياس في أرض مصر وهناك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن أمطار الجنوب \* ويقال ان النيل ينصب من عشرة أمار من جبل القمر المتقدم ذكره كل خمسة اناهار من شعبة ثم تتبخر تلك الانهار العشرة في بحرين كل خمسة اناهار تتبخر بحيرة بذاتها ثم يخرج من البحيرة الشرقية ببحر لطيف يأخذ شرفا على جبل قاقولى ويمتد الى مدن هناك ثم يصب في البحر الهندي ويخرج من البحيرتين ستة اناهار من كل بحيرة ثلاثة اناهار وتجتمع الانهار الستة في بحيرة متسعة تسمى البطيحة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيحة وهو نيل السودان ويصير نهرا يسمى بحر الدمامم ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبي سمغرة وشمالى غانة ثم ينطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا الى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل في جنوبها خارج خط الاستواء الى زفيلة ثم تتبخر في بحيرة هناك وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط شمالى مدينة قلبتو ويخرج النصف



الآخر متشاملا آخذا على الشمال الى شرقي مدينة حيا ثم يتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقا الى مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا ثم تعطف شرقا بجنوب الى مدينة سحرتة ثم الى مدينة مرکه وينتهي الى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة ويتجر هناك بحيرة ويسمى عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي مدينة شيمي متشاملا آخذا على اطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان الى مدينة دنقلة حتى يرمي على الجنادل الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد الى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب في البحر الشامي وقد استفيض ببلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سود بين على بعد كان عليها الغمام ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما في البحر المحيط الى جهة بحر الظلمة الجنوبي والآخر يتصل الى مصر حتى يصب في البحر الشامي ويقال انه في الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل في صحراء منقطعة ثم تجتمع الأنهار السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهر واحد في بلاد السودان

### ذكر مقاييس النيل وزيادته

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زبا وهي صاحبة حائط العجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخيم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة انوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها قال يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل زيادته الى النسب \* وقال القاضي كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبني مقياسا بمنف وهو أول مقياس وضعه عليه السلام وقيل ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة الى أن بني مقياس منف وان القبط كانت تقيس عليه الى أن بطل ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع وآخر باخيم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر وقيل انهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاص فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقياسارية الاكسية ومعلمه هناك الى أن ابني المسامون بين الحصين والبحر أنبتهم الباقية الآن وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف الباب يمينا من دخل منه في داخل الزقاق أثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحواليه \* ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا باسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بانصنا فلم يزل يقاس عليه الى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذرع فاما المقياس القديم الذي بنى في الجزيرة فالذي وضعه أسامة بن زيد وقيل انه كسر فيه أنى أوقية وهو الذي بنى بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التنوخي عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه فكتب اليه سليمان بأن يبني مقياسا في الجزيرة فبناه في سنة سبع وتسعين ثم بنى المتوكل فيها مقياسا



في أول سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن يعزل التصاري عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله التركي على المقياس أبا الرداد المعلم وأسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الرداد المؤذن كان يقول القمى أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير في كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك الوقت في يد أبي الرداد وولده الى اليوم وتوفي أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين \* ثم ركب احمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضي فنظر الى المقياس وأمر باصلاحه وقدر له ألف دينار فعمرو وبني الحارث في الصناعة مقياسا وآثره باق لا يعتمد عليه \* وقال ابن عبد الحكم ولما فتح عمرو ابن العاص مصر أتى أهلها الى عمرو حين دخل بؤنة من أشهر المعجم فقالوا له أيها الامير ان نيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذلك قالوا انه اذا كان لثنتي عشرة ليلة مخلوم من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من أبويها فارضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلبي والثياب أفضل ما يكون ثم أقمنا في النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة وأيب ومسرى وهو لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجللاء فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب اليه عمر ان قد أصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فألقها في داخل النيل اذا أتاك كتابي فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قلبك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك ففسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تميا أهل مصر للجللاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل وأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ايلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر \* وذكر بعضهم ان جاحلا الصدفي هو الذي جاء ببطاقة عمر رضي الله عنه الى النيل حين توقف فخرى باذن الله تعالى وقال يزيد بن أبي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فخبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجللاء فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك ليلة الصليب فاصبحوا وقد أجراه الله في تلك الساعة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام قال القضاعي ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار وأن الاحتكار



يدعو الى تصاعد الاسعار بغير قحط فكذب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال فاجابه  
انى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يفتح أهلها أربعة عشر ذراعا والحد الذى يروى منه  
سأرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا والنهياتان  
المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنا عشر ذراعا في النقصان وثمانية عشر  
ذراعا في الزيادة هذا والبلد في ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عند ما تسلموه من  
القبط وخميرة العمارة فيه فاستشار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عليا رضي الله عنه في  
ذلك فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياسا وأن ينقص ذراعين من اثني عشر ذراعا وأن يقر  
ما بعدها على الاصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا أصبعين ففعل ذلك وبناه  
بحلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الارجاجف وزوال مامنه كان يخاف بأن جعل  
الاثني عشر ذراعا اربع عشرة لان كل ذراع اربع وعشرون أصبعا فجعلها ثمانية وعشرين  
من أولها الى الاثني عشر ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثني عشر ثمانية واربعين أصبعا وهى  
الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانية عشرة والثمانية عشرة عشرين\*  
(قال) القضاعى وفي هذا الحساب نظر في وقتنا لزيادة فساد الانهار وانقراض الاحوال وشاهد  
ذلك أن المقياس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها اربع وعشرون أصبعا كل ذراع  
والمقياس الاسلامية على ما ذكر منها المقياس الذى بناه أسامة بن زيد التبوخي بالجزيرة وهو  
الذى هدمه الماء وبنى المأمون آخر بأسفل الارض بالبروذات وبني المتوكل آخر بالجزيرة  
وهو الذى يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره\* (قال) ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان  
الماء فى اثني عشر يوما من مسرى انقضى عشرة ذراعا فى سنة ماء والا فلما ناقص واذا تم  
ست عشرة ذراعا قبل النوروز فلما يتم فاعلم ذلك وقال أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو  
من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يتبدى في التزايد في شهر أيب  
والمصريون يقولون اذا دخل أيب كان للماء ديب وعند ابتداءه في التزايد يتغير جميع  
كفياته ويفسد والسبب في ذلك مروره بتقاع مياه آجنة يخالطها فيجتلبها معه الى غير ذلك  
تما يحمته فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر أصبعا واحدا كسر الخايخ  
ولكسره يوم معدود ومقام مشهود وجمتمع خاص يحضره العام والخاص فاذا كسر فتحت الترع  
وهى فوهات الخلجان ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى أعلى مساكنهم  
من الضياع والمنازل وهى على آكام ووربالاتهتهى الماء اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود ارض مصر  
بأسرها عند ذلك بحر اغامرا لما بين جبلها ريثما يبلغ الحد المحدود في مشيئة الله عز وجل له  
وأكثر ذلك يحوم حول ثمانية عشرة ذراعا ثم يأخذ عائدا في صبه الى مجرى النيل ومسره فينضب أولا  
عما كان من الارض عاليا ويصير فيما كان منها متطامنا فيترك كل قرارة كالدرهم ويقادر كل



ملقة كالبرد المسهم وقال القاضي أبو الحسن على بن محمد الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية  
وأما الذراع السوداء فهي أطول من ذراع الدور بأصبع وثاني اصبع وأول من وضعها أمير  
المؤمنين هارون الرشيد قدّرها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائماً وهي التي تتعامل الناس  
بها في ذرع البرز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر \* وأكثر ما وجد في القياس من النقصان  
سنة سبع وتسعين ومائة وجد في المقياس تسعة أذرع وأحد وعشرون اصبعاً وأقل ما وجد  
منه سنة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد وعشر أصابع وأكثر ما بلغ في الزيادة  
سنة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر اصبعاً وأقل ما كان في سنة  
ست وخمسين وثمانمائة الهاليسية فانه بلغ اثني عشر ذراعاً وتسع عشرة اصبعاً وهي أيام كافور  
الاخشيدي \* والمقياس عمود رخام أبيض منمن في موضع يحصر فيه الماء عند انسيابه اليه  
وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً  
متساوية تعرف بالاصابع ماعدا الاثني عشر ذراعاً الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين اصبعاً  
كل ذراع \* وقال المسعودي قالت الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك  
بتوالي الانواء وكثرة الامطار \* وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من  
عيون كثرت واتصلت \* وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه يراها من سافر  
ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت بحبسه فيفيض على  
وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن وذلك انها تحمل السحاب  
الماطر من خلف خط الاستواء فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة فيأتي مدده الى  
أرض مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان البحر الملح يقف مأوّه على وجه النيل فيتوقف حتى  
يروى البلاد وفي ذلك يقول

فاسمع فلاسمع أعلى يدا \* عندي وأسمى من يد المحسن

فالنيل ذو فضل ولكنه \* الشكر في ذلك للملتن

ويبتدىء النيل بالتنفس والزيادة بقية بؤنة وهو حزير ان وأيب وهو تموز ومسرى  
وهو آب فاذا كان الماء زائداً زاد شهر توت كله وهو أيلول الى انقضاءه فاذا انتهت الزيادة  
الى الذراع الثامن عشر ففقه تمام الخراج وخصب الارض وهو ضار بالهائم لعدم الرعي  
والسكلا \* وأتم الزيادات كلها العمامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعاً وفي ذلك كفايتها  
وري جميع أرضها واذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعاً وغلقها استبحر من أرض  
مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة  
على ثمانية عشر ذراعاً كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء وأكثر الزيادات ثمان عشرة  
ذراعاً \* وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز اثني عشر ذراعاً ومساحة الذراع الى أن يبلغ



اثنتي عشرة ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ومن اثنتي عشرة ذراعا الى مافوق ذلك يكون  
 الذراع اربعا وعشرين أصبعا وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفي تلك  
 السنة يكون الماء قليلا والا ذرع التي يستقى عليها بمصر هي ذراعان تسميان منكرا ونكيرا  
 وهي الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر فاذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة  
 نصف ذراع من الخمس عشرة استسقى الناس بمصر فكان الضرر الشامل لكل البلدان واذا  
 تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان  
 ذلك نقصا من خراج السلطان والنبيد يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كانون الثاني بعد  
 الغطاس وهو لعشرة تمضى من طوبة وأصفي ما يكون ماء النيل في ذلك الوقت وأهل مصر  
 يفتخرون بصفاء ماء النيل في هذا الوقت وفيه يخزن الماء أهل تيس ودمياط وتونة وسائر  
 قرى البحيرة \* وقد كانت مصر كلها تروي من ست عشرة ذراعا غامرها وعامرها لمسا  
 أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان الماء اذا بلغ في زيادته تسع أذرع  
 دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا \* قال والمعمول عليه في  
 وقتنا هذا وهو ستة خمس وأربعين وثلاثمائة انه ان زاد على الستة عشر ذراعا أو نقص عنها  
 نقص من خراج السلطان وقد تغير في زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور  
 والترع والخلجان وقانونه اليوم انه يزيد في القيقظ اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد  
 والسنبلة حين تنقص عامة الانهار التي في المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمدد بمائها عند  
 غيضا فتكون زيادته وتبتدى الزيادة من خامس بؤنة وتظهر في ثاني عشره وأول دفعه في  
 الثاني من أيب وتنتهى زيادته في ثامن بابه ويأخذ في التقصان من العشرين منه فتكون مدة  
 زيادته من ابتدائها الى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما وهي أيب ومسرى  
 وتوت وعشرون يوما من بابه ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوما ثم يأخذ في التقصان \*  
 ومن العادة أن ينادي عليه دائما في اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعد ما يؤخذ قاعه وهو  
 ما بقى من الماء القديم في ثالث عشر بؤنة ويفتح الخليج الكبير اذا اكمل الماء ستة عشر  
 ذراعا وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من أصبع من عشرين وكنا نعهد الماء اذا بلغ أصابع  
 من عشرين ذراعا فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلايع وهانحن في زمن  
 منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثلاثمائة اذا بلغ الماء في سنة أصبعا من عشرين لا يع الأرض  
 كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى ما بعد الخمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر  
 ذراعا في مقياس الجزيرة وهي في الحقيقة ثمانية عشر ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك  
 ذراعا واحدة زاد خراج مصر مائة ألف دينار لما يروى من الاراضي العالية فان بلغ ثمانية عشر  
 ذراعا كانت الغاية القصوى فان الثمانية عشر ذراعا في مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا



في الصعيد الاعلى فان زاد على الثمانية عشر ذراعا واحدا نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستبحر من الارض المنخفضة \* قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع وبلغ الماء الباب الجديد أوصل الشارع خارج القاهرة وكان الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل الى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وسأله عن السبب فاخرج له كتابا فاذا فيه اذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعدها فرض الحافظ في آخر هذه السنة ومات في أول سنة أربع وأربعين وخسمائة \* وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة ست وسبعين وخمسمائة وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الاول وهو السادس عشر من مسرى وفي النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن متقدم وهذا أيضا مما تغير فيه قانون النيل في زماننا فانه صار يوفي في أوائل مسرى ولقد كان الوفاء في سنة أنتى عشرة وثمانمائة في اليوم التاسع والعشرين من أيب قبل مسرى بيوم وهذا من أعجب ما يؤرخ في زيادات النيل واتفق أن في الحادى عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعمائة وفي النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوما قال وفي ناسع عشره يعنى شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحراي المنجى وباشر الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه أصبعا وهي الاصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى فانظر كيف يسمى القاضي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل في سنة هذا القدر فقط لحل البلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس وما ذاك الا لما أهمل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الري في القديم واستمر ذلك الى يومنا هذا ويخذ ذلك اليوم عيداً يركب فيه السلطان بعساكره وينزل في المراكب لتخليق المقياس \* وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى ان يوم الوفا هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى ( قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضجى ) وقد جرت العادة أن اجتماع الناس لتخليق يكون في هذا الوقت \* ومن أحسن السياسات في أمر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق في سيرة العزيز لدين الله قال وفي هذا الشهر يعنى شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل وأن لا يكتب بذلك الا اليه والى القائم جوهر فلما تم أباح النداء يعنى لما تم ست عشرة ذراعا



وكسر الخليج فتأمل ما أبدع هذه السياسة فان الناس دائماً اذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلاً يقلقون ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر ويجهدهم من عنده مال في خزن الغلة اما لطلب السعر أو لطلب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فان زاد الماء انحل السعر والا كان الجذب والتحط ففي كتابان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة وقال المسيحي في تاريخ مصر وخرج أمر صاحب القصر الى ابن حيران بخرير ما يستفتح به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تضحى من خزائن الله لا تفتى زاد الله في النيل المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه فتقول عامة أهل مصر قد توحم النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر ويقال في سبب اخضراره أن الوحوش سبب الفيلة ترد البطيحات التي في أعلى النيل وتستمتع فيها مع كثرة عددها لشدة الحر هناك فيتغير ماء تلك البطيحات فاذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقانه عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات تخرج ما كان فيها من الماء الذي قد تغير ومر الى مصر وجاء عقيقه الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمراً لما يخالطه من الطين الذي تأتي به السيول فاذا تناهت زيادته غشى أرض مصر فتصير القرى التي في الاقاليم فوق التلال والروابي وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل اليها الا في المراكب أو من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها اذا عملت كما ينبغي ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتي ينتهي ري كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا تكامل ري ناحية من النواحي قطع أهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها في أوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهد به قوانين كل ناحية من النواحي فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى في زماننا هذا وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة تلك الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على عملها ري البلاد الذي به مصالح العباد وستقف ان شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من أعمال القدماء ومن بعدهم في ذلك وكان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم لكنس مجارى الماء خمسون ديناراً في كل سنة تطلق لابن أبي الرداد

ذ ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل

اعلم أنه كان في النيل جسر من سفن فيما بين الفسطاط والجزيرة يعرف اليوم بالروضة وكان فيما بين الجزيرة والجزيرة أيضاً جسر في كل جسر منها ثلاثون سفينة



ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي مَاءِ النَّيْلِ مِنْ مَدْحٍ وَذَمٍّ

قال الرئيس أبو علي بن سينا عفا الله عنه وقوم يفرطون في مدح النيل افرطاشديدا ويجمعون محامده في أربعة بعد منبعه وطيب مسلكه وغوره وأخذته الى الشمال عن الجنوب فأخذته الى الشمال عن الجنوب ملطف لما يجري فيه من المياه وأما غوره فيشاركه فيها غيره قال فأفضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن مياه العيون الحرة الارض التي لا يغلب على تربتها شيء من الاحوال والكيفيات الغربية أو تكون حجرية فتكون أولى بأن لا تعفن عفونة الارضية لكن التي هي من طينة حرة خير من الحجرية ولا كل عين حرة بل التي هي مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما يكسب الجارية فضيلة وأما الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداءة لا تكسبها بالغور والستر\* واعلم أن المياه التي تكون طيبة المسيل خير من التي تجرى على الاحجار فان الطين يبقى الماء ويأخذ منه المعزجات الغربية ويروقه والحجارة لا تفعل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيله حرا لاحماة ولا سبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمرا شديد الجرية يحيل لكثرة ما يخالطه الى طبيعته فان كان يأخذ الى الشمس في جريانه فيجري الى المشرق وخصوصا الى الصيف منه فهو أفضل لا سيما اذا بعد جدا من ميدانه ثم ما يتوجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب ردىء خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذي يجدر من مواضع عالية مع سائر الفضل أفضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل أنه حلو ولا يحتمل الحمر اذا مزج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتخلخله باردا في الشتاء حارا في الصيف لا يغلب عليه طعم البتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشرايف سريعا هري ما هري فيه وطبخ ما يطبخ فيه قال الرئيس علاء الدين على ابن أبي الحرم بن نفيس في شرح القانون هذه الحماد التي ذكرها ليست علامات للحماد بل هي من الاشياء الموجبة لكونه محمودا وأحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة فئاؤه أعظم دائرة في الارض بالاثمئة درجة وستين وابتداء هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقة من أول العمارة من جهة المغرب وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخمسين دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشر درجة وعشرين دقيقة بما به أعظم دائرة في الارض ثلثمائة وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من أعين فيه ترمي كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون



دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحد وثلاثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من البحيرتين أربعة أنهار ترمي الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الأنهار الثمانية في بحيرة وفي هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة نهر آخر ابتداءه من غير مركزها على خط الاستواء كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من أول العمارة بالمغرب ثلاث وأربعون درجة ويلقى نهر هذه العين لنهر النيل حيث البعد من أول العمارة بالمغرب ثلاث وأربعون دقيقة وإذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلد يقال له شظوف يفرق هناك الى نهرين يريان الى البحر المالح أحدهما يعرف ببحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندرية وتانيهما يعرف ببحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يفرغ منه نهر يعرف ببحر اشمون يرمي الى بحيرة هناك وباقيه يرمي الى البحر المالح عند دمياط وزيادة النيل هي من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله أعلم (واعلم) أن الموزون من الدستورات المتسججة من حال الماء فان الاخف في أكثر الاحوال أفضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سينا من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجدد ذلك قد اجتمع في ماء النيل \* فأوله أن ماء النيل عين تمر على أراضي حرة ولا يغلب على ترابه ما يبر به شيء من الاحوال والكيفيات الردية كعادن النفط والشب والاملاح والسكراريت ونحوها بل يمر على الاراضي التي تنبت الذهب بدليل ما يظهر في الشطوط من قراضات الذهب وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربحوا منه مالا وفضيلة كون الذهب في الماء لانكر \*

الثاني أن النيل في جريانه أبدا مكشوف للشمس والرياح \* الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر على أراضي حرة ويظهر لك ذلك من عطرية روائح الطين اذا نديته بماء \* الرابع غمورة ماء النيل وشدة جريته التي تكاد تقصف العمدة اذا اعترضتها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها \* الخامس بعد مبدا خروجه من مصبه في البحر المالح وقد تقدم من طول مسافته مالا نجد في نهر غيره من أنهار المعمور \* السادس انحداره من علو فان الجنوب مرتفع عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجبال انحط من أعلى جبل مرتفع الى وادي مصر \* وذكر ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله البجلي حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله ببليسة فذكره الى أن قال وماؤنا يمتنع أن يجري من علو فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الماء السمن أي ما كان



ظاهراً على وجه الأرض والسّم الماء على وجه الأرض وكل شئٌ علا شيئاً فقد تسنمه مأخوذ من سنام البعير لعلوه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ومزاجه من تسنيم أى يمزج بما ينزل من علو \* السابع أنه يمر من الجنوب الى الشمال فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائماً \* الثامن خفته في الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه تخف عنها في الوزن \* التاسع عذوبة طعمه وحسن أثره في هضم الغذاء واحداً عن المعدة بحيث أنه يحدث بعد شربه جشاء وهذه صفات ان كنت ممن مارس العلم الطبيعي وعرف الطب فانه يعظم عندك قدر ماء النيل وتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه \* ويقال ان ذا القرنين كتب كتاباً فيه ماشاهده من عجائب الدنيا فضمنه كل أعجوبة ثم قال في آخره وليس ذلك بمعجب بل العجب نيل مصر وقال بعض الحكماء لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدرج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عنها عند بدء الزراعة لفسد أقليم مصر وتمذر سكانه لانه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية تم أرضه الا بعض أقليم الفيوم والله در القائل

واها لهذا النيل أى عجيبة \* بكر بمثل حديثها لا يسمع  
يلقى الثرى في العام وهو مسلم \* حتى اذا ما مل عاد يودع  
مستقبل مثل الهلال فدهره \* أبداً يزيد كما يريد ويرجع  
وقال آخر

كان النيل ذوفهم ولب \* لما يبدو لعين الناس منه  
فيأتي حين حاجتهم اليه \* ويمضى حين يستقنون عنه  
وقال تميم بن المعتمر

يوم لنا بالنيل مختصر \* واسكل يوم مسرة قصر  
والسفن تجري كالخيول بنا \* صعدوا جيش الماء منحدر  
وكأنما أمواجه عكن \* وكأنما داراته سرر  
وقال أيضاً أما ترى الرعد بكى واشتكى \* والبرق قد أومض واستضحكا  
فاشرب على غيم بصنع الدجى \* يضحك وجه الأرض لما بكى  
وانظر لما النيل في مده \* كأنما صندل أو مستكا  
وقال آخر والله مجرى النيل منه اذا الصبا \* أرينا به من برها عسكريا بحرا  
بشط ينهر السمهرية دبلا \* وموج ينهر البيض هندية بترا  
اذا مرَّ حاكى الورد غضاوان صفا \* حكي ماء لونا ولو بعده مرا  
وقال أبو الحسن محمد بن الوزير في تدرج زيادة النيل وعظم منفعة



أرى أبدا كثيرا من قليل \* وبدرا في الحقيقة من هلال  
 فلا تعجب فكل خليج ماء \* بمصر مسيب بخليج مال  
 زيادة أصبع في كل يوم \* زيادة أذرع في حسن حال  
 وقال الشهاب احمد بن فضل الله العمري

بمصر فضل باهر \* لعيشها الرغد النضر  
 في سفح روض يلتقي \* ماء الحياة والخضر  
 وقال ابن قلاؤس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة \* وانظر لما بعدها من حمرة الشفق  
 غابت وألقت شعاعا منه يخلفها \* كأنما احترقت بالماء في الفرق  
 ولللهلال فيها وافي لينفدها \* في أثرها زورق قد صيغ من ورق  
 وقال بشر الملك ابن المتجم

يارب سامية في الجوقت بها \* أمد طرفي في أرض من الافق  
 حيث الغشيمة في التمثيل معنزل \* اذا رآها جيان مات للفرق  
 للشمس غاربة للغرب ذاهبة \* بالنيل مصفرة من هجمة العسق  
 ولللهلال انعطاف كالسنان بدا \* من سورة الطعن لامن دمة الشفق

قال القاضي الفاضل رحمة الله تعالى عليه وأما النيل فقد ملأ البقاع وانتقل من الاصبع الى  
 الذراع فكأنما غار على الارض فغطاها وأغار عليها فاستقمدها وما تحطأها فما يوجد بمصر  
 قاطع طريق سواد ولا مرغوب مرهوب الا اياه \* ونيل مصر مخالف في جريه لغالب  
 الانهار فانه يجري من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الانهران فانهما يجريان كما  
 يجري النيل وهما نهر مكران بالسند ونهر الاربط وهو الذي يعرف اليوم بنهر العاصي في  
 حماه أحد مدائن الشام \* وقد عاب ماء النيل قوم قال ابو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة  
 النبطية وأما ماء النيل فمخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر  
 وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من الشمس أنها أحرقته لا كل الاحراق بل أسخنته  
 اسخانا طويلا لينا لا تزعبه الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد أجزاءه الرطبة وتبقى أجزاءه  
 الراسخة بل يمتد على فصار ماؤه لذلك حلوا جدا وصار كثرة شربه يعفن البدن ويحدث  
 البثور والدمامل والقروح وصار أهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى استفراغ  
 الدم عن أبدانهم في كل مدة قصيرة فمن كان عالما منهم بالطبيعة فهو يحسن مداراة نفسه حتى  
 يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل والا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثور والدمامل  
 وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر المياه قد صير له الطبخ قواما هو أثن من قوام



الماء فصار اذا خالط الطعام في الابدان كثر فيها الفضول الردية العفنة فيحدث من ذلك ما ذكرناه ودواء أهل مصر الذي يدفع عنهم ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفسامة الحامضة القابضة وأخذ الادوية المستفرغة للفضول ولو زادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبخها له لصار مالحا بمنزلة ماء البحار الراكدة التي لاحتركة لها الاوقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو أوفق للزروع والمنابت من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بأهم كثيرة من السودان ثم بصير الى ارض مصر وقد غسل ما في بلاد السودان من العفونات والاوساخ ويشق مارا بوسط أرض مصر من الجنوب الى الشمال الى أن يصب في بحر الروم ومبدأ زيادته في فصل الصيف وتنتهي زيادته في فصل الخريف ويرتقى في الجو منه في أوقات مده رطوبات كثيرة بالتحلل الخفي فيرتبب ذلك بيبس الصيف والخريف واذا مد النهر فاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الاوساخ نحو جيف الحيوانات وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه التفاع وأحدر جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطبها بمقدار كثير من أجل سخافتها وباض فيه من السمك الذي تربى فيه وفي مياه التفائع ومن قبل ذلك تراه في أول مده يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه التفائع العفنة التي قد اجتمع فيها العرمرض والطحلب واخضر لونها من عفنها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره مثل الحمأة واذا صفا اجتمع منه في الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكرة وهذا من أوكد الاشياء في ظهور رداءة هذا الماء وعضنه وقد بين بقراط وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما لطفته الشمس بمياه الامطار ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر وهو في الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط به عفونات أرض مصر زاد ذلك في استحالته ولذلك يتولد منه من أنواع السمك شيء كثير جدا فان فضول الحيوانات والنبات وعضونة هذا الماء وبيض السمك يصير جميعها موادا في تكوّن هذه الاسماك كما قال ارسططاليس في كتاب الحيوان وذلك شيء ظاهر للحس فان كل شيء يتعفن يتولد من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الدود والفأر والثعابين والعقارب والزناير والذباب وغيرها بأرض مصر كثيرا فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وأنها ذات أجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديان وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول الصيف من جهة الفسائط فيعفن بكثرة ما يلتقي فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن يصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تقيرا محسوسا وينبغي أن يستقى ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه أشد والعضونة فيه أقل ويصفي كل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه أما المحرورون في أيام الصيف فبالطباشير والطين الارمني والمقرة والتبقي المرصوص والزعرور المرصوص والحل وأما المبرودون في أيام الشتاء فباللوز المر وداحل



نوى المشمش والصعتر والشب وينبغي أن ينظف مبروق ويشرب وان شئت أن تصفيه بأن  
تجمعه في آنية الخرف والفخار والجلود وما يوصل من ذلك بالرشح وان شئت طبخته بالنار  
وجعلته في هواء الليل حتى يروق ثم نظفت منه مبروق واستعملته\* واذا ظهرت فيه كيفية  
رديات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء في برودة الليل وصفه بأخلاق الادوية التي ذكرتها  
وأجود ما أخذ هذا الماء أن يصفى مرارا وذلك بأن يسخنه أو يطبخه ثم يبرده في هواء الليل  
ويقطع مبروق منه فتصفيه أيضا ببعض الادوية ثم تأخذ مبروق فتجمعه في آنية تحصل  
في برد الليل وتأخذ بالرشح قشره واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخرف والفخار  
المعمولين في طوبة والظروف الحجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفي الشتاء الآنية الزجاج  
والمدهون وما يعمل في الصيف من الفخار والخرف ويكون موضعه في الصيف تحت الاسراب  
وفي محاريق ربح الشمال وفي الشتاء بالمواضع الحارة ويبرد في الصيف بأن يخلط معه ماء الورد  
ويؤخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طباشير ويزر رجلة أو خشخاش أبيض أو طين أرمني أو مغرة  
ويلقى فيه كما يأخذ من ردها ولا يخالطه جسمها وتغسل ظروفه في الصيف بالخرف المدقوق وبدقيق  
الشعير والباقلاء والصندل وفي الشتاء بالاشنان والسعد ويخر بالمصطكي والعود وأردأ ما يكون  
ماء النيل بمصر عند فيضه وعند وقوف حركته فعند ذلك ينبغي أن يطبخ ويبالغ في تصفيته  
بقلوب نوى المشمش وسائر ما يقطع لزوجه وأجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد  
ومن أجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه حتى صار كثير منهم  
يخزنه في القوارير الزجاج والصيفي ويشربه السنة كلها ويزعم أنه لا يتغير وصاروا أيضا  
لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص<sup>١</sup> وأما أنت فلا تسكن الى ذلك وصفه  
على أي حالة كان فإلى الخزون لا بد أن يتغير فهذا ما عندي من دم ماء النيل وحاصله  
أن الماء تتغير كفيته بما يمر عليه لا أن ذاته ردية فلا يهولك ما تسمع فما الامر الا ماقلت  
لك واذا كان الضرر بحسب ما تفسر من كفيته لا من كميته فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول  
ما يخالطه من الكيفيات الردية والله الموفق بمنه وكرمه

### ذكر عجائب النيل

ومن عجائب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار  
النوبة ومسافة ما بين دنقلة الى أول بلد علوة أكثر مما بين دنقلة واسوان وفي ذلك من  
القرى والضياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والسكرم أضعاف ما في  
الحياب الذي يلي أرض الاسلام\* وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الحيات  
والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش وماء النيل ينطف من هذه النواحي الى  
مطلع الشمس<sup>١</sup> والى مغربها مسافة أيام حتى يصير الصعيد كالنحدر وهي الناحية التي تبلغ



العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشتكة وهي بلد معروف بشنقير ومنه يخرج القمري و فرس البحر يكثر في هذا الموضع \* وحدثني سيمون صاحب عهد علوة أنه أحصى في جزيرة سبعين دابة منها وهي من دواب الشطوط في خلق الفرس في غاظ الجاموس قصيرة القوائم لها خف وهي في ألوان الخيل بأعراف وآذان صغار كآذان الخيل وأعناقها كذلك وأذنانها مثل أذنان الجواميس ولها خرطوم عريض يظن الناظر اليها أن عليها مخلاة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح وتعرض المراكب عند الغضب فتقرقها ورعيا في البر العشب وجلدها فيه مائة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى \* وهو كفرس البر الا انه أكبر عرفا وذنباً وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجتته أكبر من الحمار بقليل وهو يأكل التمساح أكلا ذريعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الماء وزا على فرس البر فيتولد بينهما فرس في غاية الحسن \* واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة نخرج من الماء فرس أدهم عليه فقط بيض فزا على الحجرة فحملت منه وولدت مهرا عجيب الصورة فطمع في مهر آخر فجاء بالحجرة والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من الماء وشم المهر ساعة ثم وثب الى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتهدد ذلك المسكان كثيرا فلم يعد الفرس ولا المهر اليه \* (قال المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها من شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فمات ذلك وقد ذكرها جالينوس وأنها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدا من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحري الذي يحدث الخدر وزعم قوم أنه اذا أدنى من رأس من يشتكي الصداع سكن صداعه وان أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته أصلحها ولكن أنا جربت الامرين جميعا فلم أجده يفعل ولا واحدا منهما ففكرت اني أدنيته من رأس المصدوع والحيوان ماهو حي لانني ظننت أنه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته ينفع مادام حيا قال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة اذا وضعت على الرأس الذي عرض له الصداع المزمع سكن شدة وجهه واذا احتمله ذو المقعدة التي تبرز الى خارج أصلحها وقال يونس الزيت الذي يطبخ فيه يسكن أوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به قال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعالها في تخدير ماسكها كقفل رعاد مصر أو أشد الا انها لا تؤكل البتة وقال بعضهم اذا علققت المرأة شيئاً من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة ان تفارقه \* والسقنقور وهو صنف



يتولد من السمك والتبساح فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس وذنب التمساح سخيف مضرس ويتعالج بشحم السقنقورا للجماع ولا يكون بمكان الا في النيل وفي نهر مهران من أرض الهند ولقد بلغني أن أقواما شووها وأكلوا منها فأتوا كلهم في ساعة واحدة \* والسقنقور قال ابن سينا هو ورن يصاد من نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح وأجود ما يصطاد في الربيع وقال آخر انه فرخ التمساح فاذا خرج من البيض فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن البيطار هو جنس من الجراد يجفف في الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذي يلي كلاءه بشراب انهض الجماع وهو شديد الشبه بالورن يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسمى في البر ويدخل في الماء يعني النيل ولهذا قيل له الورن المائي لشبهه به ولدخوله في الماء وهو يتولد من ذكر وأنثى ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقهما وموضعهما وانه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في الرمل ولذلك من السقنقور احليلان وللانثى فرجان والسقنقور يعض الانسان ويطلب الماء فان وجده دخل فيه وان لم يجده بال وتمرغ في بوله واذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان سبق المعضوض الى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء وتمرغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم المعضوض والافضل الذكر منه والابلغ في نفع البسه بل هو المخصوص بذلك دون الانثى والمختار من أعضائه مايلي أصل ذنبه ومحاذي سرته والوقت الذي يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هائجا للسفاد فيكون في هذا الوقت ابلغ نفعا فاذا أخذ ذكي في يوم صيده فانه ان ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع رأسه وظرف ذنبه من غير استئصال ويشق جوفه طولا ويأقي ما فيه الا كلاءه ويكسه فاذا نظف حشوي ملحاً وخيط الشق وعلق منكوسا في ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فساده ثم يرفع في اناء متخرقة للهواء كالسلاسل المضفورة من قضبان شجر الصفصاف والحوص ونحوه الى وقت الحاجة ولحمه طريا حار رطب والجحف أشد حرارة وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وانما يوافق ذوي الامزجة الباردة الرطبة وخاصة لحمه وشحمه انهض شهوة الجماع ويهيج الشبق ويقوى الانعاط وينفع أمراض العصب الباردة وخاصة مايلي سرته ومحاذي ذنبه وينفع مفردا ومركباً واستعماله مفرداً ابلغ والمقدار منه بعد تخفيفه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت الحاضر يسحق ويذاب بشراب أو ماء العسل أو نقيع الزبيب أو يذر على صفرة بيض الدجاج التيمرشت ويحسى وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم الى درهمين وذر على صفرة البيض بمفرده أو مع مثله بزر جرجير مسحوق ولا يوجد السقنقور



الا في بلاد الفيوم خاصة وأكثر صيده في الاربعينات اذا اشتد البرد وخرج من الماء الى البر حينئذ يصاد \* وقال المسعودي والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك أنه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولى عائداً الى الماء فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك الذي قد رعاه شيئاً في ممره واذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية واذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبدرا مبسوفاً فإكله ثم يعود الى الماء فاذا شرب منه ربا الترمس في جوفه وانتفخ فينشق جوفه منه ويموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى به تمساح وهو على صورة الفرس الا أن حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجهته واسمة \* وقال المسيحي ان الصنف المعروف بالبطني من اصناف السمك أوّل ما عرف ببنيل مصر في أيام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله في النيل وظهر في أيامه أيضاً سمك يعرف بالبيس وانما سمي بالبيس لانه يشبه البسوري الذي بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن أنها من أسماك البحر الملح دخلت في الحلو \* ومن حيوان البحر التمساح قال ابن البيطار التمساح حيوان معروف يكون في الانهار الكبار وفي النيل كثيراً ويوجد في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورن الثيبلي وقال ابن زهران كل حيوان يحرك فكاه الاسفل اذا أكل ما خلا التمساح فانه يحرك فكاه الاعلى دون الاسفل وشحم التمساح اذا عجن بالسمن وجعل فيه فتيلة وأسرج في نهر أو أجمة لم ينمق ضفادعها مادامت تقدون طيف بجلد تمساح حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد في تلك القرية واذا عض التمساح انسانا فوضع على العضة شحم التمساح برأ من ساعته وان لطح بشحمه جهة كبش نطاح نقر كل كبش ينطحه وهرب منه ومرارته يكتحل بها للبياض في العين فيذهبه وكبده ينجر بها المجنون فيبرأ وزبل التمساح يزيد البياض من العين الحديث والقديم وان قلمت عيناه وهو حي وعلقت على من به جذام أو قفه ولم يزد عليه شيء وان علق شيء من التي بالجانب الايمن على رجل زاد في جماعه وعينه اليمنى لمن يشككي عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشككي عينه اليسرى وشحمه اذا أذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد في الباه واذا أخذ دم التمساح وخلط به هليلج وأملج وطلى به على الوضغ أذهبه وغير لونه واذا طلى به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا أكل لحمه أسفيد باجا سمن



البدن النحيف وشحمه اذا قطر بعد أن يذاب في الاذن الوجعة نفعها وان أد من تقطيره في الاذن نفع من الصمم واذا دهن به صاحب جمى الربع سكنت عنه وللمهردى الكيموس وقال المسعودي وكذلك التماسح آفته من دويبة تكون في سواحل النيل وجزائره وهو أن التماسح لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دودا فاذا أذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرافه فينقض اليه طير الماء وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة قد كمت في الرمل فتنب الى حلقه وتصير الى جوفه وتخرج فيخبط بنفسه الى الارض ويطلب قبر النيل حتى تأتي الدويبة على حشو جوفه ثم تحرق جوفه وتخرج وربما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب ويقال ان يجيال فسطاط مصر طاسم ممول بها وكان التماسح لا يستطيع القرب حوله بل كان اذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فيبعث به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدينة ثم يعود مستويا ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطاسم كسر فبطل فعله ويقال ان التماسح بيض كبيض الاوز وربما تولد فيه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة أذرع وتزداد طولاً كلما عمرت والتماسح يرتعش ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للتفاض

ذكر طرف من مقدمة المعرفة بحال النيل في كل سنة

قال ابن رضوان في شرح الاربعة وقد يحتاج أمر النيل الى شروط منها أن تكون الامطار متوالية في نواحي الجنوب قبل مده وفي وقت مده ولذلك وجب أن يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين في مدخل الصيف كثير الزيادة لرطوبة الهواء ومتى كان المريخ أو بعض المنازل في ناحية الجنوب في مدخل الربيع أو الصيف كان قابلاً لقللة الامطار في تلك الناحية ومنها أن تكون الرياح شمالية لتوقف جريه فأما الجنوبية فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في ناحية الجنوب من كثرة الامطار أو قلتها وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصل الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب والجذب وقال أبو سامر بن يونس المنجم عن بطليموس اذا أردت أن تعلم مقدار النيل في الزيادة والتقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت أحوالها جيدة وهي برية من النحوس فالنيل يمتد وتبلغ الحاجة به وان كانت أحوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفة فانكس القبول فان ضعف بعضها وصلاح البمض توسط الحال في النيل والضابط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل وضعفه على توسطه وانحاسها أو احتراقها أو وقوعها في بعدها الا بعد من الارض على التقص وانه قليل جدا الا أن احتراق الزهرة في برج الاسد يستزل الماء من الجنوب وقال



أبو معشر ينظر عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهره وعطارد والقمر فان كانت في سيرها الاكبر فان زيادة النيل عظيمة وان كانت في سيرها الاوسط فاعرف كم أكثر مسيرها وكم أقله وانسبه بحسب مآراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها في مسيره الاكبر وبعضها بطيء السير فغلب أقواها وامزج الدلالة وقل بحسب ذلك \* وقالت القبط ينظر أول يوم من شهر برمودة ما الذي يوافقه من أيام الشهر العربي فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل من الاذرع في تلك السنة قالوا ومن المعتبر أيضاً في أمر النيل أن تنظر اليوم الذي تفسر فيه النمصارى اليعاقبة بمصر وما بقي من الشهر العربي فزد عليها أربعاً وثلاثين فما بلغ أسقطه اثني عشر فان بقي بعد ذلك الاسقاط من العسدد زيادة على اثني عشر فهو زيادة النيل من الاذرع في تلك السنة مع الاثني عشر وان بقي اثني عشر فهي سنة رديئة قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربي موافقاً لشهر أبيب والقمر في برج العقرب فان كان مقارناً لقب العقرب كان النيل مقصراً والا فهو جيد قالوا وينظر أول يوم من بؤنة فان هبت الريح شمالاً في بكرة النهار كان النيل عالياً وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت آخر النهار كان نيلاً قاصراً وان لم تهب لم يطلع تلك السنة وقيل يعتبر هكذا أول خميس من بؤنة \* ومن المعتبر الذي جربته أنا سنين وأخبرني بعض شيوخنا أنه جربه وأخبره به من جربه فصح أن ينظر أول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فمسا بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة ومما اشتهر عند أهل مصر وجربته أيضاً فصح أن يؤخذ قبل عيد ميكايل بيوم في وقت الظهر من الطين الذي مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء وترفع في اناء مغطى الى بكرة يوم عيد ميكايل وتوزن فما زاد على وزنها من الخراب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر عدد ذلك الخراب لسكل خروبة ذراع ومن ذلك أخذ شيء من دقيق القمح وعجنه بماء النيل في اناء فخار وقد عمل من طين مر عليه النيل وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكايل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اختمر بنفسه كان النيل تاماً وافياً وان وجده لم يختمر دل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكايل الى الهواء فان هبت طيباً فهو نيل كبير وان هبت غير طيباً فهو نيل مقصر لاسيما ان هبت مريسيا فانه يكون نيلاً كافياً والشأن عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد فأما اذا اختلف فالحكم لا يكاد يصح \* وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وذكر أصحاب التجارب أنه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز أحد شهور الروم وهي آخر أيام الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها



لايحول بينه وبين السماء شيء فان كل مالا يزكو في تلك السنة من الزروع يصبح أصفر وما يصلح ريعه منها يبقى أخضر وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جربت أنا على ما أفادني به بعض الكتّاب أنه اذا حصل مطر ولو قل في شهر بابة ينظر ماذلك اليوم من الشهر القبطي فانه يبلغ سعر الوببة القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من أيام شهر بابة وأول ما جرت هذا أنه وقع مطر في بابة يوم الخميس الخامس عشر منها فبيعت الوببة تلك السنة بخمسة عشر درهما

### ذكر عيد الشهيد

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من أمره فرج مصر وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط ويزعمون أن النيل بمصر لايزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموقى ويكون ذلك اليوم عيداً ترحل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة أهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملمسوب ولا بنى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فأنك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لايحصيهم الا خالقهم وتصرف أموال لانحصر ويحار هناك بما لايجتمل من المعاصى والفسوق وتشور فتن وتقتل أناس ويباع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما ينيف على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهابا وباع نصراني في يوم واحد باثني عشر ألف درهم فضة من الخمر وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائماً بناحية شبرى من ضواحي القاهرة وكان اعتماد فلاحى شبرى دائماً في وفاة الخراج على مايبعونه من الخمر في عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سنة اثنتين وسبعمائة والسلطان يومئذ بديار مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استادار السلطان والامير سيف الدين سلار نائب السلطنة بديار مصر فقام الامير بيبرس في ابطال ذلك قياما عظيما وكان اليه أمور ديار مصر هو والامير سلار والناصر تحت حجرها لايقدر على شيع بطنه الا من تحت أيديهما فتقدم أمر الامير بيبرس أن لايرمي أصبع في النيل ولا يعمل له عيد ونذب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتّاب الى الولاية باجهار النداء واعلانه في الاقاليم بأن لايجرح أحد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على أقباط مصر كلهم من أظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ومن هو باق على نصرانيته ومشي بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعانى السكتابة وهو يومئذ في خدمة الامير بيبرس وقد احتوى



على عقله واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر وأمراؤها من الاتراك في الانقياد  
لكتابهم من القبط سواء منهم من أسر الكفرو من جهر به \* وما زال الاقباط بالنجاح الى  
أن تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك وخيل له من تلف مال الحراج اذا بطل هذا  
العيد فان أكثر خراج شبرى انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل أبدا  
ويحرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول وتميق المسكر فبنت الله الامير  
بيبرس وقواه حتى أعرض عن جميع ما زخرفه من القول واستمر على نزع عمل العيد وقال  
لنجاح ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف  
فيه فتكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان وثلاثين  
وسبعمائة وعمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجسر في بحر النيل ليرمي قوة التيار عن بر  
القاهرة الى ناحية الجزيرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطلب الامير يلبغا الحياوى والامير  
الطنبغا المارديني من السلطان أن يخرجوا الى الصيد ويقبوا مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة  
غرامه بهما وتهتك في محبتهما وأراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد  
فيكون تفرج كما عليه أزه من خروجهما الى الصيد وكان قد قرب أوان وقت عيد الشهيد  
فرضيا منه بذلك وأشيع في الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة  
بعمله فيه ركب الامراء النيل في الشخاير بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهة وبرز  
ارباب الغناء وأصحاب اللهو والحلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من  
أنواع المنكرات وتوسع الامراء في تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا فيه  
عن الحد في السكرتة البالغة وعم الناس منهم مالا يمكن وصفه لسكثرتة واستمروا على ذلك  
ثلاثة أيام وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ أبطله الامير بيبرس الى أن أعاده الملك  
الناصر ستا وثلاثين سنة واستمر عمله في كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين  
وسبعمائة تحرك المسلمون على النصارى وعملت أوراق بما قد وقف من أراضي مصر على  
كنائس النصارى ودياراتهم وأزم كتاب الامراء بتحرير ذلك وحمل الاوراق الى ديوان  
الاجباس فلما تحجرت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدان كلها موقوفة  
على الديارات والكنائس فعرضت على أمراء الدولة القائمين بتسيير الدولة في أيام الملك  
الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وهم الامير شيخو العمرى والامير صرغتمش والامير  
طاز فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعهم وأزم النصارى بما  
يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنائس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب  
عند ذكر الكنائس فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج  
الحاجب والامير علاء الدين على بن الكوراني والى القاهرة الى ناحية شبرى الخيام من



ضواحي مصر فهدمت كنيسة النصارى وأخذ منها أصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح وأحرق بين يديه في الميدان وذري رماده في البحر حتى لا يأخذه النصارى فبطل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد والله الحمد والمنة

( ذكر الخلاجان التي شقت من النيل )

اعلم أن النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خلاجان وترع يخرق الماء فيها يمينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجري النيل واكثر الخلاجان والترع والجسور والاخوار بالوجه البحري وأما الوجه القبلي وهو بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت معالمه ودرست رسوموه من هنالك والمشهور من الخلاجان خليج منجا \* وخليج منف وخليج المنهي وخليج اشموم طناح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج القاهرة وبحر أبي المنجا والخليج الناصري ظاهر القاهرة \* قال ابن عبد الحكم عن أبي رهم السماعي قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأقيمتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى عما حكى عن قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ولم يكن يومئذ في الارض ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من أوله الى آخره في الجانبين معا جميعا ما بين أسوان الى رشيد وسبع خلاج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهي وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع ما بين الجليلين من أول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء ( وكان ) جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وخالجها وجسورها فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعبور وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر ( خليج سخا ) وخليج سخا حفرة ندارس بن صابن قبظيم بن مصر ايم بن بيسر بن حام بن نوح وهو أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر في الدهر الاول \* قال ابن وصيف شاه ندارس الملك أول من ملك الاحياز كلها بعد أبيه صاوصقاله ملك مصر وكان ندارس محتكا مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا ودبر جميع الاحياز ويقال انه الذي حفر خليج سخا وارتفع مال البلد على يده مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وقصده بعض عمالقة الشام فخرج اليه واستباحه ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسي بعض حكائنها وأسكنهم مصر وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في أرضه وعانوا وأفسدوا فجمع الجيوش من أعمال مصر وأعد المراكب ووجه قائدا يقال له فلوطس في ثلثمائة ألف وقائدا آخر في مثلها ووجه في النيل ثلثمائة سفينة في كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة من



العجائب ثم خرج في جيوش كثيرة فلقى جمع السودان وكانوا في زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل أكثرهم أبرح قتل وأسروهم خلقا وتبعهم جيوشه حتى وصلوا الى أرض الفيلة من بلاد الزنج فأخذوا منها عدة ومن النمر والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حدود بلده منارا وزبر عليه مسيره وظفروه والوقت الذي سار فيه ومات بمصر فدفن في ناووس نقل اليه شيئا كثيرا من أصناف الكواكب ومن الذهب والجواهر والصيغة والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه طاميات تمنع منه وعهد الى ابنه ماليق بن ندارس ( خليج سردوس ) حفرة هامان قال ابن وصيف شاه طاما بن قومس الملك جلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائهم وهو الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى \* فأما أهل الاثر فيزعمون أنه الوليد بن مصعب وانه من العمالقة وذكروا أن الفراعنة سبعة وكان طاما فيما حكي عنه قصيرا طويل اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان أعرج وزعم قوم أنه من القبط ونسب أهل بيته مشهور عندهم وذكر آخرون أنه دخل منف على أنان عليها نظرون جاء لبيعه وكانوا قد اضطربوا في تولية الملك فرضوا أن يملكوا عليهم أول من يطرأ من الناس فلما رأوه ملكوه عليهم ولما جلس في الملك بذل الاموال وقرب من أطاعه وقتل من خالفه فاعتدل أمره واستخلف هامان وكان يقرب منه في نسبه وأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات وحفر خلجانا كثيرة ويقال انه الذي حفر خليج سردوس وكان كلما عمرجه الى قرية من قرى الحوف حمل اليه أهلها مالا حتى اجتمع من ذلك مال كثير فأمر برده على أهله \* وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتداء حفرة أمه أهل كل قرية يسألونه أن يجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو الشرق ثم يرده الى قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده الى قرية في الغرب ثم يرده الى أهل قرية في القبلة ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله الى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفرة فقال له فرعون ويحك انه ينبغي للسيد أن يعطف على عباده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم فرده كله على أهله قال فلا يعلم بمصر خليج أكثر انعطافا منه لما فعل هامان في حفرة وكان هامان نبطيا ( خليج الاسكندرية ) قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بني منارة الاسكندرية فيلطنة الملكة وهي التي ساقت خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ولم يكن يدخلها الماء كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة السكيريون فحفرته حتى أدخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعته وقال السكندي ان الحارث بن مسكين قاضي مصر حفر خليج الاسكندرية وقال الاسعدي بن ممتي



في كتاب قوانين الدواوين خليج الاسكندرية عليه عدة ترع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستائة قصبة وعرضه من قصبتين ونصف الى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان مقصرا قصرت مدة اقامته فيه وان كان عاليا اقام فيه ما يزيد على شهرين \* ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوى المعرفة يقولون انه اذا عملت من قبالة منية نتيح الى نتيح زلاقة استقرار الماء فيه صيفا وشتاء ورأيت البحيرة جميعها وحواف ودميس والكفور الشاسعة وقد زرعت عليه القصب والقلقاس والنيلة وأنواع زراعة الصيفى وجرى مجرى بحر الشرق والمحلة وتضاعفت عليه البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقة ممكنة لوجود الحجارة في ربوة والطوب في البحيرة وانهم قدروا ما يحتاج اليه فوجدوه يتأخر عشرة آلاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة وكان السمك فيه غايه من الكثرة بحيث تصيده الاطفال بالخرق فضمنه بمض الولاة بمال ومنع الناس من صيده فقدم منه السمك ولم ير بعد ذلك فيه سمكة فصار يخرج بالشباك ( خليج الفيوم والمنهى ) مما حفره نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عند ماعمر الفيوم كما هو المذكور في خبر الفيوم من هذا الكتاب وهو مشتق من النيل لا ينقطع جريه أبدا واذا قابل النيل ناحية دورة سريام التي تعرف اليوم بدورة الشريف يعنى ابن يغلان التائب في الايام الظاهرية ببيرس تشعبت منه في غريبه شعبة تسمى المنهى تستقل نهرا يصل الى الفيوم وهو الآن عرف بحجر يوسف وهو نهر لا ينقطع جريانه في جميع السنة فيسقى الفيوم عامة سقيا دائما ثم ينجر فضل مائه في بحيرة هناك ومن العجب أنه ينقطع ماؤه من فوهته ثم يكون له بلل دون المكان المتدى ثم يجرى جريا ضعيفا دون مكان البلل ثم يستقل نهرا جاريا لا يقطع الا بالسفن ويتشعب منه أنهار وينقسم قسما يعم الفيوم يسقى قراء ومزارعه وبساتينه وعامة أما كنهه والله أعلم ( خليج القاهرة ) هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربي فيما بينها وبين المقس عرف في أول الاسلام بخليج أمير المؤمنين وتسميه العامة اليوم الخليج الحاكمي وبخليج اللؤلؤة وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه في ايامه الى مصر وأخذ منه امرأته سارة وأخذها هاجر أم اسماعيل صلوات الله عليهما فلما أخرجها ابراهيم هي وابنها اسماعيل الى مكة بعث الى طوطيس تعرفه انها بمكان جذب وتستغيثه فأمر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الخطة وغيرها الى جدة فأحيا بلد الحجاز ثم ان اندرومانوس الذى يعرف بابيليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فلبس المحدوبى جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف وأربعمائة سنة ثم أن عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر وأقام في حفره ستة أشهر وجرت فيه السفن



يحمل الميرة الى الحجاز فسمى خليج أمير المؤمنين يعني عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
فانه هو الذى أشار بحفره ولم تزل تجرى فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التي  
كانت على حافة البحر الشرقي حيث الموضع الذى يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان  
يصب ماء النيل في البحر من عند مدينة القلزم الى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بطمه  
في سنة خمس ومائة فطم وبقى منه ما هو موجود الآن وسيأتي الكلام عليه مبسوطا ان  
شاء الله تعالى عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب ( بحر أبي المنجا ) هذا الخليج  
تسميه العامة بحر أبي المنجا الذى حفره الافضل بن أمير الجيوش في سنة ست وخمسمائة  
وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند  
ذكر مناظر الخلفاء ومواقع زهرهم من هذا الكتاب ( الخليج الناصرى ) هذا الخليج  
في ظاهر المقس حفره الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكر  
في موضعه من هذا الكتاب

﴿ ذكر ما كانت عليه أرض مصر في الزمن الاول ﴾

قال المسعودى وقد كانت أرض مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم  
يركب أرضها ماء النيل وينسبط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط في  
وقتنا هذا وكان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والنوبة الى أن عرض  
لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما يتصل من النوبة بتياره من موضع الى موضع  
فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر وسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب  
عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا  
له الخللجان وعقدوا في وجهه المسببات الى أن خفي ذلك على ساكنيها لان طول الزمان  
ذهب بمعرفة أول سكنهاهم كيف كان انتهى قلت ومما ذكر أرسططا ليس في كتاب الآثار  
العلوية ان أرض مصر كان النيل ينسبط عليها فيطبقها كأنها بحر ولم يزل الماء ينضب عنها  
ويبيس ماعلا منها أولا فأولا ويسكن الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس ويقال ان  
الناس كانوا قبل سكني مدينة منف يسكنون بسفح الجبل المقطم في منازل كثيرة نقروها  
وهي المغاير التي في الجبل المقابل لمنف من قبلي المقطم في الجبل المتصل بدير القصير الذى  
يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرى ومن وقف عند اهرام نهبيا رأى المغائر في الشرق  
ويدهما النيل ومن صعد من طرى الى الجبل وسار فيه دخلها وهي مغاير متسعة وفيها مغائر تنفذ  
الى القلزم تسع المغارة منها أهل مدينة واذا دخلها أحد ولم يهتد على ما يبدله على المخرج هلك  
في تحيره ويقال كانت مصر جرداء لانبات بها فاقطعها متوشلح بن أختوخ بن برد بن  
مهلايل بن قتيان بن أنوس بن تسبب بن آدم لطائفة من أولاده فلما نزلوها وجدوا نيلها



قد سد ما بين الجليلين فنضب الماء عن أرض زروعها فأخرجت الأرض بركتها ثم بعد زمان أخذها عنقاص الأول بن عرياب بن آدم بالقلبة ونسل بها خلقا عظيما و جهز لقتال أولاد برد سبعين ألف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه أربعون قصبة ليمنع من يأتيه فأناه بنو برد فلم يجذبوا اليه سيلا ففرزوا الى الله تعالى فبعث على أرض مصر نازرا

﴿ ذكر أعمال الديار المصرية وكورها ﴾

أعلم ان أرض مصر كانت في الزمن الاول الغابر مائة وثلاثا وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستون كورة فلما عمرت أرض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جاء الاسلام وفيها أربعون عامرة بجميع قرأها لاتنقص شيئا ثم استقرت أرض مصر كلها في الجملة على قسمين الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر \* وقد قسمت الأرض جميعها قبليها وبحريها على ستة وعشرين عملا وهي الشرقية والمرتاحية والدقهلية والايوانية ونقر دمياط والوجه البحري جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدبحاوية والمنوفية والستراوية وفوه والمزاحميتين وجزيرة بني نصر والبحيرة واسكندرية وضواحيها وحوف دميس والوجه القبلي الجيزة والاطفيحية والبوصيرية والفيومية والهناوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاخميمية والقوصية وهي أيضا ثلاثون كورة وهي كورة الفيوم وفيها مائة وست وخمسون قرية ويقال انها كانت ثلاثمائة وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخمسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة وقرية وقرى أهناس ومنها قن ثمانى قرى وكور تادلاص وبوصيرست قرى وكورة أهناس خمس وتسعون قرية سوى الكفور وكورة الهنسامنة وعشرون قرية وكورة الفشن سبع وثلاثون قرية وكورة طحا سبع وثلاثون قرية وحوز سنودة ثمان قرى وكورة الاشمونين مائة وثلاثون قرية وكورة أسفل انصنا إحدى عشرة قرية وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية وكورة شطب ثمان قرى وكورة أعلى انصنا ثنتا عشرة قرية وكورة قهقوه سبع وثلاثون قرية وكورة أخيم والدوير ثلاث وستون قرية وكورة السبابة والواحات ثلاث وستون قرية سوى الكفور وكورة هو عشرون قرية وكورة فاو ثمان قرى وكورة قنا سبع قرى وكورة دندرة عشر قرى وكورة قفط ثنتان وعشرون قرية وكورة الاقصر خمس قرى وكورة أسنا خمس قرى وكورة أرمنت سبع قرى وكورة أسوان سبع قرى فجميع قرى الصعيد ألف وثلاث وأربعون قرية سوى المنى والكفور في ثلاثين كورة \* كورة أسفل الأرض الحوف الشرقى خمس وستون قرية كورة أرب مائة وثمان قرى سوى المنى والكفور كورة بنو سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة ثمان مائة وخمسون قرية



سوى المنى والكفور كورة بسطة تسع وثلاثون قرية كورة طرابيسة ثمان وعشرون قرية  
 منها السدير والهامة وفاقوس كورة هربيط ثمان عشرة قرية سوى المنى والكفور كورة صا  
 وابليل ست وأربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش بجميع قرى الحوف الشرقي خمسمائة  
 وتسع وعشرون قرية سوى المنى في سبع كور بطن الريف كور تادمسيس ومنوف مائة وأربع  
 قرى سوى المنى والكفور كورة ناطورة منوف اثنتان وسبعون قرية سوى المنى والكفور  
 كورة سخا مائة وخمس عشرة قرية كورة بيده والافراخون ثلاث وعشرون قرية سوى  
 المنى والكفور كورة البشرود أربع وعشرون قرية كورة نفر اثنا عشرة قرية سوى المنى  
 كورة ببا وبوصير ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمندمائة وثمان وعشرون  
 قرية سوى المنى والكفور كورة نوسا احدى وعشرون قرية سوى المنى كورة الاوسية  
 أربعون قرية سوى المنى كورة النجوم أربعون قرية سوى المنى تنيس ودمياط ثلاث عشرة  
 قرية سوى المنى وهي شي كثير \* الاسكندرية الحوف الغربي كورة صا ثلاث وسبعون  
 قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة  
 اليدقون ثلاث وأربعون قرية سوى المنى والكفور حيز اليدقون تسع وعشرون قرية  
 سوى المنى والكفور الشرك والقرى كورة ترنوط ثمان قرى كورة خربتا اثنان وستون  
 قرية سوى المنى والكفور كورة قرطسا اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورنا  
 مصيل والمليدس تسع وأربعون قرية سوى المنى كورنا اخنور ورشيد سبع عشرة قرية  
 البحيرا والخصص بالاسكندرية والكرومات والبعل ومربوط ومدبنة الاسكندرية ولوية  
 ومراقية مائة وأربع وعشرون قرية سوى المنى فالخوف الغربي أربع مائة وتسع وأربعون  
 قرية سوى المنى في ثلاث عشرة كورة قال المسيحي في تاريخه تصير قرى مصر أسفل الارض  
 الفأ وأربعمائة وتسعا وثلاثين قرية ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الارض ألفين وثلثمائة  
 وخمسا وتسعين قرية \* وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي أرض مصر قسمين  
 فمن ذلك صعيدها وهو مايلي مهب الجنوب منها وأسفل أرضها وهو مايلي مهب الشمال منها  
 فقسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة فمن ذلك كورة الفيوم كلها وكورنا منف ووسيم  
 وكورة الشرقية وكورنا دلاص وأبو صير وكورة اهناس وكورنا الفشن والبهنسا وكورة طحا  
 وحيز سنوده وكورة بويط وكورنا الاشمونين وأسفل انصنا وأعلاها وشطب قوص قام  
 وكورة سيوط وكورة قهقوه وكورنا اخميم والدير وابشاية وكورة هو وأفا وفاوودندرة  
 وكورة قفط والاقصر وكورة اسنا وأرمنت وكورة اسوان فهذه كور الصعيد ومن ذلك  
 كور أسفل الارض وهي خمس وعشرون كورة وفي نسخة ثلاث وثلاثون كورة وفي نسخة  
 ثمان وثلاثون كورة فمن ذلك كور الحوف الشرقي كورنا اريب وعين شمس وكورنا بني



ونمي وكورتا بسطه وطرايبة وكورة هريبط وكورة صا وابليل وآورة الفرما والعريش  
والجفار ومن ذلك كور بطن الريف من أسفل الارض كورة ببا وريصر وكورتا سمود  
وبوسا وكورتا الاوسية والنجوم وكورة دقهلة وكورتا تيس ودمياط ومنها كورة الجزيرة  
من أسفل الارض وكورة دسيس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وييدة  
والافراحون وكورة مقين وديصا وكورة البشرود \* ومن ذلك كور الحواف الغربي كورة صا  
وكورة شباس وكورة اليدقون وحيزها وكورة الخيس والشراك وكورة خربتا وكورة  
قرطسا ومصيل والمليدس وكورتا اخنا والبحيرة ورشيد وكورة الاسكن رية وكورة مريوط  
وكورة لوبيه ومراقية \* ومن كور القبلة كرى الحجاز وهي كورة الورد وفاران وكورة  
راية والقلم وكورة ايله وحيزها ومدين وحيزها والعونيد والحوراء وحيزها ثم كورة  
بدا وشعب \* وذكر من له معرفة بالخراج وأمر الديوان أنه وقف على جريدة عتيقة بخط  
ابن عيسى بقطر بن شفا السكاتب القبطي المعروف بالبولس متولي خراج مصر للدولة  
الاخشيدية يشتمل على ذكر كور مصر وقراها الى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ان قرى  
مصر بالصعيد وأسفل الارض ألفان وثلاثمائة وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمائة  
وست وخمسون قرية وبأسفل الارض ألف وأربعمائة وتسع وثلاثين قرية وهذا عددها  
في الوقت الذي جردت فيه الجرايد المذكورة وقد تغيرت بعد ذلك بخراب ماخرب منها \*  
وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه لما ولي الوايد بن رفاعه مصر خرج  
ليحصي عدة أهلها وينظر في تعديل الخراج عليهم فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى  
بلغ اسوان ومعه جماعة من الكتّاب والاعوان يكفونه ذلك بجد وتشمير وثلاثة أشهر  
بأسفل الارض وأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحصر في أصغر  
قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك  
خمس آلاف ألف رجل والذي استقر عليه الحال في دولة الناصر محمد بن قلاوون أن الوجه  
القبلي ستة أعمال وهي من قوص وهو أجلها ومنه اسوان وغردق قوله وعمل اخميم وعمل  
سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنساوية الغربي وهو عبارة  
عن قرى على غربي المنهى المار الى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل الجزيرة \*  
والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرا وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية  
جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المسار سكبها عند دمياط ويسمى  
الشرقي والبحر الثاني مسكبها عند رشيد ويسمى الغربي والمنوية ومنها ابيار وجزيرة بني  
نصر وعمل قلوب وعمل الشرقية وعمل اسنوم طنّاح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهناك  
موقع نهر البرلس ونهر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط ولا عمل



لها \* وأما الواحات فمقطعة وراء الوجه القبلي مغاربة لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها والى السلطان وانما يحكم عليها من قبل مقطعها والله تعالى أعلم  
 \* (ذكر ما كان يعمل في أراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه في أوقاته) \*

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خليجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزاؤها مائة ألف وعشرين ألفاً معهم المساحي والطوريات والاداة يعقبون ذلك لا يدعون شتاء ولا صيفا \* وعن أبي قبيل قال زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها أنهم كانوا يقرون القرى في أيدي أهلها كل قرية بكرة معلوم لا يتقص عنهم الا في كل أربع سنين من أجل الظمأ وتنقل اليسار فاذا مضت أربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلاً جديداً فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا جبي الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصاً لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لجنده ومن يتوى به على حربته وجباية خراجها ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الارض وما يحتاج اليه من جسورها وحفر - ملحها وبناء قناطرها والقوة للزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك لثابتة تنزل أو جائحة بأهل القرية فكانوا على ذلك والذي يدفن في كل قرية من خراجها هي كنوز فرعون التي يتحدث الناس بها أنها ستظهر فيطلبها الذين يتبعون الكنوز \* وذكر أن بعض فراغته مصر جبي خراج مصر اثنين وسبعين الف دينار وأن من عمارته أنه أرسل ويبة قمح الى أسفل الارض والى الصعيد في وقت تنظيف الارض والترع من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها وذكر أنه كان عند تنامي العمارة يرسل بأربع وبيات برسيم الى الصعيد الى أسفل الارض والى أي كورة فان وجد لها موضعاً خالياً فرزعت فيه ضرب عنق واحب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخاً في مثلها والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ فتكون عشرة برد في مثلها ولم تزل الفراغته تسلك هذا الملك الى أيام فرعون موسى فانه عمرها عدداً وسماحة وتتابع الظمأ ثلاث سنين في أيامه نزل لاهل مصر خراج ثلاث سنين وأنفق على نفسه وعساكره من خزائنه ولما كان في السنة الرابعة أضعف الخراج واستمر فاعتاض ما أنفق \* وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص رضي الله عنه ان اسئل المقوقس عن مصر من أين تأتي عمارتها وخزايها فسأله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخزايها من وجوه خمسة أن يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ويرفع خراجها في ابان



واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ويحفر في كل سنة خلجانها وتسد ترعها وجسورها ولا يقبل مطلق أهلها يريد النبي فإذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت \* وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه في الخراج كتب اليه أن ابعث الي رجلا من أهل مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبطه فاستخبره عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شيء الا بعد عمارتها وعاملها لا ينظر الى العمارة وانما يأخذ مظاهر له كأنه لا يريد بها الا لعام واحد فعرف عمر رضى الله عنه ما قال وقيل من عمرو ما كان يعتذر به \* وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه للمعوقس أنت وليت مصر فبم تكون عمارتها فقال بخصال أن تحفروا خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلبها ولا يقبل مطلق أهلها ويوفي لهم بالشروط ويدر الارزاق على العمال لكلا يرتشوا ويرتفع عن أهلها المعاون والهدايا ليكون قوة لهم فبذلك تعمروا ويرجى خراجها \* ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة أقسام قسم لحاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها \* ولما ولي عبيد الله بن الحجاج خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمسح أرض مصر كلها عامرها وغازها مما يركبه الثيل فوجد فيها مائة ألف ألف فدان والباقي استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحرث يحرث خمسين فداناً وكانت محتاجة الى أربع مائة الف وثمانين الف حرث

### ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول

قال ابن وصيف شاه وكان منقوس قسم خراج البلاد أرباعاً فربيع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد وربيع ينفق في مصالح الارض وما يحتاج اليه من عمل الجسور وحفر الخلل وتقوية أهلها على العمارة وربيع يدفن لحادثة تحدث أو نازلة تنزل وربيع للجند وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف ألف دينار وقسمها على مائة وثلاث كور بعدة الآلاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهي اليوم خمس وثمانون كورة أسفل الارض خمس وأربعون كورة والصعيد أربعون كورة وفي كل كورة كاهن يدبرها وصاحب حرب وارفع مال البلد على يد ندارس بن صا مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وفي أيام كلسكن بن خربتا بن مالبق بن ندارس مائة ألف ألف دينار وبضعة عشر ألف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة اختل أمرها وكان فرعون الاول يجيها تسعين ألف ألف دينار يخرج من ذلك عشرة آلاف دينار لمصالح البلد وعشرة آلاف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف وعشرة آلاف دينار لاولياء الامر والجند والكتتاب وعشرة آلاف دينار



لمصالح فرعون ويكتزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار \* وبلغ خراج مصر في أيام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين ألف ألف دينار فاحب أن يتمه مائة ألف ألف دينار فامر بوجود العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة في استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه \* وقال ابن دحية وحبيت مصر في أيام الفراعنة فبلغت تسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مناقيل من مثقالنا المعروف الآن بمصر الذي هو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ثلاث حبات من قح فيكون بحساب ذلك مائتي ألف ألف وسبعين ألف ألف دينار مصرية وذكر الشريف الحراني أنه وجد في بعض البرابي بالصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد من أموال مصر بحق الخراج مما يوجه الخراج وسائر وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تأول ولا اصطهاد ولا مشاحة على عظيم فضل كان في يد المؤدى لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للماملين وتقوية لحاظم من العين أربعة وعشرون ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وذكر مافيه كما في خبر الحسن بن علي الاسدي \* وقال الحسن ابن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبلي باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذي يوجد وسائر وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة على عظيم فضل كان في يد المؤدى لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رقبالمعاملين وتقوية لهم من العين أربعة وعشرين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار من جهات مصر وذلك ما يصرف في عمارة البلاد لحفر الخليج واتقان الجسور وسد الترع واصلاح السبل والساسة ثم في تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في البدار وغير ذلك وثمن الآلات وأجرة من يستعان به من الاجراء لحمل الاصناف وسائر نفقات تطريق أراضيهم من العين ثمانمائة ألف دينار ولما يصرف في أرزاق الاولياء الموسومين بالسلاح وحملته والغلمان وأشياهم مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى أتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل من العين ثمانية آلاف ألف دينار ولما يصرف في الارامل والايام فرضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا تحلوا آما لهم من بر يصل اليهم من العين أربعمائة ألف دينار ولما يصرف في كهنة برايههم وأئمتهم وسائر بيوت صلواتهم من العين مائة ألف دينار ولما يصرف في الصدقات وينادي في الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة فليحضر فلا يرد عند ذلك أحد والامناء جلوس فاذا رأى رجل لم تجر عادته بذلك أفرد



بعد قبض ما يقبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة دخل أمناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقاء والسلامة وأنهموا حال الطائفة المذكورة فبأمر بتغيير شعنها بالحمام واللباس ويمد الاسطة ويأكلون ويشربون ثم يستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان وأكثروا وان كان عن سوء رأى وضعف تدبير ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذي يصاح له من العين مائتا ألف دينار فذلك جملة مائتين وفصل في هذه الجهات المذكورة من العين تسعة آلاف ألف وثمانائة ألف دينار وبحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون في بيوت أمواله عدة لنواب الدر وحادات الزمان من العين أربعة عشر ألف ألف دينار وستائة ألف دينار وقيل لبعضهم متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار قال في الوقت الذي أرسل فرعون بويبة قمح الى أسفل الارض الى الصعيد فلم يجد لها موضعا تبتذر فيه لشغل جميع البلاد بالعمارة \* (ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الحراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط) \* قال زهير بن معاوية حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر أردبها وعدتم من حيث بدأتم قال أبو عبيد قد أخبر صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو في علم الله كائن نخرج لفظه على لفظ الماضي لانه ماض في علم الله وفي اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضى الله عنه ما وظفه على الكفرة من الخراج في الامصار \* وفي تفسير المنع وجهان \* أحدهما انه علم أنهم سيسلمون ويسقط عنهم ماوظف عليهم فصاروا مانعين باسلامهم ماوظف عليهم يدل عليه قوله وعدتم من حيث بدأتم \* وقيل معناه أنهم يرجعون عن الطاعة والاول أحسن \* وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن طيبة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبى ولا شيخ على دينارين دينارين فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف الف وعن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر ان من كتبني كترأ عنده فقدرت عليه قتلاته وان قبظيا من أرض الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرؤ أن عنده كترأ فإرسل اليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه في السجن وعمرؤ يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو الى بطرس فترع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابث الى بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلة شامية محتومة بالراس ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين أردبا ذهباً مصريا



مضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فأخرج القبط كنوزهم شققا أن يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس \* وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبلي من قبط مصر لانه استقر عنده أنه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين أردبا دنانير قال ابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يبعث الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزيرة بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خابجها وأقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزرها مائة ألف وعشرين ألفاً منهم الطور والمساحي والاداة يعتقدون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تحتم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيمهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضر بوا الجزيرة الا على من جرت عليه الموسى ولا يضر بوا على النساء ولا على الولدان ولا تدنهم يشبهون بالمسلمين في ملبوسهم \* وعن يزيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى أمراء الاجناد أن لا يضر بوا الجزيرة الا على من جرت عليه الموسى وجزيتهم أربعون درهما على أهل الوراق وأربعة دنانير على أهل الذهب وعليهم من أرزاق المسلمين من الخنطة والزيت مدان من خنطة وثلاثة أقساط من زيت في كل شهر لسكل انسان من أهل الشام والجزيرة وودك وعسل لأدرى كم هو ومن كان من أهل مصر فأردب في كل شهر لسكل انسان ولا أدرى كم الودك والعسل وعابهم من البز السكوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيفون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعا لسكل انسان ولا أدرى كم لهم من الودك وكان لا يضر ب الجزيرة على النساء والصبان وكان يحتم في أعناق رجال أهل الجزيرة وكانت وبية عمر في ولاية عمرو بن العاص ستة أمداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوفى له الامراء أقر قبطها على جباية الروم فكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وأن قل أهلها وخربت نقصوا فيجتمع عرفوا كل قرية وأمرؤها ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى انكسور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العامرة فيبتدئون ويخرجون من الارض فدادين لسكنائسهم وحمايتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا لما في كل قرية من الصناع والاجراء قسموا عليهم بقدر احتمالهم فان كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احتمالها وقاما كانت تكون الا للرجل الشاب أو المتزوج ثم ينظرون ما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم



فان عجز أحد منهم وشكا ضعفه عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوى الاحتمال وان  
 كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على  
 عدتهم وكانت قسمتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قيراطا يتسمون الارض  
 على ذلك ولذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط  
 فاستوصوا بأهلها خيرا وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قمح ووبيتين من شعير الا القرظ  
 فلم يكن عليه ضريبة واليوبة ستة أمداد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ بمن  
 صالحه من المعاهدين ماسمى على نفسه لا يوضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ومن نزل منهم  
 على الجزية ولم يسم شيئا يؤديه نظر عمر في أمره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا  
 زاد عليهم بقدر استغنائهم \* وقال هشام بن أبي رقية اللخمي قدم صاحب أختنا على عمرو بن  
 العاص رضى الله عنه فقال له أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصير لها فقال عمرو وهو  
 يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتني من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما أتم  
 خزائة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث  
 ذهب الى أن مصر فتحت عنوة \* وعن يزيد بن أبي حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز  
 أيما ذمي أسلم فان اسلامه يحجزه نفسه وماله وما كان من أرض فانها من في الله على المسلمين  
 وأيما قوم صالحوا على جزية يعطونها فمن أسلم منهم كانت داره وأرضه لبعيهم \* وقال  
 الليث كتب الى يحيى بن سعيد أن مابغ القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي  
 عليهم من عبد أو وليدة أو بعير أو بقرة أو دابة فان ذلك جائز عليهم فمن ابتاعه منهم فهو غير  
 مردود عليهم ان أسروا وما أكرؤا من أرضهم فحائز كراؤه الا أن يكون يضر بالجزية  
 التي عليهم فعمل الارض أن ترد عليهم ان أضرت بحزبتهم وان كان فضلا بعد الجزية فانا  
 نرى كراءها جائزا لمن يكرها منهم قال يحيى فتحن نقول الجزية جزيتان جزية على رؤس  
 الرجال وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذها أهل القرية فمن هلك من أهل القرية  
 التي عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤس الرجال فانا نرى أن من هلك من  
 أهل القرية ممن لا ولده ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته في جملة ما عليهم من الجزية  
 ومن هلك من جزيته على رؤس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين وقال الليث  
 عن عمر بن عبد العزيز الجزية على الرؤس وليست على الارضين يريد أهل الذمة \* وكتب  
 عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم وهذا  
 يدل على أن عمر كان يرى أن أرض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هي على القرى فمن  
 مات من أهل القرى كانت تلك الجزية نابتة عليهم وان موت من مات منهم لا يوضع عنهم  
 من الجزية شيئا قال ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصالح فذلك الصلح نابت على من بقى



منهم وأن موت من مات منهم لا يوضع عنهم مما صالحوا عليه شيئاً \* قال الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من أهل الذمة من أهل مصر وألحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائر من أسلموا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمه ابن حجيرة في ذلك فقال أعيذك الله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر فوالله ان أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف انضعا على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك \* وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن تضع الجزية عن أسلم من أهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة نخلوا سيولهم ان الله غفور رحيم وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون \* وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الاسلام قد أضربا بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار أتمت بها عطاء أهل الديوان فان رأى أمير المؤمنين ان يأمر بقضائها فعل \* فكتب اليه عمر أما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جنس مصر وأنا عارف بضعفك وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عن من أسلم قبض الله رأيك فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمري لعمري أشق من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فاني فكرت في أمرك والذى انت عليه فاذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة وقد أعطى الله أهلها عدداً وجلداً وقوة في بر وبحر واهلها قد عالجها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير خطوط ولا جذب ولقد أكرت في مكابيتك فى الذى على أرضك من الخراج وظننت أن ذلك سيائتنا على غير نزر ورجوت أن تفيق فترفع الى ذلك فاذا أنت تأتني بمعاريض تبعاً بها لا توافق الذى فى نفسى لست قابلاً منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست أدرى مع ذلك ما الذى تفرك من كتابي وقبضك فلئن كنت مجرباً كافياً صحيحاً أن البراءة لنافعة وان كنت مضيعاً نطعاً ان الامر لعلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت أن أبتلى ذلك منك فى العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع الى ذلك وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك



الا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليك وتلفف آخذوك كهفا وعندى باذن الله دواء  
 فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتمطاه فان النهر  
 يخرج الدر والحق أبلج ودعني وما عنده تاجلج فانه قد برح الخفاء والسلام \* فكتب  
 اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص  
 سلام الله عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فقد بلغني كتابك أمير المؤمنين  
 في الذي استبطأني فيه من الخراج والذي ذكر فيها من عمل الفراعة قبلي وبعجابيه من  
 خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها مذ كان الاسلام واعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر  
 والارض أعمر لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منا مذ كان الاسلام  
 وذكرت أن النهر يخرج الدر فخطبها حلبا قطع درها وأكثرت في كتابك وأبنت وعرضت  
 وتربت وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر فحنت لعمري بالمقطعات المقدمات ولقد  
 كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد علمنا لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ولما بعده فكنا نحمد الله مؤدبين لاماننا حافظين لما عظم الله من حق اقتنا  
 نزي غير ذلك قبيحا والعمل به شينا نعرف ذلك لنا وتصديق فيه قلبنا معاذ الله من تلك  
 الطعم ومن شر الشيم والاجترأ على كل ما ثم فأمض عمالك فان الله قد زهني عن تلك  
 العلم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تسبق فيه عرضا ولم تكرم فيه أبا والله  
 يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني أشد غضبا لنفسي ولها آثرها واكراما وما عمات  
 من عمل أرى عليه فيه متعلقا ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت  
 يغفر الله لك ولنا وسكت عن أشياء كنت بها عالما وكان اللسان بها مني ذلولا ولاكن الله عظيم  
 من حقتك ما لا يجهل \* فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عمر بن الخطاب  
 الى عمرو بن العاص سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فاني  
 قد عجبت من كثرة كتب اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الى بنيات الطرق وقد علمت  
 أنني لست أرضي منك الا بالحق البين ولم أقدمك الى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك  
 ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا أتاك كتابي هذا  
 فاحل الخراج فانما هو في المسامين وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام \* فكتب  
 اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام  
 عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين  
 يستبطئني في الخراج ويزعم أنني أحميد عن الحق وأنك عن الطريق واني والله ما أرغب  
 عن صالح ما تعلم ولكن أهل الارض استنظروني الى أن تدرك غلثهم فنظرت للمسلمين  
 فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه والسلام \*



وقال الليث بن سعد رضي الله عنه جباها عمرو بن العاص رضي الله عنه اثني عشر ألف  
 ألف دينار وجباها المقوقس قبله لسنة عشرين ألف ألف دينار فمئذ ذلك كتب اليه  
 عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرح حين استعمله عثمان رضي الله  
 عنه على مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال عثمان لعمر بن العاص بعد ما عزله عن  
 مصر يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول قال أضررتهم بولدها فقال ذلك ان لم  
 يمت الفصل \* وكتب معاوية بن أبي سفيان الى وردان وكان قد ولى خراج مصر أن زد  
 على كل رجل من القبط قيراطا فكتب اليه وردان كيف يزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزد  
 عليهم شي فعمله معاوية وقيل في عزل وردان غير ذلك وقال ابن لهيعة كان الديوان في  
 زمان معاوية أربعين ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين فأعطى مسامة بن مجلد  
 أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وأرزاقهم ونواب السبلاد من الجسور وأرزاق  
 السكتة وحلان التمح الى الحجاز ثم بعث الى معاوية بستائة ألف دينار فضل \* وقال  
 ابن عفير فلما نهضت الابل لقيهم بريح بن كسحل المهري فقال ما هذا ما بال مالنا يخرج من  
 بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء  
 عيالكم ونوابكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فساروا به \* وقال بعضهم جي  
 عمرو بن العاص عشرة آلاف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب بعجزه ويقول له جباية  
 الروم عشرون ألف ألف دينار فلما كان العام المقبل جباها عمرو اثني عشر ألف ألف دينار \*  
 وقال ابن لهيعة جي عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار لانه وجد فيها  
 ثلاثمائة ألف من أهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين والله تعالى أعلم

❦ ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك ❦

خرج الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه  
 قال كيف أنتم اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف نرى ذلك كأننا يا أبا هريرة قال أي  
 والذي نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذلك قال تنهك ذمته  
 وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم قال أبو عمرو محمد  
 ابن يوسف السكندي في كتاب أمراء مصر وفي امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب  
 عبد الله بن الحبحاب صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتل الزيادة  
 فزاد على كل دينار قيراطا فانتصت كورة تنوديقي وقريط وطرايه وعامة الخوف الشرقي  
 فبعث اليهم الحر بأهل الديوان خاربوهم فقتل منهم بشر كثير وذلك أول انتقاض القبط بمصر  
 وكان انتقاضهم في سنة سبع ومائة ورباط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر ثم انتقض  
 أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن



صفوان أمير مصر أهل الديوان فقتلوا من القبط ناساً كثيراً وظفر بهم وخرج بجيش رجل من القبط في سنود فبعث اليه بعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر فقتل بجيش في كثير من أصحابه وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدي لما دخل مصر فارا من بني العباس بعثمان بن أبي قسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر بناحية سخا ونابدووا العمال وأخرجوهم وذلك في سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبري سنباط وانضم اليهم أهل البشروود والاريسية والنجوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لعصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه مصر فخرجوا اليهم فقتلوا من المسلمين فأتى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهزمين وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط بلهيب في سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين في ناحية البشروود حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسي أكرههم ومن حينئذ أذل الله القبط في جميع أرض مصر وخذل شوكتهم فلم يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فعاد القبط من بعد ذلك الى كيد الاسلام وأهله بأعمال الحيلة واستعمال المكر وتمكنوا من التكاية بوضع أيديهم في كتاب الخراج وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

\* (ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا

وما كان في نزولهم من الاحداث) \*

قال الكندي وفي ولاية الوليد بن رفاعة النهدي على مصر نقلت قيس الى مصر في سنة تسع ومائة ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك الا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل الى مصر منهم أبياتا فأذن له هشام في لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على أن لا ينزلهم بالفسطاط فعرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحبحاب لما ولاء هشام ابن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظاً الا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب الى هشام ان أمير المؤمنين أظال الله بقاءه قد شرف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم واني قدمت مصر ولم أر لهم حظاً الا أبياتا من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهي بليبس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل فكتب اليه هشام انت وذاتك فبعث الى البادية



فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نضر ومائة أهل بيت من بني سليم فأنزلهم بليس وأمرهم بالزرع ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام الى القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة في علف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا اليهم فوصل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار بليس الف وخمسمائة أهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولي الخويرة بن سهيل الباهلي مصر مالت اليه قيس فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم \* وفي سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجهفت بهم فخرج عليه أهل الحوف وعسكروا فبعث اليهم الحيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب الى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد طرثمة بن أعين في جيش عظيم وبعث به الى مصر فنزل الحوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل مرثمة منهم واستخرج خراجه كله ثم ان أهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل البيودي أمير مصر وذلك انه بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم فانتقصوا من القصبية أصابع فتظلم الناس الى الليث فلم يسمع منهم فعمسكروا وساروا الى القسطنطينية فخرج اليهم الليث في اربعة آلاف من جند مصر في شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم في رمضان فانهزم عنه الجند في ثاني عشره وبقى في نحو المائتين فحمل بمن معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيقة وكان التقاؤهم على أرض جب عميرة وبعث الليث الى القسطنطينية بتأين رأسا من رؤس القيسية ورجع الى القسطنطينية وعاد أهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث الى أمير المؤمنين هارون الرشيد في محرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالحيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الحوف الا بجيش يبعث معه وكان محفوظ بن سليم بباب الرشيد فرفع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلوات مصر وخراجها وفي ولاية الحسين بن جميل امتنع أهل الحوف من أداء الخراج فبعث أمير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ في أمرهم فنزل بليس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة وصرف الحسين بن جميل عن امارة مصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي مالك بن دهم وفرغ يحيى بن معاذ من أمر الحوف وقدم القسطنطينية في جمادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالتحروح اليه فكتب الى أهل الحوف أن اقدموا حتى أوصي



بكم مالك بن دهم وأدخل بينكم وبينه في أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من البائية  
 والقيسية وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم  
 للنصف من رجب منها \* وفي امارة عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح بن شير زاد  
 عامل الخراج الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض أهل أسفل الارض وعسكروا فبعث  
 عيسى بابنه محمد في جيش لقاتلهم فنزل ببليس وحاربهم ففجأ من المعركة بنفسه ولم ينج  
 أحد من أصحابه وذلك في صفر سنة أربع عشرة ومائتين فنزل عيسى عن مصر وولى  
 عمير بن الوليد التميمي فاستعد لحرب أهل الحوف وسار في جيوشه في ربيع الآخر فزحفوا  
 عليه واقتتلوا فقتل من أهل الحوف جمع وأنهمزوا فتبعهم عمير في طائفة من أصحابه فغطف  
 عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى الجلودى  
 نائباً وسار اليهم فلقبهم بمينة مطر فكانت بينهم وقعة آلت الى أن انهزم منهم الى الفسطاط  
 وأحرق ما نقل عليه من رحله وخذق على الفسطاط وذلك في رجب وقدم أبو اسحاق  
 ابن الرشيد من العراق فنزل الحوف وأرسل الى أهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم في شعبان  
 ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى الفسطاط في شوال ثم عاد الى العراق في المحرم  
 سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الاسارى فلما كان في جمادى الاولى سنة ست عشرة  
 ومائتين انتقض أسفل الارض بأسره عرب البلاد وقبضها وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة  
 لسوء سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت الى  
 أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة  
 ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الرافي وكان على امارة مصر وأمر بحمل لوائه وأخذ  
 بلباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك حملت  
 الناس مالا يطيقون وكنتمتي الخبز حتى تفاقم الامر واضطرب البلد \* ثم عقد المأمون على  
 جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا  
 الطاعة فأوقع بهم في ناحية البشر ودو حصرهم حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم  
 فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فسي أكثرهم وتبع المأمون كل من  
 يومي اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط في صفر ومضى الى حلوان وعاد  
 فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر وكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة وأربعين  
 يوما وكان خراج مصر قد بلغ في أيام المأمون على حكم الانصاف في الجباية أربعة آلاف ألف  
 دينار ومائتي ألف دينار وسبعة وخمسين ألف دينار \* ويقال ان المأمون لما سار في قرى  
 مصر كان يبني له بكل قرية دكة يضرب عليها سرا دقه والعساكر من حوله وكان يقيم في  
 القرية يوما وليلة فر بقرية يقال لها طاء النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه



عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وكان لا يمشي أبدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت بأمر المؤمنين نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تميزني بذلك وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفني بحلولة في ضيعتي لتكون لي الشرف ولعقبى ولا تشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثني عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفرخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون أخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن أكرم والقاضي أحمد بن داود فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل أحدا منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءكم القبطية بهدية الريف السكاخ والصحناء والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت لا والله لأفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله أعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحقر بنا فقال ان في بعض ماضعت لكفاية ولا نجب التثميل عليك فردى مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا وأشارت الى الذهب من هذا وأشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فأمر به فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطائها من قريبها طاء النمل مائتي فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها

( ذكر قبالات أراضى مصر بعد مافشا الاسلام في القبط ونزول العرب في القرى

وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصرى )

وكان من خبر أراضى مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا واقبياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لتكاحهم المسلمات أن متولى خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من القسطنطينية في الوقت الذى تنهى فيه قبالة الاراضى وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متسولى الخراج يكتبون ما ينهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين لاجل الظمأ والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر



خرج كل من كان تقبل أرضاً وضمها إلى ناحيته فيتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر  
 وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن يتدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في إبانته على أقساط  
 ويحسب له من مبلغ قبائله وضمانه لتلك الأراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها  
 وحفر خلعها بضاربة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في  
 جهات الضمان والمتقبلين يقال لما تأخر من مال الخراج البواقي وكانت الولاية تتمد في طاب  
 ذلك مرة وتسامح به مرة فإذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد  
 كلها وعدلوها تعديلاً جديداً فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج  
 إلى التقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص إلى أن عمر أحمد بن طولون  
 جامعهم وصار العسكر منزلاً لأمراء مصر فنقل الديوان إلى جامع أحمد بن طولون ثم نقل  
 أيام العزيز بالله زار إلى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان إلى  
 القصر بالقاهرة واستمر به مدة الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعدها وسأتلو عليك من نباء  
 ذلك ما يتضح به ما ذكرت قال ابن ذولاق في كتاب أخبار الماردانيين كتاب مضر وحضر  
 أبو الحسن وهب بن اسماعيل مجلس أبي بكر بن علي المارداني في المسجد الجامع وهو يعقد  
 الضياع فقال له أبو بكر الساعة أمر بالنداء على صفقة نخذها شركة بيني وبينك فتودى على  
 صفقة فقال أبو بكر اعقدوها على أبي الحسن فعقدت عليه وتمملها فأفضلت له أربعين ألف  
 دينار فاستنص عشرين ألف دينار ولم يدر ما يعمل فيها إلى أن اجتمع مع أبي يعقوب  
 كاتب أبي بكر ليتحدثا فقال أبو يعقوب رأيت الشيخ يعني أبا بكر المارداني في اليوم مشغول  
 القلب أراد جمع مال وقد عجز عنه فقال له أبو الحسن عندي نحو عشرين ألف دينار فقال  
 جئني بها فأفئذها إليه وجاءه خطه بالمبلغ فاتفق أن مضى أبو الحسن إلى أبي بكر المارداني  
 فقال له تلك الصفقة قد غلقت ماعلمها وفضل أربعون ألف دينار وقد حصل عندي عشرون  
 ألف دينار حملتها إلى أبي يعقوب وأرسلت في استخراج الباقي فأحمله فقال المارداني ما هذا  
 العجز إنما قلت لك تكون بيني وبينك خوفاً من تفرطك وإنما أردت حفظ المال عليك ثم  
 أمر أبا يعقوب أن يرد عليه مادفعه إليه وقال لأبي الحسن رد عليه خطه فقبض مادفعه إلى  
 أبي يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي دخل فيها جوهر القائد ثلاثة آلاف ألف دينار  
 وأربعمائة ألف دينار ونيقا وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله معد وليست عشرة بقية  
 من الحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة قلد المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير ذلك  
 يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن وجلسا في هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن  
 طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطلبوا البقايا من  
 الاموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر لدين الحسن



ابن على البازوري وأراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس بينهما  
 فتقدم الى أصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع مايجري في ديوانه وما عليه من  
 النفقات فعمل ذلك وسلمه الى متولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا  
 جامعا وأحضره اياه فرأى ارتفاع الدولة ألفي ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقاته  
 بزاء ارتفاعه ومنها الريف وباقي الدولة ألف ألف دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على  
 موتى وهراب ومفقود مائتا ألف دينار ويبقى ثمانمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن  
 واجباتهم وكساويهم ثلثمائة ألف دينار وعن ثمن غلة للقصور مائة الف دينار وعن نفقات  
 القصور مائتا ألف دينار وعن عمائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم مائة ألف  
 دينار ويبقى بعد ذلك مائة ألف دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فخطى  
 بذلك عند سلطانه وحف على قلبه قال وانتهى ارتفاع الارض السفلي الى مالا نسبة له من  
 ارتفاعها الاول يعني بعد موت البازوري وحدث الفتن وهو قبل سنى هذه الفتن يعني في  
 أيام البازوري ستمائة ألف دينار كانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب ثلاثمائة  
 ألف دينار وفي مستهل المحرم ثلثمائة ألف دينار فاتضع الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن  
 ميسرة وأمر الافضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف  
 ألف دينار وكان متحصل الامراء ألف ألف اردب وقال الامير جمال الدين والملك موسى  
 ابن المأمون البطائحي في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة ثم رأى القائل أبو عبد الله  
 محمد بن فالك البطائحي من احتلال أحوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من كون  
 اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساعت أحوالهم لقلة المتحصل منها وان اقطاعات الامراء قد  
 تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها وان في كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجيء  
 بالعسف وبتردد الزسل من الديوان الشريف بسببها يخاطب الافضل بن أمير الجيوش  
 في أن يحل الاقطاعات جميعها ويروكها وعرفه ان المصلحة في ذلك تعود على المقطعين  
 والديوان لان الديوان يحصل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد مقورة فأجاب  
 الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها وأخذ كل من الاقوياء والمميزين يتضررون  
 ويذكرون أن لهم بساين وأملاكا ومعاصر في نواحيهم فقال له من كان له ملك  
 فهو باق عليه لا يدخل في الاقطاع وهو محكم ان شاء باعه وان شاء آجره فلما حات  
 الاقطاعات أمر الضمفاء من الاجناد أن يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة في اقطاعات الاقوياء  
 الى أن انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت السجلات بانها باقية في أيديهم الى مدة ثلاثين سنة  
 لا يقبل عليهم فيها زائد وأحضر الاقوياء وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات التي  
 كانت بيد الاجناد قالوا كثرة غيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها فقال لهم



ابدلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك  
 طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الى الحد الذي رغب كل منهم فيه فأقطعوا به  
 وكتب لهم السجلات على الحكم المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل  
 للديوان بلاد مقورة بما كان مفراقا في الاقطاعات بما مبلغه خمسون ألف دينار \* وقال في  
 حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد تقدم أمر الاجل المأمون بعمل حساب الدولة  
 من الهلالي والخراسي وجعل نظمه على جملتين احدهما الى سنة عشر وخمسمائة الهلالية  
 الخراجية والجملة الثانية الى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما يوافقها من الخراجية  
 فقدت على جملة كثيرة من العين والاصناف وشرحت بأسماء أربابها وتعيين بلادها فلما  
 أحضرت أمر بكتب سجل يتضمن المساحة بالبوقي الى آخر سنة عشر وخمسمائة ونسخته  
 بعد التصدير ولما انتهى الينا حال المعاملين والضمان والمتصرفين وما في جهاتهم من بقايا  
 معاملاتهم أنعمنا بما تضمنه هذا السجل من المساحة قصداً في استخلاص ضامن طالت  
 غفلته وخربت ذمته وانقاد عامل أجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها  
 وجريها فيها على قديم عاداتها ولما كان ذلك من جميل الاحدوث التي لم نسبق اليها ولا  
 شاركنا ملك فيها اقتضت الحال ايرادها في هذا الكتاب وايداعها هذا الباب لما اطلعنا  
 عليه مما انتهت اليه أحوال الضمان والمعاملين بالملك من الاختلال وتجدد البقايا في جهاتهم  
 والاموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطلعنا المقام الاشرف النبوي بالتفصيل من أمورهم  
 والجملة واستخرجنا الامر العالى بوضع ذلك في الحال وأنشأ السجلات الكريمة مقصورة  
 على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان ليقراً على رؤس الاشهاد بسائر البلاد  
 ومبلغ ما انتهت اليه هذه المساحة الى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألفاً وسبعمائة  
 ألف وعشرون ألفاً وسبعمائة وسبعة وستون ديناراً ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط  
 ومن الفضة الثقرة أربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفاً وخمسة دراهم ونصف  
 وسدس درهم ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمان مائة ألف وعشرة آلاف وثمانان وتسعة  
 وثلثون أردبا وثمان ونصف سدس وثلثي قيراط ومن العناب ربع أردب ومن ورق  
 الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة أرداب ونصف ومن زريعة الوسمة عشرة أرداب وربع ومن  
 الصباغ ألف وأربعمائة وثمانون قطاراً ورطل ونصف ومن القوة أربعمائة وسبعون رطلاً  
 ومن الشب تسعمائة وثلاثة عشر قطاراً ونصف ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلثون  
 رطلاً ومن الزفت ألف وثلثمائة وثلاثة أرطال وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر  
 رطلاً وثلث ومن الثياب الحلبي ثلاثة أثواب ومن المناظر مائة متر صوف ومن الغرابيل  
 مائة وسبعون غربالاً ومن الاغنام مائتا ألف وخمسة وثلثون ألفاً وثلثمائة وخمسة رؤس



ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قطاراً وثمانية وثلاثون رطلاً ومن السجيل ثلاثمائة ألف وخمسة وسبعون ألفاً وخمسمائة وخمسون باعاً ومن الجريد أربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفاً وسبعمئة وثلاثة وخمسون جريدةً ومن السلب ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون سلباً ومن الاطراف ستة آلاف وسبعمئة وثلاثة أطراف ومن الملح ألفان وسبعمئة وثلاثة وتسعون أردباً وثلث ومن الاثنان أحد عشر أردباً ومن الرمان ألفاً حبةً ومن العسل التحل خمسمائة وأحد وأربعون قطاراً وسدس ومن الشهد اثنان وثلاثون زيراً وقادوساً واحداً ومن الشمع أربعمئة وأربعون رطلاً ومن الحلايا ثلاثة آلاف وأربعمائة وخمسة وستين ومن عسل القصب مائة وثمانية وثلاثون قطاراً ومن الابقار اثنان وعشرون ألفاً ومائة وأربعة وستون رأساً ومن الدواب أربعة وسبعون رأساً ومن السمن الفان وتسعمائة وستة وتسعون مطراً وسدس ونمن ومن الحين ثلثمائة وعشرون رطلاً ومن الصوف أربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون حبةً ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلاً وربيع ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته قال ولما انتهى الى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانزعاجها ممن كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج في بابه وخرج امره بأعفاء السكافة اجمعين والضمان والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ما داموا مغلقين وأبقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوانى المجلس والخاص الامر بين السعيدين ونسخته بعد التصدير \* ولما انتهى الى حضرتنا ما يعتمد في الدواوين ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الابواب والرباع والبساتين والحمامات والقياسر والمسالك وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تنكر طريقته فما هو الا أن محضر من يزيد عليه في ضمانه حتى قد نقض عليه حكم الضمان وقبل ما يبذل من الزيادة كئثماً من كان قبضت يد الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الثانى من التصرف من غير رعاية للمقد على الضامن الاول ولا يجرز في فسخه الذى لا يبيحه الشرع ولا يتأول أنكرنا ذلك على معتمديه وذنمنا من قصدنا عليه ومرتكبيه اذ كان للحق مجانب وعن مذهب الصواب ذاهباً وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله أنوارها وأعلى أبدأ منارها واستخرجنا الاوامر المطاعة في كتب هذا المنشور الى سائر الاعمال بأنه أى أحد من الناس ضمن ضماناً من باب أو ربع أو بستان أو ناحية أو كفر وكان لاقساط ضمانه مؤدياً ولما يلزمه من ذلك مبدياً وللحق متبعاً فان ضمانه باق في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملاً بالواجب والنظام المحمود واتباطاً لما أمر الله تعالى به في كتابه



الحجيد اذ يقول جل من قائل ( يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ) الى أن تنقضي مدة الضمان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها حملاً على قضية الواجب وسننها واعتماداً على حكم الشريعة التي ما ضل من اهتدى بفرائضها وسننها فأما من ضمن ضماناً ولم يقم بما يجب عليه فيه وأصر على المدافعة والمغالطة التي لا يعتمدها الا كل ذميم الطباع سفیه فذلك الذي فسخ حكم ضمانه بتقصه الشرط المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد عليه في ضمانه تقل عنه وأخرج من يديه لانه الذي بدأ بالفسخ وأوجد السبيل اليه فليعتمد كافة أرباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامثال المأمور وحمل هؤلاء الضمنا والمعاملين على ما نص فيه والحذر من تجاوزه وتعديه بعد ثبوته في ديواني المجلس والخاص الامر بين السعيدين وبحيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى قال ووصاته المكتوبة من الوالى والمشارف ومن كان نذب سحبه لكشف الاراضى والسواقي ومساحتها متضمنة ما أظهره الكشف وأوضحته المساحة على من بيده السواقي وهم عدة كثيرة ومن حملها ساقية مساحتها ثلثمائة وستون فدانا تشتمل على النخل والسكرم وقصب السكر بمدينة اسنا خراجها في السنة عشرة دنانير وما يجرى في الاعمال هذا المجرى وأهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من أرباب السواقي ما يدل على ما بأيديهم فذكروا أنها انتقلت اليهم ولم يظهروا ما يدل عليها وقد سيروا ملاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه في أمرهم وعند وصولهم أوقع الترسيم عليهم الى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فان الاملاك بجملتها لا تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للعامةون في يوم جلوسه للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم الى القاضى جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أبي أيوب المغربي وهو يومئذ قاضى القضاة لمحاكمتهم فجرى له معهم مقاوضة أوجبت الحق عليهم والزمهم بالقيام بما يستغرق أموالهم وأملاكهم فحصل من تضررهم ما أوجب العاطفة عليهم وأخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب عما تقدم صفحاً وكتب منشور نسخته قد علم الكافة ما تراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والتنظر في مصالح كل قاص منهم ودان وانا لا ندع ضرراً يتوجه الى أحد من الرعية الا حسمناه ولا نعلم صلاحاً يعود نفعه عليه الا قوينا سببه ووصلناه حسب ما يتعين على رعاة الامم وعملا بالواجب في البعيد والامم وسلوكاً لحجة الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القويمية واستمراراً على قضاياها وسجاياها الكريمة ولما كنا نرى النظر في مصالح الرعايا أمراً واجباً ونصرف الى سياستهم عزماً ماضياً ورأياً ناقباً كذلك نرى النظر في أمور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والحمامة عن الدين وجهاد الكفرة والملحدین ليكون ما نراعيه وننظر فيه جارياً على سنن الواجب محروساً من الخلل باذن الله من جميع الجوانب



ومن الله تستمد مواد التوفيق في الحل والعقد \* ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل \* وكان القاضي الرشيد بن الزبير أيام مشاركته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضلى بمجال أرباب الاملاك هناك وأنهم قد استضافوا الى أماكنهم من أملاك الدواوين أراضي اغتصبوها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعدوا عليها وخلطوها بها وحازوها ورسم له كشفها ونظم المشاريع بها وارشاعها للديوان وان يعتمد في ذلك ما يوجب حكم العدل المثبت في كل قطر ومكان وبآخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانهاائه على طيبته فاعتمدوا ما أمروا به من الكشف في هذه الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا بمن بيده ملك أو ساقية ما يشهد بصحة ملكه ومبلغ فدنه وذكر حدوده فلم يحضر أحد منهم كتاباً ولا أوضح جواباً وأصدروا الى الديوان المشاريع بما كشفوه وأوضحوه فوجدوا التعدي فيه ظاهراً وباب الحيف والظلم غير متقاصر والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه واستغلاله لاسيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأساً ولا يستند في ذلك الى حجة ادّخرها احترازاً عن مجاهدة سبيله واحتراساً ولكن نحكم بما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذي أقمنا مناره وأحيينا معلمه وآثاره مع الرغبة في عمارة البلاد ومصالح أحوالها واستنباط الارضين الدائرة وانشاء القروس واقامة السواقي بها أمرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والارضين والسواقي بأيدي أربابها الآن من غير انتزاع شيء منها ولا ارتجاعه وأن يقرر عليها من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على أمثالهم بمثله احساناً اليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه وانعاماً ما رخصنا نعيمه عليهم ونبديه وقد أئعنا وتجاوزنا عما سلف ونهينا من يستأنف وسامحنا من خرج عن التعدي الى المألوف وجرينا على سنننا في العفو والمعروف وجعلناها توبة مقبولة من الجماعة الجائنين ومن عاد من السكافة أجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمستأنفه وأمسه وبرتت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدت في وجهه أبواب الشفاعة والسلامة وقد فسحنا مع ذلك لسلك من يرغب في عمارة أرض حلفاء دائرة وادارة بئر مهجورة معطلة في أن يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه وأن يكون المقرر على كل فدان ما توجه زراعته لئله خراجاً مؤبداً وأمرأ مؤكداً فليتمتع ذلك الثواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس واحضار جميع أرباب الاملاك والسواقي واشعارهم ماشعالمهم من هذا الاحسان الذي تجاوز أمالهم في اجابتهم الى ما كانوا يسألون فيه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثله ويجيز الديوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة والآبار المعطلة لمن يرغب في ضمانها ونظم



المشاريح بذلك واصدارها الى الديوان ليخلد فيه على حكم أمثاله بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع أهل هذه الأعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد \* وأعلم انه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لمساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الامراء والاجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم لا يعرف هذه الابدنة التي يقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا فيصير عبدا قنا لمن أقطع تلك الناحية الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قن ما بقي ومن ولد له كذلك بل كان من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم وحمل ماعليه لبيت المال فاذا صار مال الخراج بالديوان أنفق في طوائف العسكر من الخزائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضي وتعلقت نواحي مصر باصناف الزراعات نذب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت لهم معرفة بعلم الخراج وكثيراً ما كان هذا الكتاب من التصاري الاقباط ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيحجرون مساحة ما شمله لرى من الاراضي مما لعله بار أو شرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالفدن والقطائع على جميع الاصناف المزروعة ويحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية أربعة أشهر نذب من الاجناد من عرف بالحماسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكتب من نصارى القبط غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشروا كل بلد ثلث ماوجب من مال الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا حضر هذا الثلث صرف في واجبات العساكر وهكذا العمل في استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت بلاد مصر اذ ذلك تقبل بعين وغلة واصناف وقد عرف ذلك من نسخة المسموح الذي تضمن ترك البواق في أيام الخليفة الأمر بأحكام الله ووزارة المأمون البطائحي ورأيت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن ممتي الكاتب المصري سألت القاضي القاضى الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العساكر في عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك في أيام رزيك بن الصالح فقال أربعين ألف فارس ونيفاً وثلاثين ألف راجل من السودان وقال أبو عمرو عثمان النابلسي في كتابه حسن السريرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة أن ضرغاماً لما ثار على شاور وفر شاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي بدمشق يستجده على ضرغام ويعدده بأنه يكون نائباً عنه بمصر ويجعل اليه الخراج انشأ لنور الدين عزماً لم يكن فجهز ألف فارس وقدم عليهم أسد الدين شيركوه وأمره بالتوجه فأبى وقال لا أمضى أبداً فإن هلاكي ومن معي وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا وكيف أمضى

عيسى

مصر

(طلاح)



بألف فارس الى أقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة شهيد فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون ألف عبد وقوم مستوطنون في أوطانهم فرأيت حرابتهم ومحن نأيتهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم أجابه بعد ذلك هذا أعزك الله بعد ما كانت عساكر أحمد بن طولون ما استراه في ذكر القطائع إن شاء الله تعالى ثم ما كان من عساكر الامير أبي بكر محمد بن طنج الاخشيد وهي على ما حكاه غير واحد منهم ابن خلكان أنها كانت أربعمائة ألف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغز من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله \* قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسة في ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها بعد أن أئذر حاضرها وغائبها وتوفي وصورها وتكامل سلاحها وخبولها فحضر في هذا اليوم جموع شهد كل من علاسته وقرطس ظنه أن ملكا من ملوك الايلام لم يحز مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما أرغم أنوف الكفرة ولم يتكامل اجتياز العساكر موكبا بعد موكب طلبا بمدطاب والطلب بلغة الغز هو الامير المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسا الى أن انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون طلبا وتقدير العدة يناهز أربعة عشر ألف فارس أكثرها طواشية والطواشي من رزقه من سبعمائة الى ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤس الى ما دونها ما بين فرس وبرذون وبغل وجمال وله غلام يحمل سلاحه وقر اغلامية تمة الجملة قال وفي هذه السفارة عرض العربان الخدامين فكانت عدتهم سبعة آلاف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثمناثة فارس لا غير وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان أصله ألف ألف دينار على حكم الاعتماد الذي يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك فامتصوا ولو حوا بالتحيز الى الفرنج \* وقال في متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة لانهظر في أمور الاقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة فيها وأثبت المحروم وزيادة المشكور الى أن استقرت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارسا أمراء مائة وأحد عشر أميراً طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قرا غلامية الف وخمسمائة وثلاثة وخمسون والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة الف وسبعون الف وخمسمائة دينار وذلك خارج عن المحلولين من الاجناد الموسومين بالحوالة على العشرون وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكاسيين والمصريين والفقهاء والقضاة والصوفية وعمما يجرى بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار \* وقال في متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمائة أوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى



آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسةائة خارجا عن الثغور وأبواب  
الاموال الديوانية والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط وعدة نواح اوردت أسماءها ولم يعين  
لها في الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف وستائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة  
عشر دينارا يعد مايجرى في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية والدقهلية  
وبوش وغير ذلك وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون  
دينارا ( تفصيل ذلك ) الديوان العادلي سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية  
وأربعون دينارا الامراء والاجناد المرسوم بانقاء اقطاعهم بالاعمال المذكورة مائة ألف  
وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنائير ديوان السور المبارك والاشراف ثلاثة عشر ألفا  
وثمانمائة وأربعة دنائير العربان مائتا ألف وأربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون دينارا  
الكنانية خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنا عشر دينارا القضاة والشيخ سبعة آلاف  
وأربعمائة وثلاثة دنائير القيازية والصالحية والاجناد المصريون اثنا عشر ألفا وخمسةائة  
وأربعة دنائير الغزاة والساقلة المركزة بدمياط وتيس وغيرهم عشرة آلاف وسبعمائة  
وخمسة وعشرون دينارا البارز ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف واثنا وستون ألفا وخمسة  
وتسعون دينارا ( الوجه البحري ) ألف ألف ومائة ألف وأحد وخمسون ألفا وستائة  
وثلاثة وخمسون دينارا ( تفصيله ) ضواحي نجر الاسكندرية ثمانمائة ألف ومائة وثمانية  
وثلاثون دينارا نجر رشيد ألفا دينار البحيرة مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسةائة وستة  
وسبعون دينارا حوف رمسيس اثنان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنائير قوة والمزاحميتين  
عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون دينارا التبراوية خمسة عشر ألفا وثلاثمائة وخمسة دنائير  
جزيرة بنى نصر مائة ألف واثنا عشر ألفا وستائة وستة وأربعون دينارا جزيرة قوسينا  
مائة ألف وثلاثون ألفا وخمسةائة واثنا وتسعون دينار الغربية ستمائة ألف وأربعة وسبعون  
ألفا وستائة وخمسة دنائير السمودية مائتا ألف وخمسة وأربعون ألفا وأربعمائة وتسعة  
وسبعون دينارا الدجاوية ستة وأربعون ألفا ومائتان وأربعة وسبعون دينارا المنوفية مائة  
ألف وثمانية وأربعون ألفا وثلاثمائة وسعة وأربعون دينارا ( الوجه القبلي ) ألف ألف  
وسمائة ألف وعشرة آلاف وأربعمائة وأحد وأربعون دينارا ( تفصيل ذلك ) الجزيرة مائة  
ألف وثلاثة وخمسون ألفا ومائتان وأربعة دنائير الاطفيحية تسعة وخمسون ألفا وسبعمائة  
وثمانية وعشرون دينارا البوصيرية ستون ألفا واربعمائة وستة وستون دينارا الفيومية مائة  
الف واثنا وخمسون ألفا وستائة واربعة وثلاثون دينارا الهنسية ثلثمائة الف واثنا  
وخمسون ألفا وستائة واربعة وثلاثون دينارا الواحات الداخلة والخارجتين وواحد الهنسا  
خمسة وعشرون الف دينار الاشمونين مائة الف وسبعة واربعون الف وسبعمائة واثنا



وثلاثون ديناراً السيوطية خارجاً عن منفلوط ومنقباط أثنان وسبعون الفا وخمسمائة واربعة  
 دنائير الاخيمية مائة الف وثمانية آلاف وثمانمائة وأثنان عشر ديناراً الاعمال القوسية ثلثمائة  
 الف وأثنان وستون الفا وخمسمائة دينار ثمر اسوان خمسة وعشرون الف دينار ثمر عيذاب  
 يجري في غير هذا الديوان \* وقال في متجددات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والذي انعقد  
 عليه ارتفاع الديوان السلطاني ثلثمائة الف واربعة وخمسون الفا واربعة واربعون ديناراً  
 والذي يميز زائد الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وثمانين اثنان  
 وعشرون الفا واربعمائة وخمسة واربعون ديناراً والذي انساق من البواقي للسنة المذكورة  
 احد وثلاثون الفا وستمائة وأثنان وعشرون ديناراً والذي اشتمل عليه متحصل ديوان  
 الخالص الملكي الناصري بالديار المصرية لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلثمائة الف واربعة  
 وخمسون الفا واربعمائة واربعة وخمسون ديناراً ونصف وثلاث وثمان

### ذكر الروك الاخير الناصري

وكان الجندي اقطاعه بمفرده وله تبع واحد من عشرين الف درهم الى ثلاثين وفيهم  
 من اقطاعه خمسة عشر الفا واقلهم عشرة آلاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة آلاف  
 درهم في الاقطاع الثقيل وكان الجندي يخرج الى آسكان بطوالة خيل ويخرج مقدم الحلقة  
 كامير عشرة وتكون مضاقه اذا نزل حوله واكثرهم يأكل على سماطه ولا يمكن الامير أن  
 يأكل الا وجميع اجناده معه ويأخذ غلمان اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا رأى  
 نارا توقد سأل عنها فيقال ان فلانا اشتهي كذا فيغضب ممن لا يأكل عنده ومع ذلك كانت  
 اشكالهم بشعة وملابسهم غير خائفة فلما أفضت السلطنة الى المنصور لاجين راك البلاد وذلك  
 أن ارض مصر كانت اربعة وعشرين قيراطا فيختص السلطان منها بأربعة قيراط ويختص  
 الاجناد بعشرة قيراط ويختص الامراء بعشرة قيراط وكان الامراء يأخذون كثيراً من  
 اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء ويصير ذلك الاقطاع في دواوين الامراء  
 ويحتمي بها قطاع الطريق وتشور بها الفتن ويقوم بها الهوشات ويمنع منها الحقوق والمقررات  
 الديوانية وتصير مأكلة لاعاون الامراء ومستخدمهم ومضرة على اهل البلاد التي تجاورها  
 فأبطل السلطان ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها واخرجها بأسرها من دواوين الامراء  
 واول ما بدأ به ديوان الامير سيف الدين منكوتر نائب السلطنة فأخرج منه ما كان فيه من  
 هذه الاقطاعات وكان يحصل له منها مائة الف اردب غلة في كل سنة واقتدى به جميع الامراء  
 وأخرجوا ما في اقطاعهم من ذلك فبطلت الحمايات وجعل السلطان في هذا الروك للامراء  
 والاجناد أحد عشر قيراطاً وأفرد تسعة قيراط ليخدم بها عسكرياً ويقطعهم اياها ثم رتب  
 أوراها بتكفية الامراء والاجناد بعشرة قيراط ووزر قيراطاً لزيادة من عساه يطلب زيادة



لقلة متحصل أقطاعه وأفرد لخاص السلطان عدة أعمال جليلة وأفرد للنائب منكوتم لتفرقة  
 المثلثات في تابعه فتكررت قلوب الامراء حتى كان من المتصور لاجين ونائبه منكوتم ما كان  
 فلما كانت الايام الناصرية راك الناصر محمد البلاد قال جامع السيرة الناصرية وفي سنة خمس  
 عشرة وسبعمائة اختار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ان يروك الديار المصرية وان  
 يبطل منها مكوسا كثيرة ويفضل لخاص مملكته شيئا كثيرا من اراضي مصر وكان سبب  
 ذلك انه اعتبر كثيرا من أخباز الممالك والحاشية الذين كانوا للملك المظفر ركن الدين  
 بيبرس الجاشنكير والامير سلار وسائر الممالك البرحية فاذا هي ما بين ألف دينار الى ثمانمائة  
 دينار وخشى من قطع أخباز اندكورين فولد له الراى مع القاضي نجر الدين محمد بن فضل  
 الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقرر اقطاعات بما يختار ويكتب بها مثلثات سلطانية  
 فتقدم الفخر ناظر الجيش فعمل اوراقا بما عليه عبر النواحي ومساحتها وعين السلطان لكل  
 اقليم من اقليم ديار مصر اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جيكل بن البابا ان يخرج  
 لناحية الغربية ومعه اعزل الحاجب ومن الكتاب المكيين بن فرويته وان يخرج الامير عز  
 الدين ايدمر الخطيرى الى ناحية الشرقية ومعه الامير ايتمش المجدى ومن الكتاب امين  
 الدولة ابن قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدى والقليجي وابن طرغلاى وبيبرس  
 الجمدار الى ناحية المنوفية والبحيرة وان يخرج البلبي والمرتبى الى الوجه القبلي وندب معهم  
 كتابا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر فكان كل منهم اذا نزل بأول عمله طلب  
 مشايخ كل بلدود للاعها وعدوها وقضاتها وسجلاتها التي بأيدي مقطعيها وخص عن متحصنها  
 من عين وغلة وأصناف ومقدار ما تحتوي عليه من القطن ومزروعها وبورها وما فيها من  
 تراب وبواق وغرس ومستبحر وعبرة الناحية وما عليها لمقطعيها من غلة ودجاج وخراف  
 وبرسيم وكشك وكمك وغير ذلك من الضيافة فاذا حزر ذلك كله ابتدأ بقياس تلك الناحية  
 وضبط بالعدول والقياسين وقاضى العمل ما يظهر بالتقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك  
 القرية وغنداقتها وفضل ما فيها من الخاص السلطاني وبلاد الامراء واقطاعات الاجناد والرزق  
 حتى ينتهى الى آخر عمله ثم حضروا بعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرر في الاوراق  
 المحضرة حال جميع ضياع أرض مصر ومساحتها وعبرة اراضيها وما يتحصل عن كل قرية من  
 عين وغلة وصنف فطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الاسعد بن امين الملك المعروف  
 بكتاب سرلغى وسائر مستوفى الدولة والزمهم بعمل اوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني  
 التي عينها لهم وعلى اقطاعات الامراء وأضاف على عبرة كل بلد ما كان على فلاحها من ضيافة  
 لمقطعيها وأضاف الى العبرة ما في الاقطاع من الجوالى وكتب مثلثات للاجناد باقطاعات على  
 هذا الحكم فاعتد منها بما كان يصرف في كلف حمل الغلال من النواحي الى ساحل



القاهرة وما كان عليها من المكس وابطل السلطان عدة مكوس منها مكس ساحل الغلة وكان جل متحصل الديوان وعليه اقطاعات الامراء والاجناد ويحصل منه في السنة أربعة آلاف ألف وستائة ألف درهم وعليه اربعمائة مقطع لكل منهم من عشرة آلاف الى ثلاثة آلاف ولكل من الامراء من اربعين ألفا الى عشرة آلاف وكانت جهة عظيمة لها متحصل كثير جدا وينال القبط منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت تتعدد ما بين نواتية تسرق وكيايين تجس وشاذين وكتاب يريد كل منهم شيئاً وكان مقرر الاردب درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بنحس الكيالة في ساحل بولاق يجلس فيه شاد وستون متعمماً ما بين كتاب ومستوفين وناظر وثلاثون جندياً مباشرون ولا يمكن أحداً من الناس أن يبيع قدحاً من غلة في سائر النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص الكيالة ببولاق ومما أبطل أيضاً نصف السمسة وهو عبارة عن أن من باع شيئاً من الاشياء فانه يعطى أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشيخي الوزارة قرر على كل دلال من دلالاته درهما من كل درهمين فصار الدلال يعمل معدله ويجهد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البائع فتضرر الناس من ذلك وأوذوا فلم يفتأوا حتى أبطل ذلك السلطان ومما أبطل رسوم الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاية والمقدمين فيجبها المذكورون من عرفاء الاسواق وبيوت الفواحش ولهذا الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعابها جند مستقطعون وأمرء وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت أكثر الناس ومما أبطل مقرر الحوائص والبنغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على كل من الولاية والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثمائة درهم وعن ثمن بغل خمسمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجون وهو عبارة عما يؤخذ من كل من يسجن فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف أخرى وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثر ما يحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع امرأته أو ابنه رفعه الوالي الى السجن فبمجرد ما يدخل السجن ولو لم يبق به الا لحظة واحدة أخذ منه المقرر وكذلك كان على سجن القضاة أيضاً\* (ومن ذلك مقرر طرح الفراريج)\* ولها ضمان عدة في سائر نواحي أرض مصر يطرحون على الناس الفراريج فيمر بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسي الارامل من العسف والظلم شيئاً كثيراً وكان على هذه الجهة



عدة مقطعين ولا يمكن أحدا من الناس في جميع الاقاليم أن يشتري فروجا فما فوقه الا من  
 الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل  
 مكان وما هو بميت \* (ومن ذلك مقرر الفرسان) وهو عبارة عما يجيبه ولاية النواحي  
 من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقاسي الناس فيه  
 أهوالا صعبة \* (ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر) وهو ما يجبي من مزارعي قصب  
 السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر \* (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجبي من سائر  
 النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة أصل البتة وانما يجبي بضرائب ينال  
 الناس فيها مع المقرر غرامات وروعات \* (ومن ذلك حماية المراكب) وهي عبارة عما يؤخذ  
 من كل مركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة أشد ما ظلم به الناس  
 فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السؤال والمسكين \* (ومن ذلك حقوق  
 القينات) وهو عبارة عما يجتمع من الفواحش والمنكرات فيجيبه مهتار الطشتخاناه السلطانية  
 من أوباش الناس \* (ومن ذلك شد الزعماء) وهي جهة مفردة وحقوق السودان وكشف  
 المراكب ومقرر ماعلى كل جارية أو عبد حين نزولهم بالحنانات لعمل الفاحشة فيؤخذ من  
 كل ذكر وأنتى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجبي من سائر النواحي فيحمل ذلك  
 مهندسو البلاد الى بيت المال باعانة الولاية لهم في تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين  
 من الجند ومقرر المشاعلية وهو عبارة عما يؤخذ عن كسح الافية وحمل ما يخرج منها من  
 الوسخ الى السكنان فكان اذا امتلأ سراب جامع أو مدرسة أو مسمط أو تربة أو منزل  
 من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ماعسى أن يباع التعرض لذلك حتى يأتيه  
 ضامن الجهة ويقاولة على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاضطاط في السوم  
 وطلب أضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر  
 على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سؤاله نائياً فيعظم تحكمه ويشدد بأسه الى أن يرضيه  
 بما يختار حتى يتمكن من كسح فئانه ورفع ما هنالك من الاقدار \* (ومن ذلك ابطال  
 المباشرين من النواحي) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلي والبحري ما من بلد  
 صغير وكبير الا وفيه عدة من كتاب وشاد ونحو ذلك فأبطل السلطان المباشرين وتقدم  
 منهم من مباشرة النواحي الا من بلد فيها مال السلطان فقط فأراح الله سبحانه الخلق  
 بإبطال هذه الجهات من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه \* ولما أبطل السلطان هذه  
 الجهات وفرغ من تميم الاقطاعات للامراء والاجناد أفرز لخاص السلطان من بلاد أرض  
 مصر عدة نواح مما كان في اقطاعات البرجية وهي الجزيرة وأعمالها وهو والكوم الاحمر  
 ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقاليم وصار لاقطاعات



الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطا ومكر الاقباط فيما أمكنهم المكر فيه فبدؤا بأن أضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد في عدة جهات فصار بعض الجي في الصعيد وبعضه في الشرقية وبعضه في الغربية اتعابا للجندى وتكثيرا للسكفة وأفردوا جوالي الذمة من الخاص وفرقوها في البلاد التي أقطعت للامراء والاجناد فان انصارى كانوا مجتمعين في ديوان واحد كما استقف عليه ان شاء الله تعالى فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة فاتسع مجال النصارى وصاروا يتقلون في القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون قتل وتحصل هذه الجهة بعد كثرته وأفردوا ما بقي من جهات المكوس برسم الحوائج خاناه التي تصرف للسماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ما شاؤا ثم يتولوا صرف ما يحصل منه في جهات تستهلك بالاكل وصارت جهات المكوس مما يتحدث فيه الوزير وشاد الدواوين \* ثم نظر السلطان فيما كان بيد الاميرين ببيرس الجاشنكير وسلاز نائب الساعطة من البلاد فأخذ ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ولم يدع من ذلك شيئا مما كانوا قد وقفوه حتى حله وجعل الجميع اقطاعات واعتمد في سائر الاقطاعات بما كان يستهديه المقطع من فلاحه فحسب ذلك واقامه من جملة عبر الاقطاع وأبطل الهدية فلم يتبها له الفراغ من ذلك الى آخر السنة فلما أهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعمائة وقد نظمت الحسابات على ثلث مغل سنة خمس عشرة جلس السلطان في الايوان الذي استجده بقلعة الجبل وقد تقدم لسائر نقيب الاجناد على لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض في كل يوم أميرين من الامراء المقدمين بمضافيهما فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من تقدمه ذلك الامير باسمهم على قدر منازلهم فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد تقييه الى ما بين يدي السلطان فاذا مثل بحضرته سأل السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار من الامراء وغيرهم وعن مشاهدته التي حضرها في الغزو وعما يعرفه من صناعة الحرب وغير ذلك من الاستقصاء فاذا انتهى استفهامه اياه ناوله بيده مثلا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له فلم يمر به في مدة العرض احد إلا وقد عرفه وأشار الى الامراء بذكر شيء من خبره هذا وقد تقدم الى سائر الامراء بأسرهم بأن يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض أحد منهم السلطان في شيء يفعله فكانوا يحضرون وهم سكوت لا يتكلم أحد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله وأخذ السلطان في مواربة الامراء فما أنسوا على أحد في مجالس العرض الا وأعطاه السلطان مثلا باقطاع ردى فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جملة وانفرد بالاستبداد باموره دونهم فما عرف منه أنه قدم اليه أحد الولا أنه ان كان مملوكا عمن أقدمه من التجار وسائر ما تقدم وان كان شيخا فعن أسله وسنه وم



مصاف حضرها حتى أتى على الجميع وأفرد المشايخ العاجزين فلم يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فأنتهى العرض في طول المحرم وتوفر كثير من مثالات الاجناد فبلغ عدة مائتي مثال ثم أخذ في عرض أطباق الممالك السلطانية ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدة رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك اقطاعات وجعل حزمه مكس قريبا لضعفاء الاجناد بمن قطع خبزه فجعل لكل منهم في السنة ثلاثة آلاف درهم. وكان لبيبرس وسلار الجوكندار تعلقات كثيرة في بيت المال وفي الاعمال كالجزيرة والاسكندرية من متجر وحمايات فار جمع ذلك وأبطله وما شابهه وأضاف ما لم يقضه الى ديوان الخالص وما أمر به في مدة العرض أن لا يرد أحد مثالا أخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع أمير في جندي وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفي وقطع خبزه فعمظت مهابة السلطان وقويت حرمة ولم يجسر أحد أن يرد عليه مثالا أخذ من السلطان ولا استطاع أمير أن يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه مثلا ألف دينار الى اقطاع مائتي دينار ونحوها وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطي المثال من غير تأمل كيفما وقعت يده عليه وقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يهزل بمحضرة فيضحك منه ويعجب به ولا يعترض فيما يقول من السخف يجلس السلطان في بعض أيام العرض في البستان بقاعة الجبل وعنده الخاصة من الامراء فدخل هذا المضحك وأخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى أن قال وجدت بعض اجناد الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه يقصد بهذا السخرية والطعن فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه وعروه نيباه فتبادره الاعوان وجروه برجله ونزعوا نيباه وربطوه في الساقية مع القواديس واكثروا من ضرب الابقار حتى أسرعت بدوران الساقية فصار المسكين يتقلب مع القواديس ويفطس في الماء تارة وبرقي اخرى ثم ينتكس والماء يمر عليه مقدار ساعة الى أن انقطع حسه وأشرف على الهلاك واشتد رعب الامراء لما رأوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادر في طائفة من الامراء الخاصكية واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد عيب الاجناد ولا انتقاصهم ونحو هذا من القول الى أن أمر بحمله فاذا ليس فيه حركة فسحب ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا بيت بديار مصر فأخرج من وقته منقيا وحمد الله كل من الامراء على ما وقفه من السكوت عن الكلام في حال العرض وما زال الامر بمصر على ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك الى أن زالت دولة بني قلاوون بالملك الظاهر برقوق في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة فأبقى الامر على ذلك الا أن أشياء منه اخذت تتلاشى قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والحزن في سنة ست وثمانائة حيث حدث



من أنواع التغيرات وتنوع الظلم ما لم يخاطر ببال أحد وسيمربك حمل من ذلك عند ذكر أسباب خراب إقليم مصر ان شاء الله تعالى وكانت لاراضى مصر تقاوى مخلدة في نواحيها وهي على قسمين تقاوى سلطانية وتقاوى بلدية فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك في النواحي وكان الامير أو الجندى عند ما يستقر على الاقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية فاذا خرج عنه طواب بها فلما كان الروك الناصرى خلدت تقاوى كل ناحية بها وضبطت في الديوان السلطاني فبلغت جملتها مائة ألف وستين ألف أردب سوى التقاوى البلدية

### ذكر الديوان

قال أفضى القضاة أبو الحسن الماوردى الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان أحدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أى مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل ديوان والثاني أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الحلي والحني وجمعهم لما شد وتفرق واطلاعهم على ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان انتهى واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكاتبات ولا بد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد أفرد العلماء في كتابة الخراج وفي كتابة الانشاءات عدة مصنفات ولم أر أحدا جمع شيئا في كتابة الجيوش والعساكر وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة فلما انقضت أيام بني أمية وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الامور أيام الرشيد فالتخذ السكاغذ وتداوله الناس من بعده الى اليوم \* وذكر أبو النمر الوراق قال حدثني أبو حازم القاضي قال قال لى أبو الحسن بن المدبر لو عمرت مصر كلها لوفت بأعمال الدنيا وقال ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان وانما المعمر منها ألف ألف فدان قال وقال لى ابن المدبر أنه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالي حتى أتته ولا بقيته وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد بقي علم شيء من العمل فاستتمه اذا أصبحت

### ذكر ديوان العساكر والجيوش

يقال ان أول من وضع ديوان الجند بجيولهم كهراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من



الفرس وان كيقباز قبله كان قد أخذ العشر من الغلات وصرفه في ارزاق جنده وأما في الإسلام فإخراجه البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس فكاتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخارى في باب كتابة الامام الناس والبخارى من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اكتببت في غزوة كذا وكذا وأمراني حاجة قال ارجع فاحجج مع أمرأتك وقال عمرو بن منبه عن معمر بن عتابة قال آخر ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فاقام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبي بكر وأرسل من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال ابن شهاب عمر أول من دون الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قدم أبي النبي صلى الله عليه وسلم عام أول فاعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين فقيل ان سبيه أن أبهريرة رضي الله عنه قدم على عمر رضي الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدرى ماتقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيب هو قال لا أدري فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وان شئتم عددنا لكم عدا فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدونون ديوانا لهم فدون أنت ديوانا فدون عمر \* وقيل بل سبيه أن عمر بعث بعثا وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت أهله الاموال فان تخلف منهم رجل من أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديوانا فسأله عن الديوان حتى فسره له فاستشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال له علي بن أبي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيئا وقال عثمان رضي الله تعالى عنه أري مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر وقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤا ببني هاشم وكتبوهم ثم أتبعوهم أولاد أبي بكر وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضي الله عنه فلما نظر فيه قال لا ولكن أبدوأ بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضي الله عنه على ذلك وقال وصلت رحلك وقد اختلفت في السنة التي فرض فيها عمر رضي الله عنه الاعطية ودون الدواوين فقال الكلبي في سنة خمس عشرة وحيي ابن سعد عن عمر



الواقدي أنه جعل ذلك في سنة عشرين قال الزهري وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين وقال ما يحل للوالي من هذا المال فقالوا جميعا أما الخاصة فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شغل وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان الى جهاده وحوادثه وحملاته الى حجته وعمرته والقسم بالسوية وأن يعطى أهل البلاد على قدر بلادهم ويرم أمور الناس بعد ويتعاهدهم في الشدائد والنوازل حتى تنكشف ويبدا بأهل النقي ثم يجوزهم الى كل مغلوب ما بلغ النقي وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لما افتتحت القادسية وصالح من صالح أهل السواد وافتتحت دمشق وصالح أهل الشام قال عمر رضي الله عنه للناس اجتمعوا فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام فاجتمع رأي على وعمر رضي الله عنهما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى يعني من الخمس لله وللرسول يعني من الله الأمر وعلى الرسول القسم ولذي القربى واليتامى والمساكين ثم فسروا ذلك بالآية الاخرى التي تليها للفقراء المهاجرين الآية فأخذوا أربعة الاخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بدى به وثني وثالث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم ثم استشهدوا على ذلك بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسة الآية من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه فقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر وعلى وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدأ بالمهاجرين ثم الانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح أو دعاه الى الصلح من حرابة فردده عليهم بالمعروف وليس في الجزا أخماس الجزا لمن منع الذمة وفي لهم ممن ولي ذلك منهم ولمن لحق بهم فأعانهم بأسوة الا أن يواسوا بفضله عن طيب أنفس منهم من لم ينل مثل الذي نالوا وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضي الله عنه اني مجند المسلمين على الاعطية ومدونهم ومتحري الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعمان وعلى رضي الله عنهم ابدا بنفسك قال لا ابدا الا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله ففرض للعباس وبدا به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديدية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديدية الى أن أفلح أبو بكر رضي الله عنه عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولي الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام أصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لاهل البلاد النازح منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فليل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم أكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا لاهل الله أذن وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم بمن قد قربت



داره وقاتل عن فئاه فقال هم كانوا أحق بالزيادة لانهم كانوا رده الحقوق وشجي للعدو وام  
الله ماسويتهم حتى استطبتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سوبنا بين السابقين من  
المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصره الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد  
وقرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية والرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة سوى  
كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل قويم وضعيفهم عريهم واعجمهم في طبقاتهم سواء حتى  
اذا حوى أهل الامصار من حووا من سباياهم وردت المربع من الروادف فرض لهم على  
خمين ومائتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين فكان آخر من فرض  
له عمر رضى الله عنه أهل هجر على مائتين ومات عمر على ذلك وأدخل في أهل بدر أربعة  
من غير أهل بدر الحسن والحسين وأبذر وسلمان وقال أبو سلمة فرض عمر للعباس على  
خمسة وعشرين ألفا وقال الزهرى على اثني عشر ألفا وجعل نساء أهل بدر الى الحديمة  
على أربعمائة أربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثمائة ثلثمائة ثم نساء  
أهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل للصبيان من أهل بدر  
وغيرهم مائة مائة ثم دعاستين مسكينا فاطعمهم خبزا بماغ فأحصوا ما أكلوه فوجدوه يخرج  
من جزيتين ففرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعياله جزيتين جزيتين في كل شهر  
مسلمهم وكافرهم وفرض لازواج النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الا من  
جرى عليه البيع فقالت أمهات المؤمنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن  
في القسمة ولكن كان يسوى بيننا فسو بيننا فجعلهن على عشرة آلاف عشرة آلاف وقضل  
عائشة رضى الله عنها بألفين فأبت فقال لفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فاذا أخذتها فشأنك وكان الناس أعشارا فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على  
عشرة ورزق الخليل على اعرافها فما زالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة فغيرت  
العرفاء والاعشار وجملت أسبعا وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف  
وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين  
من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الايام عشرين رجلا على ثلاثة  
آلاف وعشرين امرأة ولكل عييل مائة على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة  
الاولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال بمن كان رجالهم ألحقوا على ألف  
وخمسمائة على مائة ألف درهم وكان العطاء يدفع الى أمراء الاسباع وأصحاب الرايات  
والرايات على ايدى العرب فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه الى أهله في دورهم  
فمات عمر رضى الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء أربعة آلاف  
أربعة آلاف وقال لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ألف يخلفها الرجل



في أهله وألف يتزودها معه في سفره وألف تجهز بها وألف يترفق بها فمات وهو في ارتياد  
 ذلك قبل أن يفعل وكان يقري البعوث على قدر المسافة إن كان بعيدا فسنة وإن كان دون  
 ذلك فسنة أشهر فإذا أخذ الرجل بتفره نزع عمامته وأقيم في مسجد حيه فقيل هذا  
 فلان قد أخذ وقال سيف بن عمر أول عطاء أخذ سنة خمس عشرة وكان عمرو بن العاص  
 رضى الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزيرة بعد حبس ما كان  
 يحتاج اليه فلما استخلف عثمان رضى الله عنه لثلاث مضي من المحرم سنة أربع وعشرين زاد  
 الناس مائة وكان أول من زاد ورغد أهل الامصار وهو أول من رفدهم وصنع فيهم الصنائع  
 فاستن به الخلفاء في الزيادة وكان عمر قد فرض لكل نفس منقوسة من أهل النية في رمضان  
 درهما في كل يوم وفرض لامهات المؤمنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم به طعاما فجمعتهم  
 عليه فقال أشبعوا الناس في بيوتهم فأقر عثمان رضى الله عنه ذلك وزاد فوضع لهم طعام  
 رمضان وقال هو لامتعبد الذى يتخلف في المسجد ولابن السبيل وللمعتزين بالناس في رمضان  
 فاقتدى به الخلفاء من بعده \* وكان بمصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان أربعون ألفا وكان  
 منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين وكان انما يحمل الى معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل  
 أعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب  
 بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد اللبيلة فيكم مولود وهل نزل  
 بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل  
 كذا ببياله فيسميه وعياله فاذا فرغ من القيل أتى الديوان حتى يثبت ذلك وأعطى مسلمة  
 ابن مخلد الانصاري أمير مصر أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوابهم  
 ونواب البلاد من الجسور وأرزاق السكتة وحمالان القمح الى الحجاز وبعث الى معاوية  
 ستمائة ألف دينار فضلا وأول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه  
 ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا ودون قرعة بن شريك التدوين الثالث ثم دون  
 بشر بن صفوان تدوينا رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شي له ذكر الا ما كان من الحلق  
 قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فلما انقضت دولة بني أمية وغلبت  
 المسودة بنو العباس أحدثوا أشياء حتى اذا مات عبد الله المأمون بن هرون الرشيد لسبع  
 خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وبويغ أخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هرون  
 كتب الى كندر بن نصر الصفدي أمير مصر يأمره باسقاط من في ديوان مصر من العرب  
 وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك وكان مروان بن محمد الجمدي آخر خلافت بني أمية قطع عن  
 أهل مصر العطاء سنة ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه اني انما حبست عنكم العطاء في السنة  
 الماضية لعدو حضرني فاحتجت الى المال وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه



السنة فكلوه هنيئاً مرياً وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع العطاء على يديه ولما قطع كندر عطاء أهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لخم وجذام وقال له هذا أمر لا يقوم فينا أفضل منه لانا منغنا حقنا وفيثنا فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ومات كندر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين وولي ابنه المنظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله في بحيرة تيس وأخذه أسيراً فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها الهجم والموالي من عهد المعتصم الى أن ولي الامير أبو العباس أحمد بن طوئون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركي وأربعين ألف أسود وسبعة آلاف حر مرتزق ثم استجد ابنه الامير أبو الجلس خارويه بعده عدة من شنارة حوف مصر فلما كانت امارة الامير أبي بكر محمد بن طفيح الاخشيدي على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام أربعمائة ألف تشمل على عدة طوائف ثم ان الاستاذ أبا المسك كافورا الاخشيدي استجد عدة من السودان في أيام حكمه بمصر فلما تغلب الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي على مصر صارت عساكرها ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر وفيهم الروم والصقالبة وهم في العدد كما قيل \* ومنهم معد \* ولم تسكن جيوشه تعد \* ولا لما أوتيه كان حد \* من كل ما يسعد فيه جد \* وحتى قيل أنه لم يظأ الارض بعد جيش الاسكندر بن فليش المقدوني أكثر عدداً من جيوش المعز فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور تزار استخدم الديلم والأتراك واختص بهم \* وذكر الامير المختار عبد الملك المسيحي في تاريخه أن خزانة الخصاص حملها لما خرج العزيز الى الشام عشرون ألف حمل خارجاً عن خزائن القواد وأكبر الدولة \* وذكر ابن ميسر في تاريخه أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عدتهم خمسين ألف عبد سوى طوائف العسكر ورأيت بخط الاسعد بن مماتي أن عدة الجيوش بمصر في أيام رزيك ابن الصالح طلائع بن رزيك كانت أربعين ألف فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة شواني بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية فلما زالت دواتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أزال جند مصر من العبيد السود والامراء المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجد عسكراً من الاكراد والأتراك خاصة وبلغت عدة عساكره بمصر اثني عشر ألف فارس لا غير فلعمامات افتقرت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة فارس الأن فيهم من له عشرة أتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من له أكثر من ذلك الى مائة تبع لرجل واحد من الجند فكانوا اذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون على مائتي ألف ثم لم يزلوا في افتراق واختلاف حتى زالت



دولتهم بقيام عبيدهم المماليك الاتراك فخذوا حذو مواليهم بني أيوب واقتصر واعلى الاتراك  
وشي من الاكراد واستجدوا من المماليك التي تجلب من بلاد الترك شيئا كثيرا حتى يقال ان  
عدة ممالك الملك المنصور قلاون كانت سبعة آلاف مملوك ويقال اثني عشر ألفا وكانت عدة  
ممالك ولده الاشرف خليل بن قلاون اثني عشر الف مملوك ثم لم تبلغ بعد ذلك قريبا من  
هذا الى أن زالت دولة بني قلاون في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة بملك الظاهر  
برقوق فاخذ في محو المماليك الاشرفية وأنشأ لنفسه دولة من المماليك الجركسية بلغت  
عدتهم ما بين مائتي ومستخدم أربعة آلاف أو تزيد قليلا فلما قام من بعده ابنه الناصر  
فرج افترقوا واختلفوا فلم يقتل حتى هلك كثير منهم بالقتل وغيره وعساكر مصر في الدولة  
التركية على قسمين أجناد الحلقة والمماليك السلطانية واكثر ما كانت أجناد الحلقة في أيام  
الناصر محمد بن قلاون فانها بلغت على ما رأيت في جرائد ديوان الجلبش بأوراق الروك  
الناصرى أربعة وعشرين ألف فارس ثم ما زالت تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها  
سواء منها الالف والواحد فانها لاتنفع ولا تدفع وأما المماليك فانها اليوم قليل عددها بحيث  
لو جمعت أجناد الحلقة مع المماليك السلطانية لاتكاد أن تبلغ خمسة آلاف فارس يصلح منها  
لان يباشر القتال ألف أو دونها وهي اليوم قسيمان أجناد الحلقة والمماليك السلطانية والمماليك  
السلطانية ثلاثة أسماء ظاهرة وناصرية ومؤيدية ومؤيدية مابين حكمية ونوروزية ومن  
استجده المؤيد وان خو في ليكثر أن يكون الحال بعد الملك المؤيد أبي النصر شيخ خلد الله  
ملكه يتلاشى الى أن يؤيد الله الملك بابنه الامير صارم الدين ابراهيم شد الله به ازره فانه  
فتح من البلاد الرومية مالا ملكه أحد من ملوك مصر في الدولة الاسلامية قبله \* والشبل في  
الخبر مثل الاسد \* وابن السري اذا سرى اسراهما \* ولا غرو أن يخذو الفتي حذو والده \*  
بأبه اقتدى عدى في الكرم \* ومن يشابه أبه فما ظلم \* ان الاصول عليها ينبت الشجر \* ثم  
لما ملك الاشرف برسباي صارت المماليك سبع طوائف ظاهرية وناصرية ومؤيدية ونوروزية  
وحكمية وططرية واشرفية كل طائفة منها مياينة لجمعها فلذلك اضمحلت شوكتهم وانكسرت  
حدثهم وأمنت على السلطان غائلتهم ولم يخف ثورتهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين وتباينهم وان  
كأوا في الظاهر متفقين واعلم أنه كانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين  
من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی الله عنه أن يجي أموال الخراج ثم تفرق من  
الديوان في الامراء أو العمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك  
في صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى أن كانت دولة المعجم فقير هذا الرسم  
وفرقت الاراضي اقطاعات على الجند وأول من عرف أنه فرق الاقطاعات على الجند نظام  
الملك ابو على بن الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسي وزير البرشلان بن داود



ابن ميكال بن سلجوق ثم وزير ابنه ملكشاه بن البرشلان وذلك أن مملكته اتسعت فرأى أن يسلم إلى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل على قدر اقتضاه لانه رأى أن في تسليم الاراضي إلى المقطعين عمارتها لا يعتناء بمقطعها بأمرها بخلاف ما اذا شمل جميع أعمال المملكة ديوان واحد فان الحرق يتسع ويدخل الخلل في البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من أعوام بضع وثمانين واربعمائة إلى يومنا هذا وكانت الخلفاء ترزق من بيت المال فذكر عطاء بن السائب في حديث أن أبا بكر رضى الله عنه لما استخلف فرض له كل يوم شطر شاة وما يكسى به الرأس والبطن وذكر عن حميد بن هلال أنه فرض له بردان اذا أخلقهما وضمهما واخذ مثاهما وطهره اذا سافر ونفقته على أهله كما كان يتفق قبل أن يستخلف وذكر ابن الاثير في تاريخه أن الذى فرضوا له ستة آلاف درهم في السنة وفرض لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استخلف ما يصلحه ويصاح عياله بالمعروف وقال له على رضى الله عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال على يأخذ قوته وفرض عمر لمعاوية بن ابي سفيان على عمله في الشام عشرة آلاف دينار في السنة وقيل بل رزقه ألف دينار وهو أشبه

#### ذكر القطائع والاقطاعات

يقال اقطع طائفة من الشيء أخذها والقطيعة ما اقطعه منه وأقطعتني اياها اذن لى في اقطاعاتها واستقطعه اياها سأله أن يقطعه اياها واتطعه نهرا وأرضا أباح له ذلك وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتآلف على الاسلام قوما وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا في اقطاعة صلاحا \* روى ابن أبي نجیح عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أناسا من مزينة أو جهينة أرضا فلم يعمرها نجا قوم فعمروها فخاصمهم الجهميون أو المزينيون إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر لو كانت منى أو من أبي بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها \* وقال هشام بن عروة عن أبيه أنقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخل من أموال بني النضير وذكر أنها أرض يقال لها الجرف \* وذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقطع العقيق أجمع الناس حتى جازت قطيعة عروة فقال ابن الزبير المستقطعون فند اليوم فان يك فيه خير فتحت قدمي قال خوات بن جبير أقطعتني فأقطعه أياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أقطع أبا بكر وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقال أشعث بن سوار عن حبيب بن أبي ثابت عن صلت المسكي عن أبي رافع قال أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قوما أرضا فمجزوا عن عمارتها فباعوها في زمن عمر بن



الخطاب رضى الله عنه بثمانية آلاف دينار أو بثمانمائة ألف درهم فوضعوا أموالهم عند على ابن ابي طالب رضى الله عنه فلما اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال احسبوا زكاته قال فحسبوا زكاته فوجدوه وافيا فقال احسبتم ان امسك مالا ولا اذكي وقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعه عيون البلد الذى كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وسأله ابو ثعلبة الحشفي ان يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول فقال والذى بمنك بالحق ليفتحن عليك فكاتب له بذلك كتابا وقال نابت ابن سعد عن ابيه عن جده ان الابيض بن جمال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فأقطعه فقال الاقرع بن حابس التميمي يارسول الله انى وردت هذا الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس فيها ملح من ورده اخذه وهو مثل الماء العذب بالارض فاستقال الابيض فقال قد أقلتلك على ان تجعله منى صدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو منك صدقة وهو مثل الماء العذب من ورده اخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزني عن ابيه عن جده أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحرث المعادن القبلية جلبتها وغورها وقال مالك عن ربيعة عن قوم من علماءهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحرث المزني معادن بناحية الفرع\* وعن ربيعة عن الحرث بن بلال عن ابيه بلال بن الحرث ان النبي صلى الله عليه وسلم أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ارضا فيها جبل معدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز ارضا منها فظهر فيها معدن أو قال معدنان فقالوا انما بعناك أرض حرث ولم نبعك المعادن وجاءوا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة فقبلها عمر وفتح ومسح بها عينيه وقال لقيمه انظر ماخرج منها وما أنفقت قفاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أرض السواد أموال كسري وأهل يته وما هرب عنه اربابه أو هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة آلاف ألف درهم كان يصرفها في مصالح المسلمين ولم يقطع شيئا منها ثم ان عثمان رضى الله عنه أقطعها لانه رأى اقطاعها أوفر لغلتها من تعطيلها وشرط على من أقطعها ان يأخذ منه حق النى فكان مبلغ غلته خمسين ألف ألف درهم كان منها صلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء بعده فلما كان عام الجماجم سنة اثنتين وثمانين في فتنة عبدالرحمن بن الاشعث أحرق الديوان وأخذ كل قوم مايلهم وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن سندر منية الاصبع فجاز منها لنفسه ألف فدان وقال وكيع عن سفيان عن جابر الجعفي عن عامر لم يقطع أبو بكر ولا عمر ولا على رضى الله عنهم وأول من أقطع القطائع عثمان رضى الله عنه وبيعت الارضون في خلافة عثمان قال الليث بن سعد ولم يبلغنا ان عمر بن الخطاب أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض



مضر الا ابن سندر فانه أقطعه أرض منية الاصبع فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطعة أقدم منها ولا أفضل وقال الاعمش عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال أقطع عثمان رضى الله عنه عبد الله بن مسعود النهرين وعمار بن ياسر اسنسا واقطع خبابا وصهيبا واقطع سعد بن أبي وقاص قرية هرمز وكان عبد الله بن مسعود وسعد يعطيان أرضهما بالثالث والرابع \* وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر قال أقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبصار أزمان عثمان فان يكن عثمان خطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأوا وهم الذين أخذنا عنهم ديننا وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه طلحة وجريز بن عبد الله والرئيل بن عمرو وأقطع أبا مفرز دار النبل في عدة ممن أخذنا عنه وانما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله وكتب عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف مع جريز بن عبد الله البجلي أما بعد فأقطع جريز بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمان الى عمر ان جريزا قدم على بكتاب منك نقطعه ما يقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتى أراجمك فيه فكتب اليه صدق جريز فأنفذ ذلك وقد أحسنت في مؤامرتي وأقطع أبو موسى الاشعري وأقطع على بن أبي طالب رجة كردوس بن هاني واقطع سويد بن غفلة الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريرة عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا فقال اكتب هذا ما أقطع على سويدا أرضا لدوابه ما بين كذا الى كذا ماشاء الله وذكروا أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم ما أقطعه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فأورد شيئا كثيرا \* وقد كان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس يقطعون الاراضى من أرض مصر الثفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج أرض مصر يصرف منه اعطية الجنيد وسائر الكلف ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما أقطع من الاراضى فانه بيد من أقطعه وأما منذ كانت أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا فان اراضى مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده \* واراض مصر اليوم على سبعة أقسام قسم يجرى في ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة أقسام منه ما يجرى في ديوان الخاص ومنه ما يجرى في الديوان المفرد وقسم من اراضى مصر قد أقطع للامراء والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذرارى واقفي تلك الاراضى وعتقائهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجرى فيه اراض بايدي قوم يأكلونها اما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع وأما يكون لهم لافي مقابلة عمل \* وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشترى ويورث ويوهب لسكونه اشترى من بيت المال \* وقسم سادس لا يزرع



للمعجز عن زراعته فترعاه المواشى أو يثبت الحطب ونحوه \* وقسم سابع لا يشمله ماء اثيبيل  
 فهو قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليفة ومنه ما كان عامرا في  
 الدهر الاول ثم خرب وسائر هذه الاقسام مذكورة أخبارها في هذا الكتاب تجدها ان  
 انت تأملت ان شاء الله تعالى وقال ابو عبد الله القاسم بن سلام في كتاب الاموال في الكلام  
 على حديث معمر عن عبد الله بن طاوس عن ابيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم عادي الارض لله ورسوله ثم هي لكم قلت مامعنى ذلك قال تكون اقطاعا هذا  
 الخبر اصل في الاقطاع والعمادي كل ارض كان لها سكان فانقرضوا أى فصارت خرابا فان  
 حكمها الى الامام قال وأما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي  
 عامرة لها اهل فاعطاء الامام يكون على وجه النفل ومن ذلك ما أعطاه رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم تيمما الدارى فانه أعطاه ارضا بالشام من قبل أن يفتح الشام وقبل أن يملكها المسلمون  
 فجعلها له نفلا من اموال اهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل نائبه نقيبة لما وهبها الشيباني قبل  
 افتتاح الحيرة فامضاها له خالد بن الوليد رضى الله عنه وكذلك أمضى عمر بن الخطاب رضى  
 الله عنه لتيمم الدارى لما فتحت فلسطين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم نفعه انتهى فقد خرج  
 ابو عبد الله هذه العطية المعلقة مخرج النفل الذي ينفعه الامام ببعض المقابلة \* وقال  
 أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى في الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع  
 استغلال واطتاع تمليك والثاني ينقسم الى موات وعمار والثاني ضربان احدهما ما يتعين مالكة  
 ولا نظر للسلطان فيه الا بتلك الارض في حق لبيت المال اذا كانت في دار الاسلام فان كانت  
 في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فأراد الامام أن يقطعها لملكها المقطع عند  
 الظفر بها فانه يجوز فقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيه عيون  
 البلد الذي كان منه قبل أن يفتح الشام ففعل وسأله أبو ثعلبة الحشني أن يقطع ارضا كانت  
 بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول هذا فقال والذي بعثك بالحق ليفتحن  
 عليك فكتب له بذلك كتابا قال الماوردى وهكذا لو استوهب أحد من الامام مالا في دار  
 الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيئا من سببها أو ذرارها ليكون أحق به اذا  
 فتحت جاز وصحت العطية منه مع الجهالة بها لتعلقها بالامور العامة \* وقد روى الشعبي أن  
 خزيمة بن أوس الطائي قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت  
 نفيله فاما أراد خالد صالح أهل الحيرة قال له خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني  
 بنت نفيله فلا تدخلها في صلحك فشهد له بشر بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستنأها من الصالح  
 ودفعها الى خزيمة فاشترت بألف درهم وكانت محجزة وحالت عما عهد منها فقيل له قد  
 أرخصتها وكان أهلها يدفعون لك أضعاف ما سألت فقال ما كنت أظن ان عددا يكون أكثر



من ألب قال الماوردي واذا صح الاقطاع والتملك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب أحق بما استقطعه واستوهبه من الغنائم ونظر في الغنائم فان كانوا علموا بالاقطاع أو الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا عاوضهم الامام بما يستطيع نفوسهم من غير ذلك من الغنائم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يلزم الامام استطابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم اذا رأى المصلحة في ذلك

### ذكر ديوان الخراج والاموال

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف وأول مادون هذا الديوان في الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذي نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف انتماش عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص وأول من نقل الدواوين من الفارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان بن ذكوان وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين والاكثر من نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان مولى لبني سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك أن صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبي سجستان ومهر صالح في الكتابة وكتب لزادان فروح كاتب الحجاج ابن يوسف الثقفي وخط بين يديه بالفارسية والعربية نخف على قلب الحجاج نخاف من زادان وقال له أنت الذي رقيتني حتى وصلت الى الامير وأراه قد استخفى ولا آمن أن يقدمني عليك فتسقط منزلتك فقال زادان لا تظن ذلك هو أحوج الى مني اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح والله لو شئت أن أحول الحساب الى العربية لحولته قال فحول منه أسطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الحجاج بطيبيه فشق ذلك على زادان وأمره أن لا يظهر للحجاج فاتفق عقيب ذلك أن زادان قتل في فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الحجاج بعده صالحا فأعلم الحجاج بما جرى له مع زادان في نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه في امضائه فقله من الفارسية الى العربية وشق ذلك على الفرس وبدلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل فأبى عليهم فقال له مروان شاه بن زادان فروح قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على



الكتاب وأما ديوان الشام فإن الذي نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل واختلف في وقت نقله فقبل نقل في خلافة عبد الملك بن مروان وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذي يكتب على ديوان الشام سرجون ابن منصور النصراني في أيام معاوية بن أبي سفيان ثم كتب بعده ابنه منصور بن سرجون

❦ ذكر خراج مصر في الاسلام ❦

أول من جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص رضى الله عنه فكانت حياته اثني عشر ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبي عبد الله بن سعد ابن أبي سرح مصر أربعة عشر ألف دينار فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعمر بن العاص يا أبا عبد الله درت للفتحة بأكثر من درها الاول فقال أضررتم بولدها وهذا الذي جباه عمرو ثم عبد الله انما هو من الجاحم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعد همانه والفساد مع الزمان وسريان الخراب في أكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبا بنو أمية وخلفاء بني العباس الا دون الثلاثة آلاف ألف ما خلا أيام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبید الله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة الا في وقتين \* أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عند ماولى الخراج عبید الله بن الحبحاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر والعامر مما يركبه ماء النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الارض فراكها كلها وعدلها غاية التعديل فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار هذا والسعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع ومائة لاول أيام هشام بن عبد الملك وظف ابن الحبحاب بمصر طبقات معلومة منسوبة في الدواوين ولم تزل الى ما بعد زهاب بنى أمية ومبلغها ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون ديناراً منها على كور الصعيد ألف ألف واربعمائة دينار وعشرون ديناراً ونصف والباقي على كور اسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها في خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار \* والوقت الثاني في اماره أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خربت أرض مصر حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وجباها ابنه الامير أبو الحيش خمارويه بن أحمد أربعة آلاف ألف دينار مع رضاء الاسعار أيامئذ فانه ربما بيع في الايام الطولونية القمح كل عشرة أراذب بدينار \* وذكرنا بن خرداديه ان خراج مصر في أيام فرعون كان ستة وتسعين ألف ألف دينار وان ابن الحبحاب جباها في ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وعشرين ألفاً وثمانمائة وتسعة وثلاثين ديناراً وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد



أعطية أهل مصر وكلفها قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار يعني بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا، عشر أصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين في خلافة المأمون وغيره وبلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طفج الاخشيد ألفي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكا له والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديرا عجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال خط من الجرايات والارزاق فليس هؤلاء أولى من الواجب فقال غدا نجيثني وندير هذا فلما أتاه من الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا أصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ولست آخذ هذا النقص الا منك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسيححا وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك فعوتب على ما صنعه فقال يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاءه أحمد بن محمد بن المارداني فقال له ما بيني وبين السلطان معاملة ولا الاخشيد على طريق وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد وألف دينار لك نجاءني وقال لك قبل ابن المارداني مطالبة قلت لا فقال هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء فاعطاني ألفا وأخذ عشرة آلاف دينار وأهدى الى محمد بن علي المارداني في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستقلتها فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي أرسلت اليك مائة ألف دينار ولا ابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار فأخذ المائة واعطاني العشرين ألفا فذكرت قول محمد بن علي له فقال ما أبرد هذا حفظت لك المائة ألف لو قت حاجتك تريدها خذها وانا أعلم أنك تسلفها \* (وبلغت الرواتب) في أيام كافور الاخشيدي خمسمائة ألف دينار في السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المنصرفين في الاعمال فحسن له علي بن صالح الروزبادي الكاتب أن يوفى من مال الرواتب شيئا ينقصه من أرزاق الناس فساعة جلس يعمل حكاه جبينه فحكه بقله والحكاك يزيد به الى أن قطع العمل وقام لما به فوجل حينئذ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله \* ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن فأتضع خراجها الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بمساكر مولا المعز لدين الله أبي تميم معد فحجى الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفا وأمر الوزير الناصر للدين أبو الحسين عبد الرحمن اليازوري وزير مصر في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر أن يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان



ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا  
جامعا وأتاه به فوجد ارتفاع الدولة الف الف دينار منها الشام الف الف دينار ونفقته بازاء  
ارتفاعه والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار \* قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج  
في علم الخراج وقفت على مقايضة عملت لامير الحيوش بدر الجمالى حين قدم مصر في أيام  
الخليفة المستنصر وغلب على أمرها وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها أن الذى  
اشتمل عليه الارتفاع فى الهلالى لسنة ثلاث وثمانين واربعمئة وفى الخراجى على ما يقتضيه  
الديوان فيه مما كان جاريا فى الاعمال المصرية من الخراج وما يجرى معه والمضمون والمقطع  
والمورد بغيره والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتى الشرقية والغربية من أسفل  
الارض وأعمالها وتيس ودمياط وأعمالها والاسكندرية والبحيرة والاعمال الصعيدية  
العالية والانية ووحدات وعيذاب لسنة ثمانين واربعمئة الخراجية على الرسوم المصرية وما  
كان من الاعمال الشامية التى أولها من حد الشجرتين وهو أول الاعمال الفلسطينية والاعمال  
الطرابلسية لسنة ثمان وسبعين وأربعمئة الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عينا ثلاثة  
آلاف ألف ومائة ألف دينار وأن الذى استقر عليه جملة ما كان يتأدى فى سنة ست وستين  
وأربعمئة الهلالية قبل نظر أمير الحيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين واربعمئة الخراجية  
فكان مبلغها الف الف وثمانمئة ألف دينار وكان الزائد لسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة  
ألف دينار مما أعرب عنه حسن العمارة وشمول العدل وكان نظم هذه المقايضة سنة  
ثلاث وثمانين واربعمئة \* وذكر ابن ميسر أن الأفضل بن أمير الحيوش أمر بعمل تقدير  
ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار \* وذكر القاضي الفاضل فى ميا وماته أنه  
عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وارباب  
الاموال الديوانية وعدة نواح أربعة آلاف ألف وستمئة ألف وثلاثة وخمسين الفاً وتسعة  
وعشرين دينارا ثم تقاصرت الى أن جباها القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمى  
التبسي عينا خالصا الى بيت المال بعد المؤن والكلف ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار  
الى آخر سنة اربعين وخمسمائة ثم بعده لم يجبها هذه الجباية أحد حتى انقضت الدولة  
الفاظمية \* وسبب اتضاع خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم فى آخر سنة ملكوكوا قبل فتح  
مصر عشرين الف الف دينار أن الملوک لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى كلف عمارة  
الارض فانها تحتاج أن ينفق عليهما مابين ربع متحصلها الى ثلثه وآخر ما اعتبر حال أرض  
مصر فوجد مدة حرثها ستين يوما ومساحة أرضها مائة الف الف وثمانين الف الف فدان  
يزرع منها فى مباشرة ابن مدبر اربعة وعشرون الف الف فدان وانه لا يتم خراجها حتى  
يكون فيها اربعمئة الف وثمانون الف حرث يلزمون العمل فيها دائما فاذا أقيم بها هذا



القدر من العمال في الارض تمت عمارتها وكامل خراجها وآخر ما كان بها مائة الف وعشرون ألف مزارع في الصعيد سبعون الفاً وفي اسفل الارض خمسون الفاً وقد تغير الآن جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة واختلت اختلالاً فاضحاً

### ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها

اعلم ان اراضي مصر عدة اصناف اعلاها قيمة واوقاها سعراً واعلاها قطيعة الباق وهو اثر القرط والمقاني فانه يصلح لزراعة القمح وبعد الباق رى الشراقي وهو الارض التي ظهت في الخالية فلما رويت في الآتية وصارت مستريحة من الزرع وزرعت أنجب زرعها والبرايب وهو اثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض بزراعة هذين الصنفين فتي زرعت على اثر احدها لم يجب كنجابة الباق والبرايب صالح لزراعة القرط والقطن والمقاني فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتصير في القابل ارض باق والسقماهية اثر السكتان فان زرعت قمحا خسر والشتونية اثر ما روي وبار في السنة الماضية وهو دون الشراقي والسلاج ماروي وبار فخرث وتعطل وهو مثل رى الشراقي فان زرعه يكون ناجباً والنقا كل ارض خلت من اثر مازرع فيها ولم يبق بها شاغل عن قبول ما يزرع فيها من اصناف الزراعات والوسخ كل ارض استحكم وسخها ولم يقدر الزراعون على ازاخته كله منها بل حرنوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلطاً بالخفاء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن قبول الزراعة ومنع كثرته من زراعتها وصارت مراعى والخرس كل ارض فسدت بما استحكم فيها من موانع قبول الزرع وكانت بها مراعى وهو اشد من الوسخ الغالب واذا اُدمن على ازالة ما فيها من الموانع تهيأ صلاحها والشراقي كل ارض لم يصل اليها الماء اما لقصور ماء النيل او علو الارض او سد طريق الماء عنها او غير ذلك والمستبحر كل ارض وطيبة حصل بها الماء ولم يجرد مصر فاحق فات اوان الزرع وهو باق في الارض والسباخ كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها في زراعة الجوب وربما زرعت ما لم يستحكم السباخ فيها غير الجوب كالهليون والباذنجان وبزرع فيها القصب الفارسي \* ومما لاغنى لاراضي مصر عنه الجسور وهي على قسمين سلطانية وبلدية فالجسور السلطانية هي العامة النفع في حفظ النيل على البلاد كافة الى حين يستغنى عنه ولها رسوم موظفة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت في القديم تعمل من أموال النواحي ويتولى عملها مستقبلي الاراضي ويعتد لهم بما صرف عليها مما عليهم من قبالات الاراضي ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العاملين مال بايدي المستخدمين من الديوان ويصرف عليها ويفضل من المال بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امراء الدولة الى ان حدثت الحوادث في أيام الناصر فرج فصار يجبي من البلاد مال عظيم ولا



يصرف منه شيء البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه بايدي الاعوان ويسخر أهل  
 البلاد في عمل الجسور فيجيء الخلل كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر أسباب  
 الخراب \* وأما الجسور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها  
 المقطعون والفلاحون من أصل مال الناحية ومحل الجسور السلطانية من القرى محل سور  
 المدينة الذي يتعين على السلطان الاهتمام بممارته وكفاية الرعية أمره ومحل الجسور البلدية  
 محل الدور التي من داخل السور فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها ومن  
 العادة أن المقطع اذا انفصل وكان قد أنفق شيئاً من مال اقطاعه في اقامة جسر لاجل عمارة  
 السنة التي انتقل الاقطاع عنه فيها فان له أن يستعيد من المقطع الثاني نظير ما أنفقه من مال  
 سنته في عمارة سنة غيره \* وأصلح مازرع القمح في أثر الباق والشراقي وكان يزرع بالصعيد  
 القمح على أثر القمح لكثرة الطرح وربما زرع هناك على أثر الكتان والشعير ويزرع القمح  
 من نصف شهر بايه الى آخر هاتور وهذا في العوالي من الارض التي تخرج بدريا وأما البحائر  
 المتأخرة فيمتد وقت الزرع فيها الى آخر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من  
 بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض وضعفها ورقتها وتوسطها وما يزرع في اللوق وما  
 يزرع في الحرث وأكثر البذر من أردب الى خمس وبيات وأربع وبيات أيضاً ويوجد في  
 الصعيد أراضٍ تحتمل دون هذا وفي حوف رمسيس أراضٍ يكفي الفدان منها نحو الويبتين  
 ويدرك الزرع بمصر في بشنس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الاراضي  
 فيرمي من أردبين الى عشرين أردبا وقال أبو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة وذكر أن  
 في مصر اذا زرعوا يخرج من المد ثلثائة مد والعملة في ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن  
 أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل \* ولما كان في سنة ست وثمانائة انحسر الماء عن قطعة أرض  
 من بركة الفيوم التي يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها عجييا رمى الفدان منها  
 أحداً وسبعين أردبا من شعير بكيل الفيوم وأردبها تسع وبيات وكانت قطعة فدان القمح  
 ببلاد الصعيد في أيام الفاطمية ثلاثة أرداب فلما مسحت البلاد في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة  
 تقرر على كل فدان أردبان ونصف ثم صار يؤخذ أردبان عن الفدان وأما أراضى أسفل  
 الارض فيؤخذ عنها عين لاغلة \* ويزرع الشعير في أثر القمح وغيره في الأرض التي غرقت  
 وهي رطبة ويتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده فانه يحصل قبل التمح ويحتاج  
 الفدان منه أن يبذر فيه بحسب الارض ويخرج أكثر من القمح ويكون ادراكه في برمودة  
 وهو أدار \* ويزرع الفول في الحرث أثر البراب من اول شهر بايه ويؤكل وهو أخضر في  
 شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذر منه الى ثلاث وبيات ونحوها ويدرك في برمودة ويحصل  
 من فدانها ما بين عشرين أردبا الى ما دون ذلك \* ويزرع العدس والحمص من هاتور الى



كبهك والجلبان لا يزرع الا في ارق الاراضي حرثا من الارض العالية ويزرع تلويقا في الاراضي الخرس ويبذر في كل فدان من الحنص من اردب الى ثمان وبيات ومن الجلبان من اردب الى اربع وبيات ومن العدس من وبيتين الى مادونها وتدرك هذه الاصناف في برمودة ويحصل من فدان الحنص من اربعة ارادب الى عشرة ومن الجلبان من عشرة ارادب الى مادونها والعدس من عشرين اردبا فما دونها \* وأنجب مايكون السكتان اذا زرع في البرش ويحتاج أن يسبخ بتراب سباح وهو اذا طال رقد ويقلع قضباناً ويسمى حينئذ اسلافاً ويبشر في موضعه حتى يجف فاذا جف حمل وهدر وعزل جوزه فيخرج منه بزر السكتان ويستخرج منه الزيت الحار ويزرع السكتان في شهر هاتور ويحتاج الفدان أن يبذر فيه من البزر ما بين اردب وثلث الى مادون ذلك ويدرك في شهر برمودة ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة الى مادون ذلك ومن البزر من ستة ارادب الى مادونها وكانت قطعة الفدان منه في القديم بأرض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفي دلاص ثلاثة عشر دينارا \* وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير \* ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل في التقصان ولا ينبغي تأخير زرعها الى أوان هبوب الريح الجنوبية التي يقال لها المريسية واول ما يبذر في شهر باه وربما زرع بعد النوروز والحراثي منه يزرع في كبهك وطوبه ويزرع احياناً في هاتور ويبذر في كل فدان من وبيتين ونصف الى ما حولها ويدرك الاخضر منه في آخر شهر كبهك ويدرك الحراثي في طوبه وامشير ويحصل من الفدان الحراثي ما بين اردبين الى اربع وبيات \* ويزرع البصل والثوم من شهر هاتور الى نصف كبهك ويبذر في فدان البصل من نصف وربع ويبة الى ويبة والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك في برمودة والبصل الذي يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من اول كبهك الى العاشر من طوبه ويخرج من زريعته عشرة ارادب من الفدان ويدرك في بشنس \* ويزرع الترمس في طوبه وزريعته لسكل فدان اردب ويدرك في برمودة ويحصل من الفدان ما بين عشرين اردبا الى مادونها وهذه هي الاصناف الشتوية \* (وأما الاصناف الصيفية) \* فان البطيخ واللويبا يزرعان من نصف برمهاث الى نصف برمودة \* ويزرع في الفدان قدحان ويدرك في بشنس \* ويزرع السمسم في برمودة وزريعته ربع ويبة للفدان ويدرك في أيب ومسرى ويحصل من الفدان ما بين اردب الى ستة ارادب \* ويزرع القطن في برمودة وزريعته اربع وبيات حب للفدان ويدرك في توت فيخرج من الفدان من ثمانية قناطر بالجروي الى مادونها \* ويزرع قصب السكر من نصف برمهاث في أثر الباق والبرش وتبرش أرضه سبع سلك وأنجبه ما تكامل له ثلاث غرقات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن فدان وما حوله لسكل فدان ويحتاج القصب الى أرض جيدة دمه قد شملها الري وعلاها ماء النيل وقلع ما بها من



الحلفاء ونظفت ثم برشت بالمقلقات وهي محاريت كبار سسته وجوه ونحرف حتى تمهد ثم تبرش سته وجوه أخرى ونحرف ومعنى البرش الحرت فاذا صاححت لارض وطابت ونعمت وصارت رابا ناعما وتساوت بالتجريف شقت حينئذ بالمقلقات ويرمى فيها القصب قطعتين قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن يجعل الارض أحواضا وتفرز لها جداول يصل الماء منها الى الاحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أنايب كوامل وبعض انبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفها ويختار ما قصرت أنايبه وكثرت كعوبه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فاذا كمل نصب القصب أعيد التراب عليه ولا بد في النصب أن تكون القطعة ملقاة لاقامة ثم يسقى من حين نصبه في أول فصل الربيع لسكل سبعة أيام مرة فاذا نبت القصب وصار أوراقا ظاهرة نبتت معه الحلفاء والبقلة الحمقاء التي يسميها أهل مصر الرجلة فبعد ذلك تعرق أرضه ومعنى العزاق أن تنكش أرض القصب وينظف مانبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى وينكثف فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الارض ولا يكون هذا حتى يبرز الانبوب منه ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والعادة أن الذي ينصب من الاقصاب على كل مجال بحر انى أى مجاور للبحر اذا كانت مزاحة الغلة بالابصار الجياد مع قرب رشا الآبار ثمانية أفدنة ويحتاج الى ثمانية رؤس بقر فان كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة فاذا طلع النيل وارفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك أن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقبه من الغرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلمة في ذلك الجسر حتى يعملو على أرض القصب نحو شهر ثم يسد عنه الماء حتى لا يصل اليه ويترك الماء فوق الارض قدر ساعتين أو ثلاث الى أن يسجن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويجدد عليه ماء آخر كذلك فيتعاهد ما ذكرنا مرارا في أيام متفرقة بقدر معلوم ثم يفطم بعد ذلك فاذا عمل ماقلناه وفي القصب حقه فان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران قبل أن يحلوه حتى لايسوس ويكسر القصب في كهك ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فينبت قسبا يقال له الخلفة ويسمى الاول الرأس وقنود الخلفة أجود غالبا من قنود الرأس ووقت ادراك الرأس في طوبه والخلفة في نصف هتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النور وز ويحصل من الفدان ما بين أربعين ابلوجة قند الى ثمانين ابلوجة والابلوجة تسع قطارا فما حوله \* ويزرع القلقاس مع القصب ولكل فدان عشرة قناطير قلقاس جروية ويدرك في هتور \* ويزرع الباذنجان في برمها وتورموده وبشنس وبؤونة ويدرك من بؤونة الى مسرى \* وتزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان وبة ويدرك من أيب \* ويزرع



الفجل طول السنة وزرعه الفدان من قدح واحد الى قدحين \* ويزرع اللفت في أيب وزرعة  
 الفدان قدح واحد ويدرك بعد أربعين يوما \* ويزرع الخس في طوبه شتلا ويؤكل بعد شهرين \*  
 ويزرع السكر في توت شتلا ويدرك في هتور \* ويفرس الكرم في أمشير نقلا ونحوه \* ويفرس  
 التبن والتفاح في أمشير \* ويقلم التوت في برمها \* ويفرس ويبل اللوز والحوخ والمشمش في ماء  
 طوبه ثلاثة أيام وهي قضبان ثم يفرس ويحول شجرها في طوبه \* ويزرع نوي التمر ثم يحول  
 وديافنقل \* ويدفن بصل الرجس في مسرى \* ويزرع الياسمين في أيام النسي وفي أمشير \*  
 ويزرع المرسين في طوبه وأمشير غرسا \* ويزرع الريحان في برموده \* ويزرع حب  
 المنتور في أيام النيل \* ويزرع الموز الشتوي في طوبه والصيفي في أمشير \* ويحول الخيار  
 شبر في برمها \* وقلم السكروم على ربح الشمال الى ليال من برمها حتى تخرج العين  
 منها \* وقلم الاشجار في طوبه وأمشير الا السدر وهو شجر النبق فانه يقلم في برموده \*  
 وتسقى الاشجار في طوبه ماء واحدا ويسمونه ماء الحياة وتسقى في أمشير ثانيا عند  
 خروج الزهر وتسقى في برمها ماءين آخرين الى أن ينقذ التمر وتسقى في بشنس ثلاث  
 مياه وتسقى في بؤونة وأيب ومسرى ماء في كل سبعة أيام وتسقى في توت وبابة مرة  
 واحدة تعريفا من ماء النيل وتسقى في هتور من ماء النيل بتعريق المساطب ويسقى البعل  
 من السكروم في هتور من ماء النيل مرة واحدة تعريفا \* وجميع أراضي مصر تقاس  
 بالفدان وهو عبارة عن أربع مائة قصبه حاكمية طولها في عرض قصبه واحدة والقصبه ستة  
 اذرع وثلاث اذرع القماش وخمسة اذرع بذراع النجار تقريبا وقال القاضي أبو  
 الحسن في كتاب المنهاج خراج مصر قد ضرب على قصبه في المساحة اصطلاح عليها زرع  
 المزارع على حكمها وتمكسر الفدان اربع مائة قصبه لانه عشرون قصبه طولها في عشرين  
 قصبه عرضا وقصبه المساحة تعرف بالحاكمية وهي تقارب خمسة اذرع بالتجارى

### ذكر أقسام مال مصر

اعلم أن مال مصر في زمتها ينقسم قسمين أحدهما يقال له خراجي والآخر يقال له هلالى  
 فالمال الخراجي ما يؤخذ مسانمة من الاراضى التي تزرع ببوبا ونخلا وعنبا وفاكهة وما  
 يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف \* والمال  
 الهلالى عدة أبواب كلها أخذتها ولاية السوء شيئا بعد شيء وأصل ذلك في الاسلام أن  
 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجارا من المسلمين يأتون أرض الجند  
 فيأخذون منهم العشر فكتب الى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة أن خذ من كل  
 تاجر بمربك من المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار  
 المهديني أهل الذمة من كل عشرين درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم



درهما وقيل لابن عمر كان عمر يأخذ من المسلمين العشر قال لا ونهي عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه التجس \* وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه ناس من أهل الشام فقالوا أصنادواب وأموالا نخذ منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى وشاور فقال على بن أبي طالب رضى الله عنه لا بأس به ان لم يأخذه من بعدك فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك عن الفرس وعن الهجين ثمانية وعن البرذون والبغل خمسة \* وأول من وضع على الحوانيت الخراج في الاسلام أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة وولى ذلك سعيد الجرسى \* وأول من أحدث ما لا سوى مال الخراج بمصر أحمد ابن محمد بن مدير لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فإنه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب فابتدع في مصر بدعا صارت مستمرة من بعده لا تنقض فأحاط بالنظرون وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكلا الذى ترعاه البهائم ما لاسماه المرعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصيد الى غير ذلك فانقسم حينئذ مال مصر الى خراجى وهلالى وكان الهلالى يعرف في زمنه وما بعده بالمرافق والمعاون فلما ولى الامير أبو العباس احمد بن طولون امازة مصر وأضاف اليه امير المؤمنين المعتمد على الله الخراج والتغور الشامية رغب وتنزه عن ادناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها في جميع اعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة وله في ذلك خبر فيه اكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع الطولونى من هذا الكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية في اثناء الدولة الفاطمية عند ماضفت وصارت تعرف بالمكوس فلما استبد السلطان التاصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب بملك مصر أمر باسقاط مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك وكان جملة ذلك في سنة مائة ألف دينار تفصيلها مكس البهار وعمالته ثلاثة وثلاثون الفا وثلثمائة واربعة وستون دينارا مكس البضائع والقوانل وعمالها تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون دينارا منفلت الصناعة عن كس البز الوارد اليها والنحاس والقردير والمرجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة بمصر ستة آلاف وستمائة وستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمائة دينار الفندق بلنية عن مكس البضائع ثمانمائة دينار وستة وخمسون دينارا رسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنائير رسوم الخشب الطويل والملح ستائة وستة وسبعون دينارا رسوم العلب المنسوبة الى بليس والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره مائتان وسبعة عشر دينارا خيمة أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق القطن ألفا دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة



وأحد عشر دينارا عبور الاغنام والسكتان والابقار بباب القنطرة ألف ومائتا دينار  
واجب ماورد من السكتان الحطب الى الصناعة مائتا دينار رسوم واجب الغلات كالجبوب  
الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتباين ومفالت جزيرة الذهب وطموه ومنبر  
الدرج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون دينارا الاغنام  
البيوتية اثنا عشر دينارا العرصة والسرساوى بالحيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون دينارا  
منقلت الفيوم عما يرد من السكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره  
أربعة آلاف ومائة وستون دينارا مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفيتش مائتا  
دينار الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل سبعمائة وثمانية وستون دينارا دار التفاح  
والرطب بمصر. والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار رسم ابن المليجي مائتا دينار دار الجين  
ألف دينار مشاركة الخزان مائتان وأربعون دينارا واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى والقطن  
ألف وعشرون دينارا رسم سمسة الصفا ألف ومائتا دينار منقلت الصعيد مائة وأحد وستون  
دينارا خاتم الثرب والديبقي ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتا دينار نصف الموردة  
بساحل المقس أربعة عشر دينارا دكة السمسة ثلثمائة وخمسون دينارا منقلت العريف بالصناعة  
وحملة البهار والبضائع مائتان وستة عشر دينارا الحلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة  
وثلاثون دينارا الوقود والسرقين والطعم بدار التفاح ومنقلت القبلة بالتباين والجسر خمسة  
وثلاثون دينارا رسوم الصفا والحراء ورسوم دار السكتان ستون دينارا حماية الغلات بالمقس  
ودار الجين مائة وأربعون دينارا الحلفاء الواردة على الجسر ومعديدة المقياس مائة دينار  
خمس البرنية بالحيزة عشرون دينارا تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون دينارا منقلت  
الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة  
وثلاثون دينارا واجب الحناء الواردة في البر ثمانمائة دينار واجب الحلفاء والقصاب ثلاثون وستون  
دينارا مكس ما يرد من البضائع الى المنية مائة وأربعة وثمانون دينارا مساحنة شطنوف  
والبرانية مائتا دينار سوق السكرين خمسون دينارا رسوم خيمة الحلى بالشارع وسوق وردان  
تسعة عشر دينارا واجب الفجهم الوارد الى القاهرة عشرة دنانير معدية الجسر بالحيزة مائة  
وعشرون دينارا خيمة البقرى أربعون دينارا الخيمة بدار الدباغة تسعة عشر دينارا سمسة الجيس  
الحيوشى ثلثمائة واثنا عشر دينارا دكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة  
دينار الخل الحامض وما معه أربعمائة دينار بيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون دينارا  
ذبايح الابقار ألف دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتا دينار رسوم الدلالة  
ثلثمائة دينار سمسة السكتان ثلثمائة دينار رسوم حماية الصناعتين أربعمائة دينار مربعة  
العسل مائتان وأثنان وثلاثون دينارا معادى جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار خاتم



الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون ديناراً زربية الذبحة سبعمائة دينار معدية المقياس وأنبابة مائتا دينار حمولة السلجم ثلثمائة وثلاثون ديناراً دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق خمسمائة دينار معمل الطبرى مائتان وأربعون ديناراً سوق منبوبة مائة وأربعة وستون ديناراً ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط عشرة دنائير نوح السمك خمسة دنائير تنور الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون ديناراً سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربع مائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً قبان الحناء ثلاثون ديناراً واجب طاقات الأدم ستة وثلاثون ديناراً منفلت الحام بالشاشيين ثلاثة وثلاثون ديناراً أنولة القصار أربعون ديناراً بيوت الفروج ثلاثون ديناراً الشعر والطارات أربعة دنائير رسوم الصبغ والحزير ثلثمائة وأربعة وثلاثون ديناراً وزن الطفل مائة وأربعون ديناراً معمل المزر أربعة وثمانون ديناراً الفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون ديناراً \* وذكر ابن أبي طي أن الذى أسقطه السلطان صلاح الدين والذي ساع به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبالغه عن نيف ألف دينار وألني ألف أردب ساع بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد في شناعتها قال القاضي الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد نتابع في شعبان أهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار وإباحة أهل الامر وانتهى لها وتفاحش الامر فيها الى أن غلا سعر الغنبل لكثرة من يعصره وأقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حبشيش المزر وأفردت برسمه وحمت بيوت المزر وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره في كل يوم الى ستة عشر ديناراً ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من البيوت الحمية وحملت أواني الحمر على رؤس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها \* وقال في متجددات سنة أنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفه الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن تحمل في بعض الاوقات لا كلها لبعض ما يبلغ به من خبز وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحبال فيما ينفق في دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقات به اولاده وما يقصب من أربابه وأفضى هذا الى غلاء الاسعار فان المتعيشين من أرباب الدكاكين يزدون في أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية فأفضى ذلك الى النظر في المكاسب الحبيثة وضمن المزر والحمر باتني عشر ألف دينار وفسح في اظهار منكره والاعلان به والبيع له في القاعات والحوانيت مع قرب استهلال رجب وما استطاع أحد من العامة الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفرد السلطان به لنفقته وطعامه وانتقل مال التنور ومال الجوالى الحل الطيب الى أن



يصير حوالات لمن لا يسأل من أين أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفي شهر رمضان غلا سعر الاعتاب لكثرة العصير منها وتظاهر به أربابه لتحكيه تضمينه السلطاني واستيفاء رسمه بأيدي مستخدمييه وبلغ سمانه سبعة عشر ألف دينار وحصل منه شيء حمل اليه فبلغني أنه صنع به آلات للشرب ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع النساء والرجال في شهر رمضان لاسيا على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الماء وتلقى فيه النيل بمصاص نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وان لا يعاقبنا عليها بجرأة أهلها \* وقال جامع السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحى بمملكة مصر في سنة خمسين وسبعمائة بعد انقراض دولة بني أبوب استوزر شخصا من نظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي أحد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من أيام الملك الكامل وترقى في خدمة الكتابة فقرر في وزارته أموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوسا وضمانات سموها حقوقا ومعاملات ولما ولى الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلعه الملك المنصور على بن المعز أيبك أحدث عند سفره الذى قتل فيه مظالم كثيرة لاجل جمع المال وصرفه في الحركة لقتال جموع التتر منها تصقيب الاملاك وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل انسان دينارا يؤخذ منه وأخذ تلك التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة ألف دينار في كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقاعة الجبل أبطل ذلك جميعه وكتب به مساميح قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته في سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفى آثاره ويحرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك وقال القمح الذى جعله الله تعالى قوتا للعالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بإبطاله ومن ترك شيئا لله عوضه خيرا منه ومن كان له على هذه شيء يعوضه الله من المال الحلال فابطل الحلى ذلك وعوض المقطعين عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا وأبطل من أعمال الدقهلية والمراتحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفي خامس عشرى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة قرئ بجامع مصر مکتوب بابطال ماقرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وسبعمائة وأمر بإرافة الحمور وابطال المنكرات وتغذية بيوت المسكرات ومنع الخانات والحواطي بجميع أقطار مملكة مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضى ناصر الدين أحمد بن المنبر قال



ليس لابليس عندنا أرب \* غير بلاد الامير مأواه

حرفته الحمر والحشيش معا \* حرمتا ماؤه ومرعاه

وقال الاديب الفاضل أبو الحسين الجزار

قد عطل الكوكب من حبابه \* واخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يبكي \* على الذي فات من شبابه

وفي تاسع جمادي الآخرة سنت ست وستين وستمائة أمر الملك الظاهر بيبرس باراقه الحُمور  
وابطال الفساد ومنع النساء الخواطي من التعرض للبقاء من جميع القاهرة ومصر وسائر  
الاعمال المصرية فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التي كانت معدة لذلك  
وسلب أهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبست النساء حتى يتزوجن وكتب الي جميع  
البلاد بمثل ذلك وحط المال المقرر على البغايا من الديوان وعوض الحاشية من جهات حل  
بنظيره وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة أريقت الحُمور وابطل ضمانه وكان  
كل يوم الف دينار وكتب توقيع بذلك قرى على المناير وافتتح سنة سبعين باراقه الحُمور والتشدد  
في ازالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه في سنة أربع وسبعين عن الطواشي شجاع  
الدين عنبر المعروف بصدرالباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الحمر فشنته تحت قلعة  
الجيل \* ولما ولي الملك المنصور سيف الدين قلاون الاثني تملسكة معر أبطل زكاة الدولة  
وهو ما كان يؤخذ من الرجل عند زكاة ماله أبدا ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته  
وأبطل ما كان يجبي من أهل إقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه فيؤخذ  
من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجتمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبي  
من أهل الذمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وأبطل مقرر جباية  
الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من  
كل تاجر دينار وأبطل ما كان يجبي عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في  
المقياس وجمل مصرف ذلك من بيت المال وأبطل أشياء كثيرة من هذا النمط \* وأبطل  
الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصري وآخر ما أدر كنا  
ابطاله ضمان الاغاني وضمن القراريط في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة على يد الملك الاشرف  
شعبان بن حسين محمد بن قلاون \* فأما ضمان الاغاني فكان بلاء عظيما وهو عبارة عن  
أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت أجل امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها  
عند الضامنة وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على  
النساء اذا تنفسن أو عرسن امرأة أو خضبت امرأة يدها ببناء أو أراد أحد أن يعمل  
فرحا لا بد من مال بتقرير تأخذه الضامنة ومن فعل فرحا بأغان أو نفس امرأته من غير اذن



الضامنة حل به بلاه لا يوصف \* وأما ضمان القراريط فانه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل ألف درهم عشرون درهما وكان متحصل هاتين الجهتين مالا كثيرا جدا \* وأبطال الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية في كل سنة ستين ألف درهم وأبطال ما كان على القمح من مكس يؤخذ من الفقراء بنقر دمياط بمن يتاع من اردبين فما دونهما وأبطال ما كان يؤخذ مقدمة لمن يسرح الى العباسة من الخليل والجمال والغم وغير ذلك وأبطال ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وأبطال ضمان الاغاني بمنية ابن خصيب بأعمال الاشمونين وبزفتا بالأعمال الغربية وأبطال الابقار التي كانت ترمى بالوجه البحرى عند فراغ الجسور وأبطال الامير بلبغا السلمي لما ولى استادار السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة احدى وثمانمائة تعريف الغلال بمنية ابن خصيب وضمن العرصتها وأخصاص التسالين وكانت من المظالم القبيحة وأبطال من القاهرة ضمان بحيرة البقر ثم أعاده القبط من بعده \* وقد بقيت الى الآن من المكوس بقايا أخبرني الامير الوزير المشير الاستادار بلبغا السلمي في ايام وزارته أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين الف درهم وانه اعتبرها فلم يجدها تصرف في شيء من مصالح الدولة بل انما هي منافع للقبط وحواشيهم وكان قد عزم على ابطال المكوس فلم يمهل \* ( والمال الهلالي ) عبارة عما يستأدى مشاهرة كاجر الاملاك المسقفة من الآدروا الحوانيت والحمامات والافران والطواحين وعداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والحلولة وعد بعض السكتاب أحكار البيوت وريع البساتين التي تستخرج أجزها مشاهرة ومصيد السمك ومعاصر الشيرج والزيت في المال الهلالي \* ومن اصطلاح كتاب مصر القدماء أن تورد جزية أهل الذمة من اليهود والنصارى قلما واحدا مستقلا بذاته بعد الهلالي وقبل الخراجي وذلك انها تستأدى مساهمة وكانوا يرون وجوبها مشاهرة وفائده فيمن أسلم أو مات أثناء الحول فانهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فلذلك أوردت فيما بين الهلالي والخراجي \* وكانوا في الاقطاعات الجيشية يجرونها مجرى المال الهلالي عند خروج اقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تعجلها مقطع في غرة السنة على العادة في ذلك وخرج الاقطاع عنه في أثناء السنة ب وفاة أو نقلة الى غيره استحق منها نظير ماضى من شهور السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لاعلى حكم ما استحق من المغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود والمتخلل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات وكان من أبواب الهلالي جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة



والمواريث والتغور والمتجر والشب والنظرون والجبس الجيوشى ودار الضرب ودار العيار  
 والجاموس وأبقار الجبس والاعناب والغروس والبساتين والاحكار والرباع والمراكب وما  
 يستأدى من الذمة غير الجوالي وساحل السنط والحراج والقرظ ومقرر الجسور وموظف  
 الايبان ومقرر القصب ومقرر البريد ومقرر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات  
 المكوس فأما الجزية وتعرف في زمننا بالجوالي فإنها تستخرج سلفا وتعجلا في غرة السنة  
 وكان يحصل منها مال كثير فيما مضى \* قال القاضي الفاضل في متجددات الحوادث الذي  
 انعقد عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع وثمانين وخمسة مائة ألف وثلاثون ألف دينار وأما  
 في وقتنا هذا فان الجوالي قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للإسلام في الحوادث التي مرت  
 به. ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بملك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد أمير المؤمنين  
 المستعين بالله ولي رجلا جباية الجوالي فكثرت الاستقصاء عن الذمة والسكد في الاستخراج  
 منهم فبلغت الجوالي في سنة ست عشرة وثمانمائة أحد عشر ألف دينار وأربعمائة دينار سوى  
 ماغرم للاعوان وهو قدر كثير \* وأما المراعى وهو الكلا المطلق المباح الذي أنبته الله  
 تعالى لرعى دواب بني آدم فأول من أدخلها الديوان بمصر أحمد بن مدبر ولما ولي الحراج  
 وصير لذلك ديوانا وعاملا جلدا يحظر على الناس أن يتبايعوا المراعى أو يشتروها إلا من جهته  
 وأدركنا المراعى ببلاد الصعيدما يضاف الى الاقطاعات فيأخذ الامير من رعى دوابه في  
 أرض بلده السكتيح في كل سنة مالا عن كل رأس فيجبي من صاحب الماشية بعدد أنعامه  
 فلما احتل أمر الصعيد في الحوادث السكائنة منذ سنة ست وثمانمائة تلاشي الامر في ذلك  
 وكانت العادة القديمة أن يندب للمراعى مشد وشهود وكاتب فيعدون المواشي ويستخرجون  
 من أربابها عن كل رأس شيئا ولا يكون ذلك الا بعد هبوط النيل ونبات الكلا واستهلاكة  
 للمراعى \* وأما المصايد فهي ما أطمع الله سبحانه وتعالى من صيد البحر وأول من أدخلها  
 الديوان أيضا ابن مدبر وصير لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر  
 أن يكتب في الديوان خراج مضارب الاوتار ومغارس الشباك فاستمر ذلك وكان يندب  
 لمباشرتها مشد وشهود وكاتب الى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية  
 وبحيرة نسترو وثغر دمياط وجنادل ثغر أسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون  
 عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل بعد ما تكون أقواه الترع قد  
 سكرت وأبواب القناطر قد سدت عند انتهاء زيادة النيل كما يتراجع الماء ويستكاثف مما يلى  
 المزارع ثم تنصب شباك وتصرف المياه فيأني السمك وقد اندفع مع الماء الجارى فتصدده  
 الشباك عن الانحدار مع الماء ويجتمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على انخاخ ويملح ويوضع  
 في الامطار فاذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك



في قدر الاصبغ فما دونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا بسارية فتؤكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تينس وبحيرة الاسكندرية أسماك تعرف بالبورى وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تينس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البورى ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البورى وقيل لهذا السمك البورى إضافة الى القرية المذكورة وقد بطل في زمننا اليوم أمر هذه المصايد الامن بحيرة نسترو بالبراس وبحيرة تينس بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان في ديوان الحاص وهما مضممتان وما يخرج منهما من البورى وغيره من أنواع السمك فالسلطان لا يقدر أحد أن يتعرض لصيد شيء منه الا أن يكون من صياديهما القايمين بالضمان وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والحلجان فليست للسلطان وأما بحيرة اسكندرية فقد جفت ونثر أسوان فقد خرج عن يد السلطنة وتقلب عليه أولاد الكفرة ونم برك بأيدي أقوام كبركة الفيل بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس وبركة الرطلي بيد أولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان أسماكها مضمنة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع أحد الصيد منها \* وأما بحر النيل فما صيد منه يحمل الى دار السمك بالقاهرة فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان الا أن الامير جمال الدين يوسف الاستادار زاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة وغالسا عمره وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية يقال له شراجيل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا باصبغ من كفه قسطنطينية لا يدري أ كان مما عمله سليمان النبي أم عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخبرني أبي عن أبيه انه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه فكان طوله طول قدم الصنم فكتب رجل يقال له أسامة بن زيد كان عاملا على مصر لوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين أن عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراجيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الي من أمره فكتب اليه لانتزله حتى أبعث اليك ضمنا يحضرونه فبعث اليه رجلا أمناء حتى أنزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حراوين ليس لهما قيمة فضربه فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك \* وأما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أول من جباها بمصر قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسة مائة ثلاث عشر ربيع الآخر فرقت الزكوات بعدما جمعت على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين بعد أن رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهي سهام العاملين والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى ما يتقرر عليه من المواشى والنخل والخضر اوات قال والذي انعمت



عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع وثمانين وخمسة مائة ثلاثون ألف دينار والزائد في معاملة الزكاة ودار الضرب لسنتي ست وسبع وثمانين وخمسة مائة أحد وعشرون ألف دينار وثمانمائة وأحد وستون ديناراً وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان في ديوان الزكاة وكتب خطه بما يبلغه أثنان وخمسون ألف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشي قرأش الشاذي في هذا المال وأن لا يتصرف فيه بل يكون في صندوق مودعا للمهمات التي يؤمر بها ولما قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طفنتكين بن نجم الدين أيوب ابن شادي ملك اليمن الى مصر وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه وقد أرى ثراء كثيراً قبض أرباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر وطالبوه بزكاة مامعه وكان ذلك في أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها \* أهل ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيزين فرق في فمالهما \* هناك يعطى وهذا يأخذ الصدقه

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه فيها أقوال شنيعة منها انه أخذ من رجل فقير يبيع الملح في قفة على رأسه زكاة عما في القفة وأنه يبيع جمل بخمسة دنانير ذهب فأخذز كلها خمسة دراهم فأمر بتفويض أمرها الى أرباب الاموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب أخرج من زكاة الاموال التي كانت تنجي من الناس سهمي الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما في مصارفهما الشرعية ورتب من جملة هذين السهمين معالم للفقهاء والصلحاء وأهل الخير تجرى عليهم فاستحسن ذلك من فعله ووجهه الى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لا يتعرض اليه فيخل الاغنياء بزكاة أموالهم حتي تضرر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يبذلون في ضمانها الاموال لتعود الى ما كانت عليه فولى النظر في ديوان الزكاة القاضي الاسعد شرف الدين أبو المسكارم أسعد بن مهذب بن ممانى فاستخرج الزكاة من أربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف والجور وكانت أعوان متولى الزكاة يخرج الى منية ابن خضيب واحميم وقرص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيبحثون عن جميع ما معهم ويدخلون أيديهم أوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون الجميع بالأيمان الحرجة على ما بأيديهم وما عندهم غير ما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الاعوان وبأيديهم المسال العلوال ذوات الانصبة فيصعدون الى المراكب ويجسسون بمسالمهم جميع ما فيها من الاحمال والغرائر مخافة أن يكون فيها شيء من بضاعة أو مال فيالغنون في البحث والاستقصاء بحيث يقبح ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج بين يدي هؤلاء الاعوان مواقف خزي ومهانة لما يصدر منهم عند تفتيش اوساطهم وغرائر أزوادهم ويحل بهم من العسف وسوء المعاملة ما لا يوصف



وكذلك يفعل في جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين بن أيوب \* وأما الثغور  
فهي دمياط وتينس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهي أعظمها قدراً فإنه كان  
فيها عدة جهات منها الخمس والمتجر فالخمس ما يستأدى من تجار الروم الواردين في البحر عما  
معهم من البضائع للمتجر بمقتضى ما صلحوا عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم ما قيمته مائة  
دينار ومائتان وخمسة وثلاثون ديناراً وربما انحط عن عشرين ديناراً ويسمى كلاهما خمسا  
ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك ضرائب مقررة وقال القاضي الفاضل  
والحاصل من خمس الاسكندرية في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ثمانية وعشرون ألف دينار  
وسمائه وثلاثة عشر ديناراً والمتجر عبارة عما يتباع للديوان من بضائع تدعو إليها الحاجة  
ويقضيه طلب الفائدة \* قال جامع سيرة الوزير اليازوري وقصر النيل بمصر في سنة أربع  
وأربعين وأربعمائة ولم يكن في مخازن الغلات شيئاً فاشتدت المسغبة بمصر وكان خلواً للمخازن  
سبب أوجب ذلك وهو أن الوزير الناصر للدين لما اضيف إليه القضاء في أيام أبي البركات  
الوزير كان يتباع للسلطان في كل سنة غلة بمائة ألف درهم وتجعل متجراً مثل القاضي  
بحضرة الخليفة المستعين بالله وعرفه أن المتجر الذي يقام بالغلة فيه أوفى مضرة  
على المسامين وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها فتتعفن في المخازن وتنتف وأنه  
يقيم متجراً لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره في  
المخازن ولا انحطاط سعره وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك  
فأمضى السلطان له ماراً واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم  
عمل الملوك بعد ذلك ديواناً للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق \* وأما الشب فإن معادنه  
بالصعيد وكانت عادة الديوان الاتفاق في تحصيل القنطار منه بالثبتي يبلغ ثلاثين درهماً وكانت  
الهربان تحضره من معادنه إلى ساحل اخميم وسيوط الهنسا ليحمل إلى الاسكندرية أيام  
النيل في الخليج ويشترى بالقنطار البثتي ويباع بالقنطار الجروي فيباع منه على تجار الروم قدر اثني  
عشر ألف قنطار بالجروي بسعر أربعة دنائير كل قنطار إلى ستة دنائير ويباع منه بمصر على  
اللبوديين والصباعين نحو الثمانين قنطاراً بالجروي سعر ستة دنائير ونصف القنطار ولا يقدر  
أحد على ابتاعه من الهربان ولا غيرهم فإن عثر على أحد أنه اشترى منه شيئاً أو باعه سوى  
الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه وقد بطل هذا \* (وأما التطرون) فيوجد في  
البر الغربي من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحمر وأخضر ويوجد منه بالفاقوسية شيئاً  
دون ما يوجد في الطرانة وهو أيضاً مما حظر عليه ابن مدبر من الاشياء التي كانت مباحة  
وجعله في ديوان السلطان وكان من بعده على ذلك إلى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل  
منه في كل سنة عشرة آلاف قنطاراً ويعطى الضمان منها في كل سنة قدر ثلاثين قنطاراً بقسمونها



من الطرانة قنباغ في مصر بالقنطار المصرى وفي بحر الشرق والصعيد بالحروى وفي دمياط باليشي قال القاضي الفاضل وباب النطرون كان مضمونا الى آخر سنة خمس وثمانين وخمسمائة بمبلغ خمسة عشر ألفا وخمسمائة دينار وحصل منه في سنة ست وثمانين مبلغ سبعة آلاف وثمانمائة دينار وأدركننا النطرون اقطاعا لعدة أجناد\* فلما تولى الامير محمود بن على الاستادارية وصار مدبر الدولة في أيام الظاهر برقوق حاز النطرون وجعل له مكانا لا يساع في غيره وهو الى الآن على ذلك (وأما الحبس الحيوشي) فكان في البرين الشرقى والغربى ففي الشرقى بهتين والاميرية والمنية وكانت تسجل هذه النواحي بعين وفي الغربى سنفط ونهيا ووسيم وهذه النواحي حبسها أمير الجيوش بدر الجمالي على عقبه هي والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال المهدي استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلبا للفائدة ثم ادخلت في الديوان قال ابن المأمون في تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الحيوشية مع البلاد التي لهم لم يزل في مدة أيام الوزير المأمون البطاشي بأيديهم لم يخرج عنهم بضمان ولا بغيره فلما توفي الخليفة الأمر بأحكام الله وجلس أبو على بن الأفضل بن أمير الجيوش في الوزارة أعاد الجميع الى الملك لسكون نصيبه في ذلك الاوفر فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله أمر بالقبض على جميع الاملاك وحل الاحباس المختصة بأمر الجيوش فلم يزل يانس به لانه غلام الأفضل والوزير في ذلك الوقت وعز الملك غلام الاوحد بن أمير الجيوش يتلطفان ويراجعان الخليفة مع الكسب التي أظهرها الورثة وعلها خضوط الخلفاء الى أن أبقاها عليهم ولم يخرجها عنهم ثم ارتفعت الحوطة عنها في سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظي ولما خدم الخطير والمرضى في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة في وزارة رضوان بن ولحشى أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل أمرها اليه من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقضى عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة أفتي فقهاء ذلك العصر ببطلان الحبس فقبضت النواحي وصارت من جملة الاموال السلطانية فنها ما هو اليوم في الديوان السلطاني ومنها ما صار وقفا ورزقا أحباسية وغير ذلك\* (وأما دار الضرب) فكان بالقاهرة دار الضرب وبالإسكندرية دار الضرب ويقوص دار الضرب ولا يتولى عيار دار الضرب الا قاضي القضاة أو من يستخلفه ثم رذلت في زماننا حتى صار يلها مسألة فسقة اليهود المصرين على الفسق مع ادعائهم الاسلام وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحوير عياره الى أن أفسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة وكانت بمصر المعاملة بالورق فأبطلها الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة بضع وعشرين و ضرب الدرهم المدور الذي يقال له السكاملي وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة الثلثين ولم يزل يضرب بالقاهرة الى أن أكثر الامير محمود الاستادار من ضرب الفلوس



بالقاهرة والاسكندرية فبطلت الدراهم من مصر وصارت معاملة أهلها الى اليوم بالفلوس  
 وبها يقوم الذهب وسائر المبيعات وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب  
 خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير فقل في زماننا لقلّة الاموال  
 ودار الضرب اليوم جارية في ديوان الخاص \* ( وأما دار العيار ) فكانت مكانا يحتاط فيه  
 للرعية وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ويحصل منها للسلطان مال وجعلها السلطان صلاح  
 الدين من جملة أوقاف سور القاهرة وقد ذكرت في خطط القاهرة من هذا الكتاب \* ( وأما  
 الاحكار ) فانها اجر مقررة على ساحات بمصر والقاهرة فيها ما صار دورا للسكنى ومنها ما  
 أنشئ بساتين وكانت تلك الاجر من جملة الاموال السلطانية وقد بطل ذلك من ديوان السلطان  
 وصارت احكار مصر والقاهرة وما بينهما أوقافا على جهات متعدّدة \* ( وأما الغروس )  
 فكانت في الغربية فقط عدة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم وقد  
 بطل ذلك من الديوان \* ( وأما مقرر الجسور ) فكان على كل ناحية تقرير بعدة قطع معلومة  
 يجبي منها عن كل قطعة عشرة دنانير لتصرف في عمل الجسور فيفضل منها مال كثير يحمل  
 الى بيت المال وقد بطل هذا أيضا وجدد الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت في  
 أسباب الخراب \* ( وأما موظف الاتبان ) فكان جميع تبين أرض مصر على ثلاثة أقسام قسم  
 للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبي التبين على هذا الحكم من سائر الاقاليم ويؤخذ  
 في التبين عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل  
 هذا أيضا من الديوان \* ( وأما الخراج ) فانه كان في البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين  
 والاسيوطية والابخيمية والقوصية أشجار لا تحصى من سنط لها حراس يحمونها حتى يعمل  
 منها مراكب الاسطول فلا يقع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود  
 الواحد منه مائة دينار \* وكان يستخرج من هذه النواحي مال يقال له رسم الخراج  
 ويحتج في حياته به انه نظير ما تقطعه أهل النواحي وتنتفع به من أخشاب السنط في  
 عمائرهم ومقرر آخر كان يجبي منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقرر أجرة قطع  
 الخشب وحزه بضريبة عن كل مائة حمل دينار وعلى المستخدمين في ذلك أن لا يقطعوا من  
 السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لسكنهم انما يقطعون الاطراف التي ينتفع بها في  
 الوقود فقط ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مائة حمل بأربعة  
 دنانير ويكتب على أيديهم زنة ما يبيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر  
 اعتبرت عليهم وقوبل ما فيها بما عين في الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما في الرسالة  
 وكانت العادة انه لا يباع مما في البهنسا الا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية وقد بطل  
 هذا جميعه واستولت الايدي على تلك الاشجار فلم يبق منها شيء البتة ونسى هذا من



الديوان \* (وأما القرظ) فإنه ثمر شجر السنط وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ومتى وجد منه مع أحدي شي اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه فإذا اجتمع مال القرظ أقيم منه مراكب تباع ويؤخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوم أو ينأدى عليها وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك \* (وأما ما يستأدى من أهل الذمة) فإنه كان يؤخذ منهم عما يرد ويصدر معهم من البضائع في مصر والاسكندرية وأخميم خاصة دون بقية البلاد ضرائب بتقرير في الديوان وقد بطل ذلك أيضا \* (وأما مقرر الجاموس ومقرر بقر الخيس ومقرر الاغنام) \* فإنه كان للسلطان من هذه الاصناف شيء كثير جدا فيؤخذ من الجاموس للديوان على كل رأس من الراتب في نظير ما يتحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ومن اللاحق بحق النصف من الراتب وأقل ما تنتج كل مائة خمسون الى غير ذلك من ضرائب مقررة على الجاموس وعلى أبقار الخيس وعلى الغنم البيض والغنم الشماری وعلى التحل وقد بطل ذلك جميعه لقله مال السلطان واعراضه عن العمارة وأسبابها وتمامي أسباب الخراب \* (وأما المواريث) \* فإنها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الارحام وأن البنت اذا انفردت استحققت المال بأجمعه فلما انقضت أيامهم واستولت الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مل المواريث الحشرية وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرة وتظلم أخرى (وأما المكوس) فقد تقدم حدوثها وما كان من الملوك فيها والذي قى منها الى الآن بديار مصر بلى أمره الوزير وفي الحقيقة انما هو يقع للاقباط يتحولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس في زمننا عما كنا نعهده منذ عهد محمد الامير جمال الدين يوسف الاستادار في الاموال السلطانية كما ذكر في أسباب الخراب \* (وأما البراطيل) \* وهي الاموال التي تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبها وقضاها وعمالها فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيك في ولاة السواحي فقط ثم بطل وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحيانا وعمله الامير شيخون في الولاية فقط ثم أخش فيه الظاهر برقوق كما يأتي في أسباب الخراب (وأما الحماية والمستأجرات) فنسئ حدث في أيام الناصر فرج وصار لتلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الامراء وهو من أعظم أسباب الخراب كما يذكر في موضعه ان شاء الله تعالى

### ❦ ذكر الاهرام ❦

اعلم ان الاهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوسير شيء كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدة كثيرة كلها صغار هدمت في أيام السلطان



صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد قراقوش وبنيها قلعة الجبل والصور المحيط بالقاهرة  
ومصر والقناطر التي بالجيزة وأعظم الأهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر وقد اختلف  
الناس في وقت بنائها واسم بابيها والسبب في بنائها وقالوا في ذلك أقوالا متباينة أكثرها  
غير صحيح وسأقص عليك من نبا ذلك ما شئت ويكفي ان شاء الله تعالى \* قال الاستاذ  
ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في أخبار مصر وعجائبها في أخبار سوريد بن سهلوق بن  
سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هو صال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا  
يسكنون في مدينة أم بوس الآتي ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب وهو  
الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسويين الى شداد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية  
دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلاثة سنة قد رأى  
سوريد في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها وكان الناس قد هربوا على وجوههم وكان  
الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بصوات هائلة فغمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم  
أنه سيحدث في العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بإيام كأن الكواكب الثابتة نزلت الى  
الأرض في صور طيور بيض ولكنها تختطف الناس وتلقهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين  
قد انطبقا عليهم وكان الكواكب النيرة مظلمة مكسوفة فاتبه مرعوبا مذعورا ودخل الى  
هيكل الشمس وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من  
جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا تخلابهم وحدثهم ما رآه أولا وآخر فأولوه  
بأمر عظيم يحدث في العالم قتال عظيم السكهان ويقال له أقليمون ان أحلام الملوك لا تجري  
على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة ولم أذكرها لاحد من الناس  
رأيت كأنني قاعد مع الملك على وسط المنار الذي بامسوس وكان الفلك قد انحط من موضعه  
حتى قارب رؤسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكان الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها  
قد خالطتها في صور شتى مختلفة الاشكال وكان الناس قد جفلوا الى قصر الملك وهم يستغيثون  
به وكان الملك قد رفع يديه حتى بلغتا رأسه وأمرني أن أفعل كما فعل ونحن على وجل شديد  
اذ رأينا منها موضعا قد انفتح وخرج منه نور مضيء وطلعت علينا منه الشمس وكأنا  
استغتنا بالشمس نحاطبتنا أن الفلك سيعود الى موضعه فانتبهت مرعوبا ثم نمت فرأيت كأن  
مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والاصنام تهوى على رؤسها وكان أناسا نزلوا من السماء  
بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقلت لهم ولم تفعلون بالناس كذا قالوا لانهم  
كفروا بالهمم قلت فما بقي لهم من خلاص قالوا نعم من أراد الخلاص فليأحق بصاحب السفينة  
فانتبهت مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبلغوا  
فايتهم في استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان وبعده بالنار التي تخرج من برج الاسد



تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا نعم تأتي في الطوفان على  
 أكثره ويلحقه خراب بقم عدة سنين قال فانظروا هل يعود عامرا كما كان أو يبقى مغمورا  
 بالماء دائما قالوا بل تعود البلاد كما كانت وتعمر قال ثم ماذا قالوا يقصدها ملك يقتل أهلها  
 ويغنم مالها قال ثم ماذا قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية جبل النيل ويملكون أكثرها  
 قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها وتخلو من أهلها فأمر عند ذلك بعمل الأهرام وأن يعمل لها  
 مسارب يدخل منها النيل إلى مكان بعينه ثم يفيض إلى مواضع من أرض الغرب وأرض  
 الصعيد وملاها طلسمات وعجائب وأموالاً وأصناما وأجساد ملوكهم وأمر السكبان فزروا  
 عليها جميع مآقائه الحكماء وزر فيها وفي سقوفها وحيطانها وأسطواناتها جميع العلوم  
 الغامضة التي يدعيها أهل مصر وصور فيها صور الكواكب كلها وزر عليها أسماء العقاقير  
 ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف  
 كتابتهم ولغتهم\* ولما شرع في بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل  
 واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية أسوان فبنى بها أساس  
 الأهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانت لهم محاثف وعليها كتابة إذا قطع الحجر وتم  
 احكامه وضعوا عليه تلك الصخائف وضربوه فيبعد تلك الضربة قدر مائة سهم ثم يعاودون  
 ذلك حتى يصل الحجر إلى الأهرام وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في ثقب بوسطها قطبا  
 من حديد قائما ثم يركبون عليها بلاطة أخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب  
 الرصاص ويسب في القطب حول البلاطة بهندام واتقان إلى أن تكلمت وجعل لها أبوابا تحت  
 الأرض بأربعين ذراعا فأما باب الهرم الشرقي فانه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع  
 من وسط حائط الهرم وأما باب الهرم الغربي فانه من الناحية الغربية على مقدار مائة ذراع من  
 وسط الحائط وأما باب الهرم الملون فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط  
 الحائط فإذا حفر بعد هذا القياس وصل إلى باب الأبرج المبني ويدخل إلى باب الهرم  
 وجعل ارتفاع كل واحد من الأهرام في الهواء مائة ذراع بالذراع الملكي وهو بذراعهم  
 خمسمائة ذراع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراعهم  
 ثم هندسها من كل جانب حتى تحددت أعاليها من آخر طولها على ثمانية أذرع بذراعنا وكان  
 ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخبروه فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من فوقها  
 إلى أسفلها وعمل لها عيدا حضره أهل مملكته بأجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين  
 مخزنا من حجارة صوان ملون وملئت بالاموال الجملة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر  
 النفيسة وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذي لا يصدأ والزجاج الذي ينطوى ولا  
 ينكسر والطلسمات الغريبة وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وعمل في



الهرم الشرقي أصناف القباب الفلكية والكواكب وما عمله أجداده من التماثيل والدخن  
 التي يتقرب بها الى الكواكب ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما يحدث في ادوارها  
 وقاوتها وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والاقوات التي ينتظر فيها ما يحدث وكل  
 من يلي مصر الى آخر الزمان وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه المدبرة وما أشبه ذلك  
 وجعل في الهرم الملون أجساد الكهنة في توابيت من صوان اسود ومع كل كاهن مصحف  
 فيه عجائب صناعاته وأعماله وسيرته وما عمل في وقته وما كان وما يكون من أول الزمان  
 الى آخره وجعل في الحيطان من كل جانب أصناما تعمل بأيديها جميع الصنائع على مراتبها  
 وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ولم يترك علما من العلوم حتى زبره ورسمه  
 وجعل فيها اموال الكواكب التي أهديت الى الكواكب وأموا الكهنة وهو شئ  
 عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خادما فخادم الهرم الغربي صنم من حجارة صوان  
 مجزع وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حية قد تلوق بها من قرب منه وثبت  
 اليه وطوقت على عنقه وقتلته ثم تعود الى مكانها وجعل خادم الهرم الشرقي صنما من جزع  
 أسود مجزع بأسود وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسي ومعه حربة  
 اذا نظر أحد اليه سمع من جهته صوتا يفرع منه فيخر على وجهه ولا يبرح حتى يموت وجعل  
 خادم الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة منه من نظر اليه جذبه حتى يلتصق به  
 فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الالهرام بالارواح الروحانية وذبح لها  
 الذبايح لتتبع عن انفسها من ارادها الا من عمل لها اعمال الوصول اليها \* وذكر القبط في كتبهم  
 أن عليها منقوشا تفسيره بالعربية اناسوريد الملك بنيت هذه الالهرام في وقت كذا وكذا  
 وأتمت بناءها في ست سنين فمن أتى بعدى وزعم انه ملك مثلي فليهدمها في ستمائة سنة وقد  
 علم أن الهدم أسير من البنيان واني كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر فنظروا  
 فوجدوا انه لا يقوم بهدمها شئ من الازمان الطوال \* وحكى القبط في كتبهم أن روحانية  
 الهرم الشمالي غلام امرد أصفر اللون عريان في فمه أنياب كبار وروحانية الهرم الجنوبي  
 امرأة عريانة بادية الفرج حسناء في فمها أنياب كبار تستهوى الانسان اذا رآه وتضحك له حتى  
 يدنو منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ في يده مجرة من مجامر الكنائس  
 يخرج بها وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي تطوف حول الالهرام  
 وقت القائلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سور يد دفن في الهرم ومعه أمواله وكنوزه  
 وقالت القبط ان سور يد هو الذي بنى البرابي وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكّل بها  
 روحانيات تحفظها ممن يقصدها قال وأما الالهرام الدهشورية فيقال ان شدات بن عديم هو  
 الذي بناها من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن ابيه وشدات هذا يزعم بعض الناس



أنه شداد بن عاد وقال من أنكر أن يكون العادية دخلت مصر أما غلطوا باسم شدات بن  
 عديم فقالوا شداد بن عاد لكثرة مايجرى على أسنتهم شداد بن عاد وقلة مايجرى على أسنتهم  
 شدات بن عديم والافنا قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير نخت نصر  
 والله أعلم \* وذكر أبو الحسن المسعودي في كتابه أخبار الزمان ومن أباده الحدنان أن الخليفة  
 عبد الله المأمون بن هارون الرشيد لما قدم مصر وأتى على الأهرام أحب أن يهدم أحدها ليعلم  
 ما فيها فقبل له أنك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شيء منه ففتحت له الثامنة المفتوحة  
 الآن بنار توقد وخذل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى أنفق عليها أموالا عظيمة  
 فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا  
 خلف الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقية وكان عددها ألف  
 دينار فجعل المأمون يتمجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم أمر بحملة ما أنفق على الثلثة  
 فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما أنفقوه ولا ينقص فعجب من معرفتهم بمقدار  
 ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوازيه في الموضع عجبا عظيما وقيل ان المطهرة التي وجد فيها  
 الذهب كانت من زبرجد فأمر المأمون بحملها إلى خزائنه وكان آخر ما عمل من عجائب مصر  
 وأقام اثناس سنين يقصدونه وينزلون فيه الزلافة التي فيه فممن من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق  
 عشرون من الأحداث على دخوله وأعدوا لذلك ما يحتاجون من طعام وشراب وحبال  
 وشمع ونحوه ونزلوا في الزلافة فأرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان يضرب وجوههم  
 ثم انهم أدلوا أحدهم بالحبال فانطبق عليه المكان وحاولوا جذبه حتى اعيابهم فسمعوا صوتا  
 أرفعهم ففتى عليهم ثم قاموا وخرجوا من الهرم فينماهم جلوس يتمجبون بما وقع لهم اذ  
 أخرجت الأرض صاحبهم حيا من بين أيديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه  
 ومضوا به فاخذهم الخفراء واتوا بهم إلى الوالى فحدثوه خبرهم ثم سألوا عن الكلام الذي  
 قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم معناه هذا جزء من طلب ما ليس له وكان الذي فسر  
 لهم معناه بعض أهل الصعيد \* وقال على بن رضوان الطيب فسكرت في بناء الأهرام فأوجب  
 علم الهندسة العملية ورفع الثقل إلى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا ونحتوا  
 الحجارة ذكرا وانى ورسوها بالحيس البحرى إلى أن ارتفع البناء مقسدا ما يمكن رفع  
 الثقل وكانوا كلما صدوا ضمو البناء حتى يكون السطح الموازى للمربع الأسفل مربعا  
 أصغر من المربع السفلاي ثم عملوا في السطح المربع الفوقاني مربعا أصغر بمقدار ما بقى  
 في الحاشية ما يمكن رفع الثقل إليه وكما رفعوا حجرا مهندما رسوه إليه ذكرا وانى إلى  
 أن ارتفع مقدار مثل المقدار الاول ولم يزالوا يفعلون ذلك إلى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها  
 أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع ونحتوا الجوانب البارزة التي فرضوها لرفع الثقل ونزلوا



في النحت من فوق الى أسفل وصار الجميع هرما واحدا \* وقياس الهرم الاول  
 بالذراع التي تقاس بها اليوم الابدية بمصر كل حاشية منه اربعمائة ذراع يكون  
 بالذراع السوداء التي طول كل ذراع منها اربعة وعشرون أصبعا خمسمائة ذراع وذلك  
 أن قاعدته مربع متساوي الاضلاع والزوايا ضلعان منها على خط نصف النهار وضلعان  
 على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع والخط المنحدر  
 على استقامة من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعمائة وسبعون ذراعا يكون اذا تم  
 أيضا خمسمائة ذراع وأحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوي الساقين  
 كل ساق منه اذا تم خمسمائة وستون ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع رؤسها عند نقطة  
 واحدة وهي رأس الهرم اذا تم فيلزم أن يكون عموده اربعمائة وثلاثين ذراعا وعلى هذا  
 العمود مراکز أبقاله ويكون تكسير كل مثلث من مثلثاته مائة وخمسة وعشرين ألف  
 ذراع اذا اجتمع تكسيرا كان مبلغ تكسير سطح هذا الهرم خمسمائة ألف ذراع بالسوداء  
 وما أحسب على وجه الارض بناء اعظم منه ولا أحسن هندسة ولا اطول والله أعلم \*  
 وقد فتح المامون نقبا من هذا الهرم فوجد فيه زلافة تصعد الى بيت مربع مكعب ووجد  
 في سطحه قبر رخام وهو باق فيه الى اليوم ولم يقدر أحد يحطه وبذلك أخبر جالينوس  
 أنها قبور فقال في آخر الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ وهم يسمون من كان في هذا  
 السن الهرم وهو اسم مشتق من الاهرام التي هم اليها صاثرون عن قريب وقال الحوقلي  
 في صفة مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير في ملك مسلم ولا كافر  
 ولا عمل ولا يعمل لهما وقرأ بعض بنى العباس على أحدهما اني قد بنيتهما فمن كان يدعى قوة في  
 ملكه فليهدهما فالهدم ايسر من البنيان فهم بذلك وأظنه المامون أو المعتصم فاذا خراج  
 مصر لا يقوم به يؤمذ وكان خراجها على عهده بالانصاف في الجباية وتوخي الرفق بالرعية والمعدلة  
 اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر اصابع اربعة آلاف ألف ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف  
 دينار والمقبوض على الفدان دينارين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا \* وفي حد الفسطاط في غربي  
 النيل ابيبة عظام يكثر عددها مفرشة في سائر الصعيد تدعى الاهرام وليست كاهرمين  
 اللذين بحما الفسطاط وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما اربعمائة ذراع وعرضه كارتفاعه  
 مبنى بحجارة السكدان التي سمك الحجر وطوله وعرضه من العشر اذرع الى الثمان بحسب  
 ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته ونقصه وأوجبه الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا في البناء  
 ضاقا حتى يصير اعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك حمل وقد ملئت محيطاتهما بالسكتابة  
 اليونانية وقد ذكر قوم انهما قبران وليس كذلك وانما حمل صاحبهما على عملهما أنه قضى  
 بالطوفان أنه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن في مثلها نخزن ذخائره وأمواله



فيهما وأتى الطوفان ثم نضب فصار ما كان فيها الى بيبصر بن مصر ايم بن حرام بن نوح وقد  
 خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين وجعلهما هراءه والله أعلم \* وقال أبو يعقوب محمد بن  
 اسحاق النديم الوراق في كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلي قد اختلف في أمره  
 فقيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة وأنه كان لترتيب  
 عطارد وباسمه سمي فان عطارد باللغة السكدانية هرمس وقيل انه انتقل الى أرض  
 مصر بأسباب وانه ملكها وكان له أولاد منهم طاوصا وأشمن وأتريب وقفت وأنه كان  
 حكيم زمانه وانه لما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر بأبي هرميس ويعرفه  
 العامة بالهرمين فان أحدهما قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته  
 وهذه البنية يعني الاهرام طولها بالذراع الهاشمي أربعمائة ذراع وثمانون ذراعا على مساحة  
 أربعمائة وثمانين ذراعا ثم ينحرف البناء فاذا حصل الانسان في رأسه كان مقدار سطحه  
 أربعين ذراعا هذا بالهندسة وفي وسط هذا السطح قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة وعند  
 رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية التغلغفة والحسن وكثرة التلون وعلى كل واحدة منهما  
 شخصان من حجارة صورة ذكر وانثى وقد تلاقيا بوجهيهما ويبدو الذكور لوح من حجارة  
 فيه كتابة ويبدو الانثى امرأة والرف ذهب نقشه نقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة  
 على رأسها غطاء ذهب فلما قلع فاذا فيها شبيه بالقار بغير رائحة قد يبس وفيها حقة ذهب  
 فترع رأسها فاذا فيها دم عييط ساعة قرعه اهواء حمد كما يحمد الدم وجف وعلى القبور  
 اغطية حجارة فلما قلمت اذا رجل نائم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف بين الحلقة ظاهر  
 الشعور والى جنبه امرأة على هيئة قال وذلك السطح منقر نحو قمة كما يدور مثل المسمار ذات  
 أزاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة وقائمة وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف  
 أشكالها \* وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد  
 ابن على بن سعد البغدادي المعروف بابن المطحن في سيرته وجاء رجل جاهل مخمجي نخيل الى  
 الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أن الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الحجارين  
 واكثر السكر وأخذوا في هدمه وأقاموا على ذلك شهورا ثم تركوه عن عجز وخسران مبين  
 في المال والعقل ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى الهرم  
 لا يجد به الا تشعينا يسيرا وقد أشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم هل تقدرين على اعادته  
 فقال لو بذل لنا السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يمكننا ذلك \* وقال أبو الحسن المسعودي  
 في مروج الذهب وأما الاهرام فطولها عظيم وبنائها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام  
 الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدري ما تلك الكتابات ولا المراد بها وقد قال من عني  
 بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهبا في الجون نحو أربعمائة ذراع أو أكثر



وكما سعد دق ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر  
وأسرار الطبيعة وأن من تلك الكتابة مكتوبا انا بنيناها فمن يدعي موازانا في الملك وبلوغ  
القدرة وانتهاء أمر السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم أسير من البناء والتفريق  
اسهل من التأليف \* وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع يهدم بعضها فاذا خراج  
مصر لا يبق بقلمها وهي من الحجر والرخام وأنها قبور ملوك وكان الملك منهم اذا مات وضع  
في حوض من حجارة ويسمى بمصر والشام الجرون واطبق عليه ثم بني من الهرم على مقدار  
ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان  
ثم يرفعون البناء على المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في  
الارض ويقعد أزج طوله تحت الارض مائة ذراع أو أكثر ولكل هرم من هذه الاهرام  
باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون الهرم من هذه الاهرام مدرجا ذامراق  
كالدرج فاذا فرغوا نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت جبلتهم وكانوا مع ذلك لهم قوة  
وهي وطاعة \* وقال في كتاب البنية والاشراف والهرمان اللذين في الجانب الغربي من  
فسطاط مصرهما من عجائب بنيان العالم كل واحد منهما أربعمائة ذراع في سمك مثل ذلك  
مبنيان بالحجر العظيم على الزياح الارباع كل ركن من أركانها يقابل رجا منها فأعظمها فيهما  
تأميرا ريج الجنوب وهي المريسي وأحد هذين الهرمين قبر أعاديمون والآخر قبر هرمن  
وبينهما نحو ألف سنة وأعاديمون المتقدم وكان سكان مصر وهم الاقباط يمتقدون نبوتها  
قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجه رأى الصابئين في النبوات لاعلى طريق الوحي بل هم  
عندهم نفوس طاهرة صفت وتمهذت من أدناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فاخبروا  
عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وفي العرب من اليمانية من يرى  
انهما قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم  
الدهر وهم العرب العاربة من العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور  
أجساد طاهرة \* وذكر أبو زيد البلخي أنه وجد مكتوبا على الاهرام بكتابتهم خط فغرب  
فاذا هو بنى هذان الهرمان والتسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى الهجرة  
النبوية فاذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين يكون اثنتين وسبعين ألف سنة  
شمسية \* وقال الهمداني في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الفرق من القرى  
قرية فيها بقية سوى نهاوند وجدت كما هي اليوم لم تتغير واهرام الصعيد من أرض مصر \*  
وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب أن الاهرام مربعة  
الجملة مثلثة الوجوه وعددها ثمانية عشر هرما في مقابلة مصر الفسطاط ثلاثة اهرام اكبرها  
دوره الفا ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وكل حجر من حجارتهما



ثلاثون ذراعا في غلظ عشرة أذرع قد أحكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم أعظم واكبر دوره ثلاثة آلاف ذراع وعلوه سبعمائة من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى أهرام اكبر واعظم وهرم آخر يعرف بهرم مدون كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي نجاه الفسطاط قال وقد دخلت في داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة في وسطها بئر عمقها عشرة أذرع وهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من تربيعة البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موتى من بني آدم عليهم اكفان كثيرة اكثر من مائة توب على كل واحد قد بليت بطول الزمان واسودت وأجسامهم مثلنا ليسوا طوالا ولم يسقط من أجسامهم ولا من شعورهم شي وليس فيهم شيخ ولا من شعره أبيض وأجسادهم قوية لا يقدر الانسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغنا الطول الزمان وفي تلك البئر أربعة من الدور مملوءة بأجساد الموتى وفيها خفافس كثيرة وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان في الرمال ولقد وجدت ثيابا ملفوفة كثيرا مقدار جرمها اكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من القدم فازلت الثياب الى أن ظهرت خرق صحاح قوية بيض من كتان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الاحمر وفي داخلها هدهد ميت لم يقار من ريشه ولا من جسده شي كأنه قدمات الآن \* وفي القبة التي في الهرم باب يفضى الى علو الهرم وليس فيه درج عرضه نحو خمسة أشبار يقال انه سعد فيها في زمان المامون فأفضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج فاخرجت الى المامون فاذا هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لاقيمة له وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضيء كلهب النار فأخذ المامون \* وقد رأيت الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة احدى عشرة وخمسمائة \* وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي روى على بن الحسن بن خفاف بن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال حدثني رجل من عجم بمصر من قرية من قراها تدعي فقط وكان عالما بأموار مصر وأحوالها وطالبا لكتبها القديمة ومعادنها قال وجدنا في كتبنا القديمة قال وأما الأهرام فان قوما احتفروا قبرا في دير أبي هر ميس فوجدوا فيه ميتا في اكفانه وعلى صدره قرطاس ملفوف في خرق فاستخرجوه من الخرق فرأوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية الاولى فطلبوا من يقرأه لهم فلم يقدروا عليه فقيل لهم ان بدير القلمون من أرض الفيوم راها يقرأه فخرجوا اليه وقد ظنوا انه في الضيعة فقرأ لهم وكان فيه كتب هذا الكتاب في أول سنة من ملك ديقلطيانس الملك وأنا استنسخناه من كتاب نسخ في أول سنة من ملك فيلبش الملك وان فيلبش استنسخه



من صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا حرفا وكان من الكتاب الاول ترجمه له اخوان  
من القبط يقال لاحدهما ايلو والاخر برنا وان الملك فيلبش سألها عن سبب معرفتهما  
بما جهله الناس من قراءته فذكرا انها من ولد رجل من اهل مصر الاوائل لم ينج من  
الطوفان من اهل مصر أحد غيره وكان سبب نجاة انه أتى نوحا عليه السلام فآمن به  
ولم يأت من اهل مصر غيره فحمله معه في السفينة فلما نضب ماء الطوفان أتى مصر ومعه  
نفر من ولد حام بن نوح وكان بهاسحي هلك فورث ولده علم كتاب اهل مصر  
الاول فورثاه عنه كبرا عن كبر وكان تاريخه الذي مضى الى أن استنسخه فيلبش ألفا  
وثلاثمائة واثنين وسبعين سنة وان الذي استنسخه في صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا  
حرفا على ما وجدته فيلبش وان تاريخه الى أن استنسخه ألف وسبعمائة سنة وخمس وثمانون  
سنة \* وكان الكتاب المنسوخ انا نظرنا فيما تدل عليه النجوم فرأينا أن آفة نازلة من السماء  
وخارجة من الارض فلما بان لنا السكون نظرنا ماهو فوجدناه ماء مفسدا للارض وحيوانها  
ونباتها فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا لملكنا سوريد بن سهلوق مر ببناء افروشات وقبر  
لك وقبر لاهل بيتك فبني لهم الهرم الشرقي وبني لآخيه هوحيت الهرم الغربي وبني لابن هوحيت  
الهرم المنون وبنيت افروشات في أسفل مصر واعلاها فكتبنا في حيطانها علم غامض أمر النجوم  
وعلمها والصنعة والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا  
وكتابتنا وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد في أول دقيقة من رأس  
السرطان ويكون الكوكب عند نزوله اياها في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر في اول  
دقيقة من رأس الحمل وقوريس في درجة ثمان وعشرين دقيقة من الحمل وراويس في  
الحوت في تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة وآويس في الحوت في تسع وعشرين  
درجة وثلاث دقائق وافردي وبتن في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس في الحوت  
في سبع وعشرين ودقائق والجوزهر في الميزان وواج القمر في الاسد في خمس درجات ودقائق \*  
ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم فأصبنا السكواكب تدل على أن آفة نازلة  
من السماء الى الأرض وانها ضد الآفة الاولى وهي نار محرقة اقطار العالم ثم نظرنا متى يكون  
هذا الكون المضر فرأيناه يكون عند حلول قلب الاسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة  
عشر من الاسد ويكون ايليس معه في دقيقة واحدة متصله بقوريس من تثليث الراعى ويكون  
راويس مشتري في أول الاسد في آخر احتراقه ومعه آويس في دقيقة ويكون سليس في الدلو  
مقابلا لايليس الشمس ومعه الذنب في اثنين وعشرين ويكون كسوف شديد له مكث  
يوازي القمر ويكون هرمس عطارد في بعده الا بعد امامها مقبلين أما أفردي وبتن فللاستقامة  
وأما هرمس فللرجعة \* قال الملك فهل عندكم من خبر توقعونا عليه غير هاتين الآفتين قالوا



اذا قطع قلب الاسد ثلثي سدس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا  
 استتم ادواره تحللت عقد الفلك وسقط على الارض قال لهم وأى يوم فيه انحلال الفلك  
 قالوا اليوم الثاني من بدو حركة الفلك فهذا ما كان في القرطاس \* فلما مات الملك سوريد  
 ابن سهلوق دفن في الهرم الشرقي ودفن هوحيت في الهرم الغربي ودفن كرورس في الهرم  
 لذي أسفله من حجارة اسوان واعلاه كدان \* ولهذه الاهرام أبواب في ازج تحت الارض  
 طول كل ازج مائة وخمسون ذراعا \* فأما باب الهرم الشرقي فن الناحية البحرية وأما باب  
 ازج الهرم الموزر فن الناحية القبلية \* وفي الاهرام من الذهب وحجارة الزمرذ ما لا يحتمله  
 الوصف \* وان مترجم هذا الكتاب من القبطى الى العربى أجل التاريخين الى أول يوم  
 من توت وهو يوم الاحد طلوع شمس سنة خمس وعشرين ومائتين من سنى العرب قبلت  
 أربعة آلاف وثلثمائة واحدى وعشرين سنة لسنى الشمس ثم نظر كم مضى للطوفان الى يومه  
 هذا فوجده ألفا وسبعمائة واحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة  
 وأربعة أحماس ساعة وتسعة وخمسين جزءاً من أربعمائة جزء من ساعة فألقاها من الجملة  
 فبقى معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة أيام وعشر ساعات وأحد وعشرون جزءاً  
 من أربعمائة جزء من ساعة فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين  
 والايام والساعات والكسر من الساعة \* وأما الهرم الذى بدير أبى هرميس فانه قبر قرياس  
 وكان فارس أهل مصر وكان يعد بألف فارس فاذا لقيهم لم يقوموا به وانهمزوا وانه مات  
 فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه واكتأبت لموته الرعية فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه  
 الهرم مدرجا وكان طينه الذى بنى به مع الحجارة من الفيوم وهذا معروف اذا نظر الى  
 طينه لم يعرف له معدن الا بالفيوم وليس بمنف ووسيم له شبه من الطين \* وأما قبر الملك  
 صاحب قرياس هذا فانه الهرم الكبير من الاهرام التى فى بحرى دير أبى هرميس وعلى  
 بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح ذراعان فى ذراع وكله مملوء كتباً مثل  
 كتب البرابى يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم يخرم وفي هذا الهرم ذخائر صاحبه  
 من الذهب وحجارة الزمرذ وانما سد بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه رآه  
 بينا \* وقال ابن عفير عن اشياخه ان حبيد بن مباد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم  
 ابن سام بن نوح عليه السلام ملك الاسكندرية وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكة  
 وبلغ ثلثمائة سنة وهو الذى سار وبنى الاهرام وزر فيها أنا حبيد بن مباد بن شمر بن  
 شداد الشاد بزراعة الواد المؤيد الاوتاد الجامع الصخر فى البلاد المجند الاجناد السادب  
 العماد الكند الكناد تخرجه أمة اسم نبيها حماد آية ذلك اذا غشى بلد البلاد سبعة ملوك  
 أجانس السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربعمائة سنة عداد \* وقال ابن عفير وان عبد



الحكم وفي زمان شداد بن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الاهرام ولا خبر ثبت \* وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما أحسب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس \* وقال عبد الله بن شبرمة الجرمي لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها جرحهم من مكة بنت الاهرام وأخذت لها المصانع وبنيت فيها المعجائب ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن دعر الخزاعي \* وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب أربع مائة مدينة سوي القرى من مصر الى المغرب في غربي الاهرام \* وقال ابن عثير ولم يزل مشايخنا من أهل مصر يقولون الاهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجد الاجناد فالغار والاجناد هي الدفائن وكانوا يقولون بالرجعة واذا مات احدهم دفن معه ماله كائنا ما كان وان كان صائفا دفن معه آلة صنعته وكانت الصابئة تخرج الى الاهرام \* وقال أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقربه بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طهمورث ولكنه لم يبع العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يباغ ممالك الشرق وأن أهل المغرب لما اندربه حكماؤهم بنوا ابنية كاهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وأن آثار ماء الطوفان وتأثيرات الامواج كانت بينة على انصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال ان الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوي نها وند وجدت كما هي واهرام مصر وبراياها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد الهمه الله علم النجوم فدلته على أنه سينزل بالارض آفة وانه سيقتى بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبني هو وأهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها \* وقال أبو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر أخلاق أهل مصر الا انه يظهر من أمرهم انه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم وبدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالاهرام والبرابي فانها من الآثار التي حيرت الازهان الثاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتمجب منها والتفكر فيها وفي مثلها يقول أبو العلاء احمد بن سليمان المرعي من قصيدته التي يرثي بها اياه

تفضل العقول الهبريات رشدتها \* ولا يسلم الرأي القويم من الافن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما \* رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وأى شيء أعجب وأغرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من أعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثائة ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع



منها أربعمائة ذراع وستون وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى هلم جرا بهصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ماشاهدانه منها وقد ذكرت عجائب مصر وان ما على وجه الارض بنية الا وأنا أرتقي لها من الليل والنهار الا الهرمان فأنا أرتقي لليل والنهار منهما وهذان الهرمان لهما اشراف على أرض مصر واطلال على بطائحتها واصعاد في جوفها وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبى بقوله شعر

ابن الذي الهرمان من بنيانه \* ماقومه ما يومه ما المصرع

تخلف الآثار عن سكانها \* حيناً ويدركها الفناء فتنبع

وافق يوماً أنا خرجنا اليهما فلما طفتنا بهما واستدرنا حولهما كثر التعجب منهما فقال بعضنا

يبيشك هل أبصرت أعجب منظراً \* على طول ما أبصرت من هرمي مصر

انافا عنانا للسماء وأشرفاً \* على الجوا اشراف السماءك أو النسر

وقد وافيا نشزا من الارض عاليا \* كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظيم آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد ماتهم كما يتميزوا عنهم في حياتهم ونوحوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور \* ولما وصل الخليفة المأمون الى مصر أمر بنقها فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مهاري ومراتي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في أعلاها بيتاً مكعباً طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الحالية فنسب ذلك أمر المأمون بالكشف عن نقب ماسواه ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة \* ومن الناس من زعم أن هرمس الاول المدعو بالملك بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون ختوخ بن بردبن مهلايل بن فتيان بن أنوش بن شيت بن آدم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الارض فأكثر من بنيان الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يشفق عليه من الذهب والدروس حفظاً لها واحتياطاً عليها ويقال ان الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال آخرون أن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد لرؤيا رآها والقبض تنكر دخول العمالقة بدمصر ومحقق أن بنائها سوريد لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي انطوفان وقالوا انه بناهما في مدة ستة أشهر وغشاهما بالديباج الملون وكتب عليهما قد بنيناها في ستة أشهر قل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة فالهدم ايسر من البنيان وكسوناها بالديباج الملون فليكسهما حصراً فالحصر أهون من



الديباج ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من اعلاها الى اسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانها لا تعرف اليوم احرفها ولا تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاعراق في العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي وان تباعد الموصوفان وتبين المقصودان اذ يقول

اذا ما وصفت امرأ لامرئ \* فلا تغل في وصفه واقصد

فانك ان تغل تبد الظنون \* فيه الى الغرض الابعد

فيصغر من حيث عظمته \* لفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المأمون أمر من سعد الهرم الكبير أن يدلي جبلا فكان طوله ألف ذراع بالذراع الملكي وهو ذراع وخمسان وتربعه أربعمائة ذراع في مثلها وكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال \* ويقال انه وجد على المقبور في الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وأن نخانة الطلاء الذي عليه قدر شبر من مر وصبر \* ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم ايوان في صدره ثلاثة أبواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع من رخام منحوت محكم الهندام وعلى صفحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب الى أن رأوا امامها على عشرة أذرع منها ثلاثة أعمدة من مرمر وفي كل عمود خرق في طوله وفي وسط الخرق صورة طائر في الاول من هذه العمود صورة حمام من حجر أخضر وفي الاوسط صورة بازي من حجر أصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر فخر كوا البازي فتحرك الباب الاول الذي في مقابلته فرفعوا البازي قليلا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الآخرين فارتفع البانان الآخر ان فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل ميت ثلاث حلال وعند رأسه مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الآخر عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها أو ان من الذهب عجيبة الصنعة مرصعة بأنواع الجواهر ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها آلات الحرب وعدد السلاح فقبس منها سيف فكان طوله سبعة أشبار وكل درع من تلك الدروع اثنا عشر شبرا فأمر المأمون بحمل ما وجد في البيوت وأمر فحطت العمدة فانطبقت الابواب كما كانت \* ويقال كانت عدة الاهرام ثمانية عشر هرما منها تجاه مدينة الفسطاط ثلاثة أكبرها دوره ألفا ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المأمون لما فتحه وجد فيه حوضا من حجر مغلى بلوح من رخام وهو مملوء بالذهب وعلى اللوح مكتوب



بقلم عرب فكان انا عمرنا هذا الهرم في ألف يوم وأبنا لمن يهدمه في ألف سنة والهدم أسهل من العمارة وكسونا جميعه بالدباج وأبنا لمن يكسوه الحصر والحصر أيسر من الدباج وجعلنا في كل جهة من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص \* ويقال انه وجد فيه صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج فيها طبق كالذوات ففتح فإذا فيه جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لاقيمة له وعند رأسه حجر من ياقوت أحمر في قدر بيضة الدجاجة فأخذ المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب \* وذكر بعض مؤرخي مصر أن هذا الصنم الاخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة احدى عشرة وستائة من سنى الهجرة \* وكان عند مدينة فرعون هرمان وعند ميدوم هرم وهذا آخرها \* وفي سنة تسع وسبعين وخمسةائة من سنى الهجرة ظهر بترية بوسير من ناحية الجزيرة بيت هر ميس ففتح القاضي ابن الشهرزوري وأخذ منه أشياء من جملتها كباش وقرود وضفادع من حجر بازر وقوارير من دهنج وأصنام من نحاس \* وقال ابن جر داويه من عجيب البنيان أن الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع وكلا ارتفع دق وهما من رخام ومرمر والطول أربعمائة ذراع في عرض أربعمائة ذراع مكتسوب عليهما باليد كل سحر وكل عجيب من الطب ومكتسوب عليهما اتى بينهما فن يدعى قوة في ملكه فليهدمها فان الهدم أيسر من البناء فاعتبر ذلك فاذا خرج الدنيا لا يبق بهدمها \* وقال في كتاب عجائب البنيان عن الاهرام قد افردت مصر بهذه الاشكال فليس لها بغيرها تمثال ينظهما الناظر للديار المصرية تهدين ويحسبهما القابل أن مكارم أهلها قد أعدتهما للتكرم أبلوحين تراهما العين على بعد المسافة واذا حدثت عن عجائبهما يظن انه حديث خرافه وقد أكثر الناس في ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجزيرة على سمت مصر القديمة تمتد نحو من مسافة ثلاثة أيام وفي بوسير منها شي كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين وبعضها لبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس \* وقد كان منها بالجزيرة عدد كثير كلها صغار هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش أخذ حجارتها وبني بها القناطر في الجزيرة وقد بقى من هذه الاهرام المهدومة تالها وأما الاهرام المتحدث عنها فهي ثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجزيرة قبالة القسوطا وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو الشرق واثنان عظيمان جدا في قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث فصغير عنهما نحو الربع لسكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوة



والصلابة ولا يكاد يؤثر فيه الحديد الا في الزمان الطويل وتجدد صغيرا بالقياس الى ذلك  
فاذا أتيت اليه وأفردته بالنظر هالك مرآه وحير النظر في تأمله \* وقد سلك في بناء الاهرام  
طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على عمر الالام لابل على عمرها صبر الزمان  
فانك اذا تأملتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت  
عليها مجهودها والانفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والمملكات الهندسية قد  
أخرجتها الى الفعل مثلا في غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قوة قوتها وتجبر عن  
سيرتهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وتزجج عن سيرهم وأخبارهم وذلك أن وضعها على  
شكل مخروط ويتدنى من قاعدة مربعة وينتهي الى ذنبة \* ومن خواص الشكل المخروط  
أن مركز ثقله في وسطه يتساند على نفسه ويتوقع على ذاته ويتحمل بعضه على بعض وليس  
له جهة اخرى يتساقط عليها \* ومن عجيب وضعه أنه أشكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح  
الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند سامتتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلتقي السطح \*  
وذكر المساج أن قاعدة كل من الهرمين العظيمين أربع مائة ذراع بالذراع السوداء ويتقطع  
المخروط في أعلاه عند سطح مساحته عشرة أذرع في مثلها وذكر أن بعض الرماة رمى  
سهما في قطر أحدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وذكر أن ذراع سطحها  
احد عشر ذراعا بذراع اليد وفي أحد هذين الهرمين مدخل يلججه الناس يفضى بهم الى  
مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلججه  
وأن أناسا كثيرين لهم غرام به وتخييل فيه فيتوغلون في أعماقه ولا بد أن ينتهوا الى  
ما يعجزون عن سلوكه \* وأما المسالك المطروق كثيرا فزلاقة تقضى الى اعلاها  
فيوجد فيه بيت مربع فيه نائوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب في أصل  
البناء وانما هو منقوب نقبا صادف اتفاقا وذكر أن المأمون فتحه \* وحكي من دخله وصعد  
الى البيت الذي في أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوه وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها  
وتعظم فيه حتى تكون قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها عملت مسالك  
للريح ومنافذ للضوء بحجارة جافية طول الحجر منها من عشرة أذرع الى عشرين ذراعا  
وسمكه من ذراعين الى ثلاثة أذرع وعرضه نحو ذلك \* والعجب كل العجب من وضع  
الحجر على الحجر بهندام ليس في الامكان أصح منه بحيث لا نجد بينها مدخل ابرة ولا خمل  
شعرة وبينهما ظن لونه الزرقة لا يدري ما هو ولا صفته وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم  
القديم المجهول الذي لم يوجد بديار مصر من يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات  
كثيرة جدا حتى لو نقل ما عليها الى صحف لكنت قدر عشرة آلاف صحيفة وقرأت في بعض  
كتب الصابئة القديمة ان أحد هذين الهرمين قبر أعاديمون والآخر قبر هرمن ويزعمون أنهما بيتان



عظيمان وأن أعاديمون أقدم وأعظم وأنه كان يحج اليهما ويهدى اليهما من اقطار البلاد \* وكان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استقل بالملك بعد أبيه سول له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر فأخرج اليه النقاين والحجارين وجماعة من أمراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم بهدمه فخيّموا عنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر يخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الحجر والحجرين ققوم من فوق يدفعونه بالاسافين وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال وتزلزل الارض ويغوص في الرمل فيتعبون تعباً آخر حتى يخر جوه ويضربون فيه بالاسافين بعد ما ينقبون لها موضعا ويشدونها فيه فيقطع قطعاً وتسحب كل قطعة على العجل حتى ياتي في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال نواؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسة مئة ومع ذلك فإن الرائي لحجارة الهرم يظن أنه قد استوصل فاذا عابن الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وإنما سقط بعض جانب منه وحين ماشوهدت المشقة التي يجذبونها في هدم كل حجر سئل مقدم الحجارين فقيل له لو بذل لكم الساطان ألف دينار على أن تردوا حجراً واحداً الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم فأقسم بالله أنهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك \* وبازاء الاهرام منابر كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار لعل الناس يدخلها برحمة ويخللها يوماً أجمع ولا ينهبها لسكرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع حجارة الاهرام \* وأما مقاطع حجارة الهرم الاحمر فيقال انها بالقلزم وباسوان وعند هذه الاهرام آثار أبنية حيايرة ومغابر كثيرة منقبة وقاما ترى من ذلك شيئاً الا ترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول ولله در الفقيه عمارة اليمني حيث يقول

خيل لي ما تحت السماء بنية \* تماثل في اتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما \* على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تزه طرفي في بديع بنائها \* ولم يتزه في المراد بها فكري

أخذ هذا من قول بعض الحكماء كل شيء يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فانه يخشى على الدهر منها وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات في سنة سبع وثمانين وثمانمائة

أنظر الى الهرمين اذ برزا \* للمين في علو وفي صعد

وكأنما الارض العريضة قد \* ظمئت لطول حرارة الكبد

حبرت عن الشدين بارزة \* تدعو الاله لفرقة الولد



فأجابها بالتيل يشبعها \* ربا وينقذها من السكد

لكرامة المولى المقيم بها \* خير الانام مقوم الاود

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اى عجيبة وغريبة \* في صنعة الاهرام للالباب

أخفت عن الاسماع قصة أهلها \* ونصت عن الابداع كل تقاب

فكانما هي كالخيام مقامة \* من غير ماعمد ولا أطناب

وقال آخر أنظر الى الهرمين واسمع منهما \* ما يرويان عن الزمان الغابر

وانظر الى سر الليالى فيها \* نظرا بعين القلب لا بالنظر

لويناطقان خبرانا بالذى \* فعل الزمان بأول وبآخر

واذا هما بديا لعيني ناظر \* وصفا له أذني جواد عائر

وقال الامام أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي

ألست ترى الاهرام دام بناؤها \* ويفني لدينا العالم الانس والجن

كأن رحي الافلاك أكوارها على \* قواعدها الاهرام والعالم الطحن

وقال قد كان للماضين من سكان مصرهم \* فالفضل عنهم فضلة \* والعلم فيهم علم

ثم انقضت أعلامهم \* وعلمهم واحتطموا \* وانظر تراها ظاهرا \* بادعائها الهرم

وقال خليلي لابق على الحدنان \* من الاول الباقي فيحدث ثاني

الى هرمي معر تناهت قوى الورى \* وقدهرمت في دهرها الهرمان

فلا تعجبا أن قدهرمت فانما \* رماني بفقد ان الشباب زماني

وعوجا بقرطا جنة فانظرا بها \* جنائتي العادين تنتحمان

وايوان كسرى فانظرا فانه \* يخبر كما بالصدق كل أوان

فلا تحسبا أن الفناء يخصني \* ألا كل ما فوق البسيطة فاني

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني أنشدني

القاضي نحر الدين عبد الوهاب المصرى لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبع مائة وأجاد

أمناني الاهرام كم من واعظ \* صدع القلوب ولم يفه بلسانه

اذ كرني قولاً تقادم عهده \* أين الذى الهرمان من بنيانه

هن الجبال الشامحات تكاد أن \* تمتد فوق الارض عن كيوانه

لو أن كسرى جالس في سفحها \* لأجل مجلسه على ايوانه

ثبتت على حر الزمان وبرده \* مددا ولم تأسف على حدثانه

والشمس في احراقها والريخ عند \* دهبوبها والسيل في جريانه



هل عابد قد خصها بعبادة \* فباني الاهرام من أوثانه  
 أو قائل يقضى برجي نفسه \* من بعد فرقة الى جثانه  
 فاختارها لكنوزه ولجسمة \* قبرا ليأمن من أذى طوفانه  
 أو أنها للسائرات مراصد \* يختار راصدها أعز مكانه  
 أو أنها وصفت شؤون كواكب \* احكام فرس الدهر أو يونانه  
 أو أنهم نقشوا على حيطانها \* علما بحار الفكر في تيبانه  
 في قلب رأيها ليعلم نقشها \* ففكر بعض عليه طرف بنانه  
 ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف أو لا بلهيب وتقول اهل مصر اليوم أبو الهول \* قال القاضي  
 صنم الهرمين وهو بلهوبه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط  
 تسميه العامة بابي الهول ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابلز الجيزة \*  
 وقال في كتاب عجائب البيان وعند الاهرام رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم  
 تسميه الناس أبا الهول ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الارض ويتقضى القياس بالنسبة الى  
 رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه حرة ودهان يلمع عليه رونق  
 الطراوة وهو حسن الصورة مقبوها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما \* وسئل  
 بعض الفضلاء عن عجيب ما رأى فقال تناسب وجه أبي الهول فان أعضاء وجهه كالانف  
 والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا مناسب له وهو  
 حسن به حتى لو كان ذلك الاتف لرجل كان مشوها وكذلك انف الرجل لو كان لصبي  
 لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته  
 بالقياس الى الصورة وعلى نسبتها والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب  
 للأعضاء مع عظمها وأنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه \* ويقابله في بر مصر قريبا  
 من دار الملك صنم عظيم الحلقة والهيئة متناسب الأعضاء كما وصف وفي حجره مولود وعلى  
 رأسه ماجور الجميع صوان مائع يزعم الناس أنه امرأة وانها سرية أبي الهول المذكور  
 وهي بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على رأس أبي الهول خيط ومد الى سريره  
 لكان على رأسها مستقيما ويقال ان أبا الهول طلسم الرمل يمنع عن النيل وان السرية  
 طلسم الماء يمنع عن مصر \* وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع أوله بابل  
 السوق الكبير بجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر أنه طلسم النيل لئلا  
 يغلب على البلد وقيل ان بلهيب الذي عند الاهرام يقابله وان ظهر بلهيب الى الرمل وظهر  
 هذا الى النيل وكل منهما مستقبل الشرق وقد نزل في سنة احدى عشرة وسبعمائة امير



يعرف ببلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية وقطعوه  
أعتابا وقواعد ظنا أن يكون تحته مال فلم يوجد سوى أعتاب مع حجر عظيمة حففر  
تحته إلى الماء فلم يوجد شيء وجعل من حجره قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجامع  
المستجد بظاهر مصر المعروف بالجامع الجديد الناصري وأزيل عين هذا الصنم من مكانه  
والله أعلم \* وفي زمتنا كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية  
الخطافه الصلاحية سعيد السعداء قام في نحو من سنة ثمانين وسبعائة لتغيير أشياء من المنكرات  
وسار إلى الأهرام وشوه وجه أبي الهول وشعته فهو على ذلك إلى اليوم ومن حينئذ غلب  
الرمل على أراض كثيرة من الجزيرة واهل تلك النواحي يرون ان سبب غلبة الرمل على  
الأراضي فساد وجه أبي الهول والله عاقبة الامور وما أحسن قول ظافر الحداد  
تأمل هيئة الهرمين واعجب \* وبينهما أبو الهول العجيب  
كعمار بيتن على زحيل \* بمحبوبين بينهما رقيب  
وماء النيل تحتهما دموع \* وصوت الريح عندهما نجيب  
وظاهر سجن يوسف مثل صب \* تخلف فهو محزون كئيب

ويقال ان اتريب بن قبط بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح أوصى أخاه صا عند  
موته أن يحمله في سفينة ويدفنه بجزيرة في وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم  
به أهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه تسع سنين فلما مضى من حربهم خمس  
سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر اتريب حفزوه فلم يجدوا به شيئا وقد نقلته الشياطين إلى  
موضع أبي الهول ودفنته هناك بجانب قبر أبيه وجده ببصر فازدادوا له تهمة وعادوا إلى  
مدينة منف وتحاربوا فأنهم ابايس فدلهم على قبر اتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره  
ووضعوه على سرير فتكلم لهم الشيطان على لسانه حتى افتنوا به وسجدوا له وعبدوه فيما  
عبدوا من الأصنام وقتلوا صا ودفنوه على شاطئ النيل فكان النيل إذا زاد لا يعلم قبره  
فاقتن به طائفة وقالوا قد قتل صا ظالما وصاروا يسجدون لقبره كما يسجد أولئك لاتريـب  
فعمد آخرون إلى حجر فنتحتوه على صورة اشوم وكان يقال له أبو الهول ونصبوه بين  
الهرمين وجعلوا يسجدون له فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول  
وتقرب له الديكة البيض وتجره بالصندروس

### ذكر الجبال

اعلم ان أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب إلى الشمال قليلي الارتفاع  
وأحدهما أعظم من الآخر والأعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجيبيل لوقا والغربي  
جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتوسع في بعضها



وأوسع ما يكون بأسفل أرض مصر وهذان الجبلان أقرعان لا ينبت فيهما نبات كما يكون في  
جبال البلدان الأخرى وعلّة ذلك أنهما بورقيان مالحان لأن قوة طين مصر تجذب منهما  
الرطوبات الموافقة في التكوين ولأن قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك  
مياه الآبار منهما مالحة وهذان الجبلان يجفغان ما يدفن فيهما فإن أرض مصر بالطبع قليلة  
الأمطار \* وجبل لوقا في مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الضبا فعدمت مصر هذا الريح  
ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض مصر إذا كانت على الأفق وتتمدد أسماء هذين  
الجبلين بحسب مواضعهما من الأقاليم فيطل على الفسفاط وعلى القاهرة الجبل المقطم

### ❦ ذكر الجبل المقطم ❦

اعلم أن الجبل المقطم أوله من الشرق من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الططر  
حتى يأتي فرغانة إلى جبال الينم الممتد بها نهر السفند إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فيقطعه  
ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وكأنه قطع ثم في وسطه ويستمر الجبل إلى الجورجان  
ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو والرود إلى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ويتصل  
به جبال أسبهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندي ويستطف هذا الجبل ويمتد إلى  
شهرزور فيمر على الدجلة ويتصل بجبل الجودي موقف سفينة نوح عليه السلام في الطوقان  
ولا يزال هذا الجبل مستمرا من أعمال آمدوميا فأرقيين حتى يمر بشعور حلب فيسمى هناك  
جبل اللسكام إلى أن يعدي الشعور فيسمى نهرا حتى يجاوز حمص فيسمى لبنان ثم يمتد على  
الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الأخرى ويسمى المقطم ثم  
يتشعب ويتصل بأواخر شعبه بنهاية الغرب ويقال أنه عرف بمقطم بن مصر بن بيسر بن حام  
ابن نوح عليه السلام \* وجبل المقطم يمر على جانبي النيل إلى التوبة ويعبر من فوق الفيوم  
فيتصل بالغرب إلى أرض مرقاوة ويمضي مغربا إلى سجلماسة ومنها إلى البحر المحيط مسيرة  
خمسة أشهر \* وقال إبراهيم بن وصيف شاه وذكر محيي مصر ايم بن بيسر بن حام بن نوح  
إلى أرض مصر وكشف أصحاب أقليمون السكاهن عن كنوز مصر وعلومهم التي هي بحظ  
البرابي وآثارهم والمعادن من الذهب والزرجد والفيروزج وغير ذلك ووصفوا لهم عمل  
الصنعة يعني الكيمياء فجعل مصر ايم أمرها إلى رجل من أهل بيعة يقال له مقيطام الحكيم  
فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقي فسمي به المقطم من أجل أن مقيطام الحكيم كان  
يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه فقليل له جبل المقطم يعني جبل  
مقيطام الحكيم وقال البكري رحمة الله تعالى عليه المقطم بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد  
الطاء المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القضاة المقطم ذكر أبو  
عبد الله البني أن هذا الجبل نسب إلى المقطم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح وكان عبدا



صالحاً فأفرد بعبادة الله عز وجل فيه فسمي الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه لا يعرف  
لمصر ولد اسمه المقطم \* والذي ذكره العلماء أن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطم فكأنه  
لما كان منقطع الشجر والتبات سمي مقطماً ذكر ذلك علي بن الحسن الهنائي الدوسي المنبوذ  
بكرام وغيره \* وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابيث بن سعد رضى  
الله عنه قال سألت المقوقس عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين  
ألف دينار وفي نسخة بعشرين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب بذلك الى  
أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم  
أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبطها ماء فسأله فقال انا لتجد صفحتها في السكتب  
أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه انا لا نعلم غراس الجنة الا المؤمنين  
فأقبر فيها من مات قبلك من المؤمنين ولا تبعه بشئ فسكان أول من قبر فيها رجلاً من  
المعافر يقال له عامر فقبيل عمرت فقال المقوقس لعمر وما ذلك وما على هذا عاهدنا فقطع  
لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم \* وذكر عمر بن أبي عمر السكدي في فضائل مصر أن  
عمرو بن العاص رضى الله عنه سار في سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس فقال له ما الجبل لكم  
هذا أقرع ليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا في أسفله نهرأ من النيل وغرسانه نخلا فقال  
المقوقس وجدنا في السكتب انه كان أكثر الجبال أشجاراً ونباتاً وفاكهة وكان منزل المقطم  
ابن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام فلما كانت الليلة التي كالم فيها موسى عليه  
السلام أوحى الله الى الجبال اني مكلم نبياً من أنبيائي على جبل منكم فسمت الجبال كلها  
وتشاخت الا جبل بيت المقدس فانه هبط وتصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به  
أخبر فقال اعظاماً واجلالاً لك يارب قال فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما  
عليه من الثبت فجاد له المقطم بكل ما عليه من الثبت حتى بقي كما ترى فأوحى الله اليه اني  
معوذك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة فكتب بذلك عمرو بن العاص رضى الله عنه  
الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه اني لا أعلم  
شجر الجنة غير المؤمنين فأجعله لهم مقبرة ففعل ففضب المقوقس من ذلك وقال لعمر وما  
على هذا الصلحني فقطع له عمر قطيعاً نحو الحبش تدفن فيه النصارى قال وروى أن موسى  
عليه السلام سجد فسجد معه كل شجرة من المقطم الى طرا \* وروى أنه مكتوب واذا فتح  
مقدسى يريد وادي مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة فان موسى عليه  
السلام كان يناجي ربه بذلك الوادي \* وروى أسد بن موسى قال شهدت جنازة مع موسى  
ابن هيمة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر الى الجبل فقال ان عيسى بن مريم عليه السلام  
مرَّ بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشريط وأمه الى جانبه فالتفت



اليها وقال يا أمه هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن طيبة عن عياش ابن عباس أن كعب الاحبار رضى الله عنه سأل رجلا يريد مصر فقال له أهدني تربة من سفح مقطمها فأتاه منه بجراب فلما حضرت كعباً الوفاة أمر به فجعل في لحدته تحت جنته \* وروى عن كعب انه سئل عن جبل مصر فقال انه لمقدس ما بين القصير الى اليعقوم قال ابن طيبة والمقطم ما بين القصير الى مقطع الحجارة وما بعد ذلك فمن اليعقوم وفي هذا الجبل حجر الجوهر وشي من الفولاذ وهو يمتد الى أقاصى بلاد السودان

### الجبل الاحمر

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرفها الشمالي ويعرف باليعقوم قال القضاعي اليعمامي هي الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقي وجنابها وتنهى هذه الجبال الى بعض طرق الجب وقيل لها اليعمامي لاختلاف ألوانها واليعقوم في كلام العرب الاسود المظلم \* وقال ابن عبد الحكم عن سعي بن عبيد انه لما قدم مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بجذاء ساقية أبي عون التي في العسكر فقال ما لهم وضعوا مضلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم \* وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر ذكر القضاعي أن اليعقوم هو الجبل المطل على القاهرة ولا أرى جيلا يطل على القاهرة غيره \* وقال البكري اليعقوم بفتح اوله واسكان نأيه قال الحربي اليعقوم جبل بمصر \* وروى من طريق أبي قبيل عن عبد الله بن عمر وأنه سأل كعباً عن المقطم ألعون قال ليس بلعون ولكنه مقدس من القصير الى اليعقوم \* وذكر البكري أيضاً أن عابداً بالباء الموحدة والبدال المهمة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم

### جبل يشكر

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولوني قال القضاعي جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لحم وهو الذي عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب احتطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك \* قال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء وكان يشرف على البركتين أعني بركة الفيل والبركة التي تعرف اليوم ببركة قارون وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور \* (الكبش) هو جبل بجوار يشكر كان قديماً يشرف على النيل من غربيه ثم لما احتط السامون مدينة الفسطاط بعد فتح أرض مصر صار الكبش من جملة خطة الحمراء القصوى وسمى الكبش \* (الشرف) اسم لثلاثة مواضع فأتان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد (م ٢٦ - خط ل)



فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر فاما الذي بظاهر القاهرة فأحدهما عليه الآن قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والآخر فيما بين الجامع الطولوني ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين كوم الجراح وخط الجامع الطولوني وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند أي معتمد

### ❦ ذكر الرصد ❦

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبله على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذي كان من جملة العسكر والشرف الذي يعرف اليوم بالكبش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الحيوش بدر الجمالي أقام فوقه كرة لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد قال في كتاب عمل الرصد وحمل الى الأفضل شاهنشاه بن أمير الحيوش بدر من الشام تقاويم لما يستأنف من السنين لاستقبال سنة خمسمائة من سنى الهجرة قيل مائة تقويم أو نحوها وكان منجمو الحضرة يومئذ ابن الحلبي وابن الهيثمي وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى في كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم في كل سنة وكان كل منهم يجتهد في حسابه وما تصل قدرته اليه فاذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير فانكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند احضار التقاويم على العادة جمع المتجمين والحساب وأهل العلم وسألهم عن السبب في الخلف بين التقاويم فقالوا الشامي يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأموني ونحن نعمل على رأى الزيج الحاكمي لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف وقد أجمع القدماء أن القريب العهد أصح من المتقدم لتقل الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا في معنى ذلك بما هو مذكور في موضعه وأشاروا عليه بعمل رصد مستجد يصحح به الحساب ويخرج به المعور والتفاوت وتحصل به المنفعة العظيمة والفائدة الجليلة والسمعة الشريفة والذكر الباقي فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسته ومشير الشيخ الاجل أبو الحسن ابن أبي أسامة هذا القاضي ابن أبي العيش الطرابلسي المهندس العالم الفاضل وكان ابن أبي العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال وساعده على ذلك القائد أبو عبدالله الذي تقلد الوزارة بعد الأفضل ودعي بالمأمون بن البطائحي فاستصوب الأفضل ذلك وقال مروه يهتم بذلك ويستدعى ما يحتاج اليه فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن



مدح نفسه وكان الافضل غيوراً على كل شيء أشد ما عليه من يفتخر أو يلبس ثياباً مذكورة  
ثم قال هذه الآلات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل أحد يقوم عليها ولا يحسنها وأكثر  
الكلام والتوسعة وقال يحتاج أن الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاكرام لتنطيب نفسه  
للمباشرة وينشرح صدره ويقدر خاطره لما يعمل في حقه فضجر الافضل من ذلك وقال لقد  
أكثر في مدح نفسه ولدده وما يعاملنا بعد لاجابة الى معاملته فأشار القائد بن البطائحي  
وقال هنا من يبالغ الغرض بأسهل مأخذ وأقرب وقت وأسرع وألطف معنى أبو سعيد بن قرقة  
الطيب متولى خزائن السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك فأحضره للوقت فاتفق له من  
الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الآلات ومن ابتدأها من الاول وذكر القديما في  
العلم ومن رصد منهم واحداً واحداً الى آخرهم شرحاً مستوفياً كأنه يحفظه ظاهراً أو يقرأه  
من كتاب فأعجب الافضل والحاضرين وقال أي شيء يحتاج فقال ما أحتاج كبيراً وأمر بالامور  
سهلة وكل ما أحتاجه في خزائن السلطان خلد الله ملكه النحاس والرصاص والآلات وكل  
ما أحتاج أستدعيه أولاً أولاً الانثفات وأجرة الصانع فيتولاها غيري فأعجب به وقال يطلق  
له جار لنفسه فقال أنا مستخدم في عدة خدم فجواري تكفيني فأنا ملوك الدولة ما أحتاج  
الى جار واذا بلغت الغرض وأتميت الاشغال فهو المقصود وكان قيل للافضل هذا الرصد  
يحتاج الى أموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما ينفق عليه الا مثل ما ينفق على مسجد  
أو مستنظر فرجع يكرر عليه القول فقال هاتوا ورقة فكتب فيها المملوك يقبل الارض وينهى  
دعت الحاجة الى خروج الامر العالمي الى دار الوكالة باطلاق مائتي قطار من النحاس النجر  
وثمانين قطاراً من النحاس القضيبي الاندلسي وأربعين قطاراً من النحاس الاحمر ومن  
الرصاص ألف قطار ومن الحطب ومن الحديد والفولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه  
ومن الاخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد شاهد يتفق عليه فاذا فرغت أستدعي غيرها  
وأختار موضعاً يصالح الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف  
عليه وما يستأمر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك وأراد أن يخلع عليه فقال القائد هذا فيما  
يسد اذا شوهت أعماله نخدم من اول الحال الى آخرها ولم يحصل له الدرهم الفرد لانه  
كان يستحي أن يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا بأجمعهم يؤملون طول المدة والبقاء  
فقتل الافضل ثاني سنة وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا للرصد مسجد التنور فوق المقطم  
فوجدوه بعيداً عن الحوائج فأجمعوا على سطح الجرف بالمسجد المعروف بالقبيلة الكبير وكان  
قد صرف على المسجد خاصة ستة آلاف دينار حفرها في مسجد القبيلة تقراً في الجبل مكان  
الصهريج الآن فعمل فيه قالب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها ثلاثون ذراعاً  
وهندموه وحرروه أياماً وعمل حوله عشر هرج على كل هرجة منفاخان وفي كل هرجة



أحد عشر قنطاراً نحاساً وأقل وأكثر من مائة قنطاراً وكسر قسموها على الهرج وطرح فيها النار من العصر ونفخوا إلى الثانية من النهار وحضر الأفضل بكرة وجلس على كرسي فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الأفضل بفتحها وقد وقف على كل هرجة رجل وأمروا بفتحها في لحظة ففتحت وسال النحاس كالماء إلى القالب وكان قد بقي فيه بعض النداءة فلما استقر به النحاس بحرارة تقعع المكان الندي فلم تم الحلقة ولما بردت وكشف عنها أذهى تامة ما خلا المكان الندي فضجر الأفضل وضاق صدره ورعى الصانع بكيس فيه ألف درهم وغضب وركب فلافه ابن قرقة وقال مثل هذه الآلة العظيمة التي ماسع قط بمثلها لو أعيد سبعمائة مرار حتى تصح ما كان كثيراً فقال له الأفضل أهتم في إعادة فسبكت وصحت ولم يحضر الأفضل في المرة الثانية ففرح بصحتها وعمت ورفعت إلى سطح مسجد الفيلة وأحضر لها جميع صناعات النحاس وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب وبني في وسط الحلقة مسطبة حجارة منقبة لرجل البركار وهو قائم مثل عروس الطاحون وفيه ساعد مثل ناف الطاحون وقد لبس بالحديد والجميع سنديان حيد وطرف الساعد مهيأ لعدة فنون تارة لتصحيح وجه الحلقة وتارة لتعديل الأجناب وتارة للخطوط والحزوز وأقام في التصحيح فيها وأخذ زوائدها بالمبارد مدة طويلة وجماعة الصانع والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون واستدعي لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع وعقدت تحت الحلقة أقباء وثيقة وأرادوا قيامها على سطح مسجد الفيلة فلم يتهيأ لهم فأنهم وجدوا المشرق لأول بروز الشمس مسدوداً فاتفقوا على نقلها إلى المسجد الجبوشي بمجاور الانطاكي المعروف أيضاً بالرصد وكان الأفضل بناه ألطف من جامع الفيلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل خضر الأفضل في نقل الحلقة من جامع الفيلة إلى المسجد الجبوشي وقد احضرت الصواري الطوال العظام والسرديات والمنحانات من الاسكندرية وغيرها وجمعت الاسطولية ورجال السودان وبعض أصحاب الركاب والجند حتى أدلوه وحملوه على العجل إلى مسجد الرصد الجبوشي وثاني يوم حضروا بجمعهم حتى رفعوه إلى السطح وكملوه وأقاموا الحلقة وجعلوا تحتها كتافهم عمودين من رخام سبكوها بالرصاص من أسفلها وأعلاها حتى لا يرتخي ثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة وعمت من نحاس فما تمارست ولا دارت فعملوها من خشب ستاج وقطبها وأطرافها من نحاس صفاً يخف الدوران ثم رصدوا بها الشمس بمد كلفة وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليمسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدة ما كانوا يحررونها بالشواقل وعضادة الخشب وترد إليها الأفضل مع كبر سنه وهو يزتهش والقائد يجمعه إلى فوق ويقعد زماناً من التعب لا يتكلم ويده ترتعش



فرصدوا قدامه وفي خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسة  
وقيل للافضل عن ابن قرقة انه أسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل لو  
اختصرت منها كان أهون فقال وحق نعمتك لو أمكنني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة  
على الاهرام والاخرى على التنور فعاتت فكلمنا كبرت الآلة صح التحرير وأين هذا في  
العالم العلوي ثم أكثروا عليه فعمل حلقة دونها في الموضع المهتم بالطوب الاحمر تحت  
المسجد الحيوشي كان قطرها أقل من سبعة أذرع ودورها نحو أحد وعشرين ذراعا فلما  
كملت قتل الافضل ولم ينفق من مال السلطان في الاجرة والمؤن وما لا بد منه سوى نحو مائة  
وستين دينارا فلما تمت الوزارة للمأمون البطائحي أحب أن يكملها ويقال له الرصد المأموني  
المصحح كما قيل للاول الرصد المأموني الممتحن فأخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر  
بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى بالعتالين والاسطولية وطوائف الرجال وكان يدفع لهم كل  
يوم برسم الغداء جملة دراهم فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على  
المشاهد الى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من باب النصر تعباً عظيماً  
خوفهم أن يصدف فيتغير فصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب وتكاثرت  
الرجال في جذب المياحين من أسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من  
السطح الكبير الى السطح الفوقاني وأوقفوا له العمدة كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة  
الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط ثم  
اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة أذرع وسبكت في فندق بالمطوية من القاهرة  
وكان الامر فيها سهلاً عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى  
وتجرد المأمون لعملهما والحث فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفتين ويحضر أبو جعفر  
ابن حسنداي وأبو البركات بن أبي الليث صاحب الديوان ويبيده الحل والعقد فقال له المأمون  
اطلع اليهم كل يوم وأى شئ طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده ما أطمعوه فيه  
من أن يقال الرصد المأموني المصحح فلو أراد الله أن يبق المأمون قليلاً كان كل جميع رصد  
السكواكب ولكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسة وكان  
من جملة ما عده من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في  
الخلافة بكونه سباه الرصد المأموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الأمر بأحكام الله  
وأما العامة والقوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل وأرادوا أن يعلموا  
الغيب وقال آخرون منهم عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على  
المأمون بطل وأنكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحد أن يذكره وأمر فكسر وحمل  
الى المناخت وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص وكان فيه من المهندسين



برسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد الشيخ أبو جعفر بن حسنداي والقاضي بن أبي العيش والحطيب أبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب والشيخ أبو النجاشي بن سند الساعاتي الاسكندراني المهندس وأبو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبي وابن الهيثمي وابي نصر تلميذ سهلون وابن دياب والقاضي وجماعة يحضرون كل يوم الى ضحوة النهار فيحضر صاحب الديوان ابن أبي الليث وكان ابن حسنداي ربما تأخر في بعض الايام فانه كان امراً عظيماً صاحب كبرياء وهيبة وفي كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة ويظالعه بمن غاب منهم لانه كان كثير التفقد للامور كلها وله غمازون واصحاب اخبار لا تنام ولا يكاد يفوته شيء من احوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل في كل بلد من الاعمال من يأتيه بسائر اخبارها وأنا أدركت هذا الموضع الذي يعرف اليوم بالرصد حيث جامع القبلة عامراً فيه عدة مساكن ومساجد وبه اناس مقيمون دائماً وقد خرب ما هناك وصار لا ينس به وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ فيه سواقي لنقل الماء من اماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الآثار النبوية فاذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواق هناك قد أنشئت الى أن يصير الى القلعة فسات ولم يكمل ما أراده من ذلك كما ذكر في اخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب وما زال موضع هذا الرصد منتزها لاهل مصر ويقال أن المعز لدين الله معدا لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يجبه مكانها وقال للقائد جوهر فأنك بناء القاهرة على النيل فهلاكنت بنيتها على الجرف يعني هذا المكان ويقال ان اللحم علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق بقلعة الحيل فتغير بعد يومين وليلتين وعلق في موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة أيام وليالها لطيب هوأه والله در القائل

يا ليلة عاش سرورى بها \* ومات من يحسدنا بالكمد

وبت بالمعشوق في المشتى \* وبات من برقبنا بالرصد

﴿ ذكر مدائن أرض مصر ﴾

قال ابن سيده مدن بالمسكان أقام والمدينة الحصن يبنى في أسطحه الارض مشتق من ذلك والجمع مدائن ومدن ومن هنا حكم أبو الحسن فيما حكى الفارسي عنه أن مدينة فعيلة وقال العلامة اثير الدين أبو حيان المدينة معروفة مشتقة من مدن فهي فعيلة ومن ذهب الى أنها فعيلة من دان فقولوه ضعيف لاجماع العرب على الهمز في جمعها فانهم قالوا مدائن بالهمز ولا يحفظ مدائن بالياء ولا ضرورة تدعو الى انها منعة من دان ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف في صحيفة واعلم أن مدائن مصر كثيرة منها ما ذكر وجهل اسمه ورسمه ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه ومنها ما هو عامر وأول مدينة عرف اسمها



في أرض مصر مدينة امسوس وقد محا الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة وبها كان ملك  
 مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف وكان بها ملك القبط  
 والفرعنة الى أن خربها بخت نصر فلما قدم الاسكندر بن فيلبش المقدوني من مملكة الروم  
 عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر الى أن قدم عمرو بن  
 العاص بجيوس المسلمين وفتح أرض مصر فاحتط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى أن  
 قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعز لدين الله أبي تيم معد وملك مصر واحتط القاهرة  
 فصارت دار المملكة بمصر الى أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين  
 يوسف بن أيوب فبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة مدينة مصر الى يومنا هذا وفي أرض  
 مصر عدة مدائن ليست دار ملك وهي مدينة الفيوم ومدينة دلاص ومدينة اهناس  
 ومدينة البهنسا ومدينة القيس ومدينة طلخا ومدينة الاشمونين ومدينة انصنا ومدينة قوص  
 ومدينة سيوط ومدينة فاو ومدينة أخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة قنا ومدينة دندره  
 ومدينة قفط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة ادفو وثغر اسوان وادركناه  
 مدينة هذه مدائن الوجه القبلي وكان أهل مصر يسمون من سكن من القبط  
 بالصعيد المريس ومن سكن منهم أسفل الارض يسمونه البها وفي الوجه البحري  
 مدينة نوب من الحوف الشرقي بأسفل الارض ومدينة عين شمس ومدينة أريب ومدينة  
 تنوا ومن قراها ناحية زنگلون ومدينة نفي ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها بتل  
 بسطه ومدينة قربيط ومدينة البتون ومدينة منوف ومدينة طره ومدينة منوف  
 أيضا ومدينة سخا ومدينة الاوسه وهي دميره ومدينة تيدة ومدينة الافراخون ومن  
 جملة قراها نشا ومدينة بقره ومدينة بنا ومدينة شراساط ومدينة سمونود ومدينة نوسا  
 ومدينة سبتى ومدينة النجوم وقد غلب على مدينة النجوم الرمال والسمبخا ويعرف اليوم  
 منها قرية أدكو على ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد ومدينة تيس ومدينة دمياط  
 ومدينة الفرما ومدينة العريش ومدينة صا ومدينة برنوط ومدينة قرطسا ومدينة أختو  
 ومدينة رشيد ومدينة مريوط ومدينة لوبية ومراقية وليس بعد لوبية ومراقية الا أرض  
 انطابلس وهي برية وفي كور القبلة مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة راية ومدينة ايلة  
 ومدينة مدين واكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ماله أخبار معروفة وقد استحدثت في  
 الاسلام بعض مدائن وسياقي من أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفي • وديار مصر اليوم وجهان  
 قبلي وبحري جعلتهما خمس عشرة ولاية • فالوجه القبلي اكبرهما وهو تسعة أعمال عمل  
 قوص وهو أجلها ومنه اسوان وغرب قولة واسوان حد المملكة من الجنوب وعمل أخميم وعمل  
 سيوط وعمل منقلاط وعمل الاشونين وبها الطحاوية وعمل البهنسا وعمل الفيوم وعمل



أطفيح وعمل الخيزة • والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية وهي جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد والمنوفية ومنها ابيار التي تسمى جزيرة بني نصر وعمل قليبوب وعمل الشرقية وعمل أشموم طنناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهنا موضع نهر البرلس ونهر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما • وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة وهي امة من أهل ايلة ملكوا الارض وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه اربعة اقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب والكور مثل أخميم وقفت وقوص والقيوم ويقال أن مصر بن يبصر قسم الارض بين اولاده فأعطى ولده أشمون من حد بلده الى رأس البحر الى دمياط وأعطى ولده انصنا من حد انصنا الى الجنادل وأعطى لولده صا من صا أسفل الارض الى الاسكندرية وأعطى لولده منوف وسط الارض السفلي منف وماحولها وأعطى لولده قفط غربي الصعيد الى الجنادل وأعطى لولده أتريب شرقي الارض الى البرية برية فاران وأعطى لبنايه الثلاثة وهن الفرما وسريام وبدورة بقاها من أرض مصر محددة فيما بين اخوتهن

### ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملكها

قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه السكاتب في كتاب أخبار مصر وعجائبها وكانت مصر القديمة اسمها أمسوس وأول من ملك أرض مصر تقراوش الحيار بن مصر ايم ومعنى تقراوش ملك قومه الاول ابن مراكيل بن دواييل بن عرياب بن آدم عليه السلام ركب في نيف وسبعين راكبا من بني عرياب جيايرة كلهم يطلبون موضعا يقطنون فيه فزارا من بني ابيهم عند ما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وبني عليهم بنو قابيل بن آدم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه أعجبهم فأقاموا فيه وبنوا الأبنية المحكمة وبني تقراوش مصر وسماها باسم أبيه مصر ايم ثم تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس وقال ابن وصيف شاه وكان قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التي تعلمها دواييل من آدم عليه السلام فبني الاعلام وأقام الاساطين وعمل المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبني المدائن فكل علم جليل كان في ايدي المصريين انما هو من فضل علم تقراوش واصحابه كان ذلك مرموزا على الحجارة ففسره قليمون السكاهن الذي ركب مع نوح عليه السلام في السفينة وتقراوش هو الذي بني مدينة أمسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها طائر يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى يتهاون لها ومنها صنم من حجر أسود في وسط المدينة تجابه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر أن يزول



حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيؤخذ وعمل صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها سحاب يطلع فكل من استمطرها أمطرت عليه ما شاء وعمل على حد البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملاها كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصد ارسلت تلك الاصنام من أفواها نارا أحرقته وعمل فوق جبل بطرس منارا يفور بالماء ويسقى ما حوله من المزارع ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان ويقال انه هو الذي أصلح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد التوبة جماعة هندسوه وشقوا نهرا عظيما منه بنوا عليه المدن وغرسوا الفروس وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف خط الاستواء ووقف على البحر الاسود الزفتي ورأى النيل يجري على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه الى بطاغ ويقال انه هو الذي عمل التماثيل التي هناك وعاد الى أموس وقسم البلاد بين أولاده فجعل لابنه الأكبر واسمه نقاوش الجانب الغربي ولابنه شورب الجانب الشرقي وبني لابنه الاصغر واسمه مصترايم مدينة برسان وأسكنه فيها وأقام ملكا على مصر مائة وثمانين سنة ولما مات لطغ جسده بأدوية ماسكة وجعل في تابوت من ذهب وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرة وزروا على الناوس تاريخ موته وأقلموا عليه ظلمما ينعمة من الحشرات المفسدة • وملك بعده ابنه نقاوش بن نقراوش وكان كآبيه في علم الكهانة والظلمات وهو أول من عمل بمصر هيكلًا وجعل فيه صور السكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره وألسها كلها الثياب الفاخرة وأقام لها خدمة وسدة وخرج من أموس مغربا حتى بلغ البحر المحيط وأقام عليه أساطين على رؤسها أصنام تسرج عيونها في الليل ومضى على بلاد السودان الى النيل وأمر ببناء حائط على جنب النيل وعمل له أبوابا يخرج منها الماء وبني في صحراء العرب خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملونة شفاقة وفي كل مدينة عدة خزائن من الحكمة وفي أحداها صنم للشمس على صورة انسان وجسد طائر من ذهب وعيناه من جوهر أصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفي يده مصحف العلوم وفي أحداها صنم رأسه رأس انسان بجسد طائر ومعه صورة امرأة جالسة قد عمدت من زئبق معقود لها ذؤابتان في يدها امرأة وعلى رأسها صورة كوكب وقد رفعت المرأة بيديها الى وجهها وفي أحداها مطهرة فيها سبعة ألوان من سائل يرد اليها ولا يغير بعضها لون بعض وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من الفيروزج وبين يديه صبية جلوس كلهم من عقيق وفي بعضها صورة هرمس يعني عطارد وهو ينظر الى مائدة بين يديه من نوحادر على قوائم من كبريت أحمر وفي وسطها صحفة من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر وعيناه من ياقوت



أصفر وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت رأسها كأنها تنفخ عليه وجعل فيها صفة المريح وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد أخضر وجعل فيها عمودا من جوهر أحمر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وجعل فيها قبة من آنك على أربعة اعمدة من جزع أزرق وفي سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة رجل وامرأة يتحاذنان وجعل فيها قبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بصفائرها وتحتها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها وجعل في بقية الخزان من كنوز الاموال والجواهر والحلى واكسير الصنعة وصنوف الادوية والسموم القاتلة مالا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طلسمًا يمنع من دخولها وأنفذ لها مسارب تحت الارض ينفذ بعضها الى بعض طول كل سرب ثلاثة اميال وبني ايضا مدينة بأرض مصر اسمها حلجمة وعمل فيها جنة صفح حيطانها بالجواهر الملونة بالذهب وخرس فيها اصناف الاشجار وأجرى تحتها الانهار وخرس فيها شجرة مولدة تطعم سائر الفواكه وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين اذا خرج أحد من بيته في الليل هلك وأقام بها أساطين زبر عليها جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينة عشرون ميلا فلم تزل هذه المدائن حتى أفسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكة على مصر جعل في نائوس مظلّم ودفن فيه \* وملك بعده أخوه مصرام بن ذراوش الجبار بن مصرام ويقال به سميت مصر وكان حكيما فعمل هيكلا للشمس من مرمر مموه بذهب أحمر وفي وسطه فرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضئ أكثر من السراج ثم انه ذلّل الاسد وركبها وسار الى البحر المحيط وجعل في وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل صنما من نحاس زبر عليه أنام مصرام الجبار كاشف الاسرار الغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقة واقت الصور الناطقة ونصبت الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا يملك أحد أشد من ايدى وعاد الى أمسوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن آدم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه فجمعهم عيقام بعد ما أعلم مصرام فظهر لهم في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا فخروا له ساجدين ودعوا له ثم أحضر اليهم الطعام فأكلوا وشربوا وأمرهم بالرجوع الى مواضعهم ولم يروه بعدها \* فلما بعد خليفته عيقام وقد حكى عنه أهل مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال ان ادريس عليه السلام رفع في أيامه وانه رأى في علمه كون الطوفان فبني



خلف خط الاستواء في سفح جبل القمر قصرا من نحاس وجعل فيه خمسة وثمانين تماثلا من  
 نحاس يخرج ماء النيل من حلقها ويصب في بطحاء تنتهي الى مصر وسار اليه من أمسوس  
 فشهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الافلاك وغيرها وكان  
 قصرا تسرح فيه المصاييح وتنصب فيه الموائد وعليها من كل الاطعمة الفاخرة في الاواني  
 النفيسة ما لو أكل منها عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من عملها ولا من وضعها وفي وسط  
 القصر بركة من ماء جامد الظاهر وترى حركته من وراء ماجد منه فأعجب بما رأى وعاد  
 الى أمسوس واستخلف ابنه عرياق وقده الملك وأوصاه وعاد الى ذلك القصر وأقام به حتى  
 هلك والى عيقام هذا يعزي مصحف القبط الذي فيه تواريخهم وجميع ما يجري في آخر  
 الزمان \* فقام من بعد ابنه عرياق ويقال أرياق بن عيقام ويقال له الاثيم فعمل أعمالا عجيبه  
 منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها أخذته تلك  
 الخطاطيف ولا تفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه حصمه ومنها صنم من كدان اسود سباه  
 عبد زحل كانوا يحاكمون اليه فن زاع عن الحق نبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه  
 حتى ينصف خصمه من نفسه ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر الى الكوكب  
 وتضرع وذكر اسم عرياق فاذا أصبح وجد حاجته على بابه وعمل شجرة من حديد ذات  
 أغصان واطحها بدواء مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش اليها  
 حتى يتمكن من صيدها وكان اذا غضب على أهل أقيام سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة  
 يجعل ماءهم من الايداق ويقال ان هاروت وماروت كانا في زمانه وأنه بنى جنه عظيمه  
 واغضب النساء الحسان واسكنهن فيها فعملت عليه امرأة منهن وسمته فهلك \* وملك بعده  
 لوجيم بن نقاوش ويقال بل هو من بني نقراوش الجبار ويعرف بلوجيم الفتى وهو الذي  
 أخذ الملك من عرياق بن عيقام السكاهن ورد له بني نقراوش بعدما خرج منهم بلا حرب  
 ولاقتل وكان عالما بالكهانة والطلاسمات فعمل أعمالا عجيبه منها أن الغداف والقراب كثير في  
 ايامه وأتلف الزرع فعمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس الاربعه وعلى كل منارة  
 صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه فنفرت عنهم الطيور المضرة من حينئذ ولم تقرهم  
 حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيرة منصفاً لادعية عادلا مقرباً للكهنة ولما مات  
 دفن في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم يمنع \* وملك بعده ابنه خصليم وكان فاضلا  
 عالما كاهنا فعمل أعمالا عجيبه وهو أول من عمل مقياسا لزيادة ماء النيل بأن جمع أرباب  
 العلوم والهندسة فقدروا بيتا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من نحاس  
 فيها ماء موزون وعليها من جانبها عقابان من نحاس أحدهما ذكر والآخر اناثي فاذا كان  
 أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجمع السكاهن فيه بين يديه وزمزم الكهان



بكلامهم حتى يصفر أحد العقابين فان صفر الذر كان الماء تاما وان صفرت الاثني كان  
 الماء ناقصا فيستعدون عند ذلك لغلاء الاسعار بما يصلحون به شأنهم وهو الذي بني القنطرة  
 ببلاد النوبة على النيل ولما مات جعل في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم \* وملك  
 بعده ابنه هوصال ويقال يوصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سو مال بن لوجيم الملك  
 التقراوشي من بني تقراوش الحيار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد في أيامه وكان فاضلا  
 كاهنا عالما بالسحر والطلسمات فعمل عجائب منها أنه بني مدينة عمل في وسطها صنما  
 للشمس يدور بدورانها وبييت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سرايحت النيل فشق الارض  
 وخرج منه متسكرا حتى بلغ مدينة بابل وكشف أعمال الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه  
 ولده عشرون ولدا فجعل مع كل ولد منهم قطرا وهو رأس السكينة وأقام في الملك مائة وسبع  
 وعشر سنة ثم لزم الهياكل وأقام أولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي أعطاه آياه أبوه مدة  
 سبع سنين \* ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تدرشان وقيل تدرسان  
 فلما ملك نفي جميع اخوته الى المدائن الداخلة في الغرب واقتصر على امرأة من بنات عمه  
 وكانت ساحرة وعمل له قصر من خشب منقوشا فيه صورة الكواكب وبسطه بأحسن  
 الفرش وحمله على الماء وصار يجلس فيه فينأى هو فيه ذات يوم اذ هبت ريح شديدة اضطرب منها  
 الماء فانقلب القصر وتكسر ففرق هو ومن كان معه في القصر \* وملك بعده أخوه نمرود  
 الجبار ويقال شمروود بن هوصال فاحسن السيرة وأصف الرعية وبسط العدل وجمع  
 اخوته وفرق عليهم كنوز أخيم فسر الناس به وطلب امرأة أخيه الساحرة ففرت منه  
 بابنها الى مدينة ببلاد الصعيد وامتعت عليه بسحرها وأقامت مدة واجتمع السحرة الى  
 ابنها وكان اسمه توميدون وحملوه على طلب الملك فسار وخرج اليه شمروود واخوته فاقتتلوا  
 قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله \* وملك من بعده فقام توميدون بن تدرسان  
 بالملك في مدينة أمسوس وكان عالما فاضلا فتقوى بسحر أمه وعملت له أعمالا عجيبية منها قبة  
 من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك وصورت فيها صور الكواكب فكانوا  
 يعرفون بها أسرار الطبائع وعلوم العالم فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه  
 طلي جسدها بما يدفع عنه التتن والحشرات ودقنت تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد  
 موتها يسمع من عندها صوت بعض الارواح وتخبرهم بعجائب وتحيب عما تسأل عنه ولما  
 مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين وأدخل  
 فيها بعد ما طلي بالادوية المانعة من التتن وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت وأقيم في هيكل  
 الاصنام ودقنت كنوزه عنده وصار يعمل له في كل سنة عيد \* وملك بعده ابنه شرياق  
 ويقال له سرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال وكان كأبيه في علم الكهانة والسحر



والطلسمات فعمل أعمالا عجيبة منها على باب مدينة أمسوس هيئة بطنة من نحاس قائمة على  
 اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحها وصرخت فيؤخذ ذلك  
 الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا يمر الى مدائن الغرب وبنى  
 عليه أعلاما ومدنا ومنتزهات وسار ملك من بني فراشي بن آدم ويقال من بني صوانتي بن  
 آدم خرج من ناحية العراق في أيامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر ليأخذ ملكها فقبل  
 له أنك لا تقدر عليها لسحر أهلها فتسكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال  
 أهل مصر فلما وصل الى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه حتى  
 يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد رأى في منامه كأنه على منارعال وكان  
 طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه فناد عنه حتى كاد يسقط من المنار فجاوزه الطائر وسلم منه  
 فاتبه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة فقال يظنك ملك ولا يقدر عليك ونظر في نجومه  
 فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه  
 فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى حد مصر فأمر باحضارهم اليه بعد ما يطاق بهم على  
 عجائب مصر كلها ليروها فأوقفهم وساروا بهم وأوقفهم على عجائب أرض مصر وما فيها  
 من الطلسمات حتى بلغوا الى الاسكندرية ثم الى أمسوس ثم الى الجنة التي عملها مصرام  
 وكان الملك شرياق مقبلا بها فعند ما وصلوا اليها أظهرت السحرة التماثيل العجيبة فدخلوا  
 عليه وحوله الكهنة وبين يديه نار لا يصل اليه أحد حتى يخوضها فمن كان بريأ لم تضره  
 ومن كان يريد بالملك سوا أو أضمره مكروها أخذته النار فشق القوم في وسط النار واحدا  
 بعد واحد من غير أن تضرمهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعند ما دان من النار  
 أخذته بحرها فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق فلم يزل به حتى  
 اعترف فأمر بصلبه على الحصن الذي أخذ منه ونودي عليه هذا جزء من طلب مالا  
 يصل اليه وعفان الباقي فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب فاتقطع طمع ملوك  
 الارض عن طلب ملك مصر ومات شرياق بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين سنة فجعل في ناوس  
 ومعه أمواله وطلسم يحفظه من يقصده \* وملك بعده ابنه شهلوق وكان علما بالكهانة  
 والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصر في الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت ناروهو  
 أول من عبد النار وعمل بأمسوس عجائب منها شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي  
 تمتع من أراد مصر بأذى أو فساد من جنى أو انسى أو سب أو طائر وعمل بالمدينة قبة  
 مركبة على سبعة أركان ولها سبعة أبواب على كل ركن باب وفي وسط القبة قبة من صفر  
 وفي أعلاها صور الكواكب السبعة وتحت القبة قبة اخرى معلقة على سبع أساطين وعلى  
 الباب الاول من القبة أسد ولبوة من صفر وهارابضان كان يذبح لهما جروا أسود ويخرهما



بشعره وعلى الباب الثاني نور وبقرة يذبح لهما عجلا ويخبرهما بشعره وعلى الباب  
 الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويخبرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش  
 وشاة يذبح لهما سخلة ويخبرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ  
 ثعلب ويخبرهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب وانشاء يذبح لهما فرخ عقاب ويخبرها بريشه  
 وعلى الباب السابع نسر وانشاء يذبح لهما فرخ نسر ويخبرها بريشه ويلطخ كلا منهما بدم ما ذبح  
 له وتحرق سائر القرابين ويوضع رمادها تحت عتبات أبواب القببة وجعل لهذه القببة سدة  
 يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من أبواب  
 تلك القببة فكان الخضم اذا تقدم الى شيء من تلك الصور وكان ظالما فانه يلتصق بها ولا  
 يخلص منها حتى يخرج من الحق الذي عليه الذكر للذكر والانثى للانثى فيعرفون بذلك  
 الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القببة بأمسوس حتى أزالها الطوفان ويقال انه رأى أباه في  
 النوم وهو يأمره أن ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفها كذا على  
 بابها أفعبى لها رأسان اذا أقبل اليها كسرت في وجهه فخذ معك طائرين صغيرين ذكرا  
 وأنثى فاذبحهما لها وألقهما اياها فانها تأخذ برأسيهما وتتجى بهما الى سرب فاذا غابت ادخل  
 الكوة تجد فيها امرأة عظيمة من نور حار يابس فانها تسطع لك وتحس بحرارتها فلا تدون  
 منها تحترق ولكن اقعد حذاءها وسلم عليها فانها مخاطبك فافهم ما تقول لك واعمل به فانك  
 تشرف بذلك وتلك على كنوز جدك مصرام فانها حافظة لها فلما اتبه عمل ما أمره أبوه  
 فلما قد بجانب المرأة وسلم قالت له اتعرفني قال لا قالت أنا صورة النار المبودة في الامم الخالية  
 وقد أردت أن أنجي ذكرى وتجدد لي بيتا تقدي في فيه نارا دائما بقدر واحد وتتخذ لها عيدا في كل  
 سنة تحضره أنت وقومك فانك تتخذ بذلك عندي يدا أنيلك بها شرفا الى شرفك وملكا الى  
 ملكك وأمنع عنك من يطلبك بسوء وأدلك على كنوز جدك مصرام فضعن لها أن يفعل كل  
 ما أمرته به فدلته على الكنوز التي تحت المدائن المعلقة وعلمته كيف يصير اليها وكيف يجترس  
 من الارواح الموكلة بها وما يجنيه منها ثم قال لها كيف لي بأن أراك في وقت آخر قالت  
 لا تعد فان الأفعبى لا يمكنك ولكن بخر في بيتك بكذا فاني آتيك فسر بذلك وغابت عنه  
 وخرج ففعل ما أمرته به من عمل بيت النار وأخذ كنوز مصرام ولما مات جعل في نائوس  
 ومعه سائر أمواله وكنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه من يقصده \* وملك بعد ابنه سوريد  
 وكان حكما فاضلا وهو أول من جبي الخراج بمصر وأول من أمر بالانفاق على المرضى  
 والزمي من خزائنه وأول من سن رقعة الصباح وعمل أعمالا عجيبية منها امرأة من أخلاط  
 كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف فيها ما حدث من الحوادث وما ينحصب منها وما يجذب  
 وأقام هذه المرأة في وسط مدينة أمسوس وكانت من نحاس وعمل في أمسوس صورة امرأة



جالسة في حجرها صبي ترضعه وكانت المرأة من نساء مصر اذا أصابتها علة في موضع من جسمها أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع من الصورة فتزول عنها العلة وان قل لينها مسحت نديها بشدي الصورة فيغزر لبنها وان قل حيضها مسحت فرجها بفرج الصورة فيكثر حيضها وان كثر دمها مسحت أسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة امرأة مسحت رأس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها وان أرادت التحجب الى زوجها مسحت وجهها وتقول افعلي كذا وكذا فاذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتي تتوب ولم تزل هذه الصورة الى أن أزالها الطوفان وفي كتب القبط انها وجدت بعد الطوفان وأن أكثر الناس عبدوها وعمل سوريد صنما من أخلاط كثيرة فكان من أصابته علة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فانه يبرأ وسوريد هذا هو الذي بني الهرمين العظيمين بمصر المنسبه بين الى شداد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة وانه ملك مائة سنة وتسعين سنة \* فملك بعده ابنه هرجيب وكان كأبيه حكما فاضلا في علم السحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبية واستخرج معادن كثيرة وأظهر علم الكيمياء وبني اهرام دهشور وحمل اليها اموال الاعظيمة وجواهر نفيسة وعقاقير وسمومات وجعل عليها روحانيات لمخفظها وشج رجل رجلا فامر بقطع اصابعه وسرق رجل مالا فملك المسروق له رق السارق ولما مات دفن في الهرم ومعه جميع أمواله وذخائره \* وملك بعده ابنه مناوس ويقال مناقوس وكان كأبيه في الحكمة الا انه كان جبارا فاسقاسفا كاللدماء يتزعم النساء من أزواجهن ويبيع ذلك لخواصه وعمل أعمالا عجيبية واستخرج كنوزا وبني قصورا من ذهب وفضة وأجرى فيها الانهار وجعل حصباءها من اصناف الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لخاربة الامم الغربية قتل منهم خلائق ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه أمواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل طالب \* وملك بعده ابنه أفروس وكان كأبيه في العلم والحكمة ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورذ النساء اللاتي غضبن في أيام أبيه على أزواجهن وعمل قبة طولها خمسون ذراعا في عرض مائة ذراع وركب في جوانبها طيوراً من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتقر ساعة وعمل في وسط مدينة أمسوس منارا عليه رأس انسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضى ساعة وعمل منارا عليه قبة من صفر مذهب ولطخها بلطوخات فاذا غربت الشمس في كل ليلة اشتملت القبة نورا تضيء له مدينة أمسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الامطار فاذا طلع النهار حمد ضوءها وأهدى لبعض ملوك بابل مدنها من زبرجد



قطره خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما قائما على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذى المشرق مع الفجر فاذا اشرقت الشمس استقبلها بوجهه وبني بصحراء الغرب مدنا كثيرة وأودعها كنوزا عظيمة ونكح ثلاثا امرأة ولم يولد له ولد فان الله تعالى كان قد أعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت في الناس والبهايم ولم يات وضع في نانس بالجبل الشرقي ومعه أمواله وطمس عليه \* وملك بعده ارمالينوس فعمل أعمالا عجيبه وبني مدنا ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جبارا فأبعده وجعله على جيش ساربه عنه فقهر ملوكا وقتل امما عظيمة وغنم أموالا كثيرة وعاد فشغفت به امرأة من نساء الملك وما زالت به حتى اجتمع بها وآلها وأقاما على ذلك مدة شفافا الملك أن يظن بهما فعملت المرأة لارمالينوس سها في شرابه هلك منه \* وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور فلم يناعه أحد لشجاعته وسياسته ولم تطل أعوامه حتى رأى قليمون السكاهن كان طيور ابيضا قد نزلت من السماء وهي تقول من أراد النجاة فليأحق بصاحب السفينة وكان عندهم علم بمحدث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الاهرام لاجل ذلك واتخذ الناس سرايب تحت الارض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها بتدير وعمل منها فرعان لنفسه ولاهله عدة فما كذب أن جمع أهله وولده وتلاميذه ولحق بنوح عليه السلام وآمن به وأقام معه حتى ركب في السفينة وجاء الطوفان في أيام فرعان فأغرق أرض مصر كلها وخرب عمائرها وأزال تلك المعالم كلها وأقام الماء عليها ستة أشهر ووصل الى أنصاف الهرمين العظيمين وسأئى خبر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب ويقال ان فرعان كان غانيا متجبرا يفتصب الاموال والنساء وانه كتب الى الدرشيل بن لحويل ببابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة واهليا كل ففسدت في أيامه أرض مصر ونقص الزرع وأجدبت النواحي لانهم اكه في ضلاله وظلمه واقباله على لهور ولعبه وان الناس اقتدوا به ففشا ظلم بعضهم لبعض وانه لما أقبل لما الطوفان وسحت الامطار قام سكران يريد الهرب الى الهرم فتحلخلت الارض به وطلب الابواب فخانت رجلاه وسقط يخجور حتى هلك وهلك من دخل الاسراب بالغم والله تعالى أعلم

### ذكر مدينة منف وملوكها

هذه المدينة كانت في غربى النيل على مسافة اثني عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر وهي أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وصارت دار الماسكة بعد مدينة أمسوس التي تقدم ذكرها الى أن أخرجها بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى



في كتاب جامع البيان في تفسير القرآن عن السدي أنه قال كان موسى عليه السلام حين كبر  
يركب كراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعي ابن فوعون ثم ان فرعون  
ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب  
فركب في اثره فأدرکه المقبل في أرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت  
اسواقها وليس في طرفها أحد وهي التي يقول الله جل ذكره ودخل المدينة على حين غفلة  
من أهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن طيبة أول من سكن بمصر بعد أن أغرق  
الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهي أول مدينة عمرت  
بعد الطوفان هو وولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة اولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر  
وفارق وماج وياج بنو بيصر وكان مصر أكبرهم فبذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط  
ثلاثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم وقرروا هناك منازل كثيرة وقال ابن جر داويه  
في كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هي مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذها  
سبعين بابا من حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفير وفيها كانت الانهار تجري  
من تحت سريره وهي أربعة ويروى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير وتقدير  
حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأقيمتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك  
قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون  
وكان بها كثير من الاصنام لم تزل قائمة الى أن سقطت فيما سقطت من الاصنام في الساعة التي  
أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب في يده وهو يطوف  
حوها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فأشار الى صنم منها في وجهه  
الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع وفي تلك الساعة  
سقطت أصنام الارض من الشرق الى الغرب وبقي أصحابها متعجبين لا يعلمون لها سببا  
أوجب سقوطها وبقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته وفيها الصنمان الكبيران المجاوران  
للبيت الاخضر الذي كان به صنم العزيز وكان من ذهب وعيناها ياقوتتان لا يقدر على مثلهما  
ثم قطعت الاصنام والبيت الاخضر من بعد سنة ست مائة \* ويقال كانت منف ثلاثين ميلا  
طولا في عشرين ميلا عرضا وان بعض بني يافث بن نوح عمل في أيام مصر ايم آلة تحمل الماء  
حتى تلقيه على أعلى سور مدينة منف وذلك أنه جعلها درجا مجوفة كلما وصل الماء الى درجة  
امتلات الاخرى حتى يصعد الماء الى أعلى السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم  
يخرج من موضع الى خارج المدينة \* وكان بمنف بيت من الصوان الاخضر المانع الذي  
لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى وجهه باب صور حيات  
ناشرة صدورها لو اجتمع ألوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله والصابئة تقول



انه بيت القمر وكان هذا البيت من جملة سبعة بيوت كانت بمنف للكواكب السبعة وهذا البيت الاخضر هدمه الامير سيف الدين شيخون العمري بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شئ في خانقاهه وجامعه الذي بخط الصليبة خارج القاهرة وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسي في كتابه تحفة الالباب ورأيت في قصر فرعون موسى بيتا كبيرا من صخرة واحدة أخضر كالآس فيه صورة الافلاك والتجوم لم تر عجا أحسن منه \* وقال أبو الصات أمية بن عبد العزيز الاندلسي وكانت دار الملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف وهي في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من القسطنط فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس في عمارتها فكانت دار العلم ومقر الحكمة الى ان فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضی الله عنه واحتفظ عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالقسطنط فانشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكنها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا \* وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر أخبار مدينة أمسوس وخراب عمائر أرض مصر بطوفان نوح عليه السلام ولما نزل الماء كان أول من ملك مصر بعد الطوفان ببيصر بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الحيابرة من أهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان قليمون الكاهن الذي تقدم ذكره في خبر مدينة أمسوس من جملتهم وكان قد زوج ابنته ببيصر المذكور وجاءت معه الى مصر وولدت منه ولدا سماه مصرايم فلما مات ببيصر دفن في موضع دير أبي هرئيس ويقال دير أبي هرئيس غربي الاهرام ويقال انها أول مقبرة دفن بها بأرض مصر وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصرايم مدينة سماها باسمه فجاءه رجل من بني يافث فعمل له سورا قائما وصنع له درجا وأجرى الماء الى أن بقي يصعد الى أعلى السور بحكمة أتتها ثم ينزل ذلك الماء من أعلى السور الى المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية أخرى وكتب على السور هذه صنعة من يموت لاصنعة من يدوم \* وملك بعد ببيصر ابنه مصرايم (ويقال له مصر) بن ببيصر فأظهره قليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم وأطلعهم على حكمهم وبنى مصرايم المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينة عظيمة سماها درسان وهي العريش ونكح امرأة من أولاد الكهنة فولدت له ابنا سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة مكان الاسكندرية ولما مات مصرايم جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا وبسط بالمرمر الابيض وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفايح الذهب وله أربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ونقش في صدر كل تمثال آيات مانعة وحبسوا جسده في جسد من زبرجد أخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعا دفن فيه ومعه جميع ما كان في خزانته



من ذهب وفضة وجوهر منها ألف قطعة من زبرجد مخروط وألف تمثال من جوهر  
نفيس وألف برنية من ذهب مملوءة درا نفيسا وألف آنية من ذهب وعدة سبائك من فضة  
وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه وزبروا عليه مات مصرايم بن بصر بن حام بن  
نوح بعد ألفين وستائة عام وقيل بعد سبعمائة سنة مضت من الطوفان ولم يبد الاصنام فصار  
الى جنة لاهرم فيها ولا سقم ولا هم ولا حزن وكتب اسم الله الاعظم عليه حتى لا يصل  
اليه أحد الا الملك يأتي في آخر الزمان يدين بدين الملك الاديان ويؤمن بالبعث والفرقان  
والنبي الداعي الى الايمان في آخر الزمان وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام وهالوا عليه  
الرمال حتى سدوا بين جبليين متقابلين \* ويقال كان مصر بن بصر مع جد أبيه نوح عليه  
السلام في السفينة فدعاه ان يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث  
العباد ونهرها أفضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده وبذلها  
ويقومهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها وكان بصر بن حام قد كبر وضعف فساقه  
ولده مصرايم وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر \* وملك بعده ابنه قبطيم  
( ويقال له قفط ) بن مصرايم وهو أول من عمل المعجائب بعد الطوفان فاستخرج المعادن  
وشق الانهار ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات \* ويقال ان مصرايم لماتت مختلف  
أولاده من بعده وكان قفط أصغرهم فاجتمعوا عند الاهرام ورضوا بأن من غلب منهم  
أخاه أخذ الملك فتحارب أشموم وأريب فغلب أريب ثم تحارب صاهو وأشموم فغلب  
ثم تحارب قفط وصاهو فغلب قفط فأخذ قفط الملك بعد أبيه وأطاعه اخوته وسكن مدينة  
منف دار مملكة أبيه وتزوج امرأة ولدت له أربعة أولادهم قفطريم وأشمون وأريب  
وصاهو فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم الارض بين أولاده الأربعة عند وفاته  
فجعل لولده قفطريم من أسوان الى قفط وجعل لولده أشمون من مدينة قفط الى مدينة  
منف وجعل لولده أريب الجرف كله وجعل لولده صاهو من ناحية البحيرة الى الغرب وجعل  
أمرهم الى قفطريم وأمر كل واحد منهم أن يبني لنفسه مدينة في حيزه وجعل لنفسه سربا  
تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر وعمل فيه منافذ للريح فصارت تخرق فيه بدوى عظيم  
وأقام في السرب رؤسا من نحاس مطلية تضيء كالسراج ليلا ونهارا ولما مات وضع جسده  
بهذا السرب في جرن من ذهب بعدما ألبس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان وأقيم عند رأسه  
عمود من مرمر عليه جوهرة تضيء وعمل حول الجرن ثوابيت من حجارة ملونة حولها  
مصاحف الحكمة ووضعت عنده أمواله وكنوزه وذخائره وزبروا عليه كما زبروا على أبيه  
وانتقل كل من أولاده الى حيزه فانقل صاهو وأولاده وسكن مدينة صاهو التي ذكرها \*  
ويقال كانت البلدة في أيام قفط وانه ألهه الله تعالى اللغة القبطية وأنه أقام ملكا أربع مائة



وثمانين سنة ومات فدفن بأرض الواحات وملك بعده أخوه اشمن بن مصر وقيل بل  
اسكن في حياته ابنه فطريم في حيزه فشرع في العمارة وكان جبارا عظيم الحلقة فأثار من  
المعادن ما لم يثره أحد قبله وبني مدينة دندرة وعمل في جبل فقط مناوا عاليا يرى منه البحر  
الشرقي ووجد هناك معادن من الزئبق وعمل البركة التي سماها صيادة الطير وملك عاد  
بالرج في آخر أيامه وفي أيامه أثار الشياطين الاصنام التي أغرقها الطوفان فعمدت وأقام ملكا  
أربعمائة وثمانين سنة ومات \* وذكر ابن عبد الحكم بعد مصر بن بصر فقط بن مصر وأن  
الذي ملك بعد فقط أخوه اشمن ثم أريب بن مصر ثم صابن مصر ثم ابنه تدراس بن صا  
ثم ابنه مالم بن تدراس ثم ابنه حزابا بن مالم ثم ابنه كلكلي بن حزابا ويقال ان اشمن  
لما ملك بعد أخيه سار اليه شداد بن هداد بن شداد بن عاد وملك أرض مصر وهدم مبانيها  
وبني اهراما ومضى الى موضع الاسكندرية فبناها وأقام دهرام ثم خرجت العادية من أرض مصر  
فعاد اشمن الى ملكه وأنه ملك بعده أخوه صا ثم ملك بعد صا ابنه تدراس وفي أيامه بعث الله  
صالحا الى ثمود ومات \* فملك ابنه مالم البودسير وكان من الجبابرة العظام عمل أعمال عظيمة  
منها منار فوقه قبة لها أربعة اركان في كل ركن كوة يخرج منها في يوم معلوم عندهم من كل سنة  
دخان ملتف في ألوان شتى يستدلون بكل لون على شيء فان خرج الدخان أخضر دل على  
العمارة والخصب في تلك السنة وان خرج أبيض دل على الجذب وقلة الخير وان خرج أحمر  
دل على الحروب وقصد الاعداء وان خرج أضفر دل على النيران وآفات تحدث من الملك  
وان خرج اسود دل على الامطار والسيول وفساد بعض الارض وان خرج مختلطا دل على كثرة  
الظلم وبني الناس بعضهم على بعض وعمل شجرة من نحاس تجذب سائر الوحوش حتى تصل اليها فلا  
تستطيع الحركة الى أن تؤخذ فشبع أهل مصر من لحوم الوحوش واتفق أن غرابا تفرعين صبي  
من أولاد السكينة قلعها فعمل شجرة من نحاس عليها غراب منشور الجناحين وفي منقاره حبة  
وعلى ظهره أسطر فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال  
قد كثرت في أيامه على أرض مصر من ناحية الغرب فعمل صنما من صوان اسود على قاعدة  
منه وفوق كتفه قفة فيها مسحاة ونقش على وجهه وصدرة وذراعيه كتابة وجعل وجهه  
الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت بها الرياح الى ورائها ودارت تلالا عالية وبعث  
بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذي يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدل جانبي  
النيل وكان قبله يفيض في مواضع وينقطع في مواضع وسار مغربا لينظر ما وراء ذلك فوقع  
على أرض واسعة يخرق فيها الماء والاشجار فبني فيها منزهات وأقام بها وحول اليها عدة من  
أهله فعمروا تلك النواحي حتى صارت أرض الغرب كلها معمورة ثم خالطهم البربر وجرت  
بينهم حروب كثيرة أفنتهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان البودسير احتجب



عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده في التادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه \* وذكر أبو الحسن المشعودي في كتاب أخبار الزمان أن أول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البودسير وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه وأن له عجائب كثيرة منها أنه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة في كل سنة وهو حلول الشمس في برج الحمل ويدخل الناس إليه فيخاطبهم وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة أمره ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس في أعلاها وله وجه عظيم فيخاطبهم \* (فلما مات ملك بعده ابنه ارقليمون) وكان كاهنا ساحرا فعمل أعمالا عظيمة منها أنه كان يجلس في السحاب فيرونه في صورة انسان عظيم وأقام مدة على ذلك ثم انه غاب عن أهل مصر وصاروا بغير ملك ثم رأوا صورة بجذاء جرم الشمس عند حلولها أول برج الحمل فأمرهم أن يقدوا الملك عديم بن قفطيم وأعلمهم أنه ما بقي يعود اليهم \* (فولوا عليهم عديم بن قفطيم) وكان جبارا عظيما وهو أول من صلب بمصر وذلك أن امرأة ورجلا زنيا فصلبهما وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر وبني أربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة وجعل عليها طلسمات وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى الشرق حتى لا يقبل البحر على أرض مصر وعمل قنطرة على النيل في أرض الثوبة وأقام ملكا مائة واربعين سنة ومات وعمره سبعمائة وثلاثون سنة \* (وملك بعده ابنه شدات بن عديم) وهو الذي تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال انه هو الذي بني الاهرام الدهشورية وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبني في الجانب الشرقي مدائن وفي أيامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة وهو أول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية وعمل في بركة سيوط تماسيح منصوبة تنصب اليها التماسيح من النيل انصبابا فيقتلها ويملق جلودها في السفن واتفق أنه طرد صيدا فكبا به فرسه في وهدة فهلك وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فرأى أنه يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه امواله وعمل عليه طلسم يمنع من يقصده وكتب عليه لا ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل مالا يجوز له فعله فيجازي بعمله هذا ناوس بن شدات بن عديم فعمل مالا يحل له فعله فكوفي عليه بمثله \* (وملك بعده منقاوش) وكان حكما فاضلا كاهنا عمل أعمالا عجيبة وبني اشياء معجبة منها أنه عمل هيكلا لصور الكواكب على ثمانية فراسخ من منف وكثر من الاموال مالا يحصى وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره وسار في الجنوب يومئذ سار مغربا يوما وبعض آخر فانتهى في اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحته أسرابا ومغائر ودفن فيها امواله وزبر عليها حتى أنه من كثرتها يقال انه دفن حمل اثني عشر ألف محبة ذهبا وجواهر وأقام أربع سنين يرسل



في كل سنة عجلا كثيرة يدفنها وبقيت آثار العجل تري في ما بين منف والمغرب زمانا طويلا  
وبنى هيكلا للقمر ويقال انه هو الذي بنى مدينة منف لبناته وكن ثلاثين بنتا وأنه ألزم  
الناس بعمل الكيمياء فكانوا لا يفترون عن عملها ليلا ولا نهارا حتى اجتمع عنده مال  
عظيم وجوهر كثير وهو الذي بنى مدينة عين شمس وقسم خراج مصر أرباعا جعل الربع  
للملك والربع للجنود والربع ينفق في مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثة تحدث وهو  
الذي قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة وأقام ملكا أحدى وتسعين سنة ومات\* (فلك بعده  
ابنه عديم بن منقاوش ) وكان جيارا لا يطاق وفي أيامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان  
الناس السحر والقبض تزعم أنهما نزلا بأرض مصر ثم تقالا الى بابل\* ثم ملك بعده أخوه مناوش  
ابن منقاوش وكان عالما كاهنا فاضلا بنى مواضع كثيرة في الجبال والصحارى وكنز فيها كنوزا  
عظيمة وأقام عليها أعلاما وبنى في صحراء الغرب مدينة وأقام لها منارا وكنز حولها كنوزا  
عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة وهو أول من عبد البقر بمصر وكان  
يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في أن يعمل له غريبة  
من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة\* ( ولما مات ملك  
بعده ابنه هرميس ) وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيئا مساعله آباؤه ومات وقد أقام  
أحدى عشرة سنة\* (فلك بعده اشمون) بن قبليم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وكان  
حيزه من أشمون الى منف في الغرب وحيزه في الشرق الى حد البحر الملح مما يحاذى  
برقة وهو آخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود أخميم وكانت منزله بمدينة الاشمونين  
وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها وبنى في شرقي النيل مدينة انصنا وبنى بها قصرا عظيما  
وأخذ بها أبنية وملاعب وعجائب كثيرة وبنى مدينة طهراتيس وهو أول من لعب بالكرة  
والصولجان ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها مدينة في سفح الجبل لها أربعة  
أبواب من كل ناحية باب فعلى الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة نور  
وعلى الباب الشمالي صورة أسد وعلى الباب الجنوبي صورة كلب وفي هذه الصور روحانيات  
تطلق فاذا قدم غريب لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت  
كل شكل من هذه الاشكال الاربعة صنفا من السكنوز وغرس في هذه المدينة شجرة  
مولدة تثمر كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم  
لونا حتى تمضى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تكسي من تلك  
الالوان شعاعا مثل لونها وأجرى حول المنار ماء شقه من النيل وجعل فيه سمكا من كل  
لون وأقام حول المدينة طلسمات في هيئة أناس رؤسها كالقردة وأسكن هذه المدينة السحرة  
فعرفت بمدينة السحرة وكانوا يعملون فيها أصناف السحر وبنى بالقرب منها مدينة عرفت



بذات العجائب وبني مجالس مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل وبني سر باحت الارض من الاشموين الى أنصنا وقيل انه هو الذي بنى مدينة عين شمس وانه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستائة سنة وأقاموا بمصر تسعين سنة فأصابهم وباء خرجوا منه الى المدينة بطريق الحجاز الى وادي القرى فعاد اشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو أول من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت مدينة الهنسا ولما مات جعل له ناوس في آخر حد الاشموين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها ألف برنية من العقاقير المدبرة لفنون الاعمال وزبروا على ناوسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنع من يقصده \* ( وملك بعده ابنه صا ) ثم بعد صا ابنه تدراس \* ( وقيل ملك مناقوش ) وكان شجاعا فاضلا فاستأنف العمارة وبني القري ونصب الاعلام وعمل العجائب الهائلة وبني مدائن منها مدينة اخيم وحوّل السكينة اليها وأقام ملكا نيفا وأربعين سنة ومات فدفن في الهرم الشرقي ومعه كنوزه ( وملك بعده ابنه ) وقد اختلف في اسمه وكان فاضلا حازما معظما عند أهل مصر وهو أول من عمل المارستان وأول من عمل الميدان للريضة وفي أيامه بنيت مدينة سنترية في صحراء الواحات ثم ان نساءه تغايرن عليه فقتلته احداهن بسكين فدفن في ناوس ومعه أمواله وعمل عليه طلسم يحفظه \* ( وملك بعده ابنه مرقوره ) وكان حكيما كاهنا وهو أول من ذلّل السباع وركبها وبني المدن وعمر اهلها كل وأقام الاصنام ولما مات جعل له ناوس في صحراء القرب ودفن معه ماله \* ( وملك بعده ابنه بلاطس ) وكان صبيا فدبرت أمه أمر الملك وكانت حازمة فأجرت الامور على أحسن ما يكون وأظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها ولما كبر ابنها أحب الصيد فعملت له أمه أعمالا عجيبية وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة وجدر فمات وانتقل الملك الى أعمامه \* فللك بعده أريب بن قبطيم بن مصر ايم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذي بنى مدينة أريب وعاش خمسمائة سنة منها مدة ملكه ثلثمائة وستون سنة ويقال ان النيل وقف في أيام أريب مائة وأربعين سنة حتى أكلت البهائم بأرض مصر ولم يبق بها بهيمة ورؤى أريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضهما من الجوع ومات عامة أهل مصر جوعا ثم أعيشوا بعد ذلك وكثر الرخاء ودام مدة مائتي سنة وبيع كل أردب بدانق وأقل ولما مات آتهم أخوه صابقتله وحاربه أهل مصر تسع سنين وقتلوه \* ( فلكت بعده ابنته تدرورة ) وكانت كاهنة ساحرة فساست الملك أحسن سياسة ودبرت الملك أجود تدبير وعملت طلسمات عجيبية منها طلسم منع الوحش والطير أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشا ووقعت في زمانها صيحة ارتجت لها الارض فهلكت \* ( وملك بعدها أخوها قليمون بن أريب ) وكان حكيما فاضلا فبنى البنيان وعمل الطلسمات



وفي أيامه بنيت مدينة تيس الاولى وبنيت مدينة دمياط وأقام ملكا تسعين سنة ومات  
فدفن في ناوس \* (وملك بعده ابنه فرسون) وكان فاضلا كاهنا بنى المدائن وجدّد  
الهبيا كل وكان حدنا فقصده بعض ملوك حمير في جموع عظيمة فخرج اليهم ولقيه بمدينة  
ايديا وقاتله قتالا شديدا حتى تفانى من الفريقين معظمهما وأظهر المصريون أشياء من  
من سحرهم فانهزم الحميري في طائفة يسيرة وقتل فرسون عامة أصحابه وأخذ ما كان معهم  
وعاد مظفرا الى مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم في رأسه امرأة تجذب المراكب  
الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال وأقام ملكا مائتي سنة وستين  
سنة ومات فدفن في ناوس خلف الجبل الاسود الشرقي وعمل فيه قبة تحتوي على اثني  
عشر بيتا في كل بيت أعجوبة ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه \* (وملك بعده نحو  
أربعة وصار الملك الى صا بن قبطيم) وكان أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه \* (ولما مات ملك  
بعده نونية السكاهنة) وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم اليها  
أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره وان كان كاذبا أخذته تلك النار  
وكانت تتصور كل يوم في صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت في  
سورها أنابيب من نحاس مجوفة وكتبت على كل أنبوب فنا من الفنون التي تحاكم الناس  
بها اليها فكان من أتاها في محاكمة وقف عند الانبوب الذي فيه محاكمته وتكلم بما يريد  
وسأل عنه بصوت خفي فاذا فرغ جمل أذنه في الانبوب فيأتيه منه جواب ما سأل ولم يزل  
هذا القصر والانابيب حتى أتلفه بخت نصر \* (وملك بعدها مرقونس) وكان فاضلا  
حكيمًا وكانت أمه بنت ملك النوبة فعملت عجائب وصنع في أيامه كل غريبة وملك ثلاثا  
وسبعين سنة ومات وعمره مائتان وأربون سنة \* (فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس  
وأربعين سنة) وكان جباراً طمّاح العين فانتزى امرأة أبيه وانكشف أمره معها وكان  
أكبر همه اللهو واللعب فجمع كل ملة في مملكته ورفض العلوم وأهمل أمر الهياكل  
والكهنة وترك النظر في أحوال الناس وبني قصورا على النيل ليتزده فيها وأتلف أكثر  
الاموال في اللعب فكرهه الناس وكرههم الى أن سموه فمات عن مائة وعشرين سنة \* (وملك  
بعده ابنه صا) ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو اخو ايساد ولما ملك سكن منف  
وواعد الناس بخير وملك الاحياز كلها وعمل بها عجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم  
ونفى الملهين وأهل الشر ونصب العقاب الذي عمله أبوه وشرف هيكله ودعا اليه وبني بداخل  
الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة وجعل على الاطراف اصحاب اخبار يرفعون  
اليه ما يجري في حدودهم وعمل على حافتي النيل مناير يوقد عليهم اذا حز بهم أمر أو قصدهم  
أحد وجعل بحافتي بحر الملح منارا يعلم به أمر البحر ويقال انه بنى أكثر مدينة منف وكل



بنيان عظيم بالاسكندرية وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء ونظر في التجوم وكان  
 بها حاذقا فرأى أن مصر لا بد أن تفرق من نيلها وانها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية  
 الشام فجمع كل فاعل بمصر وبني مدينة في الواح الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك منه  
 مدينة منف وقدم معه ألف مركب وهدم اكثر الاسكندرية ودخل الى النيل من رشيد  
 حتى أخذ منف وفر منه صا الى المدائن الداخلة وتحصن بها من عدوه فامتعت بالطلسمات  
 أياما كثيرة ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه منهزما ورجع الى منف فقتل السكينة وقتل  
 منهم كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة وعاش مائة وسبعين سنة \* ( وملك ابنه تدراس )  
 واستولى على الاحياز كلها وصفا له الوقت وملك مصر وكان محتكما مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة  
 بالامور فأظهر العدل وأقام الهيكل وأهلها قياما حسنا وبني بيتا للزهرة وحفر خليج  
 سعيا وحارب بعض عمالقة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسبي بعض أهلها الى  
 مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه في النيل بثلاثمائة سفينة فلقى السودان وكانوا  
 زهاء ألف ألف فهزموهم وقتل أكثرهم وأسر منهم خلقا كثيرا وساق القبيلة والتمور الى  
 مصر وعمل على حدود بلده منارات زبر عليها اسمه ومسيره وظفيره وفي أيامه بعث الله  
 نبيه صالحا الى نمود ويقال انه هو الذي انزل التوبة حيث هي وذلك انه لما أوغل في أرض  
 الحبشة وقتل امم السودان وجد فيهم امة تقرأ صحف آدم وشيث وادريس فن عليها  
 وأنزلها على نحو من شهر من أرض مصر فسمعوا التوبة ومات بمنف \* ( فملك بعده ابنه  
 مالبق ) وكان عاقلا كريما حسن الصورة مجربا مخالفا لابيه وأهل مصر في عبادة السكواكب  
 والبقر ويقال انه كان موحدا على دين أجداده قبطين ومصريم وكانت القبط تدمه لذلك  
 وأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل واقتنى السلاح وأكثر الاسفار وانشأ في بحر المغرب  
 مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر وأتى البربر فهزموهم واستاصل أكثرهم  
 وبلغ أفريقية وسار الى الاندلس يريد الافرنجة فلم يمر بأمة الا أبادها فحشد له ملك  
 الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب صلحه وأهدى اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر  
 الاخضر والقبط تذكر انه رأى سبعين عجوبة وعمل أعمالا على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره  
 وخرب مدن البربر ورجع فتلقاء أهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع الهوى وفرشت له  
 الطرقات فهابه الملوك وحملوا اليه الهدايا وما زال موحدا حتى مات \* ( فملك بعده ابنه حزابا )  
 وكان لينا سهل الخلق قد عرفه أبوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك بعده  
 الى دين قومه وغزا الهند والسودان بعد ما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند  
 وتجهز وحمل معه امرأته ووجوه أصحابه واستخلف ابنه كلسكلي على مصر وكان صيبا  
 وجعل معه وزيرا كاهنا فر على ساحل اليمن وعاث في مدائنه وبلغ سرنديب وأوقع بأهلها  
 ( م ٢٩ - خطط ل )



وبلغ جزيرة بين الهند والصين فأذعن له أهلها وتقل في تلك الجزائر سنين فيقال انه أقام  
 في سفره سبع عشرة سنة ورجع غائماً فهابه الملوك وبنى عدة هياكل وأقام بها الاصنام  
 للكوكب ثم غزا نواحي الشام فأطاعه أهله ورجع فغزا التوبة والسودان وضرب عليهم  
 خراجاً يحمونه اليه ورفع أقدار الكهنة ومصاحفهم وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة  
 الكواكب له ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة \* (فقام ابنه كلسكي) وعقد له بالاسكندرية  
 فأقام بها شهراً ثم قدم الى منف وكان أصنامياً فسربه أهل مصر وكان يجب الحكمة  
 وأظهار العجائب ويقرب أهلها ويجيزهم وعمل الكيمياء وخرن أموالاً عظيمة بصحاري  
 الغرب وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان عالماً مكتوماً وكان من تقدمه من  
 الملوك أمروا بترك صنعها فعملها كلسكي وملاً دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن  
 بمصر أكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف  
 مثقال فاستغنوا عن إثارة المعادن وعمل أيضاً من الحجارة الملونة التي تشف شيئاً كثيراً وعمل  
 من الفيروز وغيره أشياء واخترع أموراً تخرج عن حد العقل حتى سمي حكيم الملوك وغلب  
 جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان نمرود ابراهيم عليه السلام في  
 وقته فاتصل بنمرود خبير حكمته وسحره فاستزاره وكان النمرود جباراً مشوياً الخلق يسكن  
 السواد من العراق وآتاه الله قوة وقدرة وبطشاً فغلب على كثير من الأمم فتقول القبط ان  
 النمرود لما استزار كلسكي وجه اليه أن يلقاه بموضع كذا فسار الى الموضع على أربعة  
 أفراس تحمله ذوات أجنحة وقد أحاط به نور كالنار وحوله صور هائلة وقد خيل بها  
 وهو متوشح بشعبان متعزم ببعضه وقد فرغاه وهو يضربه بقضيب آس فلما رآه النمرود  
 هاله وأقرله بجليل الحكمة وسأله أن يكون ظهيراً له ويقال انه كان يرتفع ويجلس على  
 الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه فإذا دهم أهل البلد أمراً اجتمعوا حول الهرم فيقيم أياماً  
 لا يأكل ولا يشرب ثم استمر مدة حتى توهموا أنه هلك فطمع فيه الملوك وقصدته ملك من  
 الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادى هيباً فاقبل حتى جملهم من سحره بشيء كالغمام  
 شديد الحر فأقاموا تحتها أياماً متعيرين ثم طار الى مصر وأمرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم  
 قدما توأهم ودوابهم فهابه الكهنة مهابة لم يهابوها أحداً قبله وعمر طويلاً وغاب فلم يعلم خبره \*  
 وقال ابن عبيد الحكم ان كلسكي بن حزابا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له \*  
 (فملك أخوه مالبا بن حزابا قال ابن وصيف شاه وقام أخوه مالبا) وكان شرها كثيراً لاكل  
 والشرب منفرداً بالرأفة غير ناظر في شيء من الحكمة وجعل أمر البلد الى وزيره واشتغل  
 بالنساء وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل  
 امرأة كانت عنده \* (وملك بعده ابنه طوطيس) ويقال انه عمرو بن امرئ القيس بن بابلون



ابن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وأنه أحد فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن أمراز بن أشود بن سام بن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاول ابن لاود بن سام بن نوح وكان جباراً جريماً شديد البأس مهاباً والقبض تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقال ان الفراعنة سبعة هو أولهم وحفر نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل حتي ينتهي الى مرفا السفن في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر أم اسماعيل التي أعطاها ابراهيم عليه السلام الخنطة واصناف الغلات فنقل الى جدة فأحيا بلد الحجاز مدة ويقال ان كل ما حليت به الكعبة في ذلك العصر مما أهداه ملك مصر ولكثرة ما حمل الى الحجاز سمته العرب من جرهم الصادوق \* وفي كتاب هرويش أن ساطان المصريين في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدي قوم يدعون ببني فاليق بن دارش ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امراز بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور أنهم من العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان قال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه أكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة تخافت لكثرة قتله الناس فقتلته بسم وله في الملك مائة وسبعون سنة \* (وملكت بعده جورياق) \* فوعدت الناس بالاحسان وجمعت الاموال وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة أتريب وملكوا رجلا من ولد أتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وجورياق أول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت \* (فلكت بعدها ابنة عمها زلفى بنت مأمون) \* وكانت عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها أمين الأترابي واستنصر بملك العمالقة فسير معه قائدا فأخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى فني منهم كثير من الناس ثم انهزم أصحاب زلفى الى منف وهم في أفتيتهم فخرجت زلفى الى الصعيد ونزلت الاشمونين فكان بينها وبين عساكر العمالقة حروب انهزموا فيها وخرجوا عن منف بعد ما عاتوا فيها وعدوا الى الجرف فامتعوا به وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان زلفى عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة أشهر حتى انهزمت الى قوص وأيمن خلفها فاما أيقنت انها تؤخذ سمت نفسها فهلكت وقال ابن عبيد الحكم ثم توفي طوطيس بن ماليا فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلفى ابنة مأمون بن ماليا فعمرت دهرها طويلا وكثروا ونموا وملأوا أرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالقة فغزاهم الوليد بن دوسع فقاتلهم قتالا عظيما ثم رضوا أن يملكوه عليهم فلمكهم نحو من مائة سنة فطغى وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سبعا فافترسه



وأكل لحمه \* والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة \* وملك أيمن ونجبر وقتل خلقا عن حاربه وكان الوليد بن دومع العمليقي قد خرج في جيش كثيف فبعث غلاما يقال له فرعون الى مصر ففتحتها ثم قدم بعده واستباح أهل مصر وأخذ أموالهم ثم خرج ليوقف على مصب النيل فرأى جبل القمر وأقام في غيبته أربعين سنة ورجع الى مصر وقد خانته فرعون وفر منه فاستعبد أهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك \* (وملك ابنه الريان بن الوليد بن دومع) \* أحد العمالقة وكان أقوى أهل الارض في زمانه وأعظمهم ملكا \* والعمالقة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نيراوش وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث بن قاران بن عمرو ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى أبو آبيه واسمه برخو وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس الجليل وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين وفرق المال فيهم \* وملك رجلا من أهل بيته يقال له اطفين وهو الذي يقال له العزيز وكان عاقلا أديبا مستعملا للعدل والعمارة فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه فكفى نيراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه لذاته فأقام على قصفه مدة والبلد عامر فقصدته رجل من العمالقة وسار الى مصر في جيوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعات هناك فهابته الملوك ولا طفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على أهل الشام خراجا وخرج لغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف ومر بأرض البربر وجلا كثيرا منهم ومر الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم التوبة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم \* (وملك بعده ابنه دريموش) \* ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع تخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر في أيامه معدن فضة فأثار منه شيئا عظيما وفي أيامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد في التجري حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها فكان لا يسمع بامرأة حسناء في موضع الا وجهها خملت اليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطوا الصنائع والاعمال والاسواق فعدا عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين وأنفق فيهم مالا فسكتوا وفي أيامه نار القبط على بني اسرائيل وطلبوا من الوزير أن يخرجهم من مصر فما زال بهم حتى أمسكوا وبلغ الملك ذلك وكان قد خرج الى الصعيد فتوعد أهل مصر فشقبوا عليه وحشدوا له حاربوه فقتل منهم خلقا كثيرا وظفر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد الى أعظم



ما كان عليه من أخذ الاموال والنساء واستخدام اشراف القبط وبني اسرائيل فأجمع الكل  
 على ذمه فركب النيل للزهة وثاربه ربح عاصف ففرق فلم يوجد الا بناحية شطونوف وقيل  
 فيما بين طرا وحلوان \* (فقدم الوزير ابنه معاديوس) \* وكان صيدا ويقال له معدان فأسقط  
 عن الناس ما أسقطه أبوه من الخراج ووعده بالاحسان فاستقام له الامر ورد نساء الناس وهو  
 خامس الفراغة وحدث في زمانه طوفان مصر وكثر بنو اسرائيل وعابوا الاصنام فأفردوا  
 ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم وأقطعوا موضعا في قبلي منف فاجتمعوا فيه وبنوا  
 فيه معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام ومنع من الضريبة التي كانت على أهل الشام  
 للملك مصر فاجتمع الناس الى معدان ووشوه على المسير لحربه فامتنع من المسير ولزم الهيكل  
 فزعموا أنه قام في هيكل زحل للعبادة فتجلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك ربا على  
 أهل بلدك وجوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وسأرفئك الى فلا تخل من ذكرى فمظم  
 عند نفسه وتجبر وأمر الناس أن يسموه ربا وترفع عن أن ينظر في شيء من أمر الملك  
 وجعل عليه ابنه اكسامس \* (فقام ابنه اكسامس في الملك) ويقال كاسم بن معدان فرتب  
 الناس مراتب وقسم الكور والاعمال وأمر باستنباط العمارات واظهار الصناعات ووسع على  
 الناس في أرزاقهم وأمر بتطيف الهياكل وتجديد لباسها وأوانيها وزاد في القرابين وهو  
 الذي يقال له كاشم بن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي وهو  
 سادس الفراغة وسموا فراغة بفرعان الاول فصارا سما لكل من تجبر وعلا أمره فظالم  
 ملكه وأقام أعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومناير للوقودات وطلسمات وأقام  
 سبع سنين بأجل أمر فلما مات وزير أبيه استخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال  
 له ظالما بن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتب حكيما متصرفا في كل فن وكانت نفسه  
 تنازعه الملك فأصلح أمر الملك وبني مدنا من الجانبين ورأى في نجومه أنه سيكون حدث  
 فبنى بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع وشكا اليه القبط من الاسرائيليين فقال هم  
 عبيدكم فأذلوهم من حينئذ وخرج الى ناحية البربر فعات وقتل وسي وفي أيامه بنيت  
 منارة الاسكندرية وهاج البحر الملح ففرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع ومات  
 اكسامس وكان ملكه احدى وثلاثين سنة منها احدى عشرة سنة يدبر أمره ظالما فلما  
 مات اضطرب الناس واتهموا ظالما أنه سمه فقام \* (وولي لاطيس بن اكسامس) وكان جريا  
 معجبا صافيا فامر ونهى وأزم الناس أعمالهم وقال أنا مستقيم ما استقمتم وان ماتم عن  
 الواجب ملت عنكم وخط جماعة عن مراتبهم وصرف ظالما عن خلافته واستخاف غيره  
 وأنفذ ظالما الى الصعيد في جماعة من الاسرائيليين وجدد بناء الهياكل وبني القرى وأثار  
 معادن كثيرة وكثر في صحراء الشرق عدة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا أمره



وأمر أن لا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على أرجلهم حتى يمضوا وزاد في أذى الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وجمع أموالهم وطلب النساء وانتزع كثيرا منهن وفعل أكثر مما فعله من تقدم قبله واستعبد بني إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام ونار ظلما بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لاطيس بصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف حتى دخل منف \* ظلما بن قومن فرعون موسى يقال ان اسمه الوليد بن مصعب بن أراهون بن الهلوت بن قاران بن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح وانه من العمالقة وكان قصيرا طويل اللحية أشهل العين اليمنى صغير العين اليسرى أعرج وزعم قوم انه من القبط وان نسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكرنا في كنيسة دموه وقال ابن عبد الحكم ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشرف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيين أن يولين امرأة يقال لها دلوكة \* (فلكت دلوكة ابنة زبا) \* ويقال دلوكة بنت قاران وكان لها عقل ونجارب ومعرفة وكانت في شرف منهن وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فبنت جدارا حصنت به مصر من الاعداء وكان من حد زنج الى أفريقيا الى الواحات الى بلد الثوبة على كل موضع منه حرس قيام ليلهم ونهارهم يقدون النار وقودا لا يطفأ أبدا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها في ستة أشهر وهو حائط العجوز وفي أيامها بنت تدورة الساحرة البرابي في وسط منف فلسكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبناء أ كبرهم يقال له \* دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه تودست ثم توفي تودست بن دركون فاستخلف أدقاش فلم يملك الا ثلاث سنين حتى مات فاستخلف أخوه مريتا بن مريوس ثم توفي فاستخلف استادس ابن مريتا فطنى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وباعوا رجلا من أشرافهم يقال له بلطوس بن مينا كيل فلسكتهم أربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف أخوه مينا كيل بن بلطوس بن مينا كيل فلسكتهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن مينا كيل فلسكتهم مائة وعشرين سنة وهو الاعرج الذي سبي ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تمكن وطنى وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد ممن قبله بعد فرعون فصرعته دابته فمات وقيل له الاعرج لانه لما غزا أهل بيت المقدس ونهبهم وسبي ملكهم يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان ابن داود وكان بلولب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فصار اللولب على ساقه الاخرى فاندمت فلم يزل يجمع بها الى أن مات فلذلك



سُمي الاعرج \* فاستخلف مرنوبس بن نولة فلما حكمهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه قرقورة  
فلمحكمهم ستين سنة ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مرنوبس وانهدم البربا في زمنه فلم  
يقدر أحد على اصلاحه ثم توفي نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فلمحكمهم دهرا  
وحاربه بخت نصر وقتله وخرب مدينة منف وغيرها من المدائن وسبي أهل مصر ولم  
يترك بها أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن \* وذكر في ترجمة  
كتاب هرودوتس الاندلسي في وصف الدول والحروب أن فيما بين غرق فرعون موسي  
الى مائة وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى نوشردس كان يقتل الغرباء والاضيايف ويذبحهم  
لاوثانه ويجعل دماءهم قربانا لها وأن بعد غرق فرعون الى ثلثائة وثمان وعشرين سنة كان  
بمصر ملك يسمى بروبه وكان عظيم المملكة قوي السلطان أخذ بالحرب أكثر نواحي  
الجنوب برأ وبحرا وهو أول من حارب الروم الذين قبيل لهم بعد ذلك القوط وكان قد  
أرسل اليهم يدعوهم الى طاعته ويخوفهم حربه فأجابوه ليس من الرأي المحمود للملك  
الغني محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك وانا لا  
نتظر مجيئك بل نسرع لغارتك وأتبعوا قولهم عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا مسرعين  
اليه وهزموا حيوشه ونهبوا عساكره وأمواله وعدده وجميع ذخائره ومضوا فنهبوا أرض  
مصر حتى كادوا يفلبون عليها لولا وحول عرضت لهم منعهم مما خلفها ثم انصرفوا الى  
بلاد الشام بحروب متصلة حتى أذلوا أهلها وجعلوهم يؤدون اليهم المغارم وأقاموا محاربين  
لمن خلفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا الى بلادهم حتى أتتهم من نساءهم من  
يقان لهم اما أن تنصرفوا واما أن نتخذ الأزواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا فعند  
ذلك انصرفوا الى بلادهم وقد امتلأت أيديهم أموالا وأوقاراً حجة وقد خلفوا وراءهم  
ذكرا مفزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد غرق فرعون وهلاك  
دلوكة حتى أخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط وان جالوت  
ابن بالوت لما قتله داود سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر وبها ملوك مدين فأنزله ملك  
مصر بالجانب الغربي فأقام بها مدة ثم سار الى بلاد الغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر  
بعد دلوكة وابنها مدة ستمائة سنة وعشرين سنة وعدتهم سبعة وعشرون ملكا هم ديوسقوليطا  
ومدته ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده سمانادوس ستا وعشرين  
سنة وقام بعده سوماناس مدة مائة سنة ثم ملك مفتخراس أربع سنين ثم ملك أماناقوناس  
تسع سنين ثم أسحوريس ست سنين ثم فسيناخس تسع سنين ثم فسوسانس خمسا وثلاثين  
سنة ثم ملك سسوناخوسيس إحدى وعشرين سنة ثم ملك أساليون خمس عشرة سنة ثم  
طفالونيس ثلاث عشرة سنة ثم نطافاناسطلس خمسا وعشرين سنة ثم اساراتون تسع سنين



ثم ملك فسامرس عشر سنين ثم اوفانيوس اربعا وأربعين سنة ثم ساياقورثني عشرة سنة  
ثم سخس الحبشي ثني عشرة سنة ثم طراحوش الحبشي عشرين سنة ثم امراس الحبشي  
ثني عشرة سنة ثم استطايفيناس سبع سنين ثم باخفاسوس ست سنين ثم ياخو ثمان سنين  
ثم فسامامطيقوش اربعا وأربعين سنة ثم منحوقاست سنين ثم فسامراتاس سبع عشرة سنة  
ثم وافر سخمسا وعشرين سنة ثم أماسلس اثنتين وأربعين سنة \* وملك بعد هؤلاء مصر  
خمسة ملوك من ملوك بابل وهم أمرطيوش ست سنين ثم مافرطاس سبع سنين ثم واخرس  
انثني عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موتاطوس سبع سنين \* ثم ملك ثلاثة  
ملوك من أثور وهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل والجزيرة وهم نافاطانبوش ثلاث  
عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطانيناس ثمان عشرة سنة \* ثم انتقل ملك مصر  
منهم الى الاسكندر بن فيلبش اليوناني وهذه أسماء رومية ولعلها أو بعضها متداخل فيما  
تقدم ذكره ممن ملك بعد دلوكة وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفا سنة وثلاثمائة وست  
وخمسون سنة وأشهر ويجتمع من حساب ما وقع في التوراة أن بين الطوفان وبين خراب  
بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين ألفا وستمائة وأربعا وثمانين سنة وهذا خلاف  
ما نقله المسعودي والله تعالى أعلم بالصواب

### ذكر مدينة الاسكندرية

هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فأول ما بنيت  
بعد كون الطوفان في زمان مصر ايم بن بصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذلك مدينة رقودة  
ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في أيام اليونانيين جدها الاسكندر بن فيلبش المقدوني  
الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة  
شمسية فعرفت به ومنذ جدها الاسكندر المذكور انتقل تحت المملكة من مدينة منف  
الى الاسكندرية فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام  
وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر أرض  
اسلام فانتقل تحت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر وصار الفسطاط من بعد  
الاسكندرية دار مملكة ديار مصر \* وسأقص عليك من أخبار الاسكندرية ما وصل اليه  
علمي ان شاء الله تعالى \* ( ذكر ) أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن الكوكب  
وهي أمة في غابر الدهر من أهل ايلة ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كورة وأربعة  
أقسام كل قسم عمل وبنوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله برابرة  
وهي بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه أصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية  
واسمها رقودة خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من أصنام



الذهب أكثر مما نصبوا في غيرها فكان ما بها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على أربعة أقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجائب \* وذكر بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن أن مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المريح وساعاتها أربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك أربع ساعات مستوية وثلاث عشر ساعة \* وقال ابن وصيف شاه في ذكر أخبار مصر ايم بن يصير ابن نوح وعلمهم أيضاً عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وجنائهم وبنائهم فعملوا الطلسمات فغابت ولم تعد وبنوا على غير البحر مدناً منها مدينة رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على اساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها مرآة من اخلاط شتى تطرها خمسة اشبار وارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الائم التي حولهم فان كان مما يهمهم وكان من البحر عملوا لتلك المرآة عملاً فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته فلم تزل الى ان غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبيهاً بها وكان عليها أيضاً مرآة يري فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من ازاها وكانت من زجاج مدير قال وذكر بعض القبط ان رجلاً من بني الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجائبها وضمن له ان يوصله الى ملكها واموالها ويرفع عنه اذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد فلما اتصل بصا بن مرقونس اخي ايساد وهو ملك مصر يومئذ ان صاحب بلاد الافرنجة تجهز اليه عمداً الى جبل بين البحر والملح وشرقي النيل فأصعد اليه اكثر كنوزه وبنى عليها قباباً مصفحة بالرصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجة في الف مركب فكان لا يمر بشيء من اعلام مصر ومنازلها الا هدمه وكسر الاصنام بمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعاتب فيها وفيما حولها وهدم اكثر معلمها الى ان دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحي بحاربونه وهو يتهب ما مر به ويقتل ما قدر عليه الى ان طلب المدائن الداخلة لاخذ كنوزها فوجدها ممتعة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق والشداحات فأقام عليها أياماً كثيرة فلم يتمكن الوصول اليها وغضب على الكاهن فقتله من أجل أن جماعة من أصحابه هلكوا فاجتمع أهل النواحي وقتلوا من أصحابه الذين بلرأكب خالقاً وأحرقوا بعض المراكب وقام أهل مصر بسحرهم وتهاويلهم فأنت رباح أغرقت أكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد خرج فعاد الناس الى منازلهم وقراهم ورجع الملك صا الى مدينة منف وأقام بها وتجهز لغزو بلدان الروم وبعث اليها وخرب الجزائر فهابته اثلوك وتبع الكهنة فقتل منهم خلقاً كثيراً وأقام ملكاً سبعا وستين سنة ومات وعمره مائة وسبعون سنة ودفن بمنف



في وسطها تحت الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل آباؤه منها أربعة آلاف مثقال ذهباً على صور حيوانات برية وبحرية وتمثال عقاب من حجر أخضر وتمثال تين من ذهب وزرّوا عليها اسمه وغلبته الملوك وسيرته وعمه سد الى ابنه تدراس قال ولما جلست جورياق ابنة طوطيس أول فراغته مصر وهو فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها لأبيها وعدت الناس بالاحسان وأخذت في جمع الاموال فاجتمع لها مالم يجتمع للملك وقدمت السكينة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وأمرت بتجديد الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة أريب وملكوا عليهم رجلا من ولد أريب يقال له أيداخس فعقد على رأسه تاجا واجتمع اليه جماعة فأفندت اليه جيشا فهزموه وقتلوا أكثر أصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث بملكهم فجهزه بجيش عظيم ففتحت جورياق الخزان وقرت الاموال وقوت السحرة فعملوا أعمالهم وتقدم أيداخس بجيوش الكنعانيين وعليها قائد منهم يقال له جيرون فلما نزلوا أرض مصر بعثت ظنراها من عقلاء النساء الى القائد سرا عن ايداخس تعرفه رغبتها في تزوجه وانها لا تختار أحدا من أهل بيتها وأنه ان قتل ايداخس تزوجت به وسلمته ملك مصر ففرح بذلك وسم ايداخس بسم أنفذته اليه فقتله وبعث اليه بعد قتل ايداخس أنه لا يجوز أن تزوجك حتى يظهر قومك في بلدي وتبني لي مدينة محمية وكان افتخارهم حينئذ بالبنيان واقامة الاعلام وعمل العجائب وقالت انتقل من موضعك الى غربي بلدي فم أنار لنا كثيرة فاقف تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبني مدينة في صحراء الغرب يقال لها قديمومة وأجرى اليها من النيل نهرا وغرس حولها غروسا كثيرة وأقام بها منارا عاليا فوفاه منظر مصفح بالذهب والفضة والزجاج والرخام وهي تده بالاموال وتكاتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لا يعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا مدينة أخرى حصينة كانت لاوائلنا وقد خربت منها أمكنة وتسعت حصنها فامض اليها واعمل في اصلاحها حتى أنتقل انا الى هذه المدينة التي بنيتها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فأفند الى جيشك حتى اصير اليك وابعد عن مدينتي واهل بيتي فاني أكره أن تدخل على بالقرب منهم فمضى وجد في عمل الاسكندرية الثانية \* واهل التاريخ يذكرون ان الذي قصدها الوليد بن دوع العمليقي ثاني الفراغنة وكان سبب قصدها انه كان به علة فوجه الى الاقطار ليحمل اليه من مائها حتى يرى ما يلائمه فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحمل اليه من مائها والطاقها وعاد اليه فعرفه حال مصر فسار اليها في جيش كثيف وكاتب الملكة يخطبها لنفسه فأجابته وشرطت عليه ان يبني لها مدينة يظهر فيها ايده وقوته ويحجمها لها مهرا فأجابها وشق مصر الى ناحية الغرب فبعثت اليه اصناف الراجين والفواكه وخلقت وجوه الدواب فمضى الى الاسكندرية وقد خربت بعد خروج



العادية منها فقل ما كان من حجارته ومعالمها وعمدها ووضع اساس مدينة عظيمة وبعث  
 اليها مائة الف فاعل وأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال وكلما نبي شيئاً خرج  
 من البحر دواب فتقلعه فاذا أصبح لم يجد من البناء شيئاً فاهتم لذلك وكانت جورباق قد  
 أخذت اليه الف رأس من الميز اللبون يستعمل البانها في مطبخه وكانت مع راع ثق به  
 يرعاها هنالك فكان اذا اراد ان ينصرف عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء  
 فتتوق نفسه اليها فاذا كلها شرطت عليه ان تصارعه فان صرعه كانت له وان صرعه اخذت  
 من الميز رأسين فكانت طول الايام تصرعه وتأخذ الغنم حتى اخذت اكثر من نصفها  
 وتغير باقيا لشغله بحب الجارية عن رعيها ونحل جسمه فمر به صاحبه وسأله عن حاله فأخبره  
 الخبر خوفاً من سطوته فلبس ثياب الراعي وتولى رعي الغنم يوماً الى المساء فخرجت اليه الجارية  
 وشرطت عليه الشرط فأجابها وصارعه فصرعها وشدها فقالت ان كان ولا بد من اخذى فسلمنى  
 لصاحبى الاول فانه العطف بي وقد عذبتى مدة فردها اليه وقال له سألها عن البنين الذي  
 بنيتهم ويزال من لياتهم من يفعل ذلك وهل في نباته من حيلة فسألها الراعي عن ذلك فقالت  
 ان دواب البحر التي تنزع بنيانكم فقال فهل من حيلة قالت نعم تعملون توايت من زجاج  
 كثيف بأغطية وتعملون فيها اقواما يحسنون التصوير ويكون معهم صحف واقفاش وزاد  
 يكفيهم اياما وتحمل التوايت في المراكب بعد ما تشد بالحبال فاذا توسطوا الماء امروا  
 المصورين ان يصوروا جميع ما يمر بهم ثم ترفع تلك التوايت فاذا وقفت على تلك الصور  
 فاعملوا لها اشباهاً من صفر أو حجارة أو رصاص وانصبوها قدام البنين الذي يتنونه من جانب  
 البحر فان تلك الدواب اذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد فعرف الراعي صاحبه  
 ذلك فعمله وتم البنين وبنى المدينة \* وقال قوم ان صاحب البناء والغنم هو جيرون كان  
 قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد جورباق وقهرهم وملك مصر \* وذكروا ان الاموال  
 التي كانت مع جيرون فقدت كلها في تلك المدينة ولم تتم فأمر الراعي ان يجبر الجارية فقالت  
 ان في المدينة التي خربت ملعباً مستديراً حوله سبعة عمد على رؤسها تماثيل من صفر قيام  
 فقرب لكل تماثيل منها ثورا سميناً ولطخ العمود الذي تحته من دم الثور وبخره بشعر من ذنبه  
 وشيء من نخاعة قرونه وأظلافه وقل له هذا قربانك فأطلق لي ما عندك ثم قس من كل عمود  
 الى الجهة التي يتوجه اليها وجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل  
 فانك تنتهي بعد خمسين ذراعاً الى بلاطة عظيمة فلطخها بمرارة الثور وأقلها فانك تنزل الى  
 سرب طوله خمسون ذراعاً في آخره خزانة مقلعة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب فخذ  
 ولطخ الباب ببقية المرارة ودم الثور وبخره بنخاعة قرونه وأظلافه وشعر ذنبه وادخل فانه  
 يستقبلك صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض



ميتا تجده ولا ماعليه وكذلك كل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نووايس  
 سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع ذلك سر به وامثله فوجد مالا يدرك وصفه ووجد  
 من العجائب شيئاً كثيراً فتم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق فساءها وكانت قد أرادت اتباعه  
 وهلاكه بالخيالة ويقال انه وجد فيها وجد درجا من ذهب محتوما فيه مكحلة زيرجد فيها  
 ذرور أخضر ومعها عرق أحمر من اكتحل من ذلك الذرور بالعرق وكان أشيب عاد  
 شابا واسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر  
 غيمت السماء وأمطرت ومثال غراب من حجر اذا سئل عن شيء صوت وأجاب عنه ووجد  
 في كل خزانة عشر أعجوبات \* فلما فرغ من بناء المدينة وجه الى جورياق يمنحها على القدم  
 اليه فحملت اليه فرشا فاخراً ليبسطه في المجلس الذي يجلس فيه وقالت له اقم جيشك اثلاثا  
 فأنفذ الى ثلثه حتى اذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ الثلث الآخر فاذا جرت نصف الطريق  
 فأنفذ الثلث الباقي ليكونوا من ورأي لثلاثي واحد اذا دخلت عليك ولا يكون عندك  
 الا صببية تشق بهم يخدمونك فاني أوافيك في جوار تكفيك الخدمة ولا احتشمن ففعل  
 وأقامت تحمل الجهاز اليه والاموال حتى علم بمسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فعملت لهم الاطعمة  
 والاشربة المسمومة وأنزلهم جواربها وحشمها وقدموا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وأنواع  
 اللهو فلم يصبح منهم أحد حيا وسارت فلقبها الثلث الآخر ففعلت به مثل ذلك وهي توجه  
 اليه انها أنفذت جيشه الى قصرها ومملكته يحفظونها وسارت حتى دخلت عليه هي وظئرها  
 وجواربها فنفضت ظئرها في وجهه نفضة بهت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت أعضاؤه  
 وقال من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبتة نفسه وغلبتة النساء ثم انها قصدت عروقه وقالت  
 دماء الملوك شفاء وأخذت رأسه ووجهت به الى قصرها ونصبت عليه وحولت تلك الاموال  
 الى مدينة منف وبنيت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ  
 الوقت فلما بلغ خبرها الملوك ها بوها وأطاعوها وها دوها وعملت بمصر عجائب كثيرة وبنيت  
 على حد مصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة  
 عمها زلني بنت مأمون وماتت \* وقال ابن جر داويه روى أن الاسكندرية بنيت في ثلثمائة  
 سنة وأن اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالتهار الا بخرق سود مخافة على أبصارهم من  
 شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج في البحر وانه كان فيها سوى  
 أهلها ستمائة ألف من اليهود خول لاهلها \* وقال ابن وصيف شاه وكانت العمارة تمتدة في  
 رمال رشيد والاسكندرية الى برقة فكان الرجل يسير في أرض مصر فلا يحتاج الى زاد  
 لسكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستره من حر الشمس وعمل الملك صابن  
 قبطيم في تلك الصحارى قصوراً وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من



الجانب الغربي الى حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المساكن وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكي ما رآه فيها من الآثار والمعجائب \* وقال ابن عبد الحكم وكان الذي بنى الاسكندرية وأسس بنائها ذو القرنين الرومي واسمه الاسكندر وبه سميت الاسكندرية وهو أول من عمل الوشى وكان أبوه أول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبان مرزبه اليوناني من ولد يونان بن يافت بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل كان من أهل لوبية كورة من كور مصر الغربية وقال ابن طيبة وأهلها روم ويقال هو رجل من حمير قال تبع قد كان ذوالقرنين جدي مساما \* ملكا تدين له الملوك بمحشد

بلغ المغارب والمشارق يتقى \* أسباب علم من حكيم مرشد

فراى مغيب الشمس عند غروبها \* فى عين ذى خلب وناط حرم

ويروى قد كان ذوالقرنين قبلى مساما وحدثني عثمان بن صالح حدثني عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن سعد بن مسعود التميمي عن شيخين من قومه قالوا كنا بالاسكندرية فاستطلنا يوما فقلنا لو انطلقنا الى عقبه بن عامر نحدث عنده فانطلقنا اليه فوجدناه جالسا في داره فأخبرناه انا استطلنا يوما فقال وأنا مثل ذلك انما خرجت حين استطلته ثم أقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته فاذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه فأخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي ولهم يسألوني عما لا أدري انما أنا عبد لا أعلم الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوا فتوضأتم قام الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال أذخلمهم ومن وجدت بالباب من أصحابي فأدخله قال فأدخلتهم فلما وقفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا وان أحببتكم تكلمتم وأخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن نتكلم قال أحببتكم أن تسألوني عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندهم أن أول امره أنه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابني عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فخرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مدينتي مع المدائن فلا أعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتي وحدها ولا أرى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذي تري يحيط بها هو البحر وانما أراد ريك أن يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها سوف يعلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع



الشمس ثم أتى السدين وها جبلان لبنان يزلق عنهما كل شيء فبنى السد ثم جاز بأجوج  
ومأجوج فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون بأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد  
أمة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد أمة من الغرائق يقاتلون  
القوم القصار ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتهم الحية منها الصخرة العظيمة ثم أفضى إلى  
البحر المدير بالأرض فقالوا نشهد أن أمره هكذا كما ذكرت وأنا نحمده هكذا في كتابنا \*  
وعن خالد بن معدان الكلاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين  
فقال ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أمارضتكم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة  
وقال قتادة عن الحسن كان ذو القرنين ملكا وكان رجلا صالحا قال وإنما سمي ذا القرنين  
لان عليا رضى الله عنه سئل عن ذي القرنين فقال لم يكن ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا  
صالحا أحب الله فأحبه الله ونصح لله فنصحه الله بعنه الله عز وجل إلى قومه فضر به على  
قرنيه فمات فسمى ذا القرنين ويقال إنما سمي ذا القرنين لأنه جاوز قرني الشمس من  
المغرب والمشرق ويقال إنما سمي ذا القرنين لانه كالأله غديران من شعر رأسه يطافهما وقيل  
بل كان له قرنان صغيران تواربهما العمامة \* وعن ابن شهاب إنما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرن  
الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها \* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه  
قال كان أول شأن الاسكندرية أن فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان أول من عمرها  
وبني فيها فلم تزل على بنائه ومصانعه ثم تداوها ملوك مصر بعده فبنت دلوكة بنت زبا منارة  
الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الأرض  
اتخذ بها مجلسا وبني فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بناء الملوك والفراغة  
وغيرهم الابناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره وأصلح ما كان رث منه وأقر المنارة على حالها ثم  
بني الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداوها الملوك بعده من الروم وغيرهم  
ليس من ملك الا يكون له بها بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه \* قال ابن هزيمة  
وبلغني أنه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه أنا شداد بن عاد وأنا الذي نصب العماد  
وحيد الاحياد وشد بذراعه الواد بنيتهن اذلا شيب ولاموت واذا الحجارة في الابن مثل  
الطين وفي رواية وكزت في البحر كزنا على اثني عشر ذراعا ان يخرج احد حتى يخرج  
أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن هزيمة والاحياد كالمغار وقال أبو علي القالي في كتاب الامالي  
وأشدا بن الاعرابي وغيره

تسألني عن السنين كم لي \* فقلت لو عمرت عمر الحسل \* أو عمر نوح زمن الفطحل  
لو أنني أوتيت علم الحسل \* وعشت دهر زمن الفطحل \* لسكنت رهن هرم أو قتل



وفي رواية علم سليمان كلام النمل \* أيام كان الصخر مثل الوحل  
وقال آخر زمن الفطحل اذ السلام رطاب \* وعندهم ان زمن الفطحل زمان كان بعد  
الطوفان عظم فيه الحصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن الفطحل زمن لم يخلف بعد  
وقوله علم الحسكل الحسكل مالا يسمع صوته من الحيوان وهذا الرجز لروبة بن العجاج بن  
روبة بن لبيد بن صخر بن كثيف بن حيي بن بكر بن ربيعة بن سعد بن مالك بن زيد  
مناه بن تميم وذلك أنه وردناه لعل فرأى فتاة فأعجبته فخطبها فقالت أرى سنا فهل من  
مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا آل عكل اكبرا وامعارا فقال روبة  
لما ازدرت قدرى وقات ايلي \* تألفت واتصلت بمكل \* حظي وهزت رأسها تستبلى  
تسألني عن السنين كم لي \* فقلت لوعمرت عمر الحسل \* أو عمر نوح زمن الفطحل  
والصخر مبتل كطين الوحل

وفي رواية لو انني أوتيت علم الحسكل \* علم سليمان كلام النمل  
وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال تزعم العرب أنه زمان كانت فيه  
الحجارة رطبة \* قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بني الاسكندرية شداد بن عاد والله  
أعلم \* وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منيعة وهي موضع المنارة وما  
والاها والاسكندرية وهي موضع قصبه الاسكندرية اليوم ونفيطة وكان على كل واحدة  
منهن سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية  
سبعة حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام  
الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد والحرة فن قبل ذلك لبس الرهبان السواد  
من نصوص بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر  
أدخل الرجل الذي يحيط بالليل في ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط في ثقب الابرة ويقال  
بنيت الاسكندرية في ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائة سنة وخربت ثلثمائة سنة ولقد مكثت سبعين  
سنة ما يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين  
سنة ما يستسرج فيها قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت  
الشمس لم يخرج أحد من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر  
فكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه فكمن له الراعي في موضع حتى خرج فاذا  
جارية قد نفشت شعرها وما نمته عن نفسها فتقوي عليها فذهبها الى منزله فأنست به فرأهم  
لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فيأت لهم الطاسيات  
فكانت أول من وضع الطاسيات بمصر في الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى  
يكون من بكرة النهار كالهجين فاذا انتصف النهار اشتد \* وقال المسعودي ذكر جماعة



من أهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده وسار حتى يختار أرضاً صحيحة  
الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها اثربنيان وعمدا كثيرة  
من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو القلم الاول من أقلام  
حير وملوك عاد أناشاد بن عاد شددت بساعدي الواد وقطعت عظيم العماد وشواخ الجبال  
والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأردت أن أبني هنا مدينة  
كارم وأنقل اليها كل ذى قدم وكرم من جميع العشاير والامم وذلك اذا لا خوف  
ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابني ما أعجبني وعمما أردت قطعني ومع وقوعه طال  
همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت بالامس عن داري لا لقهر ملك جيسار ولا  
لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار ولكن لتسام المقدار واقطاع الآثار  
وساطان العزيز الحيار فمن رأى أرى وعرف خبري وطول عمري ونفاد بصري وشدة  
حذري فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدائرة تأخذ منه ما تعطي وتسترجع منه ما تؤتي  
وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاعتزاز بها والسكون اليها \* فنزل الاسكندر مفكراً  
يتدبر هذا الكلام ويعتبه ثم بعث يحشم الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها  
وعرضها أميالاً وجمع اليها العمدة والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر  
والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد أفريقية وأريطش وأقاصي بحر الروم مما يلي مصبه  
بحر اقينوس وحمل اليه أيضاً من جزيرة رودس وأمر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم  
لهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة  
الى الخشبة جبلاً منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام  
مضربه وعلق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة  
والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الجبال وقد علق على كل قطعة منها  
جرساً صغيراً حرصوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب  
الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره وطالع سعد فحرك الاسكندر رأسه وأخذته نعسة  
في حال ارتقابه الوقت المحمود فجاء غراب فجلس على جبل الجرس الكبير الذي فوق  
العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخفق ما عليها من الاجراس الصغار  
وكان ذلك معمولاً بمركات هندسية وحيل حكيمية فلما رأى الصناع تلك الجبال قد تحركت  
وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس  
فاستيقظ الاسكندر من رفته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فاعجب وقال أردت أمراً وأراد  
الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول  
الملوك ايها وان الاسكندر لما أحكم بناءها وثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب



البحر فأتت على جميع البنيان فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدوا الخراب في عمارتها  
وتحقق مراد الباري سبحانه من زوالها فتطير من فصل الدواب فلم تزل البناة في كل يوم  
تبنى وتحكم ويوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرجت وخربت  
البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من البحر فأقبل يفكر ما الذى يصنع وأى  
حيلة تنفع في ذلك حتى تدفع الاذية عن المدينة فسئحت له الحيلة عند خلوه بنفسه وارىده  
الامور واصدارها فلما أصبح دعا الصناع فأتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع  
في عرض خمسة أذرع وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها  
وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول الماء الى التابوت  
وقد جعل فيها مواضع للرجال ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان من كتابه ممن له علم  
باتقان التصوير وأمر أن تسد عليه الابواب وأن تطلّى بما ذكرنا من الاطلية وأمر بمركبين  
عظيمين فأخرجوا الى لجة البحر وعلق في التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد  
والحجارة لتهوى بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين المركبين وأصقهما بخشب بينهما لسلا  
يفترقا وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حباله ففاض التابوت حتى انتهى الى قرار  
البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاة ماء البحر فاذا  
بصور الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل رؤس السباع وفي أيديهم الفوس مع  
بعضهم وفي أيدي بعضهم المناشير والقماح يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم  
من آلات البناء فأثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير في القراطيس  
على اختلاف أنواعها وتشوه خلقها وقودها ثم حرك الحبال فلما أحس بذلك من في  
المركبين جذبوا الحبال وأخرجوا التابوت فخرج الاسكندر وأمر صناع الحديد والنحاس  
والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمدة بشاطي  
البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت الى  
صورها على العمدة مقابلة الى البحر فرجعت ولم تعد بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت  
وأمر الاسكندر أن يكتب على أبوابها هذه الاسكندرية أردت أن أبنها على الفلاح والنجاح  
واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ولم يرد الباري عز وجل ملك السموات والارض  
ومغنى الامم أن يثبتها كذلك فبنيتها وأحكمت بنيتها وشيدت سورها وآتاني الله عز وجل  
من كل شيء علما وحكمة وسهل لي وجوه الاسباب فلم يتعذر علي في العالم شيء مما أردته  
ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفاً من الله عز وجل وصنعاً لي وصلاحا لعباده من أهل  
عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شيء ورسم بعد هذه الكتابة كل ما  
يحدث ينلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما



يؤول امرها اليه الى وقت دثور العالم \* ( وكان بناء الاسكندرية طبقات ) وتحتها قناطر  
مقنطرة عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس ويده رح لا تضيق به حتى يدور جميع تلك  
الآزاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات  
للضياء ومنافذ للهواء. وقد كانت الاسكندرية تسمى بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام  
والمرمر وكانت أسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شئ من المطر وكان  
عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة الالوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور  
فضول وربما تعلق في المدينة شقاق الحرير الاخضر لاخطاف بياض الرخام أبصار الناس  
لشدة بياضه فاما أحكم بناءها وسكنها أهامها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون  
من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد  
الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على أعمدة هنالك تدعي المسال وهي باقية الى  
هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا  
على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة \* قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من  
حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودي من أن الاسكندر هو الذي عمل  
التابوت حتى صور أشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه أعرف بأخبار أهل مصر  
وكذلك ما ذكره المسعودي من أن المسال من عمل الاسكندر وهم أيضا بل هذه المسال  
هي المنابر التي كان ينور عليها والاعلام التي كانت ملوك مصر القدماء تنصبها وهي من أعمال  
ملوك القبط الاول ومن أعمال الفرعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان

### ذكر الاسكندر

هو الاسكندر بن فليش بن آمنته ( ويقال آمناس ) بن هركلش ( ويقال هر قول )  
الجبار الذي هو ابن الاسكندر الاعظم ولى أبوه فليش الملك في بلد مقدونية ( ويقال مقدونية )  
خمساً وعشرين سنة استنبت فيها ضروبا من المكر وابتدع أنواعا من الشر تقدم فيها كل  
من ولى الملك بها قبله \* وكان في اول امره قد جعله اخوه الاسكندر رهينة عند امير  
من الروم فأقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب الفلسفة فلما قتل اخوه  
الاسكندر اجتمع الناس على تولية فليش فولوه اميرا فقام في السلطان مقاما عظيما فخارب  
الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية فقتل بها من الناس آلافا وغلب على مدائن فأجمع له  
جمع لا يقاد وجيش لا يرام فأذل جميع الروم وذهبت عينه في بعض الحروب وغمر البلدان  
والمدائن عمارة وهدما وسبها وانتهابا ثم حشد جميع أهل بلد الروم وعبي عسكريا فيه مائتا  
ألف راجل وخمسون ألف فارس سوى من كان فيه من أصحابه المقدونيين ومن غيرهم  
من أجناس اليونانيين يريد غزو الفرس \* فبينما هو يجمع هذا الجمع نظر في تزويج ابنة



له يقال لها قلوبطره من حنثه أختى امرأته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس بيومين يحدث قواده اذ سئل عن أي الموتات أحق أن يتمناها الانسان فقال الواجب على الرجل القوى الظافر المحرب يريد نفسه أن لا يتمنى الموت الا بالسيف حجة لثلا يعذب به المرض وتحل قوته الاوجاع فمعجل له ما تمنى في ذك العرس وذلك أنه حضر لبا كان على الحيل بين ولده الاسكندر وحنثه الاسكندر فينما هو في ذلك غافله أحد أحداث الروم بطعنه فقتله بها نارا بأبيه عند ما تمكن منه منفردا فولى الاسكندر الملك بعد أبيه فليدش وكان أول شئ أظهر فيه قوته وعزمه في بلد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين الى طاعة الفرس فدرسهم واستأصلهم وخرّب مدنها وجعلهم سبياء ميعة وجعل سائر بلادهم وكورهم تؤدى اليه الخراج ثم قتل جميع أختانه واكثر أقاربه في وقت نعيته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكره اثنين وعشرين ألف فارس وستين ألف راجل وكانت مرابيه خمسمائة مركب وثمانين مركبا فحرك بهذه العدة كبار ملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية ودخل بيت المقدس وقرب فيه لله تعالى قربانا وخرج يريد محاربة دارا وكان في عسكر دارا ملك الفرس في أول ملاقاته اياه ستمائة ألف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذلك على الفرس وقعة شماء ونكبة دهباء قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الا مائة وعشرون فارسا وتسعون راجلا \* ومضى الاسكندر ففتح مدائن وانتهب ما فيها فبلغه أن دارا قد عصى وأقبل نحوه بجمع عظيم يخاف أن يلاحقه في ضيق الجبال التي كان فيها فقطع نجوا من مائة ميل في سرعة عجيبة حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط البرد حتى انقبض عصبه فلاقاه دارا في ثلثمائة ألف راجل ومائة الف فارس فلما التقى الجمعان كاد الاسكندر يفر لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ووقع القتال بينهما وباشر القواد الحرب بأنفسهم وتنازل الابطال واختلف الطعن والنضرب وضاق الفضاء بأهله نباشر كلا المملكين الحرب بأنفسهم دارا والاسكندر وكان الاسكندر أكمل أهل زمانه فروسية وأشجعهم وأقواهم جسما فباشرا حتى جرحا جميعا وتنادى الحرب بينهما حتى انهزم دارا ونزات لوقية بالفرس فقتل من راجلهم نحو من ثمانين ألفا ومن فرسانهم نحو من عشرة آلاف وأسر منهم نحو من أربعين ألفا ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان وثلاثون راجلا ومائة وخمسون فارسا فانتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس وأصاب فيه من الذهب والفضة والامتعة الشريفة ما لا يحصى كثرة وأصيب من جملة الاساري أم دارا وزوجته واخته وابنتاه فطلب دارا من الاسكندر فديتهن بنصف ملكه فلم يجبه الى ذلك فعبى دارا مرة ثالثة وحشد الفرس عن آخرهم واستجاش بكل من قندر عليه من الامم فبعث الاسكندر قائدا في أسطول للغارة على بلد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فلقاه هنالك



ملوك الدنيا خاضعين له قمعان بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احرار طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشان وأهلها قد وثقوا بعمون أهل أفريقية لهم لصهر كان بينهم فحاصروهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس والى مصر فانتهب الجميع وبني مدينة الاسكندرية بأرض مصر وقال هرودوتوس وله في بنائها أخبار طوبى وسياسات كرهنا تطويل كتابنا بها \* ثم ان دار المائيس من مصالحته اقبل في أربع مائة ألف راجل ومائة ألف فارس فتلقي الاسكندر مقبلا من ناحية مصر في أعمال مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجيبة شنيعة اجتهدا من الروم على ما كانوا خبروه واعتادوا من الغلبة والظفر واجتهدا من الفرس بالتوطين على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فقاما بحكي عن معركة كان القتل فيها أكثر منه في تلك المعركة فلما نظر دارا الى أصحابه يتقلب عليهم ويهزمون عزم على استعجال الموت في تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى يقتل معترضا للقتل فاطلف به بعض قواده حتى سلوه فانهزم وذهبت قوة الفرس وعزهم وذل بعدها سلطانهم وصار بلد المشرق كله في طاعة الروم واقطع ملك الفرس مدة أربع مائة عام وخمسين عاما واشتغل الاسكندر بتحصيل ما أصاب في عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على عسكره ثلاثين يوما ثم مضى الى مدينة الفرس التي كانت رأس مملكتهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها ونهب ما فيها فبلغه عن دارا أنه صار عند قوم مكبلا في كبول من فضة قهيا وخرج في ستة آلاف فوجده بالطريق مجروحا بجراحات كثيرة فلم يلبث ان هلك منها فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمرثية له وأمر بدفنه في مقابر الملوك من أهل مملكته وكان في أمر هذه الثلاث معارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اتمط اذ قتل فيها من أهل مملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف بين راجل وراكب وراجل من أهل بلد آسيا وهي العراق وقد كان قتل من أهل تلك المملكة قبل ذلك نحو من ستين سنة نحو تسعة عشر ألف الى ألف ما بين راجل وراكب وراجل من أهل بلد العراق والشام وطرسوس ومصر وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين درسهم الاسكندر أجمعين وكان سلطان الدنيا مقسوما بين قواده بعد ما زلزل بدواهيه العظيمة العالم كله وعم أهله بعضا بالنساياء الفضيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لاهوالها وأوصى عند وفاته أن يلقب كل قائم في اليونانيين بعده ببطليموس تهويلا للاعداء لان معناه الحربي فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه \* ويقال انه كان أشقر أزرق وهو أول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكون له الحرافات يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك في السمر واتخاذ المضحكين والمخرفين



﴿ ذكر تاريخ الاسكندر ﴾

قال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بذي القرنين على سنى الروم وعليه عمل أكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس \* ولما ورد بيت المقدس أمر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد أن عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو أول وقت تحركه ليتموا ألف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستعملين له وعليه عمل اليونانيين وكانوا قبله يؤرخون بخروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب \* وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول تشرين الاول وموافقه اليوم الرابع من بابه ومبادئ الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى أن يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كمل يوم بيلته ومبدي الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه دائماً وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه أسماؤها وعدد أيام كل شهر منها ( تشرين الاول) أحد وثلاثون يوماً ( تشرين الثاني) ثلاثون يوماً ( كانون الاول) أحد وثلاثون يوماً ( كانون الثاني) أحد وثلاثون يوماً ( شباط) ثمانية وعشرون يوماً ( ربيع آذار) أحد وثلاثون يوماً ( نيسان) ثلاثون يوماً ( ايار) أحد وثلاثون يوماً ( حزيران) ثلاثون يوماً ( تموز) أحد وثلاثون يوماً ( آب) أحد وثلاثون يوماً ( أيلول) ثلاثون يوماً ( قسبة) أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوماً وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوماً وشهر واحد ثمانية وعشرون يوماً وربع يوم وذلك أنهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوماً وجملوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوماً فيكون عدد أيام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوماً ويسمونها السنة الكبيسة وإنما زادوا الربع في كل سنة ليقرب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى أمورهم على نظام واحد فتكون شهور البرد وشهور الحر وأوان الزرع ولقاح الشجر وجنى الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك البتة وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس أول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوماً وبينه وبين يوم الجمعة أول يوم من الطوفان ألفاً سنة وسبعمائة سنة واثنان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوماً وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين أول تاريخ الاسكندر أربع مائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ومائتا يوماً



وثلاثون يوما \* وقال أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب الفلاحة التبطية الشهر المسمى تموز فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبة طويلة وهو أنه دعا ملكا الى عبادة الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وان الملك قتله وعاش بمد القتلة ثم قتله قتلات بعد ذلك قبيحة وفي كلها يعيش ثم مات في آخرها وان شهرهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من التبط الذين كانوا مكان اقليم بابل قبل السكسديين وذلك أن تموز هذا ليس من السكسديين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرماقة وانما هو من الحزناسيين الاولين ولذلك يقولون في كل شهرهم انها اسماء رجال مضوا وان تشرين الاول وتشرين الثاني اسم اخوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول وكانون الثاني وان شباط اسم رجل نكح ألف امرأة أبكارا كلهن ولم ينسل نسلا ولا ولد ولدا فجعلوه في آخر الشهور لتقصانه عن النسل فصار التقصان من العدد فيه والصابثون من البابليين والحزناسيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون على تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعمدون تعديدا عظيمًا وخاصة النساء فانهم يتحنن ههنا جميعا ويحنن ويبكين على تموز ويهذين في أمره هذيانا طويلا وليس عندهم علم من أمره اكثر من أن يقولوا هكذا وجدنا أسلافنا ينوحون ويبكون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز والنصارى تذكر أنهم يعملونه لرجل يسمى جورجيس أحد حوارى عيسى عليه السلام دعا ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بتلك الفتلات فلا أدري وقع الى النصارى قصة تموز فأبدلوا مكانها اسم جورجيس وخالفوا الصابثين في الوقت لان الصابثين يعملون ذكران تموز أول يوم من شهر تموز والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان ويقال ان بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهرهم كانت الى زمانه عشرة أشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما \* ويقال ان فيوفوس أول من ملك مدينة رومية وانه أقام ملكا ثلاثا وأربعين سنة وزاد كانون الثاني وشباط في شهور الروم بحكم انها كانت الى ذلك الزمان عشرة أشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما وكان سبب نقص شباط يومين وقوع غارة في أيام فيظن رئيس جيش الروم مع خائف وحروب بينه وبين فريوريوس آلت الى نصره فيظن وأخذ مملكة الروم وأمر فريوريوس فنودى عليه أعيان مدينته وتفسيره أخرج ياشباط ثم غرق في البحر وسموا شهر شباط فريوريوس ليكون تذكرا سوء له فان هذا الفعل كان في يومي التاسع والعشرين والثلاثين من شباط فنقصوها من شباط وزادوها في تموز وكانون الثاني فجعلوا كل شهر منهما أحدا وثلاثين يوما ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال لا يحسن أن يكون شباط في وسط السنة فنقله الى آخرها ولم يزل الروم من ذلك الوقت يتطرون من شباط



ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلا ن

اعلم ان التحقيق عند علماء الاخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز فقال ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآيناه من كل شئ سببا الآيات عربى قد كثر ذكره فى أشعار العرب وأن اسمه الصعب بن ذى مراند بن الحارث الرائس بن الهمال ذى سدد بن عادذى منح بن عامر الملقاط ابن سكسك بن وائل ابن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن ارغشذ بن سام بن نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم أيضا العرب العاربة وكان ذو القرنين تبعا متوجا ولما ولي الملك نجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فليش هو ذو القرنين الذى بنى السد فان لفظه ذو عربية وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذلك رومى يونانى قال أبو جعفر الطبرى وكان الخضر فى أيام أفريدون الملك بن الضحاك فى قول عامة علماء أهل الكتاب الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وان الخضر بلغ مع ذى القرنين أيام مسيره فى البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذو القرنين ولا من معه نخلد وهو حى عندهم الى الآن وقال آخرون ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو أفريدون بن الضحاك وعلى مقدمته كان الخضر \* وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام فى كتاب التيجان فى معرفة ملوك الزمان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى ذكرناه وكان تبعا متوجا لما ولي الملك نجبر ثم تواضع واجتمع بالخضر بيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها وأوتى من كل شئ سببا كما أخبر الله تعالى وبني السد على ياجوج ومأجوج ومات بالعراق \* وأما الاسكندر فانه يونانى ويعرف بالاسكندر المجدونى (ويقال المقدونى) سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذى القرنين ممن كان فقال من حمير وهو الصعب بن ذى مراند الذى مكته الله تعالى فى الارض وآناه من كل شئ سببا فبلغ قرنى الشمس ورأس الارض وبني السد على ياجوج ومأجوج قيل له فالاسكندر قال كان رجلا صالحا روميا حكى بنى على البحر فى أفريقية منارا وأخذ أرض رومة وأتى بحر القرب وأكثر عمل الآثار فى القرب من المصانع والمدن \* وسئل كعب الاخبار عن ذى القرنين فقال الصحيح عندنا من أجبارنا وأسلافنا انه من حمير وانه الصعب بن ذى مراند والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهما ورجال الاسكندر أدركوا المسيح بن مريم منهم جالينوس وأرسطاطا ليس \* وقال الهمداني فى كتاب الانساب وولد كهلان بن سبأ زيدا فولد زيد عربيا ومالكا وغالبا وعميكرب وقال الهيثم عميكرب بن سبأ



أخو حمير وكهلان فولد عمي كرب أبا مالك فدرحا ومهيليل ابني عمي كرب وولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهليل بن عمي كرب بن سبأ وولد عريب عمرا فولد عمرو زيدا والهيمسع ويكنى أبا الصعب وهو ذو القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير

فمن ذا يعادنا من الناس معشرا \* كراما فذو القرنين منا وحام  
وفيه يقول الحارثي

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه \* في الجاهلية لاسم الملك محتملا  
كالتبعين وذو القرنين يقبله \* أهل الحجى فأحق القول ما قبله  
وفيه يقول ابن أبي ذئب الخزاعي  
ومنا الذي بالخافقين تغربا \* وأصعد في كل البلاد وصوبا  
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا \* وفي ردم يأجوج بنى ثم نصبا  
وذلك ذو القرنين تفخر حمير \* بمسكرا قيل ليس بحصى فيحسبا

قال الهمداني وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربعة بن الحيار بن مالك وفي ذى القرنين أقاويل كثيرة وقال الامام نضر الدين الرازي في كتاب تفسير القرآن الكريم ومما يعترض به على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس ليس بأمره يأتمر وينهيه ينتهي واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبي فكيف يقتدي نبي بأمر كافر في هذا اشكال \* وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا ينأى رجلا ينادى رجلا اذا ذا القرنين قال أفرغتم من أسماء الانبياء فارتفعت الى أسماء الملائكة وروى المختار بن أبي عبيد ان عليا رضي الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط والله أعلم

ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر

قال في كتاب هرويشوش ان الاسكندر ملك الدنيا اثنى عشرة سنة فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذي ألقى صيده بين يدي أشباله فتقاتلت عليه تلك الأشبال بعده وذلك انهم اقتسموا البلاد فصارت مصر وأفريقية كلها وبلاد الغرب الى قائد وصاحب خيله الذي ولي مكانه وهو بطليموس بن لاوى ويقال بطليموس بن أرنبا المنطقي وذكر بقية ممالك القواد من أقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ثم قال فتأرت بينهم حروب وسبها رسالة كانت خرجت من عند الاسكندر بأن يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق



والعبودية فاستقل ذلك ملك بلاد الروم اذخاف أن يكون الغرباء والمنفيون اذا رجعوا الى بلادهم ومواطنهم يطلبون الثمة لانفسهم فكان هذا الامر سبب خروجهم عن طاعة سلطان المجدونيين \* وقال غيره وبطليموس هذا سي بني معد بعد ماغزا فلسطين ثم أطلقهم وحباهم بأنيّة جوهر وضعت في بيت المقدس وملك عشرين سنة وقال غيره ولي أربعين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنة وقيل ان اسمه فيلدلفوس وهو محب الاب وكان مجدونيا وهو الذي غنم اليهود ونقل كثيرا منهم الى مصر وفي زمانه كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا وأقبل برديقا أحد قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم ففرق سلطان مجدونية على قسمين ثم ان بطليموس جمع عساكر مصر وأفريقية ولاقي برديقا فمزقه وأصاب عسكره ثم قتله وأصاب ما كان معه وحارب عدة من قواد الاسكندر \* وقال غيره وكان بطليموس هذا حكما علما شابا مدبرا وهو أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضرهاها وكان من قبله من الملوك لايلعب بها ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطليموس الثاني واسمه فيلوزوفوس ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وهو الذي أطلق اليهود الذين كانوا مأسورين بأرض مصر ورد الاواني المقدسة على عزيز التي وهو الذي تخير السبعين مترجما من علماء اليهود الذين ترجوا كتب التوراة والانبياء من اللسان العبراني الى اللسان الرومي اليوناني واللاتيني وكان فيلسوفا منجما ومات فولي بعده ابنه بطليموس أوراحيطس المعروف بمحب الاب ستا وعشرين سنة ثم ولي بعده أخوه بطليموس فيلوبطور سبع عشرة سنة وهو الذي قتل من اليهود نحو من ستين ألفا وتغلب عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي \* ثم ملك بعده ابنه بطليموس أسفاميش محب الام أربعة وعشرين سنة \* ثم ولي بعده ابنه بطليموس فلو ناطره وهو الصانع خمسًا وثلاثين سنة وهو الذي غلب ملك الشام وحمل اليهود أنواع البلاء والعذاب \* ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابرياطيش وهو الاسكندراني تسعا وعشرين سنة وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترقت مدينة قرطاجنة بالنار وأقامت النار فيها سبعة عشر يوما فهدمت وحولت أساساتها حتى صار رخام أسوارها غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنائها وبيع جميع أهلها رقيقا الا قليلا من خيارهم وأشرفهم وكان المتولى لتخريبها قواد رومة \* ثم ولي بعده ابنه بطليموس شوطار الذي يقال له الحديد سبع عشرة سنة وكان قبيح السيرة تزوج بأخته ثم فارقتها على أقبح حال مما تزوجها عليه في خبر له ثم تزوج بربيته التي كانت بنت أخته ثم تزوجها من ابنه المولود له من أخته وكثرت فواحشه حتى نفاه أهل الاسكندرية فمات منفيا \* وولى أخوه بطليموس الاسكندر وهو الجوال عشر سنين \* ثم ولي بعده ابنه بطليموس ديوشيش ثمانيا وثلاثين سنة وفي زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس



وجعل اليهود يؤدون اليه الجزية \* وظهرت في ذلك الزمان علامات في السماء مهولة منها أنه ظهر في السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة مهابلي ناحية الجنوب نار ملتبهية عظيمة وكسر قوم خبزا في صنع لهم فانفجر من الخبز دم سائل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة أيام متوالية برد كان يوجد في داخله حجارة وشقاف وانفتحت الارض فصار فيها غور عظيم وخرج منه طب اشتعل حتى ظنوه ببلغ السماء ونظر أهل رومة يومئذ الى عمود من الارض الى السماء لونه لون الذهب وكان من عظمه تكاد الشمس أن تغيب منه \* ثم ولي الاسكندرية بعده كلو باطرة سنتين فدامت مملكة الاسكندرية وهي الدولة المجدونية الى أول ملوك قيصر الذي هو أول ملوك الرومانيين ماشين واحدى وثمانين سنة فبعث قيصر قائدين بساكر كثيرة لفتح مصر فتزوج أحدهما كلو باطرة ابنة ديوشيس الملقب بطليموس وقتل القائد الآخر وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت أمور آلت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلو باطرة وولديها وقتل القائد الذي تزوجها ويقال بل سمت نفسها عند مايقنت غلبة قيصرها ويقال انها كانت ذات حزم ومعرفة وتدير وانها حفرت خايج الاسكندرية وأجرت فيه المساء من مصر وبنت بالاسكندرية أبنية عجبية منها هيكل زحل وعملت فيه صنما من نحاس اسود وكان أهل مصر والاسكندرية يعملون له عيدا في اليوم الثاني والعشرين من هاتور ويحج اليه اليونانيون من سائر الاقطار ويذبحون له ذبايح لانحصى كثرة فلما ظهرت ملة النصارى في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى أن هدمها جيوش العز لدين الله عند قدومهم من المغرب الى أرض مصر في سنة ثمان وخمسين وثمانمائة من سنى الهجرة النبوية \* ويقال ان كلو باطرة هي التي بنت حائط المعجوز بمصر ويشبه أن يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة أخميم ومقياسا آخر بأنصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنة وليس بصحيح وبموت كلو باطرة انقطعت مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من أهل مدينة رومة ثم تحت يد ملوك الروم من أهل قسطنطينية فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من قبلهم من شاؤا فيصير الى الاسكندرية ويقوم بها الى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن والاسكندرية وجميع أرض مصر ويقال معنى كلو باطرة الباكية فكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة البطالسة من الاسكندرية وقدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستائة سنة وبضعا وسبعين سنة وفي خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القياصرة وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على أرض مصر والاسكندرية في أيام كسرى أبرويز بن هرمز فبعث قائدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم وأقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استبد هرقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال من سائر مملكته أخذ حما



ودمشق وصار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس فأمر ببنائها وسار منها الى أرض مصر  
 ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس وأقام بها بطريقا ثم عاد الى قسطنطينية فاستمرت  
 مصر بعده تحت اباة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل بناء بمصر من آجر فهو  
 للفرس وما فيها من بناء حجر فهو للروم والله أعلم

### ❦ ذكر منارة الاسكندرية ❦

قال المسعودي فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين  
 بمن عني باخبار بلدهم أن الاسكندر بن فيليبس المقدوني هو الذي بناها ومنهم من رأى  
 أن دلوكة الملكة بنتها وجعلها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن  
 العاشر من فراغة مصر هو الذي بناها ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومة هو الذي  
 بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وإنما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر  
 لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فظهرت به وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة  
 يستدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه  
 في بلده ويقزوه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وان الذي بناها جعلها على كرسى  
 من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في  
 في البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قد أشار بسبابته  
 من يده اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك واذا علت في الفلك فأصبه يشير بها نحوها  
 فاذا انخفضت صارت يده سفلا تدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا  
 صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك  
 التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا  
 منهم فيرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل أو النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف  
 ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب \* وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الملك  
 ابن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء فحماه مستأثما الى بعض الثغور  
 فورد بالآلة حسنة ومعه جماعة فحماه الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وأنه أراد قتله  
 لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وأنه استوحش ورجب في الاسلام فأسلم على يد  
 الوليد وتقرّب من قلبه وتصح اليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من  
 الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر  
 شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن  
 للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال ملوك الارض وذلك أن  
 الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها



ازجانت تحت الارض وقطر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجوهر وبني فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرآة في علوه والبدابة جلوس حوله فاذا نظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرآة صوتوا لمن قرب منهم ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فتحذر الناس وتندر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بميش واناس من ثقاه وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المرآة فضيح الناس من هذا وعلموا أنها مكيدة وحيلة في أمرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينم الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان قد أعده وواطأ على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وكانت حوالى منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر يقال ان ذلك من آلات أخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها أمه ورمت بها في تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لأن من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر ويقال ان هذه المنارة إنما جعلت المرآة في أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد في البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتأهوا فيها وفي طرق تؤول الى مها وتهوى الى السرطان الزجاج وفيه مخارق الى البحر فهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان على كرسى لها قدامها وفي المنارة مسجد في هذا الوقت يربط فيه مطوعة المصريين وغيرهم وفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة سقط رأس المنارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة مهتمة مضيبة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سرطان وكان في المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحمامها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذا البيوت طاقات تشرف على البحر وكان على الجانب الشرقي من المنارة كتابة عربت فاذا هي بنت هذه المنظرة قريبا بنت مريوس اليونانية لرصد الكواكب \* وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار مصر ايم بن بيبصر بن حام بن نوح وبنوا على البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة وانبصوا فوقها منارة عليها مرآة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التي حولهم فان كان



بما بهمهم أو من البحر عملوا لتلك المرأة عملاً فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته فلم نزل  
 على حالها إلى أن غلب عليها البحر فنسفها ويقال أن الاسكندر إنما عمل المنار الذي كان شبيها  
 بها وقد كان أيضاً عليه امرأة يري فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال بعض ملوك الروم  
 فوجه من أزاهلها وكانت من زجاج مدبر \* وقال المسعودي في كتاب التذية والاشراف وقد  
 كان وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما أمر المستمين بنفيه إلى بركة في سنة ثمان وأربعين  
 ومائتين صار إلى الاسكندرية من بلاد مصر فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت  
 المغيب فقدر أنه يلزمه أن لا يفطر إذا كان صائماً أو تقرب الشمس من جميع أقطار الأرض  
 فأمر انساناً أن يصعد إلى أعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط الشمس  
 فإذا سقطت رمي بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر إلى قرار الأرض بعد صلاة العشاء  
 الآخرة فجعل افطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد إذا صام في مثل ذلك الوقت وكان  
 عند رجوعه إلى سر من رأى لا يفطر إلا بعد العشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه وأن  
 الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجاري الشرق والغرب وقد ذكر  
 ارسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصيفي جبلاً شامخاً جداً وأن من  
 علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه إلى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح  
 ثلاث ساعات \* ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك  
 اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيليش الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في  
 البر والبحر فحلموا هذه المنارة مرقباً في أعاليها امرأة عظيمة من نوع الاحجار المشفة ليشهد  
 منها مرآكب البحر إذا أقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون  
 ذلك في تلك المرأة فيستعدون قبل ورودهم وطول المنارة في هذا الوقت على التقريب مائتان  
 وثلاثون ذراعاً وكان طولها قديماً نحواً من أربعمائة ذراعاً فهدمت على طول الأزمان وترادف  
 الزلازل والأمطار لأن بلد الاسكندرية تمطر وليس سيلها سبيل فسطاط مصر إذ كان الأغلب  
 عليها أن لا تمطر إلا اليسير وبنائها ثلاثة أشكال فقرب من النصف وأكثر من الثلث مربع  
 الشكل وبنائها بحجار بيض يكون نحواً من مائة ذراعاً وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد  
 ذلك مثنى الشكل مبني بالحجر والجص نحو من نيف وستين ذراعاً وحواليه فضاء يدور  
 فيه الانسان وأعلىها مدور \* وكان أحمد بن طولون رم شيئاً منها وجعل في أعلاه قبة من  
 الخشب ليصعد إليها من داخلها وهي مبسوطة موربة بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة  
 كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراعاً في عرض شبر ومقدارها على جهة  
 الأرض نحو من مائة ذراعاً وماء البحر قد بلغ أصلها وقد كان تهدم احد أركانها الغربية مما يلي  
 البحر فبناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا



الوقت نحو من ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبتيه وهي مبنية على  
فم ميناء الاسكندرية وليس بالميناء القديم لان القديم في المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب لبعده  
عن العمران والميناء هو الموضع الذي ترسى فيه مراكب البحر \* وأهل الاسكندرية يجربون  
عن أسلافهم أنهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحو ما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت  
فغلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة وأن ذلك في زيادة قال وتهدم في شهر رمضان سنة  
أربع وأربعين وثلاثمائة نحو من ثلاثين ذراعاً من أعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاط مصر وكثير  
من بلاد الشام والمغرب في ساعة واحدة على ماوردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط  
مصر وكانت عظيمة جدا مهولة فظيعة أقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت  
لثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو الخامس من كانون الآخر والتاسع من طوبة  
وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خميس العنيس يخرج سائر أهل الاسكندرية الى المنارة من  
مساكنهم بما كلهم ولا بد أن يكون فيها عدس يفتح باب المنار ويدخله الناس فمنهم من  
يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن  
ذلك اليوم يجترس على البحر من هجوم العدو \* وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار  
طول الليل فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد فاذا رأى أهل المنار ما يريهم أشعلوا النار  
من جهة المدينة فاذا رآها الحرس ضربوا الابواق والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس  
لحاربة العدو \* ويقال ان المنار كان بعيدا عن البحر فلما كان في أيام قسطنطين بن قسطنطين  
هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكنائس عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها  
بعد ذلك ويأخذ منها شيئاً بعد شيء \* وذكر بعضهم أنه قاسه فكان مائتي ذراع وثلاثة وثلاثين  
ذراعاً وهي ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة واحد وعشرون ذراعاً ونصف  
ذراعاً والطبقة الثانية ممتة وهي احدى وثمانون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثالثة مدورة  
وهي احدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراعاً \* وذكر ابن جبير في رحلته أن منار الاسكندرية  
يظهر على أزيد من سبعين ميلاً وانه ذرع أحد جوانبه الاربعة في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة  
فأناف على خمسين ذراعاً وان طول المنار أزيد من مائة وخمسين قامة وفي أعلاه مسجد يشرك  
الناس بالصلاة فيه \* وقال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بني منار الاسكندرية كلوبا طرة  
الملكة وهي التي سافت خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها انما كان يعدل من  
قرية يقال لها كسا قبالة الكريون فخفرته حتى أدخلته الاسكندرية وهي التي بلغت  
قاعه \* ولما استولى أحمد بن طولون على الاسكندرية بني في أعلى المنار قبة من خشب فأخذتها  
الرياح وفي أيام الظاهر بيبرس تداعي بعض ار كان المنار وسقط فأمر ببناء ما تهدم منه في سنة  
ثلاث وسبعين وستائة وبني مكان هذا القبة مسجداً وهدم في ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة



عند حدوث الزلزلة ثم بنى في شهور سنة ثلاث وسبعمائة على يد الامير ركن الدين  
بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا والله در الوجيه الدروي حيث يقول في منار  
الاسكندرية

وسامية الارعاء تهدي أبا السرى \* ضياء اذا ما خدس الليل أطلعا  
لبست بها بردا من الانس صافيا \* فكان بتذكار الاحبة معلما  
وقد ظلمتني من ذراها بقبة \* الأخط فيها من صحابي أنجما  
نفيل أن البحر تحتي غمامة \* وأنى قد خيمت في كبد السما  
وقال ابن قلاقس من أبيات

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا \* كأنما فيه للنسرين أوكار  
راسى القرارة سامي الفرع في يده \* للثون والنور أخبار وأخبار  
أطلقت فيه عنان النظم فاطردت \* خيل لها في بديع الشعر مضار  
وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبدربه

لله در منار اسكندرية كم \* بسمو اليه على بعد من الحدق  
من شامخ الانف في عمرينه شمم \* كأنه باهت في دارة الانق  
للمنشآت الجوارى عند رؤيته \* كم وقع النوم في أحضان ذى أرق

وقال عمر بن أبي عمر السكندري في فضائل مصر ذكر أهل العلم أن المنارة كانت في وسط  
الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه الأتري الابنية والاساسات في البحر  
الى الآن عيانا \* وقال عبد الله بن عمرو عجائب الدنيا أربعة امرأة كانت معاقبة بمنارة  
الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر  
وذكر الثلاثة

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره من العجائب

قال القضاة ومن عجائب مصر الاسكندرية وما بها من العجائب فمن عجائبها المنارة  
والسوارى والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بأكرة فلا تقع في  
حجر أحد الاملك مصر وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الاكرة في  
حجره فلك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون  
فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قري كتاب سمعوه جميعا أو لعب لون من  
الملعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلية \* وقال ابن عبد  
الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية  
خلا به عمرو بن العاص واستأذنه في السير الى مصر وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر



وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها أنه قدم الى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش فاذا هم بشماس من شامسة الروم من أهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض جباها يسبح وكان عمرو يرعى ابله وابل أصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فينا عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاها فسقاها عمرو من قرية له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فزعر لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد أنجاه الله منها فقال لعمرو ماهذه فأخبره عمرو أنه رماها فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا فقال له الشماس وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك قال رجائي أن أصيب ما أشتري به بعيرا فاني لا أملك الا بعيرين فأمل أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة فقال له الشماس أرايت دية أحدكم بينكم كم هي قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا أصحاب ابل انما نحن أصحاب دنابر قال تكون ألف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في هذه البلاد وانما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس وأسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وأنا اريد الرجوع الى بلادي فهل لك أن تبعني الى بلادي ولك على عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لان الله عز وجل أحياني بك مرتين فقال له عمرو أين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتغني لي بما تقول ولي عليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك والله على العهد والميثاق أن أفي لك وان أردك الى أصحابك فقال له عمرو كم يكون مكثي في ذلك قال شهرا تنطلق معي ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو وانظرنني حتى أشاور أصحابي في ذلك فانطلق عمرو الى أصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيمون على حتى أرجع اليكم واسكنكم على العهد أن أعطيتكم شطر ذلك على أن يصحبني رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبشوامعه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس حتى انتهوا الى مصر فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الاموال والخير ما أعجبه فقال عمرو للشماس ما رأيت مثل ذلك ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة أهلها فازداد عجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرفهم ولهم كرة من ذهب مكللة يتراعى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكرامهم وفيما اختبروا من تلك الكرة على ما



وصفها من مضى منهم أنها من وقعت السكرة في كمه واستقرت فيه لم يميت حتى يملكهم \* فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه نوب ديباج ألبيه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالسكره وهم يتلقونها بأكلامهم فرحى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت في كم عمرو فنجبوا من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه السكره قط الا هذه المرة أرى هذا الاعرابى يملكنا هذاما لا يكون أبدا وان ذلك الشماس مشى في أهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياء مرتين وانه قد ضمن له أثنى دينار وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرهما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فبذلك عرف عمر مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد واكثرها اموالا فلما رجع عمرو الى أصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو وكان أول مال اعتقدته وتأثته

( ذكر عمود السوارى )

هذا العمود حجر أحمر منقطع وهو من الصوان الماتع كان حوله نحو أربع مائة عمود كسرها قراجا والى الاسكندرية في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورامها بشاطي البحر ليوعر على المدوسلوكة اذا قدموا ويذكر أن هذا العمود من حجة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذى كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه خزانه كتب أحرقها عمرو بن العاص بشاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة أذرع وذكر بعضهم أن طوله بقاعدته اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على نشز طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع فحجمه ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلاثة أذرع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة أذرع ونصف \* قال المسعودى وفي الجانب الغربى من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر فاما العمود والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلها نقرها الاولون قبل حدوث التصراتية بمئين من السنين ومنها العمود التي بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت في جبل اسوان أحا هذا العمود وقد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه وإنما كانوا ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى \* وكان بالاسكندرية من العمود العظام وانواع الحجارة والرخام الذى لا تقل القطعة منه الا بألوف من الناس وقد علفت بين السماء والارض على فوق المائة ذراع وفوق رؤس أساطين دائرة الاسطوانة ما بين الخمسة عشر ذراعا الى العشرين ذراعا



والحجر فوقه عشرة أذرع في عشرة أذرع في سمك عشرة أذرع بغرائب الالوان \* وكان  
بالاسكندرية قصر عظيم لا نظيره في معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله  
خمسائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من أعظم بناء وأتقنه كل عصابة منه حجر  
واحد وعتبه حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع  
يتملها غلظها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها قاذف حجر وعليها رأس محكم  
الصناعة يدل على أنه كان فوق ذلك بناء وتمتها قاعدة حجر أحمر محكم الصناعة عرض كل  
ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة في عمود من حديد قد  
خرقت به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وربما وضع تحتها الحجارة فطحنها لشدة  
حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجائب الدنيا وقد زعم قوم أنها مما عمله الجن لسليمان  
ابن داود عليهما السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما يستعظمون عمله الى أنه من صنع الجن  
وليس كذلك بل كانت مما عمله القدماء من أهل مصر \* وكان في وسطه قبة ومن حولها  
أساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام أبيض كأحسن ما أنت راء من الصنائع \* ويقال  
ان بعض ملوك مصر دخل الاسكندرية فأعجبه هذا القصر وأراد أن يبني مثله فجمع الصناع  
والمهندسين ليقيموا له قصرا عظيما على هيئته فما منهم الا من اعترف بعجزه عن مثله الا شيئا  
منهم فانه التزم أن يصنع مثله فسر الملك ذلك وأذن له في طلب ما يحتاج اليه من المؤن والآلات  
والرجال فقال أتوني بثورين مطيقين وعجلة كبيرة فللحال أتني بذلك فضى الى المقابر  
القديمة وحفر منها قبراً أخرج منه ججمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فما  
جربها الثوران مع قوتها الا بعد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدي الملك قال أصلح الله  
سيدنا أن أتيتني بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس عملت لك مثل هذا القصر فتيقن الملك عند  
ذلك عجز أهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر \* وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس  
انسان عند قصاب يزن به اللحيم زنته ثمانية أرتال \* ويقال ان عمود السوارى الموجود  
الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتني بأحدها البتون بن مرة العادى وهو  
يحمله تحت ابطه من جبل بريم الاحمر قبلى اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان  
ضعيف القوى في قومه نشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاد وقال ليتني فديته بنصف ملكى  
وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان التمودى وكان قويا فحمله من اسوان تحت ابطه وجاء  
بقية رجالهم كل رجل بعمود فأقام العمود السبعة الجارود بن قطن المؤتسكى وكان بناؤها بعد  
أن اختاروا لها طالعا سعيدا كما هي عادتهم فى عامة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الصخور  
فى القديم من الدهر كانت تلين فعمل منها اعمدة ناعط ومارب وبينون ومائر الين وأعمدة  
دمشق ومصر ومدين وتدمر وأن كل شىء كان يتكلم قال أمية بن أبى الصلت



واذهب لابيوس لهم عراة \* واذا صخر السلام لهم رطاب  
وقال قوم عمود السواري من جملة أعمدة كانت تحمل رواقا يقال له بيت الحكمة وذلك  
حيث انتهت علوم أهل الغرب الى خمس فرق وهم أصحاب الرواق هذا وأصحاب الاسطوانة  
وكانوا ببلبك وأصحاب المظال وهم بانطاكية وأصحاب البرابي وكانوا بصعيد مصر والمشائون  
وكانوا بمقدونية وكأني بمن قل علمه ينكر على ايراد هذا الفصل ويراه من قبيل الخيال  
ومما وضعه القصاص ويحزم بكذبه فلا يوحشك حكايته له واسمع قول الله تعالى عن عاد  
قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلقاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أي طولا  
وعظم جسم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين  
ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه  
كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك  
مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال ان كان الرجل  
من قوم عاد ليحمل المصراعين لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان  
أحدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن طيبة عن يزيد بن عمرو  
المعافري عن ابن بجرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في خف  
رجل من العماليق وعن زيد بن أسلم بلغني أن الضبعة وأولادها ريين في حجاج عين رجل  
من العماليق وقال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في  
البلاد قال المنبرد وقولها يعني الخنساء رفيع العماد انما تريد الطول يقال رجل معمد يريد طويل  
ومنه قوله تعالى ارم ذات العماد أي الطوال وقال البغوي سموا ذات العماد لانهم كانوا  
أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم  
سموا ذات العماد لطول قاماتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد قال مقاتل كان  
طول أحدهم اثني عشر ذراعا وفي كشف الزمخشري لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم  
أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقبها  
على الحمي فيهلكهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقتدر بالله أبي الفضل جعفر  
ابن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبرا في عرض ثلاثة أشبار \* واعلم  
أن أعين بني آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم في محل صغير فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار  
عقولهم أو مبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم أصل يقسونه عليه الا ما يشاهدونه أو يألفونه  
عجلوا الى الارتباب فيه وسارعوا الى الشك في الخبر عنه الا من كان معه علم وفهم فانه يفحص  
عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أو رده وكيف يرد مثل هذه الاخبار وفي  
الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا في السماء



سم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وذكر محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي  
 القرناطي في كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبي في كتاب سير الملوك أن الضحاك بن علوان  
 لما هرب منه لام بن عامر الى ناحية الشمال أرسل في طلبه أميرين مع كل أمير طائفة من  
 الجيارين خرج أحدهما قاصدا الى بلغار والآخر الى باشقرد فأقام أولئك الجبارون في أرض  
 بلغار وفي باشقرد قال الاقليشي وقد رأيت صورهم في باشقرد ورأيت قبورهم بها فكان مما  
 رأيته نية أحدهم طولها أربعة أشبار وعرضها شبران وقد كان عندي في باشقرد نصف أصل  
 الثانية أخرجت لي من فكه الاسفل فكان عرضها شبرا ووزنها ألف مثقال ومائتا مثقال  
 أنا وزنتها بيدي وهي الآن في داري في باشقرد وكان دورفك ذلك العادي سبعة عشر  
 ذراعا وفي بيت بعض أصحابي في باشقرد عضد أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا وأضلاعه  
 كل ضلع عرضة ثلاثة أشبار وأكثر كاللوح الرخام وأخرج الى نصف رسع يد أحدهم  
 فكانت لا أقدر أن أرفعه بيد واحدة حتى أرفعه بيدي جميعا قال ولقد رأيت في بلد بلغار  
 ستة ثلاثين وخمسة من نسل العاديين رجلا طوالا كان طوله أكثر من سبعة أذرع وكان  
 يسمي دتقي وكان يأخذ الفرس تحت أبطه كما يأخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع  
 القتال بتلك الناحية يقاتل بشجرة من شجر البلوط يمسكها كالعصا في يده لو ضرب بها الفيل  
 قتله وكان خيرا متواضعا كلما التقاني سلم على ورحب بي وأكرمني وكان رأسي لا يصل الى حقوقه  
 وكان له أخت على طوله رأيها في بلغار سمرارا عدة قال لي القاضي يعقوب بن النعمان يعني قاضي  
 بلغار ان هذه المرأة الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى أهل بلغار  
 ضمنتها الى صدرها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته قال ولم يكن في بلغار حمام تسعم الاحمام  
 واحدة واسعة الابواب انتهى \* وقد حدثني الحافظ أبو عبدالله محمد بن احمد بن محمد الفريابي  
 عن أبيه أنه شاهد قبرا احتفر بمدينة قرطاجنة من أفريقية فاذا جنة رجل قدر عظم رأسه  
 كشورين عظيمين ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحر ورفه مقطعة مانصه  
 أنا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد ملكت بهذه الارض ألف مدينة وبنيت بها على  
 ألف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يبق  
 عني ذلك شيا وجاءني صالح فصاح بي صيحة أخرجتني من الدنيا فن كان عاقلا ممن جاء  
 بعدي فليعتبر بي وأنشد

ياواتفا يرعي السهي \* برسم ربيع قد وهي

قف واستمع ثم اعتبر \* ان كنت من أهل النهي

بالامس كنا فوقها \* واليوم صرنا تحتها

لكل حد غاية \* لكل أمر منتهى



قال فأمر السلطان أبو بكر بن يحيى الحفصي صاحب تونس بطمه فطم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا أدركت شيئا من ذلك وهو أنه ترفع في بعض الايام طائفة من الحجارين الى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد اختلفوا على مال وجدوه بجبل المقطم وهو أنهم كانوا يقطعون الحجارة من مغار فيما يلي قلعة الجبل من بحريها فانكشف لهم حجر أسود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في وجود مال فاتهمي بهم القطع الى عمود عظيم قائم في قلب الجبل فلعلجتمه أقبولوا بما وطم عليه حتى تكسر قطعاً فاذا هو مجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهة رأسه دنائير كثيرة فاقتسموها وتنافسوا في قسمتها واختلفوا حتى اشتهر أمرهم وترافعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود وقد تكسر فأخذ منهم ما وجد بأيديهم من الدناير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فاقبلوا الى المغار وعبثوا برمة الميت فأخبرني من شاهد سنا من أسنان هذا الميت أنها سوداء بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة أذرع فيجيء هذا من حساب طوله عشرين ذراعا وأزيد ودماغ سن واحدة من أسنانه في قدر البازنجانة ما هو الا كالقبة الكبيرة وأخبرني السيد الشريف قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين أحمد بن علي بن ابراهيم الحسيني المعروف بابن عدنان وبابن أبي الجن أنه وقف في سنة أربع عشرة وثمانمائة بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما تمها القبر ولم يبق الا أن يدلى فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى كادت تظلمهم فنزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد وأخبرني أيضا انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو في قدر البطيخة وانه وزن بحضرتة فباع رطلين وتسع أواق بالرطل الشامي وان القطعة التي انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامي فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحو اثني عشر رطلا بالمصري والله تعالى أعلم

### ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

قال أبو عمرو السكندی أجمع الناس أنه ليس في الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سأل رجلا من علماء الروم عنها وعن عدد أهلها فقال والله أيها الأمير ما أدرك علم هذا أحد من الملوك والذي أخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم أمر باحصائهم فكانوا ستمائة الف قال فما هذا الخراب الذي في أطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا . صر أنه أمر بفرض دينار على كل محتمل لعمران الاسكندرية فأناه كبراء أهلها وعلماءهم وقالوا أيها الملك لاتعب فان



الاسكندرية أقام الاسكندر على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها خراب منذ ثلثمائة سنة ولقد أقام أهلها سبعين سنة لا يمشون فيها نهارا الا بحرق سود في أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها \* ومن فضائلها ما قاله بعض المفسرين من أهل العلم أنها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال احمد بن صالح قال لي سفيان بن عيينة يا مصرى أين تسكن قلت أسكن الفسطاط فقال أتأتي الاسكندرية قلت نعم قال تلك كنانة الله يجعل فيها خيار سهامه \* وقال عبد الله بن مرزوق الصدي لما نعي لي ابن عمي خالد بن يزيد وكان قد توفي بالاسكندرية لقيتني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن سعد متفرقين كلهم يقول أليس مات بالاسكندرية فأقول نعم فيقولون هو حي عند الله برزق ويجرى عليه أجر رباطه ما قامت الدنيا وله أجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون في الاهوية والبلدان وترتب الاقاليم والامصار أنه لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمربوط من كورة الاسكندرية ووادي فرغانة وقال الحسن بن صفوان وأما الاسكندرية وتينس وأمثالهما فقر بهما من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم وظهور ريح الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم وليس يعرض لهم ما يعرض لاهل البشمون من غائط الطبع والحارية وقد وصف أهل الاسكندرية بالبخل قال جلال الدين بن مكرم بن أبي الحسن بن احمد الخزر جي ملك الحفاظ

نزيل سكندرية ليس يقرى \* بغير الماء أوعت السواري  
ويحف حين يكرم بالهواء السملاتن والاشارة للمنار  
وذكر البحر والامواج فيه \* ووصف مراكب الروم الكبار  
فلا يطعم نزيلهم بخبز \* فافيه لذلك الحرف قاري

وقال احمد بن جرداديه من الفسطاط الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم الى مربوط ثلاثون ميلا ثم الى كوم شريك ثلاثون ميلا ثم الى كربول أربعة وعشرون ميلا ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا وقال آخر وطريق الاسكندرية اذا انضب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياع وذلك اذا أخذت من شطوف الى سبك العبيد فهو منزل فيه منية لطيفة وبينهما اثنا عشر سقسا ومن سبك الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمامات وأسواق وبها قوم فيهم يسار ووجوه من الناس وبينهما ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة صرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقسا ومن محلة صرد الى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع وأقليم جليل له عامل بعسكر او جند وبه السكتان الكثير وزيت الفجل وقمح عظيمة ستة عشر سقسا ومن سخا الى شبركميه وهي مدينة كبيرة بها جامع وأسواق ستة عشر سقسا ومن شبركميه الى مسير



وهي مدينة بها جامع وأسواق ستة عشر سقسا ومن مسير الى سنهور وهي مدينة ذات  
 أقليم كبير وبها حمامات وأسواق وعمل كبير ستة عشر سقسا ومن سنهور الى النخوم  
 وهي أقليم وبها حمامات وفنادق وأسواق ستة عشر سقسا ومن النخوم الى نستر ووكانت  
 مدينة عظيمة حسنة على بحيرة اليشمون عشرون سقسا ومن نسترو الى البرلس وهي مدينة  
 كثيرة الصيد في البحيرة وبها حمامات عشر سقسا ومن البرلس الى أخنا وهي حصن على  
 شط بحر الملح عشر سقسا ومن أخنا الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل  
 في البحر من فوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا وكان بها أسواق صالحة  
 وحمام وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية \* وهذا الطريق الآخذ من شطونوف  
 الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل والسيب المنسوجة بالاسكندرية لانظيرها وتحمل  
 الى أقطار الارض وفي ثياب الاسكندرية ما يباع السكتان منه اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب  
 كل زنة درهم بدرهم فضة وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة

### ذكر فتح الاسكندرية

قال أبو عمرو السكندري لما حاز المسمون الحصن بما فيه أجمع عمرو على المسير الى  
 الاسكندرية فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار في جادى الآخرة  
 منها \* وذكر سيف بن عمر أن عمرو بن العاص بعث الى الاسكندرية وهو على عين  
 شمس عوف بن مالك فزل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم أن تنزلوا فلکم الامان فقالوا  
 نعم فراسلهم وتربصوا أهل عين شمس وسار المسمون من بين ذلك \* وقال ابن عبد الحكم  
 ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر  
 وألح عليهم بخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك  
 خذنا يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص  
 على أن يسير من أراد من الروم المسير ويقر من أراد من الروم على أمر قد سباه فبلغ ذلك  
 هرقل ملك الروم فسخط أشد السخط وأنكر أشد الانكار وبعث الجيوش فأغلقوا أبواب  
 الاسكندرية وآذنوا عمرا بالحرب فخرج اليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ما هن قال  
 لتبذل للروم ما بذلت لي فاني قد نصحت لهم فاستغشوني ولا تنقض القبط فان التقض لم يأت  
 من قبلهم وأن تأمر بي اذا مت فادفني في بطن فقال عمرو هذه أهونهن علينا قال فخرج  
 عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم  
 الطرق وأقاموا لهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم  
 وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فيها جمع  
 عظيم من الروم بالعدة والسلاح فخرج اليهم عمرو من القسطنطينية متوجها الى الاسكندرية فلم



ير منهم أحدا حتى بلغ مربوط فلقى فيها طائفة من الروم فقاتلهم قتالا خفيفا فهزمهم الله  
ومضى عمرو بمن معه حتى اتى جمع الروم بكوم شريك فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم فتح الله على  
المسلمين وولي الروم أكتافهم \* ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمي في آثارهم  
فأدركهم عند الكوم الذي يقال له كوم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو بمربوط  
فالجأوه الى الكوم فاعتصم به وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك بن سمي أمر  
بأنا عمة مالك بن ناعمة الصديقي وهو صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له أشقر صدف وكان  
لا يجارى سرعة فأنحط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره فأقبل  
عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرفت ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم هزمهم  
الله تعالى ثم التقوا بالكربون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة  
وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصاب عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة فقال  
يا وردان لو تهقرت قليلا نصيب الروح فقال وردان الروح تريد الروح امامك وليس خلفك  
فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال

أقول لها اذا جشأت وجاشت \* رويدك تحمدى أو تستريحى

وهذا البيت لعمرو بن الاطنابة وهو أن رجلا من بني النجار كان مجاورا للمعاذ بن النعمان  
فقتل فقال معاذ لأقتل به الا عمرو بن الاطنابة وهو يومئذ أشرف الخرج فقال عمرو

الأ من مبلغ الا كفاء عني \* وقد تهدى النصيحة للنصيح  
بأنسكم وما تزجون شطرى \* من القول المرغى والصرح  
سيقدم بمضكم عجلا عليه \* وما أثر اللسان الى الجروح  
أبت لي عفتي وأبى بلائى \* وأخذى الحمد بالتمن الربيع  
وأعطانى على المكروه مالي \* واقدمي على البطل المشيح  
وقولي كلما جشأت وجاشت \* مكانك تحمدى أو تستريحى  
لادفع عن مآثر صالحات \* وأحمى بعد عن عرض صحيح  
بذى شطب كلون المالح صاف \* ونفس لم تقر على القبيح

الشطب سعف النخل الاخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن أو فزع  
وجاشت دارت للغيان وقيل هما بمعنى ارتفع والمشيح البارد المنكش \* فرجع الرسول الى  
عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو وهو ابني حقا وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله  
للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها  
الروم وكان عليها حصون متينة لا ترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ومعهم رؤساء القبط  
يعدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة فأقاموا شهرين ثم تحول فخرجت عليه خيل



من ناحية البحيرة مستترة بالحصن فواقعه وقتل يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا ورسلك  
ملك الروم مختلف الى الاسكندرية في المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت  
العرب على الاسكندرية ففي ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس اعظم من كنائس  
الاسكندرية وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبونا  
على الاسكندرية هلكت الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازه ومصالحته لخروجه الى الاسكندرية  
حتى يباشر قتالها بنفسه فلما فرغ من جهازه صرعه الله عز وجل فأمانه وكفى المسلمين مؤنته  
وكان موته في سنة تسع عشرة فمكر الله بموته شوكة الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه\*  
وقال الليث مات هرقل في سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستأسدت العرب  
عند ذلك وألحت بالقتال على أهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم  
من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة واحترقوا رأسه ومضوا  
به فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لاندفنه الا برأسه فقال عمرو يتغضبون كأنكم يتغضبون  
على من يبالي بغضبكم احملا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه يرمونكم  
برأس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحترقوا  
رأسه ورموا به الروم فرمت الروم برأس المهري اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم\*  
وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من مصر أما مهرة فتقوم يقتلون ولا يقتلون وأما عاقق فتقوم  
يتلون ولا يقتلون وأما بلي فأكثرها رجلا صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا وقال رجل  
لعمرو لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم حائطهم فقال عمرو تستطيع أن يفتني مقامك من  
الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رايطة يريدون امرأته فقال اذا اتخذوا  
أرباطا كثيرة\* ولما استجر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومي  
وألقاه عن فرسه وهوى اليه ليقبله حتى حماه رجل من أصحابه وكان مسلمة لا يقاوم ولكنها  
مقادير ففرحت بذلك الروم وشق على المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة  
كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما بال الرجل الستة الذي يشبه النساء يتعرض  
مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجع ثم اشتد القتال حتى اقتحموا  
حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا  
من الحصن الأربعة نفر تفرقوا في الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص  
والآخر مسلمة ولم تحفظ الآخرين وحالوا بينهم وبين أصحابهم ولا يدري الروم من هم  
فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا الى ديماس من حاماتهم فدخلوا فيه  
فاحترقوا به فأمر روميا أن يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا أسارى  
فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان في ايدي أصحابكم منا رجلا أسروهم  
(٣٤٤ - خططل)



ونحن نعطيتكم اليهود نفاذي بكم أصحابنا ولا تقتلكم فأبوا عليه فلما رأى ذلك الرومي منهم قال  
 لهم هل لكم الى خصلة وهي نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكنتمونا من  
 أنفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلتنا سيديكم الى أصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه  
 وعمرو ومسلمة وصاحبها في الحصن في الديماس فتداعوا الى البراز فبرز رجل من الروم  
 وقد وثقت الروم بنجده وشده وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فتعنه  
 مسلمة وقال ما هذا تخطي مرتين تشد من أصحابك وأنت أمير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة  
 نحوك لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء على  
 أصحابك مكانك وأنا أكفيك ان شاء الله تعالى فقال عمرو دونك فرما فرجها الله بك فبرز  
 مسلمة للرومي فتجاولا ساعة ثم أعانه الله عليه فقتله ففكر مسلمة وأصحابه ووفي لهم الروم بما  
 عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدري الروم أن أمير القوم فهم حتى  
 بلغهم بمسد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيظا على ما فاتهم فلما خرجوا استحييا  
 عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لي ما كنت قلت لك  
 فاستغفر له وقال عمرو ما أخشيت قط الامثال مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما  
 منن مرة الا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ووالله  
 اني لارجو أن لأعود الى الرابعة ما بقيت قال وأقام عمرو محاصر الاسكندرية أشهرها فلما بلغ  
 ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما أبطؤا بالفتح الا لما أحدثوا وكتب الى عمرو بن العاص أما  
 بعد فقد عجيت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما أحدثتم وأحبيتم  
 من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما لا يصدق نياتهم وقد سكنت  
 وجهت اليك أربعة نفر وأعلمت أن الرجل منهم مقاوم ألف رجل على ما كنت أعرف  
 الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فاذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال  
 عدوهم ورجبهم في الصبر والنية وقدم أولئك الاربعة في صدور الناس ومر الناس جميعاً أن  
 يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد ولكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة  
 تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم فلما أتى عمرو  
 ابن العاص رضى الله عنه الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضي الله عنه ثم دعا  
 أولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا الى الله  
 تعالى ويسألوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم \* ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة  
 فقال أشر على في قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر الى رجل له معرفة وتجارب  
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال  
 ويكفيك فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعاه عمرو فأثام وهو راكب على



فرسه فلما دنا منه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناولني سنان رحلك  
فناوله اياه فترزع عمرو وعمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصادف  
الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد  
موت هرقل تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى  
وعشرين وقال أبو عمرو السكندى وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة  
وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين \* قال القاضي  
عن الليث أقام عمرو بالاسكندرية في حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى الفسطاط  
فأخذها داراً في ذى القعدة \* وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تعالى الروم وفتح الاسكندرية  
هرب الروم في البر والبحر تخلف عمرو بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى ومن  
معه في طلب من هرب من الروم في البر فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى  
الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرا ففكر راجعا  
ففتحها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير  
عقد ولا عهد فكتب اليه عمر رضي الله عنه يقبح رأيه ويأمره أن لا يجاوزها قال ابن هبة  
وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها هذا أن رجلا يقال له ابن بسامة كان بوابا  
فسأل عمرا أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابهم عمرو الى ذلك  
ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية  
ما كان الى أن فتحت اثنتان وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وأقدا  
الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معي فقال له عمرو وما أصنع  
بالكتاب ألت رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت \* فلما قدم على عمر أخبره  
بفتح الاسكندرية نفر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن خديج بعثني عمرو بن  
العاص الى عمر رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهر فأتحت راحتي بباب  
المسجد ثم دخلت المسجد فينا أنا قاعد فيه اذ خرجت جازية من منزل عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه فرأتني شاحبا على ثياب السفر فأتتني وقالت من أنت فقلت أنا معاوية بن  
خديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عنى ثم أقبلت تشد أسمع حفيف أزارها على ساقيها  
حتى دنت منى ثم قالت قم فأجبت أمير المؤمنين يدعوك فتبعتها فلما دخلت فاذا بعمر يتناول  
رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالاخرى فقال ما عندك فقلت خير يا أمير المؤمنين فتح الله  
الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال لله وذن اذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس  
ثم قال لي قم فأخبر أصحابك فقامت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا  
بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت فقال كل فأكلت حياء ثم



قال كل فان المسافر يجب الطعام فلو كنت آكل لا كلت معك فاه بت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأنت تتمر في طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين قائل قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لأن نمت النهار لاضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية \* ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنني أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وعن أبي قبيل أن عمر لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف يهال يبيعون البقل الاخضر وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو وفي الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى \* وكان بالاسكندرية فيها أحصى من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف رجل فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب السكار تحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقى من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمها فكان أكثر الناس يريدون قسمها فقال عمر ولا أقدر على قسمها حتى أكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرها يكون خراجها فياً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين على كل رجل لايزاد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدّون الخراج والجزية على قدر ما يرى من ولهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة \* وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الحليس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة \* وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرا سبى أهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا فتفرقوا وبلغ أولهم المدينة حين تقصوا ثم كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بردهم فرد من وجد منهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في أيديكم خيروه بين الاسلام فان أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه نخلوا بينه وبين قريته فكان البلهبي خير يومئذ فاختر الاسلام \* وفي رواية ان أهل سلطيس وصا وبلهيب ظاهر الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم



المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا فيء مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن تجمل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين وتضرب عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يعملون فيئا ولا عبيدا ففعل ذلك \* ويقال انما ردهم عمر رضي الله عنه لعمد كان تقدم لهم وقال ابن هبيرة جبي عمرو جزية الاسكندرية ستمائة ألف دينار لانه وجد ثلثمائة ألف من أهل الذمة فقدر عليهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار ويقال ان عمرو بن العاص استبق أهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل النوبة

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاض الروم

قال ابن عبد الحكم فلما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت أخاخذ من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذي فيه مسجد عمرو بن العاص فقال معاوية بن خديج نزل فنزل عمرو والقصر ونزل أبوذر منزلا كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو بمابلي البحر وقد تهدم ونزل معاوية بن خديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال ان أبا الدرداء كان معه والله أعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو ابن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربعاً في السواحل والنصف مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شانية ستة أشهر وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخاخذ \* وعن يزيد بن أبي حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابتدروا فكان الرجل منهم يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزوا قال عمرو اني اخاف أن تخربوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركز منكم رحمة في دار فهمي له ولبنني بنيه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رحمة في منزل منها ثم يأتي الآخر فيركز رحمة في بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقيلتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنها الروم وعلمهم مرمتها وكان يزيد بن أبي حبيب يقول لا يحل من كرائها شيء ولا بيعها ولا يورث منها شيء انما كانت لهم يسكنوها في رباطهم \* وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها منزوعاً منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فساءل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جري النيل فكتب عمرو الى عمرو اني



لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم شتاء ولا صيفا فتحول عمرو بن العاص الى القسطنطينية وقال وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء حتى ما أردت أن أركب اليكم راحتي حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد بن أبي وقاص من مدائن كسرى الى السكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى القسطنطينية وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولاة لا يغفلها ويكنف مرابطها ولا يأمن الروم عليها \* وكتب عثمان رضي الله عنه الى عبد الله ابن سعد بن أبي سرح قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين فالزم الاسكندرية مرابطها ثم أجز عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر قال وكانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منوئل الخصى في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث وقد كان عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فلما نزلت الروم سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها خلف عمرو بن العاص لئن أطفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتي من كل مكان نخرج اليهم عمرو في البر والبحر فضموا الى المقوقس من أطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمرو ناهضهم قبل أن يكثروا مددهم فلا آمن أن تنقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن أدهمهم حتى يسيروا الي فاتهم يصيبون من مروابه فيخزي الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون مامروا به فلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نفوس فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم القبط فرموا بالنشاب في الماء رميا شديدا حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو في لته وهو في البر فقهر فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر ففجحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئا وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها وانهمز شريك بن سمي في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفها صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل من زييد يقال له حومل يكنى أبا مذحج فاقنتلا طويلا برحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة فجعل عمرو يصيح أيا مذحج فيجيبه ليك



والناس على شاطئ النيل في البر على تعيبتهم وصفوفهم فنجاولا ساعة بالسيف ثم حمل عليه  
البطريق فاحتمله وكان نحيفا فاخترط حومل خنجرا كان في منطقتة أو في ذراعه فضرب  
به نحر العليج أو تر قوته فأبته ووقع عليه فاخذ سلبه ثم مات حومل بمد ذلك بأيام رحمه  
الله فرؤى عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطن ثم شد المسلمون عليهم  
فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل  
الخصى وقتلهم عمرو حتى أمعن في مدينتهم فكلهم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في  
ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا وهو المسجد الذي بالاسكندرية الذي يقال  
له مسجد الرحمة سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك وهدم سورها كله وجمع ما أصاب  
منهم فجاءه أهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صاحبنا وقد مر علينا هؤلاء  
للصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يدك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع  
عرفوه وأقاموا عليه البينة وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا كان لنا أن نقاتل عنا  
لانا في ذمتك ولم نقض فأما من نقض فأبسه الله فندم عمرو وقال يا ليتني كنت لقيتهم  
حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية هذا أن ظلما صاحب اخنا  
قدم على عمرو فقال أخبرنا ما علي أحدنا من الجزية فيصير لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن  
كنيسة لو اعطيني من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أتم خزانه لانا كثير علينا كثيرا  
غايكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا وخرج الى الروم فقدم بهم فجزهم  
الله تعالى وأسر فأتي به الى عمرو فقال له الناس اقبله فقال لا بل انطلق فنجثنا بجيش آخر  
وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان فرضى بداء الجزية فقبل له لو أتيت ملك الروم فقال  
لو أتيت لقتلني وقال قتلت أصحابي وعن أبي قبيل أن عتبة بن أبي سفيان عقد لعلقمة القطيفي  
على الاسكندرية وبعث معه اثني عشر ألفا فكتب لعلقمة الى معاوية بن أبي سفيان يشكو  
عتبة حين غرر به وبمن معه فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل  
الشام وبخمسة آلاف من أهل المدينة فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون الفا وفي رواية  
أن لعلقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثني عشر الفا فكتب الى معاوية انك خلقتني  
بالاسكندرية وليس معي الا اثنا عشر الفا ما يكاد بعضنا يرى بعضنا من القلة فكتب اليه معاوية  
اني قد أمددتك بعبدالله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السلمي  
أن يكون بالرملة في اربعة آلاف مسكين بأعنة خيولهم متى بلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال  
ابن لهيعة وقد كان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعه تمدل الخلافة \* وكان عمرو حين  
توجه الى الاسكندرية خرب القرية التي تعرف اليوم بحربة وردان \* واختلف علينا  
السبب الذي خربت له فحدثنا سعيد بن عفير أن عمرا لما توجه الى نفوس لقتال الروم



عدل وردان لقضاء حاجته عند الصبح فاحتفظه اهل الخربة فغيوه فنقده عمرو وسأل عنه  
وقفا ارد فوجدوه في بعض دورهم فأمر باخراها واخراجهم منها وقيل كان اهل  
الخربة رهبانا كلهم فعدروا يقوم من ساقه عمرو وقتلوه بعد ان بلغ عمرو الكريون فأقام  
عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم وخرها فهي خراب الى اليوم وقيل كان اهل الخربة اهل  
تويت وخبث فارسل عمرو الى أرضهم فأخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها فكلهم  
فلم يجيبوه الى شيء فأمر باخراجهم ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قعد عليه ثم  
دعاهم فكلهم فأجابوه الى ما أبت ثم أمر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شيء فقل  
ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك قال هذه بلدة لا يصلح أن توطأ فأمر باخراها فلما هزم  
الله الروم أراد عثمان رضى الله عنه أن يكون عمرو بن العاص على الحرب وعبد الله بن سعد  
على الخراج فقال عمرو انا اذا كسك البقرة بقرئها واخر يحملها فأبى عمرو وكان فتح عمرو  
هذا عنوة قسرا في خلافة عثمان سنة خمس وعشرين وبينه وبين الفتح الاول أربع سنين وقال  
الليث كان فتح الاسكندرية الاول سنة اثنين وعشرين وكان فتحها الآخر سنة خمس  
وعشرين وأقامت الجيش (٣) من السماء يقاتلون الناس سبع سنين بعد أن فتحت مصر مما  
يفتحون عليهم من تلك المياه والقياض قال ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ذا  
الصوارى في سنة أربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله بن سعد لما  
نزل ذو الصواري أنزل نصف الناس مع بسر بن ارطاة في البر فلما مضوا أتى آت الى  
عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافله  
الساعة وكانت مراكب المسلمين مائتي مركب ونيفا فقام عبد الله ابن سعد بين ظهراني  
الناس فقال بلغني ان ابن هرقل قد أقبل اليكم في ألف مركب فأشيروا على فأكبه  
رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع اليهم أفدتهم ثم قام الثانية فكلهم فأكبه  
أحد فجلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شيء فأشيروا على فقام رجل من أهل المدينة  
كان منطوعا مع عبد الله بن سعد فقال أيها الامير ان الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة  
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما في كل  
مركب نصف شحنته لانه قد خرج النصف الآخر الى البر مع بسر فلقوهم فاقتلوا بالنبل  
والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاث اصبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار فقال  
ما فعلوا قالوا قد اقبلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد  
نقد النبل

(٣) قوله وأقامت الخ هكذا في الاصول التي بيدي وانظر مامعني هذه العبارة فانها لا تخلو عن  
سقط أو تحريف فاحش وكذا قوله قبلها باسطر أهل تويت وخبث فانه بعد المراجعة لم يفهم  
له معني ولعله محرف عن برنة وجبت ومعناها الحداقة بالامر والسحر وحرر اه



والثياب فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها بعض يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد القطيني وكان مع عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسيسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يفترون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى أبيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله على فيها رأى فان تركها أفضل فكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحتها وقيل مشيت الروم الى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس وثلاثين فقالوا أنت ترك الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى فقال ما أصنع بكم ما تقدرون أن تمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على أنا نموت فتبايعوا على ذلك فخرج في ألف مركب يريد الاسكندرية فسار في أيام غالبية الرياح فبعث الله عليهم ريحا ففرقتهم القسطنطين فانه نجا بمركبه فألقته الريح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا شئت النصرانية وأقنيت رجالها لو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فضعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ماكمكم قالوا كأنه غرق معهم ثم قتلوه وخلصوا من كان معه في المركب قال أبو عمرو السكندى وأما سميت غزوة ذي الصواري الكثرة صواري المراكب واجتماعها

### ذكر بحيرة الاسكندرية

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم فكثير الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لاحاجة لي في الخمر أعطوني دنائير فقالوا ليس عندنا فأرسلت اليهم الماء ففرقتها فصارت بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بني العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم صارت بحيرة طولها اقلع يوم في عرض يوم ويصير اليها الماء من اشتوم في البحر الرومي ويخرج منها الى بحيرة دونها في خليج عليه مدينتان احدهما الحدية والاخرى انكو وهي كثيرة المقاني والنخل وكلها في الرمل ويصب في هذه البحيرة خليج من التيل يسمى الحافر طولها نصف يوم اقلعا وهو كثير الطير والسمك والعشب وكان السمك بوجود هذه البحيرة في الاسكندرية غاية في الكثرة يباع بأقل القيم وأجنس الاثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ ( ٣٥ - خطط ل )



## ذكر خليج الاسكندرية

يقال ان كلو باطرة الملكة هي التي سافت خليج الاسكندرية حتى ادخلته اليها ولم يكن يلبثها الماء فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرخام من اوله الى آخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال أبو الحسن الخزومي في كتاب المنهاج أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بودرة ليس على شئ منها سد بومنخرج محلة بتوك أسينة اورين محلة فرنو محلة حسن منية طراد وتعرف بالقاعة محلنا نصر ومسروق فأما ترعة لقانة فانها تفتح بعد سبعة أيام من توت والترعة الجديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بودره تفتح بعد سبعة أيام من توت وترعة بويحي وترعة بو السحما وترعة القهوية ليس على شئ من ذلك سد وترعة الشرك تفتح بعد سبعة أيام من توت وترعة بوخراشة وترعة البرييط يشرب منها ديسو وسمخراط وشيرنوبه ومنية حمادوسنادة وبعض محلة مارية وترعة فيشة بلخا تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة أن تفتح في الثوروز ترعة بويط ومقطع سمديسة يفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع ياطس يفتح في تاسع عشر توت ولما سد المقطع المذكور عملت بعد ذلك ترعة تروى الصفقة القبليّة منها فتفتح في يوم الثوروز ولما استحدثت ترعة افلافة وخرجت في أرض ياطس جرت العادة اذا رويت الصفقة القبليّة من افلافة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من ياطس الى أن يروى وترعة القارورة محدثة وترعة بغوها تفتح في ثاني عشر توت وترعة افلافة تفتح في عاشر توت وترعة اسكنيدة تفتح في سادس توت \* تراع بحر دمنهور تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت ويروي منها بعض طاموس وبعض كنيسة القيط وبعض قيرطسا ودمنهور \* ترعة القواديس منها تشرب شبرا النغلة وكوم التلول وتراع شبرا النخلة تفتح على أعاليها من أول توت وترعة بسطري تفتح في خامس عشر مسرى وترعة مسيد تفتح في ثامن توت وترعة سنوية تفتح في ثامن عشر توت وبحر دمشوية يفتح في العشرين من مسرى ومنه تشرب منية رزقون وسفط كراسة ودمشوية ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشوية تفتح في تاسع توت ويقوم الماء عليها سبعة عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل ويقوم الماء عليها ثلاثين يوما ويسد بعد ذلك على دمشوية سبعة أيام وعلى سفط ومنية رزقون ترعة برسبق كانت تفتح في أول توت \* محلة برسبق ليس عليها سد \* محلة السكروم تفتح في ثامن توت ومنها تشرب عدة أما كن وهي محلة السكروم وكفورها وهي دنيسة وكوم الولايد وكوم الصخرة وديرامس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهي تلمسا والجامعون من حقوق محلة كيل ومنها تشرب الجهة الغربية \* شبرا بارليس عليها سد وترعة قافلة كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الآن سد وترعة بلقطر وكفورها كانت تفتح في



تاسع توت وليس عليها الآن سد \* ترعة الراهب ليس عليها سد وترعة دسونس المقاريضي تسقى الحلفاية وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة مرحنا والمعلقة وترعة نيلامة وبيشاي وآخر ترع الحجيجة وترعة السكريون تفتح في ثامن توت وترعة السلقون كانت تفتح في سادس توت وليس عليها الآن سد وترعة أرمياخ تفتح في ثاني عشر توت وترعة أبوق تفتح في سادس توت وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان يضرب السد فيه على ترع رمسيس من أول النيل الى سابع عشر توت والذي يشرب من السد المذكور من النواحي والسكفور رمسيس ومحلة جعفر وفليشان وبعض أبنية البعيدى وبعض خربنا وبعض البلكوس وبعض بولين وبعض محلة وافد والبيضاء وبعض طيلاس ثم يفتح سد دكدولة وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة أيام وتشرب منه دكدولة ومحلة معن ومنية أسامي وبعض صيفية ثم يقطع سد الفطامى وهو محدث ومنه يشرب بعض جنوبية وبلدانة البحرية والسرة وأبو حمار والبهوط ثم يقطع سد رسونس وأبو دينار وترعة طبرينة فيشرب منه دنسال وطموس يقيم الماء عليها ستة أيام ومنه تشرب منية عطية وسلطيس \* وأما بحر دمنهور فانه يسد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطيس وزهرا وبعض طابوس وبعض قرطسا وبعض كنيسة الغيط ودمنهور ثم يقطع سد نديبة وهو محدث فيقيم ثمانية أيام ومنه تشرب نديبة وقرس والمعيرية والنسرين ثم يفتح ويسد على محلة خفض ومحلة كيل ومحلة نير ثم يقطع سد سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة أيام بعد اختلاط الماءين بحر دمنهور ورمسيس ثم يقطع جسر ملولة ومنه تشرب تروجة وأرسيس والمراسى وغابة الاعراس وبعض سمرو ومحلة نير ويبقى هناك الى انقضاء النيل \* وأما ترعة طبرينة فهي محدثة واذا رويت طبرينة تطلق على دسونس أم دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار ربهما ثم تطلق في النيل العالى على أرض قراقس ويطلق الماء على قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطبرينة اذا خرج الماء منه يسقى منه في أول النيل الى أن يضرب جسر شبرا وسيم فيسقى منه شبرا وسيم وبعض البلكوس وحفيرة الزعفرانى وبعض بولين ومسجد غانم والصواف وكوم شريك ومنية مغنين وتل الفطامى ومحلة وافد ثم يقطع جسر دليجة ومنه يشرب بعض خربنا وبعض فليشان وبعض بولين والبيضاء ودنست وتلدانة الابراج وتل بقاوالحدين واليهودية والدسوم وأبو صهادة والحصن وقلاوة بني عبيد وطوخ دخاية ودرشا رسقرا ودليجة ولحة وطية ثم يقطع على منية وزراقة الحجر والحزون وبعض حيارس وافريم وأبو سمار وأم الضروع \* خليج ابن زلوم ويعرف بخليج ابن ظلوم وسد مخرج التعيدي لايفتح الى عشرة أيام من توت ومنه يشرب شابور وكنيسة مبارك وبعض سرسيقة وبعض دموشة ومنية يزيد وحموض الماصلي وحصة سلمون وبعض سنيت وبعض التعيدي وبعض فليشان ثم يفتح فيشرب منه أمليط وبعض أنباى وبعض



كنيسة عبد الملك وبعض أرمنية وميسنا وبعض محلة عبيد وسفط خالد وبرنامه وشبرا نوبة  
وكبان شراس وبعض دمشوه وتقام الحراس على جسر سفط ويشرب من خليج الاسكندرية  
وما يفيض منه أهل الباطن وأهل البحيرة في شحاج وأودية فيكون ذلك الماء صلة وهم قبيل  
من دنانة والرحمانية وبني بزاق وقبائل البربر ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج وبين  
مشارك الفرما من ناحية جوجير وفاقوس وبين آخر ما يشرب من خليج الاسكندرية مسيرة  
شهر كان عامرا كله في محلول ومعقود الى ما بعد الخمسين وثلاثمائة من سني الهجرة وقد خرب  
معظم ذلك \* وقال أبو بكر الطرطوسي عن حدثه من مشايخ البحر انه قال شهدت  
الاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والسماك فيه يطفو الماء به كثرة حتى تصيده  
الاطفال بالحرق ثم حجره الوالي ومنع الناس من صيده فذهب حتى كاد لا يرى فيه الا  
الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا \* وقال أبو عمرو الكندي في كتاب الموالي عن  
الحارث بن مسكين انه تقلد قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الواثق بالله في سنة تسع وثلاثين  
وماثين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد الكتاب بصرفه في شهر ربيع  
الآخر سنة خمس وأربعين وماثين \* وقال جامع السيرة الطولونية وفي ربيع الاول سنة  
تسع وخمسين وماثين أمر أحمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية \* وقال المسعودي وقد  
كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وقد كان الاسكندر  
بني الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم ماء النيل فكان يسقي الاسكندرية  
وبلاط مروط وكانت بلاد مروط في نهاية العمارة والجان المتصلة بأرض برقة وكانت السفن  
تجري في النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بلط أرض خليجها في المدينة بالاحجار  
والمرمر وانقطع الماء عنها العوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار شربهم من  
الآبار وصار النيل على يوم منهم \* وذكر المسيحي أن الحاكم بأمر الله أبا منصور بن العزيز  
أطلق لحفر خليج الاسكندرية في سنة أربع وأربعمائة خمسة عشر ألف دينار لحفر كله وفي  
سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس الأمير عليا أمير جاندار لحفر خليج الاسكندرية  
وقد امتلأت فوهته بالطين وقل الماء في الاسكندرية فابتدأ بالحفر من التعيدي وأنشأ هناك  
مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم تماشيف ناظر الدواوين ثم بعث السلطان في سنة  
أربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الأمير علم الدين سنجر المسروري ثم سار بعامة  
الامراء والاجناد وبأشر الحفر بنفسه وعمل فيه الامراء وجميع الناس الى أن زالت الرمال  
التي كانت على الساحل بين التعيدي وفم الخليج ثم عدى الى باربار وغرق مراكب  
هناك وبني عليها بالحجارة فلما تم الغرض عاد الى قاعة الجبل ثم تعطل استمرار جريان الماء  
فيه بطول السنة وصار يحفر سريعا بعد شهرين أو نحوها من دخول الماء اليه واحتاج أهل



الاسكندرية في طول السنة الى الشرب من الصهاريج التي يخزن فيها الماء الى أن كانت سنة  
 عشر وسبعمائة فقدم الامير بدر الدين بكتوت الخزنداري المعروف بأمر شكار متولي  
 الاسكندرية الى قلعة الجبل وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حفره وذكر له  
 ما في ذلك من المنافع اولها حمل الغلال وأصناف المتجر الى الاسكندرية في المراكب وفي  
 ذلك توفير للكلف وزيادة في مال الديوان وثانيها عمارة ماعلى حافتي الخليج من الاراضى  
 بانشاء الضياع والسواقي فينمو الخراج بهذا نموا كثيرا وثالثها انتفاع الناس به في عمارة  
 بساتينهم وشرب مائه دائما فأعجب السلطان ذلك ونذب الامير بدر الدين محمد بن كندعدى  
 ابن الوزير مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع أمراء الدولة باخراج مباشرهم لاحضار  
 رجال النواحي الجارية في اقطاعهم للعمل للحفير وكتب لولاء الاعمال بالوقوف في العمل  
 فاجتمع من النواحي نحو الاربعين ألف رجل جمعت في نحو العشرين يوما ووقع العمل في  
 شهر رجب من السنة المذكورة وأفرد لكل أهل ناحية قطعة بحفر ونها حتى كمل فجاء قياس  
 الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شبار ثمانية آلاف قصبة حاكمية ومن شبار الى الاسكندرية  
 مثلها وكان الخليج الاصلي يدخل الماء اليه من حد شبار فجعل فم هذا البحر يرمى عليه  
 وعمل عمقه ست قصبات في عرض ثمانى قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفر أيضا  
 على نظير الخليج المستجد فصارا بحرا واحدا وركبت عليه السدود والقناطر ووجد في  
 الخليج الاول عند حفره من الرصاص المبنى تحت الصهاريج شيء كثير جدا فلم يتعرض  
 السلطان لشيء منه وأنعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذى  
 تجاوز البحر منه غلب عليه الماء فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من أسفله ثم كثر  
 الماء فركبت السواقي حتى زححته الآن عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه  
 طول السنة واستغنى أهل الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبي  
 الخليج فلم يمتض غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على مائة ألف فدان زرعت بعد ما كانت  
 سباخا وما يذيف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنيلة والسهم وفوق الاربعين ضبيعة  
 وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة وبحول عالم عظيم الى سكى  
 ما استجد عليه \* وفيه وما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل جسر من ماله  
 فان الناس كانوا في وقت هيجان البحر يجردون مشقة عظيمة لقلبة الماء على اراضى السباخ  
 فأقام ثلاثة أشهر حتى بنى رصيفا ذلك أساسه بالحجر والرصاص وأعلاه بالحجر والسكس  
 وعمل فيه ثلاثين قطرة وأنشأ خاناً ينزله الناس ورتب فيه الخفراء ووقف على مصالحه  
 رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين ألف دينار مصرية سوى ما أخذ من الحجارة التي بعضها  
 من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجدته من الرصاص في سرب بأسفل هذا



القصر ينتهي بمن يمشى فيه الى قريب البحر وسوى ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة الى مابعد سنة سبعين وسبعائة فاقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل اليه الا في أيام زيادة ماء النيل فقط ثم يجف عند نقصه فتلف من أجل هذا أكثر بساتين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التي كانت على هذا الخليج \* وسبب انقطاع الماء عنه غلبة الروم على الاشتوم الذي كان يعبر منه ماء بحر الملح الى بحيرة الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقية الرياح في الخليج فانطم فيه وعلا قاعه وقصد من أدركناه من ملوك مصر حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهياً ذلك الى أن كانت سلطنة الملك الأشرف برسباي قدب لحفره الامير جرباش السكريمي المعروف بعاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمانمائة وخمسة وسبعين رجلاً ابتدؤا في حفره من حادى عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثمانمائة الى حادى عشر شعبان لتمام تسعين يوماً فانتهى عملهم ومشي المساء في الخليج حتى انتهى الى حده من مدينة الاسكندرية وحجرت فيه السفن فسرّ الناس به سروراً كبيراً وحبى ما أنفق على العمال في الحفر من أرباب النواحي التي على الخليج ومن أرباب البساتين بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت به عادة الولاة في مثل ذلك ولله الحمد وعندما انتهى قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل فظلم السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم يستمر ذلك الا قليلاً حتى انطم بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا في أيام النيل فقط

### ذكر حمل حوادث الاسكندرية

وفي سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي أمير مصر وبين عبد العزيز ابن الوزير الجروي الناظر بتنبس فقد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هيرة بن هاشم بن خديج فاستخاف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذي يقال له عمر بن ملاك ثم عزله المطلب بعد ثلاثة أشهر بأخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا من غزاهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ماجرى لاهل قرطبة بوقعة الرض مع الحكم بن هشام في سنة اثنتين وثمانين ومائة فأخرج جماعة منهم فوصلوا الى نهر الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف وكان سبب ثورتهم أن قضايا من الاسكندرية رمى وجه رجل منهم بكرش فأنفقوا من ذلك وصاروا الى ماصاروا اليه وذلك لما نزلوا زمل الاسكندرية لابتاعوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامراء لا يبيحهم دخول الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبأيونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروي يأمره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء له بها فبعث عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه في اخراج



الفضل عنها فساروا معه وأخرج الفضل ودعا للجروي فوثب أهل الاسكندرية على الاندلسيين وأخرجوهم وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفر وانهمز الباوقن الى مراكبهم فعزل المطلب أخاه وولي عليها اسحاق بن أبرهة بن الصباح في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عز له بابي ذكر بن جنادة المعافري فلما اقتتل السري بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السري على مصر وثب عمر بن ملاك على أبي ذكر وأخرجه من الاسكندرية ودعا للجروي وأقبل الاندلسيون اليه فأفسدوا فأمرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك عليهم وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف وبمعارضون السلطان في أموره فترأس عليهم رجل منهم يقال له أبو عبد الرحمن الصوفي فساروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لحم أعز من في ناحية الاسكندرية فحوصم أبو عبد الرحمن الصوفي الى عمر بن ملاك في امرأة فقضى على أبي عبد الرحمن فوجد في نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فألف بينهم وبين لحم ورجا أهل الاندلس أن يدركوا ثارا من عمر ابن ملاك فساروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة آلاف فحصروه في قصره وخشى أن القصر لا يمنعهم وخاف أن يدخلوا عليه عنوة فيفضح في حرمة فاعتسل وتحنط وتكفن وأمر أهله أن يدلوه اليهم فدلوا فأخذته السيوف فقتل ثم ولي أخوه محمد بن عبد الله الذي يلقب جيوس فقتل ثم ولي عليهم عبد الله البطال ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن ابن معاوية بن خديج فقتل ثم ولي عليهم أخوه أبو هيرة الحارث فقتل ثم ولي عليهم خديج ابن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذى القعدة ثم فسد ما بين لحم والاندلسيين عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزمت لحم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية في ذى الحجة فولوها أبا عبد الرحمن الصوفي فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع بمثله فعزله الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكثاني ثم حاربت بنو مدج الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفروهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدج على الرجوع الى أرض الاسكندرية حتى طلب السري من الاندلسيين أن يردوهم فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا وكان أبو قبيل يقول أنا على الاسكندرية من أربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين تأتي في آخر الصيف أخوف مني عليها من الروم فيقال له ماهذه الأربعون مركبا في هذا الخلق لو كانت نيرانا تضطرم فيقول اسكت ويملك منها ويمن فيها يكون خراب الاسكندرية وما حولها وبلغ عبد العزيز الجروي قتل ابن ملاك فسار في خمسين ألفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى أجهد من فيها فبلغه أن السري بن الحكم بعث الى تينس بعنا فكر راجعا في المحرم سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون ناسرى ثم لما خلع أهل مصر المأمون ودعوا لابراهيم بن المهدي وقام الجروي بذلك سار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له



له بها ثم سار عنها الى القسطنطينية فحارب السرى وقتل ابنه ثم انصرف فسار الاندلسيون  
 يعامل الجروى وأخرجوه من الاسكندرية وخالعوا الجروى ودعوا للسرى فسار اليهم  
 الجروى فى شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسخا وأمدتهم بنو مدلج وهم  
 فى نحو من مائتي ألف فهزمهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السرى  
 وبين أهل الصعيد حروب ثم ان الجروى سار الى الاسكندرية سيره الرابع وحاصرها ونصب  
 عليها المجانيق سبعة أشهر من أول شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس فأصاب  
 الجروى فلقة من حجر منجنيقه فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه على  
 فلم تزل الفتن بالاندلسيين فى الاسكندرية متصلة الى أن قدم عبد الله بن طاهر الى مصر من  
 قبل أمير المؤمنين المأمون وأخرج عبيد الله بن السرى من مصر وسار الى الاسكندرية  
 فى قواد العجم من أهل خراسان مستهل صفر سنة اثنى عشرة ومائتين فحاصرها بضع  
 عشرة ليلة حتى خرج اليه أهلها بأمان وصالحه الاندلسيون على أن يسيرهم من الاسكندرية  
 حيث أحبوا على أن لا يخرجوا فى مراكبهم أحدا من أهل مصر ولا عبدا ولا أبقا فان  
 فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يقش عليهم  
 مراكبهم فوجدوا فيها جمعا من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم فأمر باحراق مراكبهم  
 فسألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقریطش وملكوها وكان الأمير معهم  
 أبو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى أن غزاها الروم  
 سنة خمس وأربعين وثمانمائة وملكها بعد حصار طويل وولي على الاسكندرية الياس بن أسد  
 ابن سامان ورجع الى القسطنطينية فى جمادى الآخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض أسفل  
 الارض فى جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور  
 الرافقى أمير مصر وبعث عبد الله بن يزيد بن يزيد الشيبانى الى الغربية فانهزم الى الاسكندرية  
 واستجاشت عليه بنو مدلج وحصلوه فى شوال فسار الافشين وأوقع بمن فى طريقه حتى  
 قدم الاسكندرية فى جنوده فلقبته طائفة من بنى مدلج فهزمهم مرتين وأسر منهم وقتل  
 ودخل الاسكندرية لعشر بقين من ذى الحجة ففر منه رؤساؤها وكان عليها معاوية بن عبد  
 الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فأصلح أمرها ثم خرج الى أهل  
 البشرود فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون الى مصر فصار الى البشرود والافشين قد أوقع  
 بالقبط بها كما تقدم ذكره \* ولما ولي ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب أفريقيا فى سنة  
 احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير فى الطرق وهى آمنة  
 وبنى الحصون والمخارس على ساحل البحر حتى كانت توفد النار من مدينة سبتة الى  
 الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية فى ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر \* وفى



سنة اثنتين وثلاثمائة دخل حباسة في جيوش أفريقية الى الاسكندرية في المحرم و٥٠٠ مائة  
ألف أو زيادة عليها وقدمت الجيوش من المشرق مدد التكين أمير مصر وسار حباسة من  
الاسكندرية ونودي بالذفير في الفسطاط امشر بقين من جمادى الآخرة فلم يخاف عن الخروج  
الى الجزيرة أحد من الخاصة والعامّة الا من عجز عن الحركة لمرض أو عذر وأنهم حباسة  
فاقوه وهزموه ثم دار عليهم فقتل من أهل مصر نحواً من عشرة آلاف ونهض حباسة الى  
أفريقية وأقاموا بمصر مضطربين فأقبل مونس الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة  
نصر في تكين في ذي القعدة وولي ذكاء الاعور في صفر سنة ثلاث وثمانمائة نخرج في جيوشه  
الى الاسكندرية وتبع كل من يوماً اليه بكتابة صاحب أفريقية فسجن منهم وقتل كثيراً  
وجلا أهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية في شوال سنة أربع وثمانمائة خوفاً من صاحب  
برقة \* وفي سنة سبع وثمانمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله من أفريقية مع ابنه أبي  
القاسم الى لوبية فهرب أهل الاسكندرية وجلوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكاء الاعور في  
جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون من صفر وفر أهل القوة من الفسطاط  
الى الشام نخرج ذكاء أمير مصر الى الجزيرة وعسكر بها ثم مرض ومات على مصافه بالجزيرة  
في ربيع الأول فولى تكين بعده ولايته الثانية من قبل المقتدر ونزل الجزيرة وأقيمت مراكب  
صاحب أفريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم نمل الخادم صاحب مراكب  
طرسوس فالتقى برشيد في شوال فاقتلا فبعث الله ريحاً على مراكب سليمان ألقها الى البر  
فتكسر أكثرها وأخذ من فيها أخذاً باليد وقتل أكثرهم وأسروا من بقي وسيقوا الى الفسطاط  
فقتل منهم نحو سبعمائة رجل وسار أبو القاسم بن المهدي من الاسكندرية الى الفيوم وملك  
جزيرة الاشمونين والفيوم وأزال عنها جنود مصر ففضى نمل الخادم في مراكبه الى  
الاسكندرية فقاتل من بها من أهل أفريقية فظفر بهم ونقل أهل الاسكندرية الى رشيد  
وعاد الى الفسطاط ومضى في مراكبه الى اللاهون ولحقته العساكر فدخلوا الى الفيوم في  
صفر سنة سبع وثمانمائة نخرج أبو القاسم بن المهدي الى برقة ولم يكن بينهما قتال ورجعت  
العساكر الى الفسطاط وما زالت الاسكندرية وأعمالها في اضطراب الى أن قدمت جيوش  
العزيز لدين الله مع القائد جوهر في سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فملكها وما برحت الى أن قام  
بها نزار بن المستنصر وكان من أمره ما قد ذكر عند ذكر خزانة القصر \* وفي سنة ثمان  
عشرة وستمائة اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج وقدمت بطسة الى المينا فيها  
من ملوك الفرنج ملكان فموا أن يثوروا ويقتلوا أهل البلد ويملكوها فتوجه الملك العادل  
أبو بكر بن أيوب اليها وقبض على التجار المذكورين وعلى من بالبطسة واستصفي أموالهم  
وسجنهم وسجن المالكين وجرت خطوب حتى أطلق السلطان نساءهم وعاد الى القاهرة \*



وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك على بليس حصنا من  
لبن \* وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير شاور وأسد الدين  
شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم طائفة الى الاسكندرية ثم كانت لشيركوه على شاور  
فانهزم منه الى القاهرة ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه أهل النغر وفيهم نجم  
الدين محمد بن مصال والى النغر وقاضيه الاشرف بن الحجاب وناظره القاضي الرشيد بن  
الزبير وسروا بقدومه وساموه المدينة ثم سار منها يريد بلاد الصعيد واستخاف ابن أخيه  
صلاح الدين يوسف بن أيوب على النغر في ألف فارس فنزل عليه شاور ومعه مري ملك  
الفرنج فقام معه أهل النغر واستعدوا لقتال شاور فكان ما أخرجوه أربعة وعشرين ألف  
فارس فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخمس اذا سلموه صلاح  
الدين فأبوا ذلك وألحوا في قتاله فحصرهم حتى قل الطعام عندهم فتوجه اليهم شيركوه وقد  
حشد من العزبان جموعا كثيرة فبعث اليه شاور وبذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع  
الى الشام فأجاب به شاور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافق بل سيره الى عمه شيركوه من البحر  
على عكا بمن معه الى دمشق ودخل شاور الى الاسكندرية في سابع عشر شوال فاستتر ابن  
مصال وفر الى الشام وقبض على ابن الحجاب وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل ولم يقدر  
على ابن الزبير وخرج الى رشيد هذا وقد امتنع الفقيه أبو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة  
بالتنار فوقف عليهم شاور فقال له ابن عوف اعذرنا يا أمير الجيوش وسامحننا بما فماتناه ففقا  
عنهم وولى القاضي الاشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجح ناظراً على الاموال  
وخرج معه مري ملك الفرنج الى القاهرة ثم توجه مري الى بلاده \* وفي سنة احدى وسبعين  
وسمائة ورد الخبز بحركة الفرنج الى نفور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بامر الشواني ونصب  
على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق \* وفي يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع  
وعشرين خرج بعض تجار الفرنج الى ظاهر باب البحر حيث تجتمع العامة للفرجة وتعرض  
الي صبي أمر در اوده عن نفسه فأنكر ذلك بعض من هناك من المسلمين وقال هذا ما يحل  
فأخذ الفرنجي خفا كان بيده وضربه على وجهه فصاح بالناس فأتوه فقام الفرنج مع صاحبهم  
واتسع الخرق الى أن ركب متولى النغر وأغلق أبواب المدينة وطلب من أثار الفتنة ففروا  
وعاد الى داره وترك الابواب مغلقة وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عادتهم في  
جوانحهم فحبل بينهم وبين بيوتهم وجاء الليل وهم قيام على الابواب يضجون ويصيحون فمضى  
أعيان البلد الى المتولى وما زالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادرين وهم يزدحون فمات منهم  
زيادة على عشرة أنفس وتلفت أعضاء جماعة وذهب من عمائم الناس ومناديهم وغير ذلك شئ



كثير وعظم البكاء والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالى لسكشاف أحوال الناس فتكاثروا عليه ورجوه فانهزم منهم الى داره فقبوه وقتلوه فقاتلهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهما دماء كثيرة وأحرقوا بابيه ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستنجد والى دمنهور ومن حوله من العربان فأتوه واحتاطوا بالمدينة وسرح الطائر الى السلطان بمخروج أهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتد غضبه وخشى من اطلاقهم الامراء المسجونين وبعث الى القضاة لجمعهم واستفتاهم في قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج اليهم الوزير مغايطي الجمالى وطوغان شاد الداوون وأيدمر أمير جندار وعدة من الممالك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة باراقة دماء أهمل الفساد ومصادرة جماعة وأخذ أموال أهل البلد والقبض على الاسلحة المعدة بها للغزاة وامسك القاضي والشهود وحل الامراء المسجونين الى القاهرة فساروا في عاشرة وقدموا الثغر بعد ثلاثة أيام ونزل الوزير بالخير وفرض على الناس خمسمائة ألف دينار مصرية وأحضر قاضي القضاة عماد الدين ونائبه في الحديد وأنكر عليهما كونهما شهرا النداء في البلد بالغزاة في سبيل الله فأنكرا وقوع هذا منهما وأنهما لم يكن في قدرتهما رد السواد الاعظم فضرب نائبه ابن الشيبى ضربا مبرحا وألزمه بحمل ستمائة ألف درهم وألزم القاضي بخمسمائة ألف درهم وكان قد رسم بشنقه فتلطف في مكاتبه السلطان واعتذر عنه وراه حتى عفا عنه وتبع العامة فوسط منهم ثلاثين رجلا في يوم الجمعة ثالث عشره فتسارع الناس الى دورهم من الخوف فذهبت عدة عمائم واشتد الخوف مدة عشرين يوما وكتب السلطان تتوالى بالايقاع بأهل الثغر وأخذ أموالهم والوزير يحسن في الجواب الى أن جهز الامراء المسجونين وسار من الثغر وقد استمرض ما به من السلاح فوجد ستة آلاف عدة كاملة جعلها جميعها في قاعة وختم عليها وبلغت الحياية من الناس ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار فكانت هذه من المحن العظيمة والحوادث الشنيعة والله الامر من قبل ومن بعد

### ذكر مدينة أريب

هذه المدينة بناها أريب بن قبليم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وكان أريب قد انتقل الى حيزه بعد موت أبيه قبليم وهي المدينة التي كان أبوه بناها له وكان طولها اثني عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل في شارعها الاعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض منها قبة في وسط المدينة وقبتان في طرفها وجعل على كل قبة مرقبا كبيرا وفي كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنزهات تشرق وشق في غربها نهرا وعقد عليه قناطر وجعل من فوقها مجالس متصلة وحوطها المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض مزروعة من خلفها الجنان والبساتين وعلى كل باب من



الابواب أعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام تمنع من يؤذى وجعل في داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدها أحد من أهل الخير قهقهه الشيطان الذي عن يمينه الباب وإن كان من أهل الشر بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب وجعل في كل منته منها من الوحش الآلف والطيور المفردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة صوراً تصفر اذا هبت الرياح ونصب مرآة تري البلاد البعيدة وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناماً بارزة في صور مختلفة وفي وسطها بركة اذا مر بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ وجعل لها حصناً بائني عشر باباً على كل باب تماثيل يعمل أعجوبة وعمل حولها جناحاً وجعل بالقرب منها في ناحية الشرق مجلساً منقوشاً على ثمانى أساطين وفوقه قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر في كل يوم ثلاث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس وأقام فيها أصناماً ومعجائب كثيرة وبني مدناً كثيرة وأقام فيها رجلاً يقال له برسان يعمل السكيمات وضرب منها دنانير في كل دينار سبعة مناقيل عليها صورته وعاش أربع مائة وثلاثين سنة وبلغ من العمر خمسمائة سنة وعمل له نائوس في جبل بالشرق حفر له تحته سرب بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرير من ذهب مرصع وحملت اليه ذخائره وجعلوا على بابه صورة تين لا يدنو منه أحد الا أهلكه وسواوا عليه الرمال وزبروا عليه اسمه وتاريخ وقته \* وقال ابن الكندي أربع كور بمصر ليس على وجه الارض أفضل منها ولا تحت السماء لهن نظير \* كورة الفيوم \* وكورة أريب \* وكورة سمند \* وكورة انصنا \* وكورة أريب من جملة كور أسفل الارض وهي مائة وثمانين قرى وكان يقال مدائن السحرة من ديار مصر سبع وهي أرمنت \* وبيبا \* وبوصير \* وانصنا \* وصان \* وأريب \* وصا

### ❦ ذكر مدينة تيس ❦

تيس بكسر التاء المنقوطة بائنتين من فوقها وكسر التون المشددة وياه آخر الحروف وسين مهملة بلدة من بلاد مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج سميت بتيس بن حام ابن نوح ويقال بناها قديمون من ولد أريب بن قبطم أحد ملوك القبط في القديم \* قال ابن وصيف شاه وملك بعد أريب ابنته فدبرت الملك وساسته بأيد وقوة خمساً وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعدها ابن أختها قديمون الملك فرد الوزراء الى مراتبهم وأقام السكهان على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رأيهم وجد في العمارات وطلب الحكم \* وفي أيامه بنيت تيس الاولى التي غرقها البحر وكان بينه وبينها شئ كثير وحولها الزرع والشجر والسكروم وقرى ومعاصر للخمر وعمارة لم يكن أحسن منها فأمر الملك أن يبني له في وسطها مجالس وينصب له عليها قباب وتزين بأحسن الزينة والنقوش وأمر بفرشها



واصلاحها وكان اذا بدا النيل يجرى انتقل الملك اليها ناظما اليها الى الثوروز ورجع وكان  
 للملك بها أمناء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور  
 بقناطر وكان كل ملك يأتي بأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له منترها \* ويقال ان الجنتين  
 اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا  
 لاحدهما جنتين من أعناب وحفناهما بنخل الآيات كانتا لآخوين من بيت الملك أقطمهما  
 ذلك الموضع فأحسنا عمارته وهندسته وبنائه وكان الملك يتنزه فيهما ويؤتي منهما بفرائب  
 الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيه فعجب بذلك المسكان أحد  
 الآخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله في وجوه البر وكان الآخر ممسكا يسخر  
 من أخيه اذا فرق ماله وكما باع من قسمه شيئا اشتراه منه حتى بقي لا يملك شيئا وصارت  
 تلك الجنة لآخيه واحتاج الى سؤاله فآثره وطرده وغيره بالتبذير وقال قد كنت أنصحك  
 بصيانة مالك فلم تفعل ونفعي امساكي فصرت أكثر منك مالا وولدا وولي عنه مسرورا  
 بماله وجنته فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعها فأقبل صاحبها يولول  
 ويدعو بالثبور ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا قال الله جل جلاله ولم تكن له فئسة  
 ينصرونه من دون الله \* وفي زمان قليمون الملك بنيت دمياط وملك قليمون تسعين سنة  
 وعمل لنفسه ناوسا في الجبل الشرقي وحول اليه الاموال والجواهر وسائر الذخائر وجعل من داخله  
 تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف من دخل قطعته وجعل عن يمينه ويساره أسدين من نحاس  
 مذهب بلوالب من أتاه حطماه وزر عليه هذا قبر قليمون بن أريب بن قبطيم بن مصر عمر  
 دهما واتاه الموت فما استطاع له دفعا فن وصل اليه فلا يسابه ماعياه وليأخذ من بين يديه \*  
 ويقال أن تيس أخ لدمياط وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب وغيره تيس كانت  
 أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جنانا ونحلا وكرما وشجرا ومزارع  
 وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الارض ولا  
 أحسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وكان  
 الماء منحدرًا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جنانهم اذا شأوا وكذلك زروعهم  
 وسائرهم يصب الى البحر من جميع خلجانهم ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين  
 البحر وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلك  
 الى قبرس تسلكه الدواب ويسا ولم يكن بين العريش وجزيرة قبرس في البحر سير طويل حتى  
 علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وقبرس فلما مضت لدقلطيانوس من ملوك مائتان  
 واحدي وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تيس  
 فأغرقه وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها فما كان من القرى التي في قرارها غرق



وأما الذي كان منها على ارتفاع من الأرض فبقى منه تونة وبورا وغير ذلك مما هو باق إلى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم إلى تنيس فنبشوهم واحدا بعد واحد وكان استحكام غرق هذه الأرض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان ملك من الملوك التي كانت دارها الفرما مع أركون من أراكنة البلدينا وما اتصل بها من الأرض حروب عممت فيها خنادق وخلجان ففتح من النيل إلى البحر يتمتع بها كل واحد من الآخرو كان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الأرض \* وقال في كتاب أخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وقال ابن بطالان تنيس بلد صغير على جزيرة في وسط البحر ميله إلى الجنوب عن وسط الأقليم الرابع خمس درج وأرضه سبخة وهواؤه مختلف وشرب أهله من مياه مخزونة في صهاريج تملأ في كل سنة عند غدوية مياه البحر بدخول ماء النيل إليها وجميع حاجاتها مجلوبة إليها في المراكب وأكثر أغذية أهلها السمك والحلين وألبان البقر فإن ضمان الجبن السلطاني سبعمائه دينار حسابا عن كل ألف قالب دينار ونصف وضمان السمك عشرة آلاف دينار وأخلاق أهلها سهلة منقادة وطبائعهم مائلة إلى الرطوبة والاثونة قال أبو السمرى الطيب أنه كان يولد بها في كل سنة مائتا مئحت وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة وأكثرهم بيتون سكارى وهم قليلو الرياضة لضيق البلد وابدانهم ممتلئة الاخلاط وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسي أقام بأهلها ثلاثين سنة \* وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له ابو ثور من العرب المنتصرة فلما فتحت دمياط سار إليها المسلمون فبرز إليهم نحو عشرين ألفا من العرب المنتصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت إلى وقوع أبي ثور في أيدي المسلمين وانهمزام أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا وقسموا الغنائم وساروا إلى الفرما فلم تزل تنيس بيد المسلمين إلى أن كانت امرأة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك في شهر رمضان سنة إحدى ومائة فنزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن مسلمة المرادي أميرها في جمع من الموالى وفيهم يقول الشاعر

الم تر بع فيخبرك الرجال \* بما لاقى بتنيس الموالى

وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للاوائل وكان أهلها مياسير أصحاب ثراء وأكثرهم حاكة وبها يحال ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيسه بالذهب بصناعة محكمة لا تخوج إلى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو سادج بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط وكان النيل إذا أطلق يشرب منه من بمشارق الفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج



تيس فكانت من أجل مدن مصر وان كانت شطا وديفو ودميرة وتونة وما قاربها من  
 تلك الجزائر يعمل بها الربيع فليس ذلك يقارب التيسى والدمياطى وكان الحمل منها الى  
 ما بعد سنة ستين وثلاثمائة يباع من عشرين ألف دينار الى ثلاثين الف دينار لجهاز العراق  
 فلما تولى الوزير يعقوب بن تدير كلس المال استأصل ذلك بالنواب وكان يسكن بمدينة  
 تيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان أهل تيس يصيدون السماني وغير ذلك من الطير  
 على ابواب دورهم والسماني طائر يخرج من البحر فيقع في تلك الشباك وكانت السفن تركب  
 من تيس الى القرما وهي على ساحل البحر \* ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه  
 محمد الامين وأراد الغدر والتك بالأمون كان على مصر حاتم بن هرثمة بن أعين من قبل  
 الامين فلما ثار عليه أهل تنو ونمي بعث اليهم السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير  
 الجروى فغلبا بعد الثمانية من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ثم ولى الأمير جابر بن الأشعث  
 الطائي مصر وصرف حاتم بن هرثمة وكان جابر ليثا فلما تباعد ما بين محمد الامين وبين  
 أخيه عبدالله المأمون وخلع محمد أخاه من ولاية المهدي ترك الدعاء له على المنابر وعهد الى ابنه  
 موسى ولقبه بالشديد ودعى له تكلم الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمأمون فبعث  
 اليهم جابر ينهاهم عن ذلك ويخوفهم عواقب الفتن وأقبل السرى بن الحكم يدعو الناس  
 الى خلع محمد وكان ممن دخل الى مصر في أيام الرشيد من جند الليث بن الفضل وكان  
 خاملا فارتفع ذكره بقيامه في خلع محمد الامين \* وكتب المأمون الى أشراف مصر يدعوهم  
 الى القيام بدعوته فاجابوه وابعوا المأمون في رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر  
 فاخرجوه وولوا عباد بن محمد فبلغ ذلك محمد الامين فكتب الى رؤساء الحوف بولاية ربعة بن قيس  
 الجرشى وكان رئيس قيس الحوف فانقاد أهل الحوف كلهم معه يمنها وقيسها وأظهر وادعوا الامين  
 وخلع المأمون وساروا الى الفسطاط لمحاربة أهلها واقتتلوا فكانت بينهما قتلى ثم انصرفوا  
 وعادوا مرارا الى الحرب فمقد عباد بن محمد لعبد العزيز الجروى وسيره في جيش ليحارب  
 القوم في دارهم فخرج في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائة وحاربهم بعمرىط فانهزم  
 الجروى ومضى في قومه من ظم وجذام الى فاقوس فقال له قومه لم لاتدعو لنفسك فما  
 أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الارض فمضى فيهم الى تيس فزها ثم بعث بعماله يجيئون  
 الخراج من أسفل الارض فبعث ربعة بن قيس يمنعه من الجلباية وسار أهل الحوف في  
 المحرم سنة ثمان وتسعين الى الفسطاط فاقتتلوا وقتل جمع من الفريقين وبلغ أهل الحوف  
 قتل الامين ففرقوا وولى امرة مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون  
 فدخلها في ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروى شرطته ثم عزله وعقد له على حرب  
 أسفل الارض ثم صرف مطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى في شوال فولى عبد



العزیز الشرطة فلما نار الجند وأعادوا المطلب في المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروی الى تیس وأقبل العباس بن موسى بن عیسی من مكة الى الحوف فنزل ببلیس ودعا قیسا الى نصرته ثم مضى الى الجروی بتیس فأشار علیه أن یزل دارقیس فرجع الى بلیس في جمادی الآخرة وبها مات مسموما في طعام دسه الیه المطلب علی يد قیس فدان أهل الاحواف للمطلب وبابعوه وسارعوا الى جب عمیره وسالموه عند ملقوه وبعث الى الجروی يأمره بالشخوص الى الفسطاط فامتنع من ذلك وسار في راکبه حتى نزل شظوف فبعث الیه المطلب السری بن الحکم في جمع من الجند یسألونه الصلح فأجابهم الیه ثم اجتهد في الغدر بهم فتیقظوا له فمضى راجعا الى بنا فاتبوه وحرابوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح ولاطف السری فخرج الیه في زلاج وخزج الجروی في مثله فالتقيا في وسط النيل مقابل سندفا وقد أعد الجروی في باطن زلاجه الحبال وأمر أصحابه بسندفا اذا لصق بزلاج السری أن یجروا الحبال الیهم فاصق الجروی بزلاج السری فربطه في زلاجه وجر الحبال وأسر السری ومضى به الى تیس فسجنه بها وذلك في جمادی الاولی ثم كر الجروی وقائل فلقیه جموع المطلب بسنط سلیط في رجب فظفر ولما عزل عمر بن ملاح عن الاسکندریة نار بالاندلسین ودعا للجروی فأقبل عبد الله بن موسى بن عیسی الى مصر طالبا بدم اخیه العباس في المحرم سنة مائتین فنزل علی عبد العزیز الجروی فسار معه في جیوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزل الخیزة فخرج الیه المطلب في أهل مصر فخاربه في صفر فرجع الجروی الى شریقون ومضى عبد الله بن موسى الى الحجاز وظهر المطلب علی أن أبا حرمة فرجا الاسود هو الذي كاتب عبد الله بن موسى وحرضه علی المسیر فطلبه ففر الى الجروی وجد المطلب في أمر الجروی فأخرج الجروی السری بن الحکم من السجن وعاهده وعاقده علی أن یشور بالمطلب ویحامه فعاهده السری علی ذلك فاطاقه وأتی الى أهل مصر أن کتابا ورد بولایته فاستقبله الجند من أهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولایته فنزل داره بالحراء وأمده قیس بجمع منهم وحارب المصريین فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه الامان فأمنه وخزج من مصر واستبد السری بن الحکم بأمر مصر في مستهل شهر رمضان \* فلما قتل الاندلسیون عمر بن ملاح بالاسکندریة سار الیها الجروی في خمسين ألفا فبعث السری الى تیس بعثا ففكر الجروی راجعا الى تیس في محرم سنة احدی ومائتین فلما نار الجند بالسری في شهر ربيع الاول وباعوا سلیمان بن غالب قام عباد بن محمد علیه وخلعه وقام بالامر علی بن حمزة بن جعفر بن سلیمان بن علی بن عبد الله بن عباس في مستهل شعبان فامتنع عباد أن یباعه ولحق بالجروی ثم لحق به ایضاً سلیمان بن غالب فكان معه وعاد السری الى ولاية مصر في شعبان وقوی سلطانه فلما كان في المحرم سنة اثنتین



ومائتين ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولي عهده على بن موسى الرضى فبويج له  
 بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي ببغداد وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم  
 بمخاع المأمون وولي عهده وبالوثوب على السرى فقام بذلك الحارث بن زرعة بن محرم  
 بالفسطاط وعبد العزيز ابن الوزير الجروي بأسفل الارض ومسالمة بن عبد الملك الطحاوي  
 الازدي بالصعيد وخالفوا السرى ودعوا الى ابراهيم بن المهدي وعقدوا على ذلك الامر  
 لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدي فخاربه السرى وظفر به في صفر ولحق كل من كره  
 بيعة على الرضى بالجروي لمنعته بتيس وشدة سلطانه فسار الى الاسكندرية وملكها ودعى  
 له بها وبلاد الصعيد ثم سار في جمع كبير لمحاربة السرى واستعد كل منهما لصاحبه بأعظم  
 ما قدر عليه فبعث اليه السرى ابنه ميمونا فالتقيا بشطونف فقتل ميمون في جمادى الاولى  
 سنة ثلاث ومائتين وأقبل الجروي في مرا كبه الى الفسطاط ليحرقها فخرج اليها أهل المسجد  
 وسألوه الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية غير مرة وقتل بها من حجر أصابه من  
 منجنيقه في آخر صفر سنة خمس ومائتين ومات السرى بعده بثلاثة أشهر في آخر جمادى  
 الاولى وقام بعد الجروي ابنه على بن عبد العزيز الجروي فخارب أبا نصر محمد بن السرى  
 أمير مصر بعد أبيه بشطونف ثم التقيا بدمهور فيقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا سبعة  
 آلاف وانهمزم ابن السرى الى الفسطاط فتبعته مراكب ابن الجروي ثم عادت فدخل أبو  
 حرمة فرج بينهما حتى اصطالحا ومات ابن السرى في شعبان سنة ست ومائتين فولي بعده  
 أخوه عبيد الله بن السرى فكف عن ابن الجروي وبعث المأمون مخلد بن يزيد بن مزيد  
 الشيباني الى مصر في جيش من ربيعة فامتنع عبيد الله بن السرى من التسليم له وامانعه  
 فاقتتلوا وانضم هلى بن الجروي الى خالد بن يزيد وأقام له الانزال وأغاثه وسار حتى نزل  
 على خندق عبيد الله بن السرى فاقتلا في شهر ربيع الاول سنة سبع ومائتين ووجرت بينهما  
 حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد الى أرض الحوف فكره ذلك ابن الجروي ومكر به  
 حتى أخرجه من عمله الى غربي النيل فنزل نهبا وانصرف ابن الجروي الى تيس فصار  
 خالد في ضر وجهد وعسكر له ابن السرى في شهر رمضان وأسره وأخرجه من مصر  
 الى مكة في البحر وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السرى على ما في يده وهو فسطاط مصر  
 وصعيدها وغربها وبولاية على بن عبد العزيز الجروي تيس مع الحوف الشرقي وضمنه  
 خراجه وأقبل ابن الجروي على استخراج خراجه من أهل الحوف فثانموه وكتبوا الى  
 ابن السرى يستمدونه عليه فامدهم بأخيه فالتقيا بكورة بنا في بلقينة فاقتتلوا في صفر سنة  
 تسع ومائتين وامتدت الحروب بينهما الى اثناء ربيع الاول وهم منتصفون فانصرف ابن  
 الجروي فيمن معه الى دمياط فسار ابن السرى الى محلة شريقون ونهبها وبعث الى تيس



ودمياط فليسكم ما ولحق ابن الجروى بالفرما وسار منها الى العريش فنزل فيها بينهما وبين غزة ثم عاد وأغار على الفرما في جمادى الآخرة ففر أصحاب ابن السرى من تيس وسار ابن الجروى الى شطوف فخرج اليه ابن السرى واقتتلا فكانت لابن الجروى في أول النهار ثم أتاه كمين ابن السرى فانهمز وذلك في رجب فمضى الى العريش وسار ابن السرى الى تيس ودمياط ثم أقبل ابن الجروى في المحرم سنة عشر ومائتين وملك تيس ودمياط بغير قتال فبعث اليه ابن السرى البعوث فخار بهم فينابهم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر فلتلقاه ابن الجروى بالاموال والائزال وانضم اليه ونزل معه ببليس فامتنع ابن السرى ودافع ابن طاهر فترأخى له وبعث فخبي المال ونزل زفتا وبعث الى شطوف عيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن الجروى على سفنه التى جاءت من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السرى في المحرم سنة احدى عشرة وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السرى فى صفر وخلع عليه وأجازه بعشرة آلاف دينار وأقره بالخروج الى المأمون فسكنت فتن مصر بعبد الله بن طاهر\* وفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ولدت بتيس معزى جدياله قرون عدة ورأسه مع صدره وبدنه ومقدمه بصوف أبيض ومؤخره بشعر اسود وذنبيه ذنب شاة وولدت امرأة سخلة لها رأس مدور ولها يدان ورجلان وذنب ولثلاث يقين من ذى الحجة من هذه السنة حدث بتيس رعد وبرق وريح شديدة وسواد عظيم في الجو ثم ظهر وقت السحر فى السماء عمود نار احمرت منه السماء والارض أشد حمرة وخرج غبار ودخان يأخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك خمسة أيام\* وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة حضر عند قاضي تيس أبى محمد عبد الله بن أبى الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت بها منذ خمسة أيام فوجدت لها ما للرجال وما للنساء فبعث اليها القاضى امرأة لتشرف عليها فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرا بخصيتين والفرج تحتها والذكر أقلقف وأنها رائسة الحسن فطلقها الزوج\* قال ابو عمرو الكندي حدثني أبو نصر أحمد بن على قال حدثني يس بن عبد الاحد قال سمعت أبى يقول لما دخل عبد الله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقتل حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبى قبيل عن سبيع قال يا أهل مصر كيف بكم اذا كان فى بلدكم فتن فوليكم فيها الاعرج ثم الامر ثم الامرد ثم يأتي رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ رايته البحر الاخضر يملأها عدلا فقلت كان ذلك كانت الفتنة فوليتها السرى وهو الاعرج والاصفر ابنه أبو النصر والامرء عبيد الله بن السرى وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية وأصلح أمرها وأخرج ابن الجروى الى العراق ثم قدم به الافشين الى مصر فى ذى الحجة سنة خمس



عشرة وقد أمر الافشين أن يطالبه بالاموال التي عنده فان دفعها اليه والا قتله فطالبه فلم يدفع اليه شيئا فقدمه بعد الاضحي بثلاث فقتله \* وفي جمادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين نار يحيى بن الوزير في تيس نخرج اليه المظفر بن كندر أمير مصر فقاتله في بحيرة تيس وأسره وتفرق عنه أصحابه \* وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتيس فتولى عمارته عيسى بن اسحاق أمير مصر وأفق فيه وفي حصن دمياط والفرما مالا عظيما وفي سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تيس صيفا وشتاء ثم عادت مالحا صيفا وشتاء وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة وفي سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تيس وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة صيد بأشتوم تيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك طول رأسه تسعة أذرع ودائر بعنقه مع ظهره خمسة عشر ذراعا وفتحة فيه تسعة وعشرون شبرا وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف وله يدان يحذف بهما طول كل يد ثلاثة أذرع وهو أملس أغبر غليظ الخلد مخطط البطن ببياض وسواد ولسانه أحمر وفيه خمل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه أمشاط شبه الذبل وله عينان كعيني البقر فأمر أمير تيس أبو اسحاق ابن لوبه به فشق بطنه وملح بمائة أردب ملح ورفع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير منحني وحمل الى القصر حتى رآه العزيز بالله وفي ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة شاهد أهل تيس تسعة أعمدة من نار تلهب في آفاق السماء من ناحية الشمال نخرج الناس الى ظاهر البلد يدعون الله تعالى حتى اصبحوا نجبت تلك النيران وفيها صيد بحيرة تيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه رأس وعينان وعنق وصدر على صورة أسد ويداه في صدره بمخالبه ونصفه الادني صورة حوت بغير قشر فحمل الى القاهرة وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ولدت جارية بنتا برأسين أحدها بوجه أبيض مستدير والآخر بوجه أسمر فيه سهولة في كل وجه عينان فكانت ترضعهما وكلاهما مر كب على عنق واحد في جسد واحد بيدين ورجلين وفرج ودبر فحملت الى العزيز حتى رآها ووهب لامها جملة من المال ثم عادت الى تيس وماتت بعد شهر وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة وصل الى تيس من شواني صقلية نحو أربعين مر كبا فحصرها يومين وأقلعوا ثم وصل اليها من صقلية أيضا في سنة ثلاث وسبعين نحو أربعين مر كبا فقاتلوا أهل تيس حتى ملكوها وكان محمد ابن اسحاق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فتعجز في طائفة من المسلمين الى مصلى تيس فلما أجنهم الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم في غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤسهم فاصبح الفرنج الى المصلى وقاتلوا من بها من المسلمين فقتل



من المسلمين نحو السبعين وسار من بقي منهم الى دمياط فمال الفرنج على تينس وألقوا فيها النار فأحرقوها وساروا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والأسرى الى جهة الاسكندرية بسد ما أقاموا بتينس أربعة أيام ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة نزل فرنج عسقلان في عشر حراريق على أعمال تينس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف عند ما سار الى بلاد الشام ثم مضى المعز وعاد فأسر ونهب فنسار به المسلمون وقاتلوه فظفرهم الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه \* وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة انتدب السلطان لعمارة قلعة تينس وتجهيد الآلات بها عند ما اشتد خوف أهل تينس من الإقامة بها فقدر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار عن ثمن أصناف وأجر \* وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كتب باخلاء تينس ونقل أهلها الى دمياط فأخليت في صفر من الزراري والانتقال ولم يبق بها سوى المقاتلة في قلعتها \* وفي شوال من سنة أربع وعشرين وستمائة أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بهدم مدينة تينس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة \* قال الفاكهي في كتاب أخبار مكة ورأيت كسوة مما يلي الركن الغربي يعني من الكعبة مكتوبا عليها بما أمر به السري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي بأمر الفضل بن سهل ذي الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة ورأيت شقة من قباطي مصر في وسطها الا أنهم كتبوا في أركان البيت بخط دقيق أسود ما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين ورأيت كسوة من كسا المهدي مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به اسماعيل بن ابراهيم أن يصنع في طراز تينس على يد الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطي مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع في طراز تينس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسامة عامله سنة تسع وخمسين ومائة \* قال المسيحي في حوادث سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفي ذي القعدة ورد يحيى بن العيان من تينس ودمياط والفرما بهديته وهي أسفاظ ونحوت وصناديق مال وخيل وبغال وحبر وثلاث مظال وكسوتان للكعبة \* وفي ذي الحجة سنة اثنتين وأربعمائة وردت هدية تينس الواردة في كل سنة منها خمس نوق مزينة ومائة رأس من الخيل بسر وجها ولجها ونجافيف وصناعات عدة وثلاث قباب ديبقية بمراتها ومنتحركات وبنود وما جرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز وما قدم الحاكم استدعت أخته السيدة سيدة الملك الى عامل تينس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويمجّل توجيحه



وقيل انه كان ألف ألف دينار وألف ألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد ثلاث سنين وأمره الحاكم بتركها عنده فحمل ذلك اليها وبه استعانت على ما دبرت \* وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر على الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله أن السودان وغيرهم ناروا بتئيس وطابوا أرزاقهم وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا في البلد وأفسدوا ومدوا أيديهم الى الناس وقطعوا الطرقات وأخذوا من المودع ألفاً وخمسمائة دينار فقام الجرجري وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وساءنا فعل هذا بتئيس أوبيت المال وسير خمسين فارساً للقبض على الجناة وما زالت تئيس مدينة عامرة ليس بأرض مصر مدينة أحسن منها ولا أحصن من عمارتها الى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة أربع وعشرين وسبعمائة فاستمرت خراباً ولم يبق منها الا رسوماها في وسط البحيرة وكان من جملة كورة تئيس بورا ومنها ايوان وشطا وبحيرتها الآن يصاد منها السمك وهي قليلة العمق يسار فيها بالعداى وتلقى السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وقلع كل واحدة منهما مملوء بالريح سيرها في السرعة مستو توسط البحيرة عدة جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهملة وزاى ثم باه موحدة سكنها طائفة من الصيادين وفي بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيد ملوخته وماؤها ملح وقد يحلو أيام النيل \* (تونة) \* وكان من جملة عمل مدينة تئيس قرية يقال لها تونة يعمل بها طراز تئيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة الكعبة أحياناً \* قال الفاكهي ورأيت أيضاً كسوة لهرن الرشيد من قباطي مصر مكتوباً عليها بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز تونة سنة تسعين ومائة \* (سمناي) \* قرية من قرى تئيس غلبت عليها بحيرة تئيس فصارت جزيرة فلما كان في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وثمانمائة كشف عن حجارة وآجر بها فاذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله نزار ومنها ما عليه اسم الامام الحاكم بأمر الله ومنها ما عليه اسم الامام الظاهر لاعزاز دين الله ومنها ما عليه اسم المستنصر وهو أكثرها أخبرني بذلك من شاهده وراه \* (بورا) \* كانت فيما بين تئيس ودمياط واليه ينسب السمك الذي يقال له البورى واليه ينسب أيضاً بنو البورى الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية \* وفي سنة عشر وسبعمائة وصل العدو اليها بشوانيه وسباها فقدمت اليها القطائع التي كانت على رشيد فسار عنها العدو \* (القيس) \* بفتح القاف وبعدها سين مهملة بلد ينسب اليها الثياب القيسية آثارها الى اليوم باقية على البحر المالح فيما بين السوادة والورادة وبعدها من مدينة الفرما قريب من ستة برد في البر وهناك تل عظيم من رمل خارج في البحر الشامي يقطع



الفرنج عنده الطريق على المارة وبالقرب من التل سباح ينبت فيه ملح يحمله العربان الى غزة  
والرملة وبقرب هذا السباح آبار يزرع عندها مقاني لعربان تلك البوادي  
\* (ذكر مدينة صا) \*

قال ابن وصيف شاه ولما قسم قبليم بن مصر ايم الارض بين اشمون وأريب وقفت  
وصا انتقل كل واحد الى قسمه وحيزه فخرج صا بأهله وولده وحشمه الى حيزه وهو بلد  
البحيرة والاسكندرية حتى انتهى الى برقة ونزل مدينة صا قبل أن تبني الاسكندرية وكان صا  
أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات وبناء المدائن والبلدان  
والهاياكل واظهار العجائب كما صنع اخوته وطلب الزيادة في ذلك \* وقال مرهون الهندي  
صاحب بانه فبني من حد صا الى حد لوبية ومراقية على البحر اتلاما وجعل على رؤس  
تلك الاعلام مرأى من أخلاط شتى فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاها ومنها ما اذا  
قصدتهم عدو من الجزائر وأصابها الشمس أقت شعاعا على مراكبهم فأحرقها ومنها ما يرى  
المدائن التي تحاذيهم من عدوة البحر وما يعملها أهلها ومنها ما ينظر فيها الى أقليم مصر فيعلم  
منه ما ينجب وما يجذب في كل سنة وجعل فيها حمامات تقد من نفسها وجعل مستشفيات  
ومنتزهات وكان ينزل كل يوم منها في موضع بمن يخصه من خدمه وحشمه وجعل حواياها  
بساتين وسرح فيها الطيور المفردة والوحش المستأنم والانهار المطردة والرياض الموقفة  
وجعل شرفات قصوره من حجارة ملونة تلمع اذا أصابتها الشمس فينشر شعاعها على  
ما حولها ولم يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية الا استعمله فكانت العمارة ممتدة في رمال  
رشيد ورمال الاسكندرية الى برقة وكان الرجل يسافر في أرض مصر لايحتاج الى زاد  
لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستره من الشمس وعمل في تلك الصحاري  
قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربي الى  
حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقضى أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحاري  
وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحاري يحكي ما رآه فيها من  
الآثار والعجائب \* قال مؤلفه رحمه الله حدثني الثقة عن دخل مدينة صا ومشى في خرابها  
فاذا هو ببلبة طولها أربعة أشبار فتناولها وأخذ يتأملها ثم كسرها فاذا فيها سنبلة قدر شبر  
وافر كأنها كما حصدت وفر كما بيده فخرج منها قمح أبيض كبار حبه جدا في قدر حب اللوبيا  
فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل آخر اليها قبيل سنة تسعين وسبعمائه وأخذ منها لبنة  
طولها ذراع ونصف في عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبلة قمح مخن كل قمحة منها في  
مقدار ما يكون أكبر من الحمص فلم يطق كسره الا بعد ما راضه بالحجارة رضا ووجد بصا  
صنم لطيف طول أصبع فاتفق انه اتى في خابية ماء فصار خمرًا وكان ذلك عند رجل من



تنبس فصلحت حاله من بيعه ذلك الحمر فطلبه الامير الا واحد مستولى تيس وما زال به حتى أخذ الصنم منه

### رملة الغرابي

اعلم أن هذا الرمل ممتد في الارض ويسميه بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراء جبل طي الى أن يتصل مشرقا بالبحر ويمضي من وراء جبل طي الى أرض مصر ثم الى بلد النوبة ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر ومنه عرق يضرب من القادسية الى البحرين فيعبر البحرين فيمر على مشارق خورستان وفارس الى أن يرد سجستان ويمر مشرقا الى مر وأخذا على جيحون في بركة خوارزم ويأخذ في بلاد الحد لحيمة الى الصين والبحر المحيط في جهة الشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق الى المحيط بالمغرب وفيه جبال عظام لا ترتقى وبعضه في أرض سهلة ينتقل من مكان الى مكان ومنه أصفر لين اللبس وأحمر وأزرق سماوي وأسود حالك وأكحل مشبع كالنيسل وأبيض كالثلج ومنه ما يحكي القبار نعومة ومنه خشن جريش اللمر، وزعم بعضهم أن رمل الغرابي وما يتصل به من حد العريش الى أرض العباسية حدث \* وذكر في سبب كونه خير فيه معتبر وهو أن شداد بن هداد بن شداد بن عاد أحد الملوك العادية قدم الى مصر وغلب بكثرة جيوشه أشمون بن مصر بن بصر بن حاه بن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو وآبؤه وبني لنفسه اهراما ونصب أعلاما زبر عليها الطلسمات واحتفظ موضع الاسكندرية وأقام هناك دهرًا الى أن نزل به وبقومه وباء فخرجوا من أرض مصر الى جهة وادي القرى فيما بين المدينة النبوية وأرض الشام وعمروا الملاعب والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الامطار والسيول فكان سعة كل مصنع ميلا في ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين راية وأيلة الى البحر الغربي وامتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والجفار في أرض سهلة ذات عيون تجري وأشجار مثمرة وزروع كثيرة فأقاموا بهذه الارض دهرًا طويلًا حتى عشوا وبغوا وتجرؤوا وطفغوا وقالوا نحن الا اكثر من قوة الا شدون الاغلبون فسلط الله عليهم الريح فأهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سحلتها رملا فما تراه من هذه الرمال التي بأرض الجفار ما بين العباسية حيث المنزلة التي تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل مصانع العادية وسحالة صخورهم لما أهلكهم الله بالريح ودمرهم تدميرًا واياك وانكار ذلك لغرابته ففي القرآن الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شيء أنت عليه الا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وقيل الرميم نبات الارض اذا يبس وديس وقيل الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم والرميم الخلق البالي من كل شيء \* (مراقبة) \* مدينة مراقبة كورة من كور مصر الغربية وهي آخر حد أرض مصر وفي آخر أرض مراقبة



تلقى أرض انطابلس وهي برقة وبعدها من مدينة سنتره نحو من بردين وكان قطرا كبيرا به نخل كثير ومزارع وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وثمرها جيد الى الغاية وزرعها اذا بذرت من الحبة الواحدة من القمح مائة سنبله وأقل ماتت تسعون سنبله وكذلك الارزها فانه جيد ذلك وبها الى اليوم بساين متعددة وكانت مراقبة في القديم من الزمان سكنها البربر الذين تفاهم داود عليه السلام من أرض فلسطين فنزلها منهم خلائق ومنها تفرقت البربر فنزلت زناتة ومغيلة وضريسة الحيال ونزلت لواتة أرض برقة ونزلت هوارة طرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السويس فلما كان في شوال سنة أربع وثلثمائة من سنى الهجرة المحمدية جلى أهل لوبية ومراقبة الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة ولم تنزل في اختلال الى أن تلاشت في زمننا وبها بعد ذلك بقية جيدة \* (كوم شريك) \* هذا المكان بالقرب من الاسكندرية له ذكر في الاخبار عرف بشريك بن سمي بن عبد يغوث ابن جزء المرادى القطيفي من الصحابة رضى الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية الثاني فعندما كثرت جمائع الروم انحاز شريك الى هذا الكوم بأصحابه ودافع الروم حتى أدركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة حوف رمسيس \* (غيفة) \* قرية تقارب مدينة بلبس من الفسطاط اليها مرحلتان كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان صواع الملك الذي فقد من مدينة مصر وجد في رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيفة هذه \* (سمنود) \* كان بها بربا عليه هيئة درقة فيها كتابة حكي ابن زولاق عن أبي القاسم مأمون العدل انه نسخ الكتابة في قرطاس وصوره على درقة قال فما كنت أستقبل به أحدا الاولى هاربا وكان بها أيضا تماثيل وصور من يملك مصر فيهم قوم عليهم شاسيات وبأيديهم الحراب وعليهم مكتوب هؤلاء يملكون مدينة مصر

### ذكر مدينة بلبس

وسميت في التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليهم السلام فأنزله بأرض حاشان وهي بلبس الى العلاقة من أجل مواشيههم قال ابن سعيد بلبس واليه يصل حكمه الى الوردادة وهي آخر حد مصر واليه انتهى المعاملة بغضة السواد ويصير الناس يتعاملون بالفولس بعدها الى العريش وهي أول الشام وقيل هي آخر مصر \* وقال أبو عبيد البكري بلبس بفتح أوله واسكان ثانيه بعده باء مثل الاولى مفتوحة أيضا وياء ساكنة وسين مهملة وهو موضع قريب مصر معروف وذكر ابن خردادبه في كتاب المسالك والممالك أن بين بلبس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرين ميلا \* وذكر الواقدي أن المقوقس زوج ابنته ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهازها بأموالها وجواربها وغلمانها وحشمها لتسير اليه حتى يبني عليها في مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت



الى بليس وأقامت بها وبعث حاجبها الكبير في أنى فارس الى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحدا من الروم ولا غيرهم يعبر الى مصر وبعث المقوقس رسله الى اطراف بلاد ممالى الشام أن لا يتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل العرب في قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الى مصر نزل على بليس وبها أرماتوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانتهز من بقى الى المقوقس وأخذت أرماتوسة وجميع ما لها وسائر ما كان لا يقبض في بليس فأحب عمرو ملاحظة المقوقس فسير اليه ابنته أرماتوسة مكرمة في جميع ما لها مع قيس بن أبي العاص السهمي فسرى بقدمها ثم سار عمرو الى القصر ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل عايبا مرمى ملك الفرنج وأخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل منها الآلاف ولها أخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة ست وثمانمائة بعد ما أدركناها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين وأهلها أصحاب يسار ونعم سيدة

#### ذكر بلد الوردية

الوردية من جملة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداديه في كتاب المسالك والممالك وصفة الطريق والارض من الرملة الى أردود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الوردية ثمانية عشر ميلا ثم الى القريب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المأمون ليلك كان بالميدا \* ن أقصر منه بالفرما غريب في قرى مصر \* يقاسي الهم والسدما ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم الى بليس أحد وعشرون ميلا ثم الى فسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا \* وقال جامع تاريخ دمياط ولما افتتح المسلمون الفرما بعد ما افتتحوا دمياط وتيس ساروا الى البقارة فأسلم من بها وساروا منها الى الوردية فدخل أهلها في الاسلام وما حولها الى عسقلان \* وقال القاضي الفاضل في متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وصاحبنا لوردية فبتنا على مينا الوردية ودخنا الوردية فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربعمائة واسم الحاكم بأمر الله عليها والوردية من جملة الجفار ويقال أخذ اسمها من الورود ولم يزل جامعها عصر اقام به الجمعة الى ما بعد السبعمائة وبلد الوردية القديمة في شرقي المنزلة التي يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمائر ونخل قليل \* (الصالحية) \* هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بأرض المسامخ والمعلقة في أول الرمل الذي بين مصر والشام وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوقا لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة أربع وأربعين وسثمائة (م ٣٨ - خطط ل)



### ذكر مدينة ايلة

ذكر ابن حبيب أن أمثال بضم أوله ثم ناء مثلثة وادى أيلة وأيلة بفتح أوله على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وأيلة أول حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة وأهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم في الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان فيه مسلحته يأخذون المكس وبين ايلة والقدس ست مراحل والطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام على يوم ليلة من ايلة وكانت في الاسلام منزلا لبني أمية وأكثرهم موالي عمان بن عفان وكانوا سقاة الحاج وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزروع وعقبه أيلة لا يصعد اليها من هو راكب وأصلحها فائق مولى خمارويه بن أحمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استرم منها وكان بأيلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود ويزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه بعثه اليهم أمانا وكانوا يخرجونه رداء عنديا ملفوفا في الثياب قد أبرز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال وأسألم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والسدي هي أيلة وعن ابن عباس أيضا انها مدينة بين أيلة والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وزيد بن أسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة يقال لها معانة وسئل الحسين بن الفضل هل نجد في كتاب الله الحلال لا بأتيك الاقوتنا والحرام لا بأتيك جزافا قال نعم في قصة ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لتأتيهم \* وكان من خبر أهل القرية أنهم كانوا من بني اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الخيلة وقال انما نهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقي فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلعة الماء فيأخذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ويضع فيه وهقه ويلقيه في ذنب الحوت وهو بحريك الماء واسكانها حبل كالطول ويجعل في الطرف الآخر من الحيط وتداً ويتركه كذلك الى يوم الاحد ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يتبلى حتى كثر الصيد للحيتان ومشى به في الاسواق وأعلن الفسقة بصيده فقامت طائفة من بني اسرائيل وجاهرت بالنهي واعتزلت وقالت لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس لسانا فعلوا على الجدار فاذا هم قرده فدخلوا عليهم فعرفت القرده أنسابها من الانس فجعلت تأتيهم فتشم



ثياهم وتبكي فيقول الناهون للقردة ألم منكم فتقول برأسها نعم قال فتادة فصارت الشباب  
قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وقيل ان ذلك كان في زمن  
نبي الله داود عليه السلام وقيل ان ايلة أصلها أيليايه وقد وقع ذكرها في التوراة كذلك  
وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ذكالة من البربر بطن من المصامدة وقالت طائفة ان  
ذكالة ولد ايلة ويقال ايل الذي سميت به عقبه أيلة وأخراهم من دغفل بن ايلة وانهم  
يعزون الى البربر ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم \* وذكر المسعودي  
أن يوشع بن نون عليه السلام حارب السמידع بن هزبر بن مالك العمليقي ملك الشام ببند  
أيلة نحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول عون بن سميد الجرهمي  
ألم تر أن العمليقي بن هرمز \* بأيلة أمسي لحمه قد تمزعا  
تداعت عليه من يهود جحافل \* ثمانون ألفاً حاسرين ودرا

وهي أبيات كثيرة وقال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى  
تبوك أتاه نجية بن روبة صاحب ايلة فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل حرباء وأذرح فأعطوه  
الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب لتحية بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا  
أمنة من الله ومحمد النبي رسوله لتحية بن روبة وأهل ايلة أساقفهم وسائرهم في البر والبحر  
لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث  
منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن  
يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحيل  
ابن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة ولم تنزل  
مدينة ايلة عامرة آهلة \* وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفرى  
أيلة ومعه بعض بنى الجراح ونهبها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدة غلال وسبى النساء  
والاطفال ثم انه صرف عن ولاية وادي القرى فصارت اليه سرية من القاهرة لمحاربهته \*  
قال القاضي الفاضل وفي سنة ست وستين وخمسمائة أنشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف  
ابن أيوب مراكب مفصلة وحمها على الجمال وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة  
قلعة ايلة وكانت قد ملكها الفرنج وامتنعوا بها فتأزها في ربيع الاول وأقام المراكب  
وأصاحبها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والأسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى  
فتحها في العشرين من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسره وأسكن بها  
جماعة من ثاته وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة في آخر  
جمادى الاولى \* وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب النائب بقلعة ايلة ان المراكب على  
تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل الايريس لعنه الله الى ايلة وربط العقبة وسير



عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بالجيل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت به مياه استغفي بها أهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف أساسها فهدار كها أصحابها وأصلحوها \* وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدنان السكوكة وهم أمة لهم أربعة ملوك ملكوا أرض ايلة والحجاز وبني كل واحد منهم مدينة سماها باسمه وجعلوا سائر الأرض خيما وقسموها على ثلاثين كورة وجعلوها أربعة أعمال السكل عمل ملك مجلس على منبر ذهب في مدينته وعمل بربا وهي بيت الحكمة وعمل هيكلا لاخذ السكواكب وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها رقودة فجعلوا لها خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار السكينة ونصبوا في هياكلها من أصنام الذهب أكثر مما في غيرها وكان فيها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصيد على ثمانين كورة وجعلوا أربعة أقسام وكان عددهم من أهل مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها المعائب وقيل ان حميرا الأكبر واسمه العرنجج بن سبأ الأكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد أبيه جمع جيوشه وسار يبطا الامم ويدوس الممالك كما فعل أبوه فأمن في المشرق حتى أبعده يأجوج وماجوج الى مطالع الشمس ثم قفل نحو المغرب فجاهه قبائل من أهل اليمن من بني هود بن طابر بن شالح بن أرغشذ بن سام بن نوح يشكون من نمود بن عار ابن ارم بن سام بن نوح وما نزل بهم من ظلمهم فأمر برفقهم من أرض اليمن وأنزلهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصل الى أطراف جبل نجد ففعلت نمود هناك الصخور وحموتوا من الحيام البيوت وتكبروا وطغوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة فأخرجها لهم فعقروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين \* وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار ببني اسرائيل بعد موت أخيه هرون الى أرض أولاد العيص وهي التي تعرف بجبال السراة جنب بلد الشوبك ثم مر فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى بركة باب حيث بلاد السكرك حتى حارب تلك الامم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصبون جليظة عظيمة \* (مربوط) \* كورة من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يمشون فيها وفي أيديهم خرق سود خوفا على أبصارهم ومن شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد مربوط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض بركة وهي اليوم من قرى الاسكندرية يزرع بها الفواكه وغيرها وقد وقفها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات بر بالجامع الحاكمي من القاهرة وبها جامع عمر في ست وستين وستائة ثم استأجرها



الملك المؤيد شيخ الحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ووجد عمارة بستانها وقد  
 خرب لترداد عرب لبدية وبرقة اليه فاستمرت في ديوان السلطان \* ( وادي هيب ) \*  
 هذا الوادي بالجانب الغربي من ارض مصر فيما بين مربوط والقيوم يملأ منه الملح والنظرون  
 عرف بهيب بن محمد بن معقل بن الواقعة بن حزام بن عفان الغفاري أحد أصحاب رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مكة وروي عنه أبو تميم الحيشاني وأسلم مولى نجيب وسعيد  
 ابن عبد الرحمن الغفاري وكان قد اعتزل عند فتنة عثمان رضى الله عنه بهذا الوادي فعرف  
 به وكان يقول لا يفرق بين قضاء دين رمضان ويجمع بين الصلاتين في السفر ويقال لهذا  
 الوادي أيضا وادي الملوك ووادي النظرون وربة شهاب وربة الاسقيط وميزان القلوب  
 وكان به مائة دير للنصارى وبقى به سبعة ديورة وقد ذكرت عند ذكر الاديار من هذا  
 الكتاب وهو واد كثير الفوائد فيه النظرون ويحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراى  
 والملح السلطاني وهو على هيئة ألواح الرخام وفيه الوكت والكحل الاسود ومعمل الزجاج  
 وفيه الماسكة وهو طين أصفر في داخل حجر أسود يحك في الماء ويشرب لوجع المعدة  
 وفيه البردى لمعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ماء في هيئة البركة وطولها نحو خمسة عشر  
 ذراعا في عرض خمسة أذرع في مغار بالجبل لا يعلم من أين يأتي ولا إلى أين يذهب وهو  
 حلوا رائق \* ويذكر أنه خرج منه سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فتلقوا عمرو  
 ابن العاص بالطرانة مرجعه من الاسكندرية يطلبون أمانه لهم على أنفسهم وأديارهم  
 فكتب لهم بذلك أمانا ببقى عندهم وكتب لهم أيضا بجرأية الوجه البحرى فاستمرت بأيديهم  
 وان جراتهم جاءت في سنة زيادة على خمسة آلاف أردب وهي الآن لا تبلغ مائة أردب

### ❦ ذكر مدينة مدين ❦

اعلم أن مدين امة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قنطوراء ابنة  
 يقطان السكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر القلزم نحاذى  
 تبوك على نحو ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البر التي استقى منها موسى لسائمة  
 شعيب وعمل عليها بيت \* قال الفراء مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة سميت باسم أبيها  
 مدين ويقال له مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره والجمهور على أن مدين اعجمي وقيل  
 عربي فان كان عربيا فانه يمتثل أن يكون فعلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادرو قيل  
 مهمل أو مفعلا من دان فتصحيحه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم الارض  
 أو اسم القبيلة عجميا أو عربيا \* وقال المسعودى قد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن  
 نوفل بن رعويل بن مر بن عيقا بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية  
 فهم من رأى أنهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاحياء الحالية



وممنهم من رأى أنهم من ولد المحسن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وأن شعيبا آخرهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة فمنهم المسمى بأبجد وهوز وحطي وكن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحسن بن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الاثنان والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا من الوجوه فكان أبجد ملك مكة وما يابها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كمن على ملك مدين ومن الناس من رأى أنه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه فوعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بن آمن معه الى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلمت سحابة بضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من مواضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجاءها الله عليهم نارا فأتت عليهم فرئت جارية بنت كمن أباهما وكانت بالحجاز فقالت

كمن هدم ركني \* هلكت وسط الحمله

سيد القوم أتاه \* احتف ناراً وسط ظله

كونت ناراً فاضحت \* دار قومي مضجعه

وقال المتصر بن المنذر المدني

الا يشعيب قد نطقت مقالة \* أبدت بها عمرا ونحي بني عمرو

هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه \* كمثل شعاع الشمس في صورة البدر

وهم قطفوا البيت الحرام وزينوا \* قطورا وفازوا بالمكارم والفخر

ملوك بني حطي وسعفص ذي الندى \* وهوز أرباب الثنية والحجر

قال المسعودي وهؤلاء الملوك أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابداتهم من كان فيها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الايكة المرسلين وفي قوله سبحانه وتعالى وان كان أصحاب الايكة لظالمين فاستقمنا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضة نحو مدين وقيل بل أصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا بتبوك بين الحجر وأول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال أبو عبيد البكري الايكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل قوم شعيب روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما



فيها روايتان احدهما ان الايكة من ابيدن الى شعيب والرواية الثانية انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المنقل والايكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا أصحاب شجر ماتف وقال قوم الايكة الفيضة وليكة اسم البلد وما حولها كما قيل مكة وبكة وقال أبو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم البلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم ان بكة هو موضع المسجد وما حولها مكة كما فرق بين الايكة وليكة فقيل الايكة الفيضة وليكة البلد حولها \* وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا وهم بل مدين من أرض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدينة مدين أميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فأصاب سببا من أهل مينا قال ابن اسحاق ومينا هي السواحل فيبعوا وفرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فأخبر خبرهم فقال لا يتبعوهم الا جميعا ومدين من منازل جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن ادد بن زيد بن عمرو بن عزيب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى أهل مدين أحد بني وائل بن جذام وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ندد جذام مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من أعراض المدينة مثل فدك والفرع ورهاط \* قال مؤلفه رحمه الله تعالى وكان بارض مدين عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها وخربت وبقى منها الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فيما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة والسنيطة والمدرة والمنية والاعوج والخويرق والبترين والماءين والسبع والمعلق وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيرا ما تنقل حجارتها الى غزة ويبني بها هناك ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ابلة ومدينة مدين وبمدينة مدين الى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة \* ووجد في مدينة الاعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جب بقاعتها بهيد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع وبقاعه عدة أسفار على رفوف حمل منها سفر طوله ذراعان وأزيد قد غلغ بلوحين من خشب وكتابته بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شهر فوجد ببلاد السكرك من قرأه فاذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأه بحمد الله ثم قال خروج موسى من أرض مصر الى بلاد مدين وملوك بني مدين فيما بعد شعيب فذكر لموسى عليه السلام عدة أسماء منها اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موسى وبالفارسية داران وبالقبطية هرسيس وذكر أنه تزوج ابنة شعيب وأنه أقام بمدين ثمانين حجيج ثم قال لابن شعيب قد آتممت لك شرطك وسأزيدك سنتين فضلا مني



(\* بقية خبر مدينة مدين \*)

قال وخرج موسى متوجها الى مصر والملك يومئذ على مدين ابجد قال وقوى أمر ابجد فطغى حتى ملك الحجاز واليمن وكان له خمسة أولاد هم هوز وحطي وكبن وسعنص وقرشت فأقام ابجد ملكا باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كبن باليمن وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه حطي على أرض مصر وابنه سعنص على الجزيرة وبلاها حيث الموصل وحران الى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارفها من خراسان وكان قرشت هو الجبار فيهم وكان سعنص وهوز وكبن أهل عدل وحلم وكان حطي صاحب بطش وجرأة وكان بنو اسرائيل اذ ذاك بالشام فلم يملك أولاد ابجد أرض الشام ولا احتوا عليها وكانت مدة ملكهم نحواً من مائة وخمسين سنة فتم لهم بدولة أبيهم ابجد ثمانمائة سنة روزيت بن هوز وعمرزيت بن حطي بن ابجد وأزيد ثم ملك بعدهم على بني اسرائيل نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن أولاد ابجد وأقام هذا الكتاب عندهم زماناً ثم أعادوه الى الجب من قلعة الاعوج حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط أبو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن القرطبي التونسي المالكي قال حدثني به شتر ابن غنيم العامري شيخ لقيه بارض فلسطين أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لحم كان له أربعة وعشرون ولداً ذكراً فكثرت أولادهم حتى بنوا المداين والقرى والحصون وعمروا بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة وقيل انما كان استيلاء ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى أخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

### ❦ ذكر مدينة فاران ❦

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العماليق على نل بين جبلين وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصى مملوءة أمواتاً ومن هناك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك ساحل بحر فاران وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران والته مرحلتان ويذكر ان فاران اسم لجبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت في التوراة والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهي غير فاران المذكورة في التوراة وقيل ان فاران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم فقيل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الي اليوم وبها نخل كثير مشمرأكلت من ثمره وبها نهر عظيم وهي خراب يمر بها الزبان



### ذكر أرض الجفار

اعلم أن الجفار اسم لحس مدائن وهي الفرما والبقارة والورادة والعريش ورفج والجفار كله رمل وسمى بالجفار لشدة المشي فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مراحلها والجفار تجفر فيه الابل فاتخذله هذا الاسم كما قيل للجبل الذي يهجر به البعير هجار وللذي يحجر به حجار وللذي يعقل به عقال وللذي يبطن به بطان وللذي يحطم به خطام وللذي يزم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الوريد والعريش أخذ من العرش وقيل ان رفج اسم جبل \* وكان يسكن الجفار في القديم خذام بن العريان ويقال ان أرض الجفار كانت في الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العمارة كثيرة البركات مشهورة بالحيريات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر وكان ماؤها غزيراً عذياً ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحي الى أن دمرها الله تدميراً فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش والى رفج كله قفر تعرف بتعته برمل الغرابي قليل الماء عديم المرعي لا أيس به فسبحان محيل الاحوال

### ذكر صعيد مصر

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل ما لم يخالطه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الارض وقيل الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم انما حدث في الاسلام سماها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عما دونها من أرض مصر ولذلك يقال فيها أعلى الارض ولانها أرض ليس فيها رمل ولا سبخ بل كلها أرض طيبة مباركة ويقال للصعيد أيضاً الوجه القبلي \* قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه ولما حضرت مصر ايمام الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من بلد قفط الى أسوان ولاشمون من بلد أشمون الى منف ولاتريب الحوف كله ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب بركة وقال لآخيه فاروق لك من بركة الى الغرب فهو صاحب أفريقية وولده الافارق وأمر كل واحد من بنيه أن يبني لنفسه مدينة في موضعه \* وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط فقط وما فوقها الى أسوان وما دونها الى أشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمون من أشمون ما دونها في الشرق والغرب الى منف فسكن أشمون قفط فسميت به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة اجزاء جزاين بالصعيد وجزاين بأسفل الارض \* وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر



الادفوي في كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثني عشر يوما بسير الجمال وعرضه ثلاث ساعات وأكثر بحسب الاماكن العامرة ويتصل عرضه في السكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضي البجة وفي الغربية بالواح وهي كورتان شرقية وغربية والنيل بينهما فاصل وأول الشرقية من مرج بن هرم المنصلة أرضها بأراضي جرجا من عمل أخميم وآخرها من قبلى الهو وبها أول أراضي النوبة وفي هذه السكورة تبج وقفت وقوص وأول السكورة الغربية برديس تتصل أرضها بأرض جرجا وفي هذه السكورة الغربية سمود وآخر السكورة الغربية أسوان وبحافته أكثر النخل من الجانبين تكون مساحة الأراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان والمستوى على اقليم الصعيد المشتري ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرباب تمرأ ففصها بمصر الولاية فلم تحمل في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي وبيع منها في الغلاء كل وبيسة بدينار ويقال لما صورت الدنيا لأمير المؤمنين هرون بن محمد الرشيد لم يستحسن الاكورة سيوط من صعيد مصر فانها ثلاثون الف فدان في استواء من الارض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها \* وبالصعيد بقايا سحر قديم \* حكى الأمير طقطبا والي قوص في أيام الناصر محمد بن قلاوون قال أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها أريد أن أبصر شيئا من سحرك فقالت أجود عملي أن أسحر العقرب على اسم شخص بعينه فلا بد أن تقع عليه ويصيبه سمها فقتله فقلت أرئني هذا واقصدني بسحرك فأخذت عقرباً وعلقت ما أحببت ثم أرسلت العقرب فتبعني وأنا أنجي عنه وهو يقصدني فجلست على تحت وضعت على بركة ماء فأقبل العقرب الي ذلك الماء وأخذ في التوصل الي فلم يطلق ذلك فر الي الحائط وصعد فيه وأنا أشاهده حتى وصل الي السقف ومر فيه الي أن صار فوقى وألقى نفسه صوبى وسعى نحوى حتى قرب مني فضربته فقتله ثم قلت الساحرة أيضا \* وأرض الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وغير ذلك لكثرة نتاجه حتى ان الرأس الواحد من نعاج الضأن يتولد عنه في عشر سنين ألف وأربع وعشرون رأسا وذلك بتقسير السلامة وأن تلد كلها انا وتلد مرة واحدة في كل سنة ولا تلد في كل بطن غير رأس واحد والافان ولدت في السنة مرتين وكان في كل بطن رأسان تضاعف العدد وتأمل حساب ما قلناه نجده صحيحا وقد شوهد كثيرا أن من أغنام الصعيد ما يلد في السنة ثلاث مرات ويلد في البطن الواحد ثلاثة رؤس \* وكانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لست قبائل وهم بنو هلال وبلى وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب وكان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الانصار ومن مزينة وبنى دراج وبنى كلاب وثلعة وجزام \* وبلغ من عمارة الصعيد أن الرجل في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها كان يمر من القاهرة الي أسوان فلا



يحتاج الي نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور للضيافة اذا دخل داراً منها أحضر لدابته علفها وحجى له بما يليق به من الاكل ونحوه وآل أمره الآن الي أن لا يجد الرجل أحداً فيما بين القاهرة وأسوان يضيفه لضيق الحال ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراقي في أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون سنة ست وسبعين وسبعمائة وتزايد تلاشيه في أيام الظاهر برقوق لجور الولاة ولم يزل في ادبار الي أن كانت سنة ست وثمانمئة وشرقت مصر بقصور مد النيل فدهى أهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى انه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف انسان ومات من مدينة سيوط أحد عشر ألف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هوه خمسة عشر ألف انسان وذلك كله سوى الطرحى على الطرقات ومن لا يعرف من الغرباء ونحوهم ثم دمر في أيام المؤيد شيبخ فلم يبق منه الا رسوم تبذل الولاة الجهد في محوها نسال الله حسن الخاتمة

### ذكر الجنادل ولمع من أخبار أرض النوبة

الجنادل ما يقل الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله الواحدة جندلة والجنادل الجنادل قال سيويوه وقالوا جنادل يعنون الجنادل وصر فوه لتقصان البناء عمالاً ينصرف وأرض جندلة ذات جندل وقيل الجنادل المسكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير الجنادل \* قال عبد الله بن أحمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة والمقبرة وعلوة والبجة والنيل \* وأول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من أسوان اليها خمسة أميال وآخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف ببلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد النوبة ومن أسوان الي هذا الموضع جنادل كثيرة الحجر لا تسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يجبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك لان هذه الجنادل متقطعة وشعاب معترضة في النيل ولا نصابه فيها خزر عظيم ودوى يسمع من بعد وبهذه القرية مسلحة وباب الي بلد النوبة ومنها الي الجنادل الاولى من بلد النوبة عشر مراحل وهي الناحية التي يتصرف فيها المسلمون ولهم فيما قرب أملاك وتجرون في أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحدهم بالعربية وشجرها كثير وهي ناحية ضيقة شظنة كثيرة العجبال وما تخرج عن النيل وقرها متسطرة على شاطئه وشجرها النخل والمقل وأعلاها أوسع من أدناها وفي أعلاها الكروم والنيل لا يروى مزارعها لارتفاع أرضها وزرعها الفدان والفدانان والثلاثة على أعناق البقر بالدواب والقمح عندهم قليل والشعير أكثر والسلت ويمتقون الارض لضيقها فيزرعونها في الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب الدخن والذرة والجاورس والسمسم واللوبيا وفي هذه الناحية نجراش مدينة المريس وقاعة ابريم وقاعة أخري دونها وبها مينا تعرف بأدواء ينسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها بربا عجيب ولهذه الناحية وال من



قبل عظيم التوبة يعرف بصاحب الجبل من أجل ولانهم لقربه من أرض الاسلام ومن يخرج الى بلد التوبة من المسلمين فعاملته معه في تجارة أو هدية اليه أو الى مولاه يقبل الجميع ويكافئ عليه بالريق ولا يطلق لاحد الصعود الى مولاه لا لمسلم ولا لغيره \* وأول الجنادل من بلد التوبة قرية تعرف بتقوى هي ساحل واليها تنتهي مراتب التوبة المصعدة من القصر أول بلدهم ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا باذن من صاحب جبلهم ومنها الى المقس الاعلى ست مراحل وهي جنادل كلها وشرق ناحية رأيتها لهم لصعوبتها وضيقها ومشقة مسالكها أما بحرها جنادل وجبال معترضة فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب ويضيق في مواضع حتى يكون سعة ما بين الجانبين خمسين ذراعا وبرها مجاوب ضيقة وجبال شاهقة وطرفات ضيقة حتى لا يمكن المراكب ان يصعد منها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها وهذه الجبال حصنهم واليها يفزع أهل الناحية التي قبلها المتصلة بأرض الاسلام وفي جزائرها نخل يميز وزرع حقير وأكثرنا كلهم السمك ويدهنون بشحمه وهي من أرض مريس وصاحب الجبل واليهم والمسلحة بالمقس الاعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى ان عظيمهم اذا صار بها وقف به المساعي أوهم أنه يفتش عليه حتى يجد الطريق الى ولده ووزيره فن دونهما ولا يجوزها دينار ولا درهم اذا كانوا لا يتبايعون بذلك الا دون الجنادل مع المساميين وما فوق ذلك لا يبيع بينهم ولا شراء وإنما هي معاوضة بالريق والمواشي والحبال والحديد والحبوب ولا يطلق لاحد ان يجوزها الا باذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا من كان وبهذا الاحتياط تنكتم أخبارهم حتى ان العسكر منهم يهجم على البلد الى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسناد الذي يخرط به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع ينطس عليه فيوجد جسمه باردا مخالفا للحجارة فاذا أشكل عليه نفخ فيه بالفم فيعرق ومن هذه المساحة الى قرية تعرف بسامى جنادل أيضا وهي آخر كرسيمهم ولهم فيها أسقف وفيها برباطم ناحية سقلودا وتفسيرها السبع ولاة وهي أشبه الارض بالارض المتاخمة لارض الاسلام في السعة والضيق في مواضع والنخل والسكرم والزرع وشجر المقل وفيها شجر من شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشة وبها شجر الزيتون واليها من قبل كبيرهم ويحت يده ولاة بتصرفون وفيها قلعة تعرف بأصطنون وهي أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لان فيها جبلا معترضا من الشرق الى الغرب في النيل والماء ينصب من ثلاثة أبواب وربما رجع الى باين عند انحساره شديد الحرير عجيب المنظر يتحد الماء عليه من علو الجبل وقبله فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة برد الى قرية تعرف بيسنو وهي آخر قرى مريس وأول بلد مقررة ومن هذا الموضع الى حد المسلمين لسانهم مريسي وهي آخر عمل مملكهم



ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهي عند اسمها لحسنها وما رأيت على النيل أوسع منها وقدرت أن سعة النيل فيها من الشرق الى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزائر تقطعه والانهار منه تجري بينها على أرض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وأنعام واكثر ميرة مدينتهم منها وطورها النقيط والنوبي والبيغا وغير ذلك من الطيور الحسان وأكثر زهرة كبيرهم في هذه الناحية \* قال وكنت معه في بعض الاوقات فكان سيرنا في ظل شجر من الحافتين في الحلاجان الضيقة وقيل ان التماسح لا يضر هناك ورأيتهم يعبرون أكثر هذه الانهار سباحة ثم سفد بقل وهي ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم الآن فيها جزائر حسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان والكنايس والاديار والنخل الكثير والسكرم والبساتين والزرع ومروج كبار فيها ابل وجمال صهب مؤهلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لان طرفها القبلي يحاذي دنفلة مدينتهم ومن مدينة دنفلة دار المملكة الى أسوان خمسون مرحلة وذكر صفحتها ثم قال انهم يسقون مجالسهم بخشب السنط وبخشب الساج الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة سقالات منحوتة لا يدرى من أين تأتي ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دنفلة الى أول بلد علوة أكثر مما بينها وبين اسوان وفي ذلك من القرى والضبياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والسكرم أضعاف مافي الجانب الذي يلي أرض الاسلام وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال والوحش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش والنيل ينظف من هذه السواحي الى مطلع الشمس والى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل الى الممدن المعروف بالثلة وهو بلد يعرف بشنقير ومنه خرج العمري وتقلب على هذه الناحية الى أن كان من أمره ما كان وقرى البحر يكثر في هذه المواضع ومن هذا الموضع طرق الى سواكن وباصع ودهلك وجزائر البحر ومنها عبر من نجا من بني أمية عند هربهم الى النسوبة وفيها خلق من البجة يعرفون بالرفاج انتقلوا الى النسوبة قديما وقطنوا هناك وهم على حدتهم في الرعي واللغة لا يخاطبون النسوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النسوبة

ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم

اعلم أن النسوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنسوبة هم المريس الجاورون لارض الاسلام وبين أول بلادهم وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلها جد النسوبة ومقرى جد المقررة من اليمن وقيل النسوبة ومقرى من حمير وأكثر أهل الانساب على انهم جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النسوبة والمقرة حروب قبل التصراية وأول أرض المقررة قرية تعرف بناافة على مرحلة من أسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراس على أقل من عشر



مراحل من أسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاها قبل مبعة في أيام فرعون فأخرب نافة وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة ومدينة دنقة هي دار مملكتهم وأول بلاد علوة قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب وهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف بالرحراح والنيل يتشعب من هذه الناحية على سبعة أنهار فمنها نهر يأتي من ناحية المشرق كدر الماء يجف في الصيف حتى يسكن بطنه فاذا كان وقت زيادة النيل نبع فيه الماء وزادت البرك التي فيه وأقبل المطر والسيول في سائر البلاد فوقعت الزيادة في النيل وقيل ان آخر هذا النهر عين عظيمة تأتي من جبل قال مؤرخ النوبة وحدتني سميون صاحب عهد بلد علوة أنه يوجد في بطن هذا النهر حوت لاقتصر له ليس هو من جنس مافي النيل يحفر عليه قامه وأكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولد بين العلوة والبجة يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازة يأتي من عندهم طير يعرف بحمام بازين وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة ثم النيل الابيض وهو نهر يأتي من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكر أنه يخرج من جبال الرمل أو جبل الرمل وانه يجتمع في بلد السودان في برك عظام ثم ينصب الى مالا يعرف وانه ليس بأبيض فلما أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر ينصب اليه وعليه أجناس من جانيه ثم النيل الاخضر وهو نهر يأتي من القبلة مما يلي الشرق شديد الخضرة صافي اللون جدا يرى مافي قعره من السمك وطعمه مخالف لطعم النيل يعطش الشارب منه بسرعة وحيثان الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف ويأتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والغناء وخشب له رائحة كرائحة اللبان وخشب غليظ تحت ويعمل منه مقدم وعلى شاطئه ينبت هذا الخشب أيضا وقيل أنه وجد فيه عود البخور قال وقد رأيت على بعض سقالات الساج المنحوتة التي تأتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الابيض والاخضر عند مدينة متملك بلد علوة ويبقيان على ألوانهما تريبا من مرحلة ثم يختلطان بمد ذلك وينهما أمواج كبار عظيمة بتلاطمهما قال وأخبرني من نقل النيل الابيض وصبه في النيل الاخضر فبقي فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطا وبين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فأولهما يعرف عرضه ثم يتسع فيصير مسافة شهر ثم لا تدرك سعتهما لحوف من يسكنهما بعضهم من بعض لان فيهما أجناسا كثيرة وخلق اعظما قال وباغني أن بعض متملكي بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا يسكنون ودواهم في بيوت تحت الارض مثل السرايب بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم عراة والانهار الاربعة الباقية تأتي أيضا من القبلة مما يلي الشرق أيضا في وقت واحد ولا



يعرف لها نهاية أيضا وهي دون الهرين الأبيض والأخضر في العرض وكثرة الخلعان والجزائر  
وجميع الأنهار الأربعة تنصب في الأخضر وكذلك الأول الذي قدمت ذكره ثم مجتمع مع  
الأبيض وكلها مسكونة عامرة مسلوكة فيها بالسفن وغيرها وأحد هذه الأربعة يأتي مرة من  
بلاد الحبشة قال ولقد أكثر السؤال عنها واستكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا  
يقول أنه وقف على نهاية جميع هذه الأنهار والذي انتهى إليه علم من صرفني عن آخرين إلى  
خراب وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الأنهار آلة مراكب وأبواب وغير ذلك فيدل على  
عمارة بعد الخراب فلما الزيادة فيجمعون أنها من الأمطار مع مادة تأتي من ذاتها والدليل  
على ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجائبه أن زيادته في أنهار  
مجموعة وسائر النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد واسوان وبلد التوبة وعلوة وما  
وراء ذلك في زمان واحد وأكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا  
باسوان ولا توجد بقوص ثم تأتي بعد فاذا كثرت الأمطار عندهم واتصلت السيول علم أنها  
سنة رى وإذا قصرت الأمطار علم أنها سنة ظمأ قال وأما من طرق بلاد الزنج فانهم أخبروني  
عن مسيرهم في بحر الصين إلى بلاد الزنج بالرياح الشمالية مساحلين للجانِب الشرقي من جزيرة  
مصر حتى يتنوها إلى موضع يعرف برأس حفري وهو عندهم آخر جزيرة مصر فينظرون  
كوكبا يهتدون به فيقصدون الغرب ثم يعودون إلى البحري ويصير الشمال في وجوههم حتى  
يأتوا إلى قبيلة من بلاد الزنج وهي مدينة متمسكهم وتصير قلوبهم للصلاة إلى جدة قال وبعض  
الأنهار الأربعة يأتي من بلاد الزنج لأنه يأتي فيه الخشب الزنجي وسوبة مدينة العلوى شرقي  
الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الأبيض والأخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما  
وشرقيها النهر الذي يجف ويسكن بطنه وفيها ابنة حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة  
الذهب وبساتين ولها رباط فيه جماعة من المسامين ومتملك علوة أكثر مالا من متملك المقررة  
وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقرى وبلده أخصب وأوسع والنخل والسكر  
عندهم يسير وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الأرز منها خبزهم ومزهرهم واللحم عندهم  
كثير لكثرة المواشى والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى أنه لا يوصل إلى الجبل إلا في  
أيام وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية يعاقبة وأساقفتهم من قبل  
صاحب الاسكندرية كالتوبة وكتبهم بالرومية يضر ونها بلسانهم وهم أقل فهما من التوبة  
وملكهم يسترق من شاء من رعيتهم بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون  
له ولا يعصون أمره على المسكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو  
يتزوج بالذهب والذهب كثير في بلده \* وما في بلده من العجائب أن في الجزيرة الكبرى  
التي بين البحرين جنسا يعرف بالسكرينا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا



كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الحطة يسيرا وجعل البذر في وسط الحطة وشياً من المزر وانصرف عنه فاذا أصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصديسيرا منه ووضع في موضع أرادته ومعه مزر وينصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرن فاذا أراد دراسته وتذريته فعل به كذلك وربما أراد أحدهم أن يتقى زرعه من الحشيش فيلفظ بقلع شيء من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ماذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد وميرة بلد علوة ومتملكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب فتوسق وربما وقع بينهم حرب \* قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يعرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثل لما ذكرت شيئاً منه لشناعته فأما أهل الناحية فيزعمون أن الجن تفعل ذلك وأنها تظهر لبعضهم وتخدمهم بحجارة ينطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب وإن السحاب يطعمهم \* قال ومن عجائب ما حدثني به متملك المقررة للنوبة أنهم يمحطرون في الجبال ويلتقلعون منه للوقت سمكا على وجه الأرض وسألتهم عن جنسه فذكروا أنه صغير القدر بأذنان حمر قال وقد رأيت جماعة وأجناسا ممن تقدم ذكر أكثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى ويتقربون إليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنته من شجرة أو بهيمة وذكر أنه رأى رجلا في مجلس عظيم المقررة سأله عن بلده فقال مسافته إلى النيل ثلاثة أهلة وسأله عن دينه فقال ربي وربك الله ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وأنه قال له فأين يكون قال في السماء وحده وقال انه إذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء أو وقع بدوابهم آفة صعداوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضي حاجتهم قبل أن ينزلوا وسأله هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما أيدوا به من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا \* قال مؤلفه رحمه الله وقد غلب أولاد كثر الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبني بدقلة جامع يأوى إليه الغرباء واعلم أن على ضفة النيل أيضا السكائم وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة جدا وقاعدة ملكة بلدة اسمها حيبي وأول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زرلا وآخرها طولاً بلدة يقال لها كاكا وبينهما نحو ثلاثة أشهر وهم يتكلمون وملكهم متحجب لا يرى الا يومى العيدين بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه أحد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والبادنجان واللفت والرطب ويتعاملون بقماش ينسج عندهم



اسمه دندى طول كل ثوب عشرة أذرع يشترتون به من ربيع ذراع فأكثر ويتعاملون  
 أيضا بالودع والخرز والنحاس المسكمر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك القماش وفي جنوبها  
 شعاري وصحارى فيها أشخاص متوحشة كالفيول قريبة من شكل الآدمي لا يلبثها الفارس  
 تؤذى الناس ويظهر في الليل أيضا شبه نار تضيء فإذا مشى أحد ليلحقتها بمدت عنه ولو  
 جرى اليها لا يصل اليها بل لاتزال امامه فإذا رماها بحجر فأصابها تشظي منها شرر وتعظم  
 عندهم اليقظينة حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها في النيل \* وهذه البلاد بين أفريقية وبرقة  
 ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهي بلاد قحط وشطن وسوء مزاج واول من  
 بث بها الاسلام الهادى العثماني ادعى انه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وصارت  
 بعده لليزنيين من بنى سيف بن ذى يزن وهم على مذهب الامام مالك بن انس رحمه الله  
 والعدل قائم بينهم وهم يابسون في الدين لا يلبثون وينوا بمدينة مصر مدرسة للمالكية صرفت  
 بمدرسة ابن رشيق في سنى أربعين وستائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها في  
 المدارس ان شاء الله تعالى

### ❦ ذكر البجة ويقال انهم من البربر ❦

اعلم أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالحزيرة معدن الزمرذ في صحراء قوص وبين  
 هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر الجاحظ انه ليس في الدنيا معدن  
 للزمرذ غير هذا الموضع وهو يوجد في مغاير بعيدة مظامة يدخل اليها بالمصاييح وبجبال  
 يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله  
 غشيم دونه في الصبغ والجوهر وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه  
 الجزيرة أعني جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك  
 وهم بادية يتبعون السكلا حينما كان الرعي بأخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء ولكل  
 بطن منهم رئيس وليس عليهم مملكة ولا لهم دين وهم يورنون ابن البنت وابن الاخت  
 دون ولد الصاب ويقولون ان ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها  
 أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديما رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه  
 يسكن قرية تعرف بهجر هي أقصى جزيرة البجة ويركبون الثعب الصهب وتنتج عندهم  
 وكذلك الجمال العربا كثيرة عندهم أيضا والمواشى من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة  
 عندهم وبقرهم حسان ملامعة بقرون عظام ومنهاجم وكباشهم كذلك منمرة ولها اللبن وغذاؤهم  
 اللحم وشرب اللبن واكلهم لاجين قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطونهم خماس  
 وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة في الجرى يباينون بها الناس وكذلك جاهلهم شديدة  
 العدو صبورة عليه وعلى العطش يساقون عندها الخيل ويقاثلون عليها وتدور بهم كما يشتهون  
 ( م ٤٠ - خطط ل )



ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرمي الواحد منهم  
 الحربة فان وقعت في الرمية طار اليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت في الارض ضرب  
 الجمل بجرانه الارض فأخذها صاحبها ونسبغ منهم في بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديد  
 مقدام وله جمل ماسع بمثله في السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف  
 على مصلى مصر يوم العيد وقد قرب العيد قريبا لا يكون لابلوغ اليها في مثله حقيقة فوفى بذلك  
 واشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذي أوجب أن يكون في  
 السفح طليعة يوم العيد وكان الطولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقنون في سفح الجبل المقطم  
 مما يلي الموضع المعروف بالحش جيشا كثيفا مراعييا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل  
 عيد وهم أصحاب ذمة فاذا غدر أحدهم رفع المغدور به نوا على حربة وقال هذا عرش فلان  
 يعني أبا الغادر فتصير سيئة عايه الي أن يتراضه وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرقت أحدهم  
 الضيف ذبح له فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو لغيره وان  
 لم يكن شي نحر راحلة الضيف وعوضه ماهو خير منها وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول  
 الحديد ثلاثه اذرع والعود أربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديده في عرض السيف  
 لا يخرجونها من أيديهم الا في بعض الاوقات لان في آخر العود شيأ شبيها بالفلكة يمنع  
 خروجها عن أيديهم وصناع هذه الحراب نساء في موضع لا يختلط بهن رجل الا المشتري  
 منهن فاذا ولدت احداهن من الطارقين لهن جارية استحيتها وان ولدت غلاما قتلته وبقلن  
 ان الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومة  
 من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة في البحر وقسيهم عربية كبار غلاظ من  
 السدر والشوحط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف  
 يطبخ على النار حتى يصير مثل العرا فاذا أرادوا تجربته شرط أحدهم جسده وسيل الدم  
 ثم شممه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لثلا يرجع الي جسده فيقتله  
 فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجما وليس له عمل في غير الجرح والدم  
 وان شرب منه لم يضر وبلدانهم كلها معادن وكما تصاعدت كانت أجود ذهبها وأكثر وفيها  
 معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والمارقشيتا والحمت والزمرد  
 وحجارة شطبا فاذا بلت الشطبة منها بزيت وقدت مثل الفتيلة وغير ذلك مما شغلهم طلب  
 معادن الذهب عما سواه والبيجه لا تتعرض لعمل شي من هذه المعادن وفي أوديتهم شجر المقل  
 والاهليلج والاذخر والشيخ والسنا والخنظل وشجر البان وغير ذلك وباقي بلادهم النخل  
 وشجر السكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبها سائر الوحش من السباع والفيلة  
 والتمور والفهود والقردة وعماق الارض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان



على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت ومن الطيور البيغا والتقيط والنوبي والقماري ودجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك وليس منهم رجل الا منزوع البيضة النبي وأما النساء فقطوع أشفار فروجهن وانه يلتحم حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط عليهم قطع ندي من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط وقبلوا المعنى في أن جعلوا قطع النسي للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقامون شياهم ويقولون لا تشبه بالحمير وفيهم جنس آخر في آخر بلاد البجة يقال لهم البازة نساء جميعهم يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بمضا وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة فجعلوا ينظرون اليه من بعد \* وتعظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ورؤيت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبا والتفت على امرأة وردت فقتلتها فرؤى شحمها قد خرج من دبرها من شدة الضغطة وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أرضها مات واذا قتلت وأمسك القتال ماقتلها به من عود أو حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بحشبة فانشقت الحشبة واذا تأمل هذه الحية أحد وهي ميتة أوحية أصابه ضررها وفي البجة شر وتسرع اليه ولهم في الاسلام وقبله اذية على شرق صعيد مصر خربوا هناك قرى عديدة وكانت فراغنة مصر تغزوهم وتوادعهم أحيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما أن ملكوا مصر ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فتحت مصر \* قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صالح وكان أول من هادتهم عبيد الله بن الجبحاب السلولي ويذكر أنه وجد في كتاب ابن الجبحاب لهم ثمانمائة بكر في كل عام حين ينزلون الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوا عبيد المسلمين وان يردوا آبقيهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤاخذون بهذا وبكل شاة أخذها البجاوى فعليه أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيانهم مقيما بالريف رهينة بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلي مصر من أول حدهم الى العلاقي وعيذاب المعبر منه الى جدة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يرفون بالرنافج هم أكثر عددا من الحدارب غير أنهم سبع لهم وخفراؤهم يحمونهم ويحبونهم المواشي والسكل رئيس من الحدارب قوم من الرنافج



في حملته فهم كالعبيد بتوارثونهم بعد أن كانت الرناجق قدما أظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على المسلمين وكان ولاية اسوان من العراق فرفع الى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون بقريتهم هجر المقدم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد بأبى الله في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ومائتين لسكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان انك سألتني وطلبت الى أن أومتك وأهل بلدك من البجة وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقامت واستقاموا على ما أعطيتني وشروطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجباها من انتهى حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين الا انك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجة وعلى أن تؤدي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة وذلك مائة من الابل أو ثلثمائة دينار وازنة داخله في بيت المال والخيار في ذلك لأمير المؤمنين ولولائه وليس لك أن تخرم شيئا عليك من الخراج وعلى أن كل أحد منكم ان ذكر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به أو قتل أحدا من المسلمين حرا أو عبدا فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذراتهم وعلى أن أحدا منكم ان أعان المحاربين على أهل الاسلام بمال أو دله على عورة من عورات المسلمين أو أثر لعزتهم فقد نقض ذمة عهده وحل دمه وعلى أن أحدا منكم ان قتل أحدا من المسلمين عمدا أو سهوا أو خطأ حرا أو عبدا أو احدا من أهل ذمة المسلمين أو أصاب لاحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالا ببلد البجة أو ببلاد الاسلام أو ببلاد النوبة أو في شيء من البلدان برا أو بحرا فعليه في قتل المسلم عشرديات وفي قتل العبد المسلم عشريق وفي قتل الذمي عشرديات من دياتهم وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة اضعافه وان دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجرا أو مقبلا أو مجتازا أو حاجا فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم ولا تؤوا أحدا من أقبى المسلمين فان آتاكم فمليكم أن تردوه الى المسلمين وعلى أن تردوا أموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزم في ذلك وعلى انكم ان نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلون المدائن والقرى بحال ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل



الذمة ولا تسرقوا المسلم ولا ذمى ما لا وعلى أن لا تهدموا شيئاً من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولاً وعرضاً فان قتلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة وعلى أن يكون بن عبد العزيز يقيم بريف صعيد مصر وكيسلايفي للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما أصابه البجعة للمسلمين من دم ومال وعلى أن أحداً من البجعة لا يمترض حد القصر الى قرية يقال لها قبان من بلد التوبة حداً لاعمدة عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لسكنون بن عبد العزيز كبير البجعة الامان على ماسميننا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فان زاع كنون او عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجعة لقبض صدقات من أسلم من البجعة وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه باعظم ما أخذ على خلقه من الوفاء والميثاق والكنون بن عبد العزيز ولجميع البجعة عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم ما وفي كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير كنون أو بدل أحد من البجعة فذمة الله جل اسمه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بريثة منهم وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفاً حرفاً زكريا بن صالح الخزومي من سكان جدة وعبد الله بن اسمعيل القرشي ثم نسق جماعة من شهود اسوان فأقام البجعة على ذلك برهة ثم عادوا الى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فندب لجرهم محمد بن عبد الله القمي فسأل أن يختار من الرجال من أحب ولم يرغب الى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال منتخبة وسارت المراكب في البحر فاجتمع البجعة لهم في عدد كثير عظيم قد ركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك فشق لهم بكتاب طويل كتبه في طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفي أعناق الخيل الاجراس فنفرت الجمال بالبجعة ولم تثبت لصلصلة الاجراس فركب المسلمون أفتيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن أخيه وبعث يطلب الهدنة فصالحهم على أن يظاً بساط أمير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل بسر من رأى في سنة احدى وأربعين ومائتين فصوّل على أداء الاداوة والبقظ واشترط عليهم أن لا يمتنعوا المسلمين من العمل في المعدن وأقام القمي بأسوان مدة وترك في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ منه حتى لم يبقوا منه شيئاً فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا بالبجعة قل شرهم وظهر التبر لكثرة طلابه وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم أبو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربتة التوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه



ربيعة وجبينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في البجة حتى صارت الرواحل التي تحمل  
 الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب ومالت  
 البجة الى ربيعة وروحو اليهم وقيل ان كهان البجة قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن  
 معبودهم الطاعة لربيعة ولكنهم معافهم على ذلك فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الجزائر  
 والاهم على ذلك البجة فأخرجت من خلفها من العرب وتصاهروا الى رؤساء البجة وبذلك  
 كف ضررهم عن المسلمين والبجة الداخلة في صحراء بلد علوة مما يلي البحر الملح الى أول  
 الحبشة ورجاهم في الظعن والمواشي واتباع الرعي والمعيشة والمراكب والسلاح كحال الحدارب  
 الا أن الحدارب أشجع وأهدى من الداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان والافتداء بكهانهم  
 والسكل بطن كاهن يضرب له قبة من آدم معبدتهم فيها فاذا رأوا استخباره عما يحتاجون اليه  
 تعرى ودخل الى القبة مستدبرا ويخرج اليهم وبه أر جنون وصرع يقول الشيطان يقرئكم  
 السلام ويقول لكم ارحلوا عن هذه الحلة فان الرهط الفلاني يقع بكم وسأتم عن الغزو الى بلد  
 كذا فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التي تأخذونها من موضع كذا هي  
 لي والجارية الفلانية التي تجدونها في الخباء الفلاني والغنم التي من صفتها كذا ونحو هذا  
 القول فيزعمون أنه يصدقهم في أكثر من ذلك فاذا غنموا أخرجوا من الغنيمة ما ذكر  
 ودفنوه الى السكاهن يتموله وبحرمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حمل  
 السكاهن هذه القبة على حمل مفرد فيزعمون أن ذلك الجمل لا يثور الا بجهد وكذلك سيره  
 ويتصعب عرفا والحيمة فارغة لا شيء فيها وقد بقي في الحدارب جماعة على هذا المذهب  
 ومنهم من يتمسك بذلك مع اسلامه \* قال مؤرخ التوبة ومنه خلصت ما تقدم ذكره وقد  
 قرأت في خطبة الاجناس لامير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه ذكر البجة  
 والسكجة ويقول عنهم شديد كلهم قليل سلبهم فالبجة كذلك وأما السكجة فلا أعرفهم انتهى  
 ما ذكره عبد الله بن أحمد مؤرخ التوبة \* وقال أبو الحسن المسعودي فأما البجة فانها  
 نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملسكوا عليهم ملسكا وفي أرضهم معادن  
 الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على التجب الى بلاد التوبة  
 فيغزون ويسبون وقد كانت التوبة قبل ذلك أشد من البجة الى أن قوى الاسلام وظهر  
 وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العالقي وعيذاب وسكن في تلك الديار خاق  
 من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة  
 فتقويت البجة ثم صاهرها قوم من ربيعة فتقويت ربيعة بالبجة على من ناواها وجاورها من  
 قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين  
 وثلاثمائة بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة يركب في ثلاثة آلاف ألف من ربيعة وأحلافها



من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة في الحيف التحاوية وهم الحدارب وهم مسامون من بين سائر البجة والداخلة من البجة كفار يعبدون صنماهم والبجة المالكة لمعدن الزمرذ يتصل ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وأقرب العمارة اليه مدينة أسوان وجزيرة سوا كن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحبشى بحر قصير يخاض وأهلها طائفة من البجة تسمى الحاسنة وهم مسامون ولهم بها ملك \* وقال الهمداني نكح كنعان بن حام أرييب بنت شاوليل بن ترس ابن يافث فولدت له حقا والاساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة وأجناس السودان وقيل البجة من ولد حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجة قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر وألوانهم أشد سواداً من الحبشة يتزويون بزى العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والثوبة وكانت البجة تعبد الاصنام ثم أسلموا في امارة عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفيهم كرم وسباحة وهم قبائل وأخاذ لكل فخذ رئيس وهم أهل نجمة وطعامهم اللحم واللبن فقط

#### ذكر مدينة أسوان

أسوان من قولهم أسي الرجل يأسي أسي إذا حزن ورجل أسيان وأسوان أي حزين وأسوان في آخر بلاد الصعيد وهي نغر من نغور الأقليم يفصل بين الثوبة وأرض مصر وكانت كثيرة الخنطة وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ولحمانها هناك غاية في الطيب والسمن وكانت أسعارها أبدا رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها الى بلاد الثوبة ولا يتصل بأسوان من شرقها بلاد اسلامي وفي جنوبها جبل به معدن الزمرذ وهو في بزية منقطعة عن العمارة وعلى خمسة عشر يوما من أسوان معدن الذهب ويتصل بأسوان من غربها الواحات ويسلك من أسوان الى عيذاب ويتوصل من عيذاب الى الحجاز والى اليمن والهند \* قال المسعودي ومدينة أسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان ونزار بن ربيعة ومضر وحقا كثير من قريش وأكثرهم من الحجاز والبلد كثير النخل خصب كثير الخير تودع الثوبة في الارض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ولبن بأسوان ضياع كثيرة داخلة بأرض الثوبة يؤدون خراجها الى ملك الثوبة وابتيعت هذه الضياع من الثوبة في صدر الاسلام في دولة بني أمية وبنى العباس وقد كان ملك الثوبة استعدي المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم يوفد وفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان أناساً من أهل مكة كتبه وعيده بأعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاؤهم من أهل أسوان وانها ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاسرين فيها فجعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها



من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستزعم من أيديهم  
فاحتلوا على ملك النوبة بأن يقدموا الي من يتبع منهم من التوبة أنهم اذا حضروا حضرة  
الحاكم أن لا يقرروا لملكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر النوبة سبيلكم مع ملككم  
يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم عبيدا لملككم وأموالكم له فنحن كذلك فلما  
جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أنوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوقفوهم عليه من  
هذا المعنى فضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع  
بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا أحرار  
غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد  
المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس \* قال وأما النوبة فافتقت فرقتين فرقة في شرق النيل  
وغربه فأناخت على شاطئه واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر واتسعت  
مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحتموا بقرب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي  
مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفرقة الأخرى من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة عظيمة  
سموها سرقته والبلد المتصل بمملكته بأرض أسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية  
وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان قال وفي الجانب  
الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها فاما العمد  
والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها  
الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التي بالاسكندرية \* وفي ذى  
الحجة سنة أربع وأربعين وثلثمائة أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعا من المسلمين  
نفرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أنوجور بن الاخشيد في محرم  
سنة خمس وأربعين فصاروا في البر والبحر وبعثوا بعدة من النوبة أسروهم فضربت أعناقهم  
بعد ما أوقع بملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبى أهلها وقدم الى مصر  
في نصف جمادى الاولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيرا وعدة رؤس \* وقال  
القاضي الفاضل ان متحصل ثغر أسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين  
ألف دينار وقال السكال جعفر الادفوى وكان بأسوان ثمانون رسولا من رسل الشرح  
وتحصل من أسوان في سنة واحدة ثلاثون ألف أردب تمرأ وأخبرنا من وقف على مكتوب  
كان فيه أربعون شريفاً خاصة وان مكتوبا آخر رأى فيه ستين شريفاً دون من عداهم قال  
ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين وستائة من الهجرة \*  
وكان بثر أسوان بنو السكتر من ربيعة أمراء ممدوحون مقصودون صنع لهم الفاضل  
الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم



ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا الى كثر الدولة وأصحابه ترحلوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن ابن الزبير قال فيها

ونجده أن خانة الدهر أوسطا \* اناس اذا ما أنجد الذل أنهموا  
أجاروا فماتحت الكواكب خائف \* وجادوا ثا فوق البسيطة معدم

وانه أجازه عليها بألف دينار ووقف عليه ساقية تساوى ألف دينار وكان باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم التوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل ذلك فسار ملك التوبة في عشرة آلاف ونزل تجاه أسوان في جزيرة وأسر من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك امر الثغر واستولى عليه اولاد السكتر من بعد سنة تسعين وسبعمائة فأفسدوا فساداً كبيراً وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب الى ان كانت المحن منذ سنة ست وثمانمئة وخرّب اقليم الصعيد فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان ولم يبق للسلطان في مدينة أسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هوارة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمئة الى أسوان وحاربت اولاد السكتر وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هناك من النساء والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة أسوان ومضوا بالسي وقد تركوها خرابا يبابا لا سكن بها فاستمرت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله ابن أحمد بن سالم الاسواني في كتاب أخبار التوبة ان أبا عبد الرحمن عبدالله بن عبد الحميد العمري لما غلب على المعدن كتب الى أسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن فخرج اليه رجل يعرف بعثمان بن حبيخلة التيمي في ألف راحلة فيها الجهاز والبر \* وذكر أن العمري لما عاد الى بلاد البجة بعد حروبه للتوبة كثرت العمارة حتى اارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من أسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب قال ومما شاهده جماعة من شيوخنا الثقات باسوان بقية تدعى اساشي هي من أسوان على مرحلتين ونصف أنهم رأوا شرقها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها حميزة وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيئا وهذا يكون في الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس مجتمعون على رؤيتها وصحة هذا الخبر وكان بها أنواع من التمر وأنواع من الرطب منها نوع من الرطب أشد ما يكون من خضرة الساق وأمر هرود الرشيد أن يجمع له من ألوان تمر أسوان من كل صنف ثمرة واحدة فجمع له وبيبة ولا يعرف في الدنيا بسر يتعمر قبل أن يصير رطبا الا باسوان

\*( ذكر بلاق )\*

بلاق أجل حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل يحيط بها النيل فيها بلد  
( م ٤١ - خطط ل )



كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخل عظيم ومنبر في جامع واليها تنتهي سفن النوبة  
وسفن المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي أول بلد النوبة ميل  
واحد وبينها وبين اسوان أربعة أميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر  
لاتسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك  
وبالقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة

\* ( ذكر حائط العجوز ) \*

هذا الحائط كان حصنا لارض مصر يحرق بجميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورائه  
خليج يجري فيه الماء معقود عليه القناطر عملته دلوكه بنت زبا وقد وهي وتلاشي ولم يبق  
منه الا يسير في شط النيل الشرقي ينتهي الى اسوان قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله  
ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعني فرعون و جنوده وليس  
فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشرف من بمصر  
من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكه بنت زبا وكان  
لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين  
سنة فلذكورها تخافت أن يتناولها ملوك الارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهن ان بلادنا  
لم يكن يطعم فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أ كابرنا وأشرفنا وذهب السحرة الذين  
كنا نقوى بهم وقد رأيت أن ابني حصنا أحرق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل  
ناحية فانا لانأمن من أن يطعم فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر  
كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع  
وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة وفيها بين ذلك محارس صغار  
على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا  
بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من أي  
جهة كانت في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فتمت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه  
في ستة أشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا  
كبيرة والله أعلم

\* ( ذكر البقط ) \*

البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه  
الكلمة عربية فهي امامن قولهم في الارض بقط من بقل وعشب أي نبذ من مرعي فيكون  
معناه على هذا نبذة من المال او يكون من قولهم ان في بني تميم بقطا من ربيعة أي فرقة  
أو قطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ومنه بقط الارض فرقة منها وبقط



الشيء فرقه والبقط أن تعطى الحبة على الثلث أو الربع والبقط أيضا ماسقط من القمرا إذا قطع  
 فأخطأ المحرف فيكون معناه على هذا بعض ما في أيدي النوبة وكان يؤخذ منهم في قرية يقال لها  
 القصر مساقفتها من أسوان خمسة أميال فيما بين بلد بلاق وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص  
 وأول ما تقرر هذا البقط على النوبة في امارة عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن  
 أبي سرح بعد فتح مصر الى النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين في عشرين ألفا  
 فكث بها زمانا فكتب اليه عمرو يأمره بالرجوع اليه فلما مات عمرو رضى الله عنه نقض  
 النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى الصعيد فأخربوا  
 وأفسدوا فزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو على امارة مصر في خلافة  
 عثمان رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دقلة حصارا شديدا ورامهم  
 بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرف وحسب بهم كنيستهم بحجر فيهرهم ذلك وطلب ملكهم  
 واسمه قليدوروث الصلح وخرج الى عبد الله وابدى ضعفا ومسكنة وتواضعا فالتقاء عبد الله  
 ورفع وقربه ثم قرر الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا في كل سنة ووعد عبد الله محبوب  
 يهديها اليه لما شكله قلة الطعام ببليده وكتب لهم كتابا نسخته بمد البسملة عهد من الامير  
 عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير  
 والصغير من النوبة من حد أرض اسوان الى حد أرض علوة أن عبد الله بن سعد جعل  
 لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من  
 المسلمين وأهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله  
 عليه وسلم أن لا تخاربكم ولا نصب لكم حربا ولا نفروكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم  
 على أن تدخلوا بلدنا بمجازين غير مقيمين فيه وتدخل بلدكم بمجتازين غير مقيمين فيه وعليكم  
 حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد كل أبق  
 خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه  
 ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنه وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه  
 المسلمون ببناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كدسه واسراجه وتكرمه وعليكم  
 في كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المغيب  
 يكون فيها ذكر ان واناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون  
 ذلك الى والى اسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض  
 علوة الى أرض اسوان فان اتم أويتهم عبدا لمسلم أو قتلتم مسلما أو معاهد أو ترضتم للمسجد  
 الذى ابتناه المسلمون ببناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئا من الثلثمائة رأس والستين رأسا فقد  
 برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير



الحاكين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولنا  
 عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل  
 دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة  
 احدى وثلاثين \* وكانت التوبة دفعت الى عمرو بن العاص ماصولحوا عليه من البقط قبل  
 نكثهم وأهدوا الى عمرو وأربعين رأسا من الرقيق فلم يقبلها ورد الهدية الى كبير البقط ويقال  
 له سمقوس فاشتري له بذلك جهازا وخمرا ووجهه اليه وبعث اليهم عبيد الله بن سعد  
 ما وعدهم به من الجبوب قمحا وشعيرا وعدسا ونيابا وخيلائم تطاول الرسم على ذلك فصار  
 رسما يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة وصارت الاربعون رأسا التي أعدت الى عمرو  
 يأخذها والى مصر وعن أبي خليفة حميد بن هشام البحترى أن الذي صولح عليه التوبة  
 ثلثمائة وستون رأسا لقي المسلمين ولصاحب مصر أربعون رأسا ويدفع اليهم ألف أردب  
 قمحا ولرسله ثلثمائة أردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألف اقتبز للمتملك ولرسله  
 ثلثمائة اقتبز وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن اصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي اربعة  
 اثواب للمتملك ولرسله ثلثة ومن البقطرية ثمانية اثواب ومن المعلمة خمسة اثواب وجبة بحملة  
 للملك ومن قمص ابي بقطر عشرة اثواب ومن احاص عشرة اثواب وهي ثياب غلاظ قال  
 ابو خليفة ليس في كتاب عبد الله بن وهب ولا في كتاب الواقدي تسمية ينتهي اليها وانما  
 اخذت التسمية من ابي زكريا قال ابو زكريا سمعت والدي عمرو بن صالح يقول هذا الخبر  
 حفظت منه ما وقفت عليه وقال حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال  
 أنت عثمان بن صالح الذي وجهنا اليك في كتاب بقط التوبة قلت نعم فأقبل على محفوظ بن  
 سايمان فقال ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ  
 فما شفانا أحد منهم فقلت أصلح الله الامير ان الذي طلبت من خبر التوبة عندي قد حفظه  
 شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هناك والهدنة والصلح الذي جرى بين عبد الله بن سعد  
 وبين التوبة ثم حدثته عن أخبارهم كما سمعت فأنكر عطية الخمر فقلت قد أنكرها عبد  
 العزيز بن مروان وكان هذا المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد أن تم  
 الصلح بينه وبين عبد الله بن السري بن الحكم التميمي الامير كان قبله قال عثمان بن صالح  
 فوجه الامير الى الديوان بظهر المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر التوبة فوجده كما  
 ذكرت فسرره ذلك \* وعن مالك بن أنس أنه كان يرى أن أرض التوبة الي حد علوة صالح  
 وكان لا يبيز شراء رقيقهم وكان أصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله بن وهب  
 والليث بن سعد ويزيد بن أبي حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث  
 ابن سعد نحن أعرف بأرض التوبة من الامام مالك بن أنس انما صولحوا على أن لا تغزواهم



ولا تمنع منهم عدواً فما استرقه ممتلكهم أو غزا بعضهم بعضاً فشرأوه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسراقهم فغير جائز وكان عند جماعة منهم جوار نوبيات لفرشهم ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى أيام أمير المؤمنين المعتصم بالله أبي اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن بنحس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فشنت الغارة عليهم ولاة المسلمين القريبون من بلادهم ويمنع من اخراج الجهاز اليهم فأنكر فيرقى ولد كبيرهم زكرياء على أبيه بذله الطاعة لغيره واستعجزه فيما يدفع فقال له أبوه فما تشاء قال عصيانهم ومحاربتهم قال أبوه هذا شيء رأه السلف من آبائنا صواباً وأخشي أن يفضي هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير اني أوجهك الى ملكهم رسولا فأنت ترى حائنا وحالمهم فان رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبيرة والاسألته الاحسان الينا فشحخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان تزين له ويسير على المدن وأنحدراً بأحداره رئيس البجة بأسبابه ولقيا المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش وعظم الممارسة مع ما شاهداه في طريقهما فغرب المعتصم فيرقى وأذناه وأحسن اليه احساناً تاماً وقبل هديته وكافاه بأضعافها وقال له تمن ما شئت فسأله في اطلاق المحبوسين فاجابه الى ذلك وكبر في عين المعتصم ووهب له الدار التي نزلها بالعراق وأمر أن يشتري له في كل منزل من طريقه دار تكون لرسامهم فانه امتنع من دخول دار لاحد في طريقه فأخذ له بمصر دار بالحيزة وأخرى ببني وائل وأجرى لهم في ديوان مصر سبعمائة دينار وفرساً وسرجاً ولجماً وسيفاً محلي وثوباً مثقلاً وعمامة من الحز وقيص شرب ورداء شرب وثياباً لرساله غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم حملان وخلع على المتولي لقبض البقط وعليهم رسوم معلومة لقباض البقط والمتصرفين معه وما يدي اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده أكثر من البقط وأنكر عطية الحمر وأجرى الجبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتاباً بذلك بقي في يد النوبة وادعى التوبى على قوم من أهل أسوان أنهم اشتروا أملاً كما من عبيده فأمر المعتصم بالنظر في ذلك فأحضر والى البلد والمختار للحكم فيه التابعين من النوبة وسألاهم عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فأنكروا ذلك وقالوا نحن رعية فزال ما ادعاه وطلب أشياء غير ذلك من ازالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لان المسلحة على أرضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جارياً بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى أن قدمت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال أبو الحسن المسعودى والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة ويحمل الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثائة رأس وخمسة وستون رأساً



ليبت المال بشرط الهدنة بين الثوبة والمسلمين وللأمير بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأساً  
 وخليفته المقيم بأسوان وهو المتولى لقبض البقط عشرون رأساً وللحاكم المقيم بأسوان الذي  
 يحضر مع أمير أسوان قبض البقط خمسة أرؤس ولانثي عشر شاهدا عدول من أهل أسوان  
 يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي على حسب ما جري به الرسم  
 في صدر الاسلام في بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والثوبة وقال البلاذري في كتاب  
 الفتوحات ان المقرر على الثوبة أربع مائة رأس يأخذون بها طعاما أي غلة وألزمهم أمير المؤمنين  
 المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ثلثمائة وستين رأساً وزرافة وفي سنة أربع وسبعين  
 وسبعمائة كثر خبث داود متملك الثوبة وأقبل الى أن قرب من مدينة أسوان وحرقت عدة  
 سواق بعد ما أفسد بعينذاب فضى اليه والى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل في  
 عدة من الثوبة وحملهم الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم  
 وقدم سكيندة ابن أخت متملك الثوبة متظاهماً من خاله داود فجرد السلطان معه الامير شمس  
 الدين آق سنقر الفارقاني الاستادار والامير من الدين ايبك الافرم وأمير جاندار في جماعة  
 كثيرة من العسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلي والزرايين والرماة ورجال  
 الحاربيق فساروا في أول شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى أرض الثوبة فخرجوا الى  
 لقاءهم على النجيب بأيديهم الحراب وعليهم دكاك سود فاقتتل الفريقان قتالاً كبيراً انهزم  
 فيه الثوبة وأغار الافرم على قلعة الدر وقتل وسبي وأوغسل الفارقاني في أرض الثوبة برا  
 وبجرا يقتل ويأسر فحاز من المواشي مالا يعد ونزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل ونفر  
 المراب من الجنادل ففر الثوبة الى الجزائر وكتب لقمر الدولة نائب داود متملك الثوبة  
 أمانا خلف لسكيندة على الطاعة وأحضر رجال المريس ومن فر وخاض الافرم الى برج  
 في الماء وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين وأسر أخا داود فهرب داود والعسكر في أثره  
 مدة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسرت أم داود وأخته ولم يقدر  
 على داود فتقرر سكيندة عوضه وقرر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلاث فيلة وثلاث  
 زرافات وخمس فهود من اناتها ومائة نجيب أصهب وأربعمائة رأس من البقر المنتجة على  
 أن تكون بلاد الثوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد  
 الجنادل فانها كلها للسلطان لقرها من أسوان وهي نحو الربع من بلاد الثوبة وأن يحمل  
 ما بها من التمر والنظن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وأن يقوموا بالجزية  
 ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عيناً وكتب نسخة يمين بذلك  
 حلف عليها الملك سكيندة ونسخة يمين أخرى حلفت عليها الرعية وخرب الاميران كنائس  
 الثوبة وأخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين أميراً من أمراء الثوبة وأخرج عن كان بأيدي



النوبة من أهل أسوان وعيذاب من المسلمين في أسرهم وألبس سكندة تاج الملك وأقعد على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم أن يحمل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب الي السلطان مع البقط القديم وهو أربعمئة رأس من الرقيق في كل سنة ووزافة من ذلك ما كان للخليفة ثلثمائة وستون رأسا وثلثمائة بمصر أربعون رأسا على أن يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاما من القمح ألف أردب لثملكم وثلثمائة أردب لرسله

### ذكر صحراء عيذاب

اعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها الله تعالى الا من صحراء عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الي عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب الى جدة ساحل مكة وكذلك تجار الهذد واليمن والحبشة يردون في البحر الى عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الي قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة أهلة بما يصدر أو رد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والفقول صاعدة وهابطة لا يترض لها أحد الى أن يأخذها صاحبها فلم تزل مسلكا للحجاج في ذهابهم ويايهم زيادة على مائتي سنة من اعوام بضع وخمسين وأربعمئة الى أعوام بضع وستين وستمئة وذلك منذ كانت الشدة العظمى في أيام الخليفة المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر واقطاع الحج في البر الى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري السكبة وعمل لها مفتاحا ثم اخرج قافلة الحاج من البر في سنة ست وستين وستمئة فقلّ سلوك الحاج لهذه الصحراء واستمرت بضائع التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبعمئة وتلاشى امر قوص من حينئذ وهذه الصحراء مساقها من قوص الى عيذاب سبعة عشر يوما ويفقد فيها الماء ثلاثة ايام متوالية ونارة يفقد اربعة ايام وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهي غير مسورة واكثر بيورتها اخصاص وكانت من اعظم مراسى الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى ان كانت اعوام بضع وعشرين وثمانمئة فصارت جدة أعظم مراسى الدنيا وكذلك هرمز فانها مرسى جليل وعيذاب في صحراء لانبات فيها وكل ما يؤكل بها مجلوب اليها حتى الماء وكان لاهلها من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التي تحملهم في البحر الى جدة ومن جدة الى عيذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في أهل عيذاب الا من له جلبة فاكثر على قدر يساره وفي



وفي بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها تخرج اليه الغواصون في وقت معين من كل سنة في الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هنالك أياما ثم يمودون بما قسم لهم من الحظ والمغاص فيها قريب القعر وعيش أهل عيذاب عيش البهائم وهم أقرب الي الوحش في أخلاقهم من الانس وكان الحجاج يمجدون في ركوبهم الجلاب على البحر أهوالا عظيمة لان الرياح تاقمهم في الغالب بمراس في صحارى بعيدة مما يلي الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكارونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء فرما هلك اكثرهم عطشا وأخذ التجار ما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشا والذي يسلم منهم يدخل الى عيذاب كأنه نثر من كفن قد استحالت هيأتهم وتغيرت صفاتهم واكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب وهو الاقل وجلباتهم التي تحمل الحجاج في البحر لا يستعمل فيها مسمار البتة انما يخيظ خشبها بالقنبار وهو متخذ من شجر النار جيل ويخلونها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها بسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش وهو حوت عظيم في البحر يبتلع الفرقي وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل ولا هل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون في شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة ولا يباليون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دائما علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح وأهل عيذاب من البجاة ولهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وأدركت قاضيها عندنا بالقاهرة أسود اللون والبجاة قوم لادين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبدا عراة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لا يستر عوراتهم وعيذاب حرها شديد بسموم محرق

### ❦ ذكر مدينة الاقصر ❦

هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال ان أهلها المريس ومنها الحمير المريسية

### ❦ ذكر البلينا ❦

هذه (٢) وذكر السكالك الادفوى أنه وقع بين أهل البلاد ووالى قوص فتوجهوا الى القاهرة وصر فوه وولى غيره وطلع الخطيب بالبلينا صحبته وكان اقطاعه ارمنت فلما وصل اليها أضافه أهلها بستين منسفا من طعام اللبن فقال للخطيب في بلادكم مثل هذا فقال الخطيب وحلوى فلما وصل الى اخميم تقدم الخطيب الى البلينا فعندما وصل الوالى اليها أخرجوا له ستين منسفا حلوى وستين منسفا شواء قال وبعض الحكام بها في عيد من الاعياد امتدحه من أهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها من لا يرضي بمدح القاضي وفيها من تقصر رتبته عن ذلك قال وكان فيها عدة مسابك للسكر ويوصف أهلها بالمسكارم



\* (ذكر سمهود) \*

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل فال الادفوى كان بسمهود سبعة عشر حجرا  
لاعتصار قصب السكر ويقال ان الفار لايدخل قصبها

\* (ذكر ارجنوس) \*

هذه المدينة من جملة عمل البنسا بها كنيسة بظاها فيها بئر يقال لها بئر سيرس صغيرة لها  
عيد يعمل في اليوم الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط فيفور بها الماء عند مضي  
ست ساعات من النهار حتي يطفو ثم يعود الى ما كان عليه ويستدل النصارى على زيادة  
النيل في كل سنة بقدر ماعلا الماء من الارض فيزعمون أن الامر في النيل وزيادته يكون  
موافقا لذلك

\* (ذكر ابوبط) \*

هذه المدينة أيضا من جملة البنساوية كان بها منارة محكمة البناء اذا هزها الرجل تحركت  
يمينا وشمالا فيرى ميلها رؤية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه

\* (ذكر ملوى) \*

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها  
عدة أحجار لاعتصاره وآخر من كان بها أولاد فضيل بلغت زراعتهم في أيام الناصر محمد بن  
قلاوون ألفا وخمسمائة فدان من القصب في كل سنة فأوقع النشو ناظر الخالص الحوطة على  
موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فوجد من جملة ما لهم أربعة عشر ألف قطار  
من القند حملها الى دار القند بمصر سوى العسل والزهم بحمل ثمانية آلاف قطار بعد ذلك  
وافرج عنهم فوجدوا لهم حاصل لم يهتد له النشوفيه عشرة آلاف قطار قند سوى ما لهم  
من عبيد وغلال وغير ذلك

\* (ذكر مدينة انصنا) \*

اعلم أن مدينة انصنا احدي مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب ويقال  
انه كان مقياس النيل وانه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر وكان كالطليسان وفي دائره  
عمد على عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الاحمر المانع ومسافة ما بين كل عمودين  
مقدار خطوة انسان وكان ماء النيل يدخل الى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء فاذا بلغ  
ماء النيل الحد الذي كان اذ ذاك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها جلس الملك عند ذلك  
في مشرف له وصعد القوم من خواصه الى رؤس الاعمدة المذكورة فيتعادون عليها ما بين  
ذاهب وآت ويتساقطون من الاعمدة الى الملعب وهو ممتلي بالماء قال ابو عبيد البكري انصنا  
بفتح أوله واسكان ثانيه بعده صاد مهملة مكسورة ونون وألف كورة من كور مصر معروفة



منها كانت سرية النبي صلى الله عليه وسلم ام ابنه ابراهيم من قرية يقال لها حفن من قري  
هذه السكورة ويقال ان سحرة فرعون كانوا منها وأنه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه  
السلام ويقال ان التماسح لا يضرب ساحل انصنا لظلامس وضعت بها وانه اذا حاذى برها  
انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال ان الذي بني مدينة انصنا اشمون بن مصر ايم بن بصر  
ابن حام بن نوح وهي واقفة في شرقي النيل وكانت حسنة البساتين والمتزهات كثيرة الثمار  
والفواكه وهي الآن خراب وقال ابو حنيفة الدينوري ولا يثبت البنج الا بانصنا وهو عود  
ينشر منه ألواح للسفن وربما أرغنت ناشرها ويباع اللوح منها بمجسمين ديناراً ونحوها واذا  
شد لوح منها بلوح وطرح في الماء سنة أيام صار لوحاً واحداً وكان لانصنا سور عتيق هدمه  
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل على كل مركب منحدر في النيل جزءاً من  
حمل صخره الى القاهرة فقلل بأسره اليها

\* (ذكر القيس)

اعلم أن القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد  
الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد نزار حتى اتى القيس فنزل بها  
فسميت به وقال ابن يونس قيس بن الحارث المرادى ثم السكبي شهد فتح مصر بروى عن  
عمر بن الخطاب وكان يفتي الناس في زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل شديد بن قيس  
ابن ثعلبة وروى عنه عسكر بن سودة وهو الذي فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس  
فنسبت اليه وقال ابن السكدي ولهم ثياب الصوف واكسية المرعز وليس هي بالدنيا الا  
بمصر وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبي سفيان لما كبر كان لا يدفأ فاجتمعوا أنه  
لا يذفيه الا الاكسية تمل بمصر من صوفها المرعز العسلي العين المصبوغ فعمل له منها عدد  
فما احتاج منها الا الى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في الستور والمضارب يعرفون به  
ومنه طراز أهل الدنيا \* وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في أيام السلطان الملك  
السكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أبوب فأمروا متولى البهنساوية بكشفه فجمع له أهل  
المعرفة بالموم والغطس فكانوا ما ينيف على مائتي رجل ما فيهم الا من نزل السرب فلم  
يجد له قراراً ولا جوانب فأمروا بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس  
السرب وشحنه بالازواد والرجال وركب فيه حبالا مربوطة في خوازيق عند رأس السرب  
وحمل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار وعدة شموع وغيرها مما استخراج  
به النار وتشمع به وأمرهم أن يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفذ نصف مامعهم من  
الزاد فساروا بالمركب في ظلمة وهم يرخون الجبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء  
جوانب فما زالوا حتى قلت ازوادهم فأبطلوا حركة المركب بالمخاضيف الى داخل السرب



وجروا الجبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى رأس السرب فكانت مدة غيبتهم في السرب ستة أيام أربعة منها دخولا الى جوفه وتطواف جوانبه ويومان رجوعا الى رأس السرب ولم يقفوا في هذه المدة على نهاية السرب فكاتب بذلك الامير علاء الدين الطنبغا والى الهنسا الى الملك الكامل فتعجب عجباً كثيراً واشتغل عن ذلك بمحاربة الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعادوا الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

### ❦ ذكر دروط بلهاسة ❦

اعلم أن دروط وهي بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء اسم لثلاث قرى دروط أشموم من الاشمونين ودروط سريان من الاشمونين أيضا ودروط بلهاسة من ناحية الهنسا بالصعيد وبها جامع انشاء زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العنكي ومات في المحرم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حاف الجود خلفه بر فيها \* ما برا الله واحدا كزياد

كان غيثا لمصر اذ كان حيا \* وأمانا من السنين الشداد

ومات أخوه ابراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة فقال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب \* يزاد حسنا على طول الدهارير

لو كان يملك ما في الارض عجمله \* الى العنفاة ولم بهمم بتأخير

ومات أحمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين فقال الشاعر فيه

أحمد مات ماجدا مفقودا \* ولقد كان أحمد محمودا

ورث المجد عن أب ثم عم \* مثله ليس بعده موجودا

### ❦ ذكر سكر ❦

هي من الاطفيحية تجاهها وادبه الى وقتنا هذا شكل جبل من الحجر كما كبر ما يرى من الجمال وأحسنها هيئة وهو قائم على أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى نخذه الايمن كتابة بقلمهم وهي أحرف مقطعة في ثلاثة أسطر ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جبل آخر مثله سواء ووجهه الى وجه الجبل الاول وليس عليه كتابة وفيما بين الجبلين المذكورين هيئة أعدل قد ملئت قاشا عدتها أربعون زكية موضوعة بالارض عشرين تجاه عشرين وجميعها من حجارة ولا يشك من رآها أنها أحمال قاش وبيد مائة وخمسين خطوة منها جبل ثالث على هيئة الجبلين المذكورين وهو أيضا قائم وظهره الى ظهر الجبل الثاني ووجهه الى الجبل وهناك آخر الوادي وليس على هذا الجبل أيضا كتابة أخبرني بذلك من لآتهم روايته

\* ( ذكر منية الحصب ) \*

هذه المدينة تنسب الى الحصب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير



\* ( ذكر منية الناسك ) \*

هي بلدة من جملة الاطفيحية عرفت بالناسك أخى الوزير بهرام الارمني في أيام الخليفة الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن محمد ولي من قبل أخيه مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يومئذ أجل ولايات مصر فجار على المسلمين واشتد عسفه واذاه لهم فعندما وصل الخبر بقيام رضوان بن والحشي على بهرام وهزيمته منه وتقلده الوزارة بعده نار أهل قوص بالناسك في جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وقتلوه وربطوا كلبا ميتا في رجله وسحبوه حتى القوه على مزبلة وكان نصرانيا

\* ( ذكر الجزيرة ) \*

قال ابن سيده الجزيرة الناحية والجانب وجمعها جيزوجيز والجزير جانب الوادي وقد يقال فيه الجزيرة واعلم أن الجزيرة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربي تجاه مدينة فسطاط مصر لها في كل يوم أحد سوق عظيم يجيء إليه من النواحي أصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة \* وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزيرة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله في أرضه ويقال ان مسجد التوبة الذي بالجزيرة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفه أمه فيه بالنيل وبها النخلة التي أرضعت مريم تحتها عيسى فلم يثمر غيرها \* وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب فاستجبت همدان ومن والاها الجزيرة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا في خططهم وما استجبت همدان من النزول بالجزيرة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت أن تفرق أصحابك لم يكن ينبغي لك أن ترضى لاحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ولا تدرى ما يفتجأهم فاعلك لا تقدر على غيبتهم حين ينزل بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجزيرة وأحبوا ما هنالك فابن عليهم من في المسلمين حصنا فعرض عليهم عمرو ذلك فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجزيرة ومن والاها على ذلك من رهطهم يافع وغيرها وأحبوا ما هنالك فبني لهم عمرو بن العاص الحصن في الجزيرة في سنة احدى وعشرين وفرغ من بناءه في سنة اثنتين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سأل أهل الجزيرة أن ينضموا الى الفسطاط قالوا مقدم قدمناه في سبيل الله ما كنا لنرحل منه الى غيره فترت يافع الجزيرة فيها مبرح بن شهاب وحمدان وذو اصبح فيهم أبو شمر بن ابرهة وطائفة من الحجر \* وقال القضاعي ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجزيرة خوفا من عدو يغشاهم من تلك



الناحية فجعل فيها آل ذي أصبح من حمير وهم كثير ويافع بن زيد من رعين وجعل فيها  
 همدان وجعل فيها طائفة من الازديين بنى الحجر بن الهبو بن الازد وطائفة من الحبشة  
 ودبوانهم في الازد فلما استقر عمرو في الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه  
 فكرهوا ذلك وقالوا هذا مقدم قدمناه في سبيل الله وأقننا به ما كنا بالذين نرغب عنه  
 ونحن به منذ أشهر فكاتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك يخبره  
 أن همدان وآل ذي أصبح ويافعا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف  
 رضيت أن تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفجأهم فلعلك لا تقدر  
 على غيبتهم فاجمعهم اليك ولا تفرقهم فان أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من في  
 المسلمين فجمعهم عمرو وأخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو  
 ببناء الحصن عليهم فكرهوا ذلك وقالوا لا حصن احصن لنا من سيوفنا وكرهت ذلك  
 همدان ويافع فأقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على يافع فبنى فيه الحصن في سنة احدى  
 وعشرين و فرغ من بناءه في سنة اثنتين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها فاحتط ذو  
 أصبح من حمير من الشرق ومضوا الى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع وكرهوا  
 أن يبني الحصن فيهم واحتط يافع بن الحرث من رعين بوسط الجيزة وبنى الحصن في  
 خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن اثثة منه واحتطت بكيل بن جشم من نوف من  
 همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرقيها واحتطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب  
 الشمال من الجيزة في غربيها واحتطت الجياوية بنوعا من بن بكيل في قبلي الجيزة واحتطت  
 بنو حجر بن ارحب بن بكيل في قبلي الجيزة واحتط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن  
 الهبو بن الازد فيما بين بكيل ويافع والحبشة احتطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع  
 بالجيزة بناه محمد بن عبد الله الخازن في الحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن  
 الاخشيد فنقدم كافور الى الخازن ببناءه وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة  
 يصلون الجمعة في مسجد همدان وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه  
 الجمعة في الجيزة وشارف بناء هذا الجامع مع الخازن أبو الحسن بن أبي جعفر الطحاوي  
 واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن في الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها  
 ونصب بدلها أركانها وحمل العمد الى الجامع فترك أبو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه مذ  
 ذاك تورعا قال النبي وقد كان ابن الطحاوي يصلي في جامع الفسطاط العتيق وبعض عمده  
 أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قره بن شريك عامل  
 الوليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار وانه كان بها أحجار ورخام قد  
 صورت فيها التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا



وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر محمد بن قلاوون الوزير أن يتعرض الى شيء مما يتحصل من مال الخيزرة فصار جميعه يحمل اليه

### ❦ ذكر سجن يوسف عليه السلام ❦

قال القضاعي سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجزيرة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثر نبين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه فيه وسطح السجن موضع معروف باجابه الدعاء يذكر أن كافور الاخشيدى سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف باجابه الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالاعاء على سطح السجن والتي الآخر موسى عليه السلام وقد بني على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى أخبرنا أبو الحسن علي بن ابراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن الورد وكان قد هلكت أخته وورث منها مورثا وكنا نسمع عليه دائما وكان لسجن يوسف وقت يمضي الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوما يا أصحابنا هذا أوان السجن وزيد أن نذهب اليه وأخرج عشرة دنانير فناولها لأصحابه وقال لهم ما اشتبهتموه فاشتروه ففنى أصحاب الحديث واشتروا ما أرادوا وعدينا يوم أحد الجزيرة كلنا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا الى مسجد موسى وهو الذي في السهل ومنه يطلع الى السجن وبينه وبين السجن نل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحملني ويطلع بي الى هذا السجن حتى أحده بمحدث لا أحده لاحد بعده حتى تفارق روحي الدنيا قال الشرفي فأخذت الشيخ وحملته حتى صرت في أعلاه فنزل وقال معك ورقة قلت لا قال أبصر لي بلاطة فأخذ حزمة وكتب حدثني يحيى بن أيوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن أسلم ابن يسار عن ابن عباس قال ان جبريل أتى الى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم فقال له يوسف من أنت الذي مذ دخلت السجن ما رأيت أحسن وجهها منك فقال له أنا جبريل فبكي يوسف فقال ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالانبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فما أقام الى آخر النهار حتى أخرج من السجن قال القضاعي سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه أبو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي وذكر سجن يوسف لو سافر الرجل من العراق ليصلي فيه وينظر اليه لما عنفته في سفره وقال الفقيه أبو اسحاق المروزي لو سافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عنفته \* وذكر المسيحي في حوادث شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وأربعمائة ان العامة والسوقة طافت الاسواق بمصر بالبطول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الاسواق ما ينفقونه في مضيهم الى سجن يوسف فقال لهم التجار شغلنا بدم الاقوات ينعنا من هذا وكان قد اشتد الغلاء وأنهموا حالهم الى الحضرة المطهرة



بمعنى أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن على بن الحارث بن أسد فرسم لثابت  
الدولة أبي طاهر بن كافي متولى الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت  
به رسومهم ورسم لهم بالخروج الى سجن يوسف ووعدوا أن يطلق لهم من الحضرة ضعف  
ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفي يوم السبت لتسع خلون من جمادى  
الاولى ركب القائد الاجل عز الدولة وسناها معضاد الخادم الاسود في سائر الاراك ووجوه  
القواد وشق البلد ونزل الى الصناعة التي بالجسر بمن معه ثم خرج من هناك وعدى في  
سائر عساكره الى الجزيرة حتى رتب لامير المؤمنين عساكر تكون معه مقيمة هناك لحفظه  
لانه عدى يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت منه في أربع عشريات وأربع عشرة بغلة من  
بغال النقل وفي جميع من معه من خاصته وحرمة الى سجن يوسف عليه السلام وأقام  
هناك يومين وليلتين الى أن عاد الرماذية الخارجون الى السجن بالتمائيل وانصاحك والحكايات  
والسماجات فضحك منهم واستظرفهم وعاد الى قصره بكرة يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت  
منه وأقام أهل الاسواق نحو الاسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماجات والتمائيل  
ويطلعون الى القاهرة بذلك ليشاهدتهم أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم  
أن لا يعارض أحد منهم في ذهابه وعوده وأن يعتمد اكرامهم وصيانتهم ولم يزالوا على ذلك  
الى أن تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لاربع عشرة بقيت من  
جمادى الاولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتمائيل فتمتلئ الناس في ذلك اليوم  
عن أشغالهم ومعايشهم واجتمع في الاسواق خلق كثير لنظرهم وظل الناس أكثر هذا  
اليوم على ذلك وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثني عشر سوقا ونزلوا مسرورين  
وبخارج مدينة الجزيرة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لا علم له أنه أبو هريرة الصحابي  
وليس كذلك بل هو منسوب الى ابن ابنته

\* (ذكر قرية ترسا) \*

قال القضاة وذكر ان القاسم بن عبيد الله بن الحجاب عامل هشام بن عبد الملك على  
خراج مصر بنى في الجزيرة قرية تعرف بترسا والقاسم هذا خرج الى مصر وولى خلافة عن  
ابيه عبيد الله بن الحجاب السلولى على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم امره هشام  
على خراج مصر حين خرج ابوه الى امارة افريقية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى  
سنة اربع وعشرين ومائة فترع عن مصر وجمع لحفص بن الوليد عمرها وعجمها فصار يلى  
الخراج والصلاة معا وبترسا هذه كانت وقعة هرون بن محمد الجعدى

\* (ذكر منية اندونة) \*

هي احدى قرى الجزيرة عرفت بأندونة كاتب احمد المداينى الذى كان يتقلد ضياع موسى



ابن بعا التي بمصر فقبض احمد بن طولون علي اندونة هذا وكان نصرانيا فآخذ منه خمسين ألف دينار

\* ( ذكر وسيم ) \*

قال ابن عبد الحكم وخرج عبدالله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر الي وسيم وكانت لرجل من القبط فسأل عبدا لله أن يأتيه الي منزله ويحمل له مائة ألف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الي قرية أبي النمرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فأتى عبدا لله العزل وولاية قره بن شريك وهو هناك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل رد المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الي المعديية وعدى أصحابه قبله وتأخر فورد الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لا بد أن تشرف منزلي وتكون ضيفي وتأكل طعامي ووالله لا عادلي شيء من ذلك ولا أدعك منصرفا فعدى معه

\* ( ذكر منية عقبه ) \*

هذه القرية بالجزيرة عرفت بعقبه بن عامر الجهني رضى الله عنه \* قال ابن عبد الحكم كتب عقبه بن عامر الي معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما يسأله أرضا يسترفق فيها عند قرية عقبه فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولاي له كان عنده أنظر أصلحك الله أرضا صالحة فقال عقبه ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطاً ستة منها أن لا يؤخذ من أرضهم شيء ولا من نسائهم ولا من أولادهم ولا يزداد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وأنا شاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبه الي معاوية يسأله تقيماً في قرية يبني فيه منازل ومساكن فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مواليه ومن كان عنده أنظر الي أرض تعجبك فاخطط فيها وابتن فقال انه ليس لنا ذلك لهم في عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من أرضهم شيء ولا يزداد عليهم ولا يكافوا غير طاقتهم ولا تؤخذ ذرايرهم وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم قال أبو سعيد بن يونس وهذه الأرض التي اقتطعها عقبه هي المنية المعروفة بمنية عقبه في جزيرة فسطاط مصر \* ( عقبه بن عامر ) بن عيسى بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعه بن مودوعة بن عدي ابن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه أبو عمرو الكندي وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر عقبه بن عامر بن حسن الجهني من جهينة بن زيد بن مسود ابن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة وقد اختلف في هذا النسب يكنى أبا حماد وقيل أبا أسد وقيل أبا عمرو وقيل أبا سعاد وقيل أبا الاسود وقال خليفة بن خياط وقتل أبو عامر عقبه بن عامر الجهني يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلاثين وهذا غلط منه وفي



كتابه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة بن عامر الجهني قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابنتي بها دارا وتوفي في آخر خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وأبو امامة ومسامة بن مخلد وأما رواته من التابعين فكثير وقال الكندي ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارئاً فقيهاً فرضياً شاعراً له الهجرة والصحة السابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسامة ابن مخلد لعشرتين من ربيع الاول سنة أربعين فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وقال ابن يونس توفي بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن في مقبرتها بالمقطم وكان يخضب بالسواد رحمه الله تعالى

### ❦ ذكر حلوان ❦

يقال انها تنسب الي حلوان بن بابلون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذى المنار أحد التبايعة \* قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط نخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلًا في الصحراء في موضع منها يقال له أبو قرقورة وهو رأس العين التي احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيله التي غرسها بحلوان فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز في كل يوم يخبر ما يحدث في البلد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولا فأناه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال أبو طالب فنقل ذلك على عبد العزيز وغازه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك فتقول أبو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاهل بذلك ومرض في مخرجه ذلك ومات هنالك فحمل في البحر يراد به الفسطاط حتى تغير فأنزل في بعض خصوص ساحل مريس فغسل فيه وأخرجت من هنالك جنازته وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان قد تغير من ريحه وأوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هاني الرعيني صاحب حرسه وكان صديقا له وقد توفي قبل عبد العزيز فر بجنازته على باب جناب وقد خرج عيال جناب ولبسن السواد ووقفن على الباب صالحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لتصيب من عبد العزيز ناحية فقدم عليه في مرضه فاذن له فلما رأى شدة مرضه أنشأ يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا \* ليت التشكى كان بالعواد

لو كان يقبل فدية لقيته \* بالمصطفى من طارفي وتلاذي

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بألف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفرحوا به ثم مات \* وقال الكندي ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين نخرج عبد العزيز بن



مروان منها الى الشرقية منتديا فنزل حلوان فأعجبته فاتخذها وسكنها وجعل بها الحرس  
والاعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرند بجولان وبني عبد العزيز بجولان الدور  
والمساجد وعمرها أحسن عمارة وأحكمها وغرس نخلها وكرمها فقال ابن قيس الرقيات

سقبيا لحلوان ذي الكروم وما \* صنف من تينه ومن عنبه

نخل مواقير بالقناء من الـ \* سبرني بهتتر ثم في سربه

أسود سكاكه الحمام فما \* ينفك غربانه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأطعم دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف  
على غروسه ومساقيه فقال يزيد بن عمرو الجملی الأقلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح  
ما شاء الله لا قوة الا بالله فقال أذكرتني شكراً يا غلام قل لا يتأس يزيد في عطائه عشرة  
دنانير \* ( عبد العزيز ) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن  
عبد مناف القرشي الأموي أبو الاصبع أمه ليلى ابنة زبان بن الاصبع الكندي روى  
عن أبي هريرة وعقبة بن عامر الجهني وروى عنه علي بن رباح وبحير بن داخرة وعبيد الله  
ابن مالك الخولاني وكعب بن علقمة ووثقه النسائي وابن سعد ولما سار أبوه مروان الى  
مصر بعثه في جيش الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن ججدم أمير مصر  
بجيش عليهم زهير بن قيس البلوي فلقى عبد العزيز ببصاق وهي سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم  
زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر في جمادي الآخرة سنة خمس وستين جعل  
صلاتها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعد ما أقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا أمير  
المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي فقال له مروان يا بني عمهم بأحسنائك  
يكونوا كلهم بني أبيك واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس  
منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عيناً على غيره ويتقاد قومه اليك وقد جعلت معك  
أخاك بشراً مؤنساً وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وما عليك يا بني أن تكون  
أميراً بأقصى الارض اليس ذلك أحسن من اغلاق بابك وخولك في منزلك وأوصاه عند  
مخرجه من مصر الى الشام فقال أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلايته فان الله مع الذين  
اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلاً فان المؤذن يدعو الى  
فريضة افترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً وأوصيك أن لا تعد الناس  
موعداً الا نفذته لهم وان حتمته على الاستة وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم حتى  
تستشير فان الله لو أغنى أحدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي  
الذي يأتيه قال الله عز وجل وشاورهم في الامر \* وخرج مروان من مصر للال رجب  
سنة خمس وستين فوليها عبد العزيز على صلاتها وخراجها وتوفي مروان للال رمضان



وبويح ابنه عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووفد على عبد الملك في سنة سبع وستين وجعل على الحرس والحيل والاعوان جناب بن مرند الرعيني فاشتد سلطانه وكان الرجل اذا أنماظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضربوه وجبسوه وعبد العزيز أول من عرف بمصر في سنة احدى وسبعين قال يزيد بن أبي حبيب أول من أحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان \* وفي سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وجعل عليهم مالك بن شرحبيل الخولاني وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن بنحس مولى ابن ابري وهو الذي قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية في سنة أربع وسبعين ووفد على أخيه عبد الملك في سنة خمس وسبعين وهدم جامع الفسطاط كله وزاد فيه من جوانبه كلها في سنة سبع وسبعين وأمر بضرب الدنانير المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره. وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الي الوليد وسئمان فأبى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد فلنا أولاد ويقضى الله ما يشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز بعلي بن رباح يترضا فلما قدم على عبد الملك استمطفه على أخيه فشكا بعبد الملك وقال فرق الله بيني وبينه فلم يزل به علي حتى رضى فقدم علي عبد العزيز فأخبره عن عبد الملك وعن حاله ثم أخبره بدعوته فقال افعل أنا والله مفارقه والله مادعا دعوة قط الأجيبت وكان عبد العزيز يقول قدمت مصر في امرة مسلمة بن مخلد فتمنيت بها ثلاث أماني فأدر كتبها تمنيت ولاية مصر وأن أجمع بين امرأتي مسلمة ومحبتي قيس بن كليب حاجبه فتوفي مسلمة وقدم مصر فولياها وحجبه قيس وتزوج امرأتي مسلمة وتوفي ابنه الاصبع بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع الآخر سنة ست وثمانين فمضى عبد العزيز وتوفي ليلة الاثنين ثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فحمل في النيل من حلوان الى الفسطاط فدفن بها \* وقال ابن أبي ميسكة رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول ألا ليتني لم أك شيئا مذكورا ألا ليتني كنباتة من الارض أو كراعي ابل في طرف الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة آلاف دينار وحلوان والقيسارية وثياب بعضها مرقوع وخيل وريقق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يابها في الاسلام قبله أطول ولاية منه \* وكان بحلوان في النيل معدية من صوان تعدى بالحيل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقي بحلوان الى البر الغربي فلما كان (٣) وهذا من الاسرار التي في الخليفة فان جميع الاجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والتصدير اذا عمل من شيء منها انا يسع من الماء أكثر من وزنه فانه يعوم على



وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يفرق وما برح المسافرون في بحر الهند اذا أظلم عليهم الليل ولم يروا ما يهديهم من الكواكب الي معرفة الجهات يحملون حديدة مجوفة على شكل سمكة ويبالغون في تزيينها جهداً المقدره ثم يعمل في فم السمكة شيء من مغناطيس جيداً ويحك فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبي بفمها واستدبرت القطب الشمالي وهذا أيضاً من أسرار الخليقة فاذا عرفوا جهتي الجنوب والشمال تبين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا تحددت الجهات الاربع عرفوا مواقع البلاد بها فيقصدون حيثند جهة الناحية التي يريدونها

### ذكر مدينة العريش

العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين وأقليم مصر وهي مدينة قديمة من جملة المدائن التي اختطت بعد الطوفان \* قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن مصر ايم بن بيصر ابن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحميش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان أي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها زروعا وحنانا وعماردة \* وقال آخر انما سميت بذلك لان بيصر بن حام بن نوح تحمل في ولده وهم أربعة ومعهم اولادهم فكانوا ثلاثين ما بين ذكر وأنثى وقدم ابنه مصر بن بيصر أمامه نحو أرض مصر حتى خرج من حد الشام فتاهوا وسقط مصر في موضع العريش وقد اشتد تعبهُ ونام فرأى قائلا يبشره بحصوله في أرض ذات خير ودر وملك ونخر فأنبته فرعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ماء فحمد الله وسأله أن يجتمعه بأبيه واخوته وان يبارك له في أرضه فاستجيب له وقادهم الله اليه فنزلوا في العريش وأقاموا به فأخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمير وبقر وغنم وابل فساوقها حتى أتوا موضع مدينة منف فزلوه وبنسوا فيه قرية سميت بالقبطية مافة يعني قرية ثلاثين فنمت ذرية بيصر حتى عمروا الارض وزرعوا وكثرت مواشيتهم وظهرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالبعر الرابض \* وقال ابن سعيد عن البيهقي كان دخول اخوة يوسف وأبويه عليهم السلام عليه بمدينة العريش وهي أول أرض مصر لانه خرج الي تلقيهم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هناك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك ثم سمنها العامة بمدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في اطراف أرض مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة



يوسف لتمتار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب  
الكنعاني يريدون البلد لتحط نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به  
من الشمس حتى يعود الجواب فسمى الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من  
شأنهم ماقد ذكر في موضعه ويقال للعرش الحج فهذا كما ترى وابن وصيف شاه أعرف بأخبار  
مصر \* وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفرى العريش بمعاونة  
بني الجراح وأحرقها وأخذ جميع ما فيها \* وقال القاضي الفاضل وفي جمادي الآخرة سنة  
سبع وسبعين وخمسة وورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفرنج أكثره وحملوا جذوعه  
الى بلادهم وملئت منه ولم يجدوا مخاطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم أن الجفار بأجمعه  
كان أيام فرعون موسى في غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان وأن قول الله تعالى ودمرنا  
ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وأن العمارة كانت متصلة  
منه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية النخوم من الشام وان اليه كان  
ينتهى رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وأنه عليه السلام أخذ به عريشا كان يجلس  
فيه حتى تحب مواشيه بين يديه فسمى العريش من أجل ذلك وقيل ان مالك بن دعر بن  
حجر بن جذيلة بن لحم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم العريش بن مالك وبه سميت  
العريش لانه نزل بها وبنائها مدينة وعن كعب الاحبار أن بالعريش قبور عشرة انبياء

#### ❦ ذكر مدينة الفرما ❦

قال البكري الفرما بفتح اوله ونائبه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر مدينة تلقاء مصر  
وقال ابن خالويه في كتاب ليس الفرما هذه سميت بأخي الاسكندر كان يسمى الفرما وكان  
كافرا وهي قرية أم اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسمه الفرما بن فيلقوس ويقال فيه ابن  
فليس ويقال بليس وكانت الفرما على شط بحيرة تيس وكانت مدينة خضباء وبها قبر جالينوس  
الحكيم وبني بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه عنبة بن اسحاق أمير مصر  
في سنة تسع وثلاثين ومائتين عند ما بنى حصن دمياط وحصن تيس وأنفق فيها مالا عظيما  
ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أنفذ الى الفرما أبرهة بن الصباح فصالحه أهلها على  
خمسائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة \* وفي  
سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة نزل الروم عليها فنفر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا في  
جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلثمائة فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مركبا وقتلوا  
من فيه وأسروا عشرة \* وقال اليعقوبي الفرما أول مدن مصر من جهة الشمال وبها أخلاط  
من الناس وبينها وبين البحر الاخضر ثلاثة أميال \* وقال ابن الكندي ومنها الفرما وهي  
أكثر عجائب وأقدم آثارا وبذكر أهل مصر أنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البر



فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الا بلى وان مقطع  
الابيض بلوية \* وقال يحيى بن عثمان كنت اربط في الفرما وكان بينها وبين البحر قريب  
من يوم يخرج الناس والمرابطون في اخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كله وقال  
ابن قديد وجه ابن المدبر وكان بنيس الى الفرما في هدم ابواب من حجارة شرقي الحصن  
احتاج ان يعمل منها جيرا فلما قلع منها حجر أو حجران خرج أهل الفرما بالسلاح فتمعوا  
من قلعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله فيها على لسان يعقوب عليه السلام يا بني لا تدخلوا  
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة والفرما بها النخل العجيب الذي يترحين ينقطع  
البسر والرطب من سائر الدنيا فينتدى هذا الرطب من حين يلد النخل في السكاكين فلا  
ينقطع أربعة أشهر حتى يحيى البلح في الربيع وهذا لا يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة  
ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون في هذا البسر ما وزن البصرة الواحدة  
فوق العشرين درهما وفيه ما طول البصرة نحو الشبر والفترة \* وقال ابن المأمون البطايحي في  
حوادث سنة تسع وخمسة ووصلت التجابون من والى الشرقية تخبر بأن بغدادين ملك الفرنج  
وصل الى أعمال الفرما فسير الافضل بن أمير الجيوش لاوقت الى والى الشرقية بأن يسير  
المركزية والمقطعين بها وسير الراجل من العطفية وأن يسير الوالي بنفسه بعد أن يتقدم الى  
العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول  
العساكر اليهم فاعتمد ذلك ثم أمر باخراج الخيام وتجهيز الاحصاب والحواشي فلما تواصلت  
العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج وعلم بغدادين ملك الفرنج أن العساكر متواصلة  
اليه وتحقق أن الإقامة لا يمكنه أمر أصحابه بالنهب والتخريب والاحراق وهدم المساجد  
فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذ الله سبحانه وتعالى  
وعجل بنفسه الى النار فكتم أصحابه موته وساروا بعد أن شقوا بطن بغدادين وملاؤه  
ملحا حتى بقى الى بلاده فدفنوه بها وأما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد  
العدو وعادوا بعد أن خيموا على ظاهر عسقلان وكتب الى الامير ظهير الدين طفديكين  
صاحب دمشق بأن يتوجه الى بلاد الفرنج فسار الى عسقلان وحملت اليه الضيافات وطولع  
بجبر وصوله فأمر بحمل الخيام وعدة وافرقة من الخيل والسكاكين والبنود والاعلام وسيف  
ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طقم وخيمة كبيرة مكاملة ومرتبة ملوكية وفرشها  
وجميع آلاتها وما تحتاج اليه من آلات الفضة وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير  
خاتمة مذهبه ومنطقة ذهب وسيف وسير برسم المميزين من الواصلين خلع وسيوف وسلم  
ذلك بثبت لاحد الحجاب وسير معه فراشان برسم الخيام وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها  
وأن يركب والى عسقلان وظهر الدين وشه الخواص وجميع الامراء الواصلين والقيمين



بمستقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ثم الى بساطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالي وظهر الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف اناس بأجمعهم اجلالا وتعظيما ويخلع على الامير ظهر الدين وشمس الخواص وتشد المناطق في أوساطهما ويقلدا بالسيوف ويخلع بعدها على المعيزين ثم يسير ظهر الدين والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى أن يصلوا الى الخيام التي ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالي والاميران والمقدمون والعساكر الى الخيمة الملوكية ويتفاوضون فيما يجب من تدبير العساكر فامثل ذلك وتواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وجعل لشمس الخواص خاصة في هذه السفرة عشرة آلاف دينار ونسلم ظهر الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان تقدير ما حصل له ولاصحابه ثلاثين ألف دينار وبلغ المنفق في هذه التوبة وعلى ذهاب بغدادين وهلاكه مائة ألف دينار \* وفي شهر رجب سنة خمس وأربعين وخمسة مائة نزل الفرنج على الفرما في جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها وأخر أمرها أن الوزير شاور خربها لما خرج منها متوايها ملهم أخو الضرغام في سنة (٣) فاستمرت خرابا لم تعمر بعد ذلك وكان بالفرما والبقارة والورادة عرب من جذام يقال لهم القاطع وهو جرى بن عوف بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام منهم عبدالعزيز بن الوزير بن صابي بن مالك بن عامر بن عدى ابن حرش بن بقر بن نصر بن القاطع مات في صفر سنة خمس ومائتين وللسروي والجروي هنا أخبار كثيرة نهبنا عليها في كتاب عقد جواهر الاسفاط في أخبار مدينة القسطنطين وقال ابن الكندي وبها يجمع البحرين وهو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال وجعل بين البحرين حاجزا وها بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والفرما وليس بتقاربان في بلد من البلدان أقرب منهما بهذا الموضع وبينهما في السفر مسيرة شهور

### ❦ ذكر مدينة القلزم ❦

القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي وميم بلدة كانت على ساحل بحر العيين في أقصاه من جهة مصر وهي كورة من كور مصر واليه ينسب بحر القلزم وبالقراب منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وإنما يحمل الماء إليها من آبار بعيدة وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز والعين ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهي نخل يسير فيه صيادو السمك وكذلك من فاران وجيلان الى أيلة قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم أكثرها باق الى اليوم ويراهم الراكب السائر من مصر الى الحجاز



وكانت في القديم ساحلا من سواحل الديار المصرية ورأيت شيئا من حسابه من جهة  
مستخدميه في حواصل القصر وما ينفق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه والاجناد المراكزين  
به لحفظه وقربه وجامعه ومساجده وكان مسكونا مأهولا \* قال المسيحي في حوادث سنة سبع  
وثمانين وثلثمائة وفي شهر رمضان ساءح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أهل مدينة القلزم مما كان  
يؤخذ من مكوس المراكب وقال ابن خردادويه عن التجار فيركبون في البحر الغربي ويخرجون  
بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون  
البحر الشرقي من القلزم الى تجار جدة ثم يمضون الى الهند والصين ومن القلزم ينزل  
الناس في بربة وصحراء ست مراحل الى أيلة ويتزودون من الماء لهذه المراحل الست ويقال  
ان بين القلزم وبحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره الله تعالى بقوله  
بينهما برزخ لا يبقيان

(\*) ( التيه ) \*

هو أرض بالقرب من أيلة بينهما عقبة لا يكاد الركب يصعدا لصعوبتها الا انها مهدت  
في زمان خمارويه بن أحمد بن طولون ويسير الركب مرحلتين في محض التيه هذا حتى يوافي  
ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهناك غرق فرعون والتيه مقدار أربعين فرسخا  
في مثلها وفيه تاه بنو اسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا الى بيت ولا بدلوا نوبا  
وفيه مات موسى عليه السلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة أيام واتفق أن الممالك البحرية  
لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة مر طائفة منهم بالتية فتأهوا  
فيه خمسة أيام ثم ترأى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدهوا فاذا مدينة عظيمة  
لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها وطافوا بها فاذا هي قد غلب عليها الرمل  
حتى طم أسواقها ودورها ووجدوا بها أواني وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيئا تناثر من  
طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزازين تسعة دنانير ذهبيا عليها صورة غزال وكتابة  
عبرانية وحفروا موضعا فاذا حاجر على صهريج ماء فشمروا منه ماء أبرد من الثلج ثم خرجوا  
ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان فحملوهم الى مدينة السكرك فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة  
فاذا عليها أنها ضربت في أيام موسى عليه السلام ودفعت لهم في كل دينار مائة درهم وقيل لهم  
ان هذه المدينة الخضراء من مدن بني اسرائيل ولها طوفان رمل يزيد تارة وينقص أخرى  
لا يراها الا تائه والله أعلم

(\*) ( ذكر مدينة دمياط ) \*

اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت  
بدمياط من ولد أشمن بن مصر ايم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان ادريس



عليه السلام كان أول ما أنزل عليه ذو القوة والحجوت أنا الله مدين المدائن الفلك بأمرى  
وصني أجمع بين العذب والملح واثار والتلج وذلك بقدرتي ومكنون علمي الدال والميم والالف  
والطاء قيل هم بالسريانية دمياط فتكون دمياط كلمة سريانية أصلها دمط أى القدرة اشارة  
الى مجمع العذب والملح وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلد قديم بني في زمن  
قليمون بن أريب بن قبطيم بن مصرايم على اسم غلام كانت أمه ساحرة لقليمون \* ولما قدم  
المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من اخوال المقوقس يقال له الهاموك فلما  
افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك بدمياط واستعد للحرب فأنفذ اليه عمرو بن  
العاص المقداد بن الاسود في طائفة من المسلمين فحاربهم الهاموك وقتل ابنه في الحرب فعاد  
الى دمياط وجمع اليه أصحابه فاستشارهم في أمره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال  
أيها الملك ان جوهر العقل لقيمة له وما استغنى به أحد الا هذاه الى سبيل الفوز والنجاة من  
الهلاك وهؤلاء العرب من بدء أمرهم لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد وأذلوا العباد وما  
لاحد عليهم قدرة ولسنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وان القوم قد أيدوا بالنصر  
والظفر والرأى ان تقدم مع القوم صاحبا سنال به الامن وحقق الدماء وصيانة الحرم فما أنت  
بأكثر رجلا من المقوقس فلم يعبأ الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل  
وله دار ملاصقة لاسور نخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون  
عليها وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشمر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد  
وقد ملكوه فعند ما رأى شطا بن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة  
من أصحابه ففت ذلك في عضد أبيه واستأمن للمقداد فقتل المسلمون دمياط واستخلف  
المقداد عليها وسير بجزر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد أسلم الى البرلس والدميرة  
وأشعوم طنح فحشد أهل تلك النواحي وقدم بهم مددا للمسلمين وعونا لهم على عدوهم  
وسار بهم مع المسلمين لفتح تيس فبرز لاهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه الله في  
المعركة شهيدا بعد ما انكسرت فيهم وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به  
خارج دمياط وكان قتله في ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل  
سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحي عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم وما  
زال دمياط بيد المسلمين الى ان نزل عليها الروم في سنة تسعين من الهجرة فأسروا خالد بن  
كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فأنفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن  
عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك  
نازل الروم دمياط في ثمانمائة وستين مراكبا فقتلوا وسبوا وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة  
ولما كانت الفتنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون وكانت الفتى بأرض مصر طمع



الروم في البلاد ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال وأهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحاق يوم النحر في جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تيس فاقاموا بأشتومها فلم يتبهم عنبسة فقال يحيى بن الفضل للمتوكل

أرضي بأن يوطأ حرملك عنوة \* وأن يستباح المسلمون ويحربوا  
حمارتي دمياط والروم وثب \* بتيس رأى العين منه وأقرب  
مقيمون بالأشتوم يبغون مثلما \* أصابوه من دمياط والحرب ترتب  
فأرام من دمياط شبرا ولادري \* من العجز ما يأتي وما يجنب  
فلا تنسنا انا بدار مضية \* بمصر وان الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدى في بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر فلما كان في سنة سبع طرق الروم دمياط في نحو مائتي مركب فاقاموا يعشون في السواحل شهرا وهم يقتلون ويأسرون وكانت للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور الاخشيدي طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة في بضع وعشرين مركبا فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من المسلمين \* وفي سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط سمكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت حمير الملح تدخل في جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال في حقيها ومعهم الحجارة يجر فون الشحم ويناولونه الناس وأقام أهل تلك النواحي مدة طويلة يأكلون من لحمها وفي أيام الخليفة الفاضل بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيق نزل على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بعث بها لوجيز بن رجا وصاحب صقلية فعانوا وقتلوا ونزلوا تيس ورشيد والاسكندرية فأكثروا فيها الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير السعدي الوزارة الثانية عند ما حضر ملك الفرنج مرى الى القاهرة وحصرها وقرر على أهلها المال واحترقت مدينة الفسطاط فنزل على تيس وأسموم ومنية عمر وصاحب أسطول الفرنج في عشرين شونة فقتل وأسروا وسي وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب للعاضد وصل الفرنج الى دمياط في شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وخمسمائة وهم فيها يزيد على ألف ومائتي مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت التفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوما وكانت صعبة شديدة وآتهم في هذه



التوبة عدة من أعيان المصريين بمالاة الفرنج ومكآبتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم  
 وكان سبب هذه التوبة أن الغز لما قدموا الى مصر من الشام صحبة أسد الدين شيركوه تحرك  
 الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستمدوا اخوانهم أهل صقلية فأمدوهم  
 بالاموال والسلاح وبعثوا اليهم بعدة وافرة فساروا بالديابات والمجانيق ونزلوا على دمياط في  
 صفر وهم في العدة التي ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها بحرا وبراً فبعث السلطان بآبن  
 أخيه تقي الدين عمرو وأبنته بالامير شهاب الدين الحازمي في العساكر الى دمياط وأمدوها  
 بالاموال والميرة والسلاح واشتد الامر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير  
 صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستجده ويعلمه بأنه لا يمكنه  
 الخروج من القاهرة الى لقاء الفرنج خوفاً من قيام المصريين عليه فجهز اليه العساكر شيئاً  
 بعد شيء وخرج نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التي بالساحل وأغار عليها  
 واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط يخافوا على بلادهم من نور الدين أن يتمكن  
 منها فرحلوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الاول بعدما غرق لهم نحو الثلثمائة  
 مركب وقتل رجالهم بقاء وقع فيهم وأحرقوا ما نقل عليهم حمته من المنجنيقات وغيرها  
 وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد أرسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط  
 ألف دينار سوي ما أرسله الى من الثياب وغيرها \* وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة  
 رتب المقاتلة على البرجين وشدت مراكب الى السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول  
 من بين البرجين ورمشعت سور المدينة وسدت ثلمه وأتقنت السلسلة التي بين البرجين فبلغت  
 النفقة على ذلك ألف ألف دينار واعتبر السور فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين  
 ذراعاً \* وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمر السلطان بقطع أشجار بساتين دمياط وحفر  
 خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج \* وفي سنة خمس عشرة وستمائة كانت واقعة دمياط  
 العظمى وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمائة تابعت أمدادهم  
 من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرها من بلاد الفرنج وساروا الى مدينة عكا فاجتمع  
 بها عدة من ملوك الفرنج وتماقدوا على قصد القدس وأخذوا من أيدي المسلمين فصاروا  
 بعكا في جمع عظيم وبلغ ذلك الملك أبا بكر بن أيوب فخرج من مصر في العساكر الى الرملة  
 فبرز الفرنج من عكا في جموع عظيمة فسار العادل الى يسان فقصد الفرنج فخافهم لكثرتهم  
 وقلة عسكره فاخذ على عقبه فيقريد دمشق وكان أهل يسان وما حولها قد اطمأنوا لنزول  
 السلطان هناك فاقاموا في أماكنهم وما هو الا أن سار السلطان واذا بالفرنج قد وضعوا  
 السيف في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من أموال المسلمين ما لا يحصى كثرة وأخذوا يسان  
 وبايناس وسائر القرى التي هنالك واقاموا ثلاثة أيام ثم عادوا الى مرج عكا بالغنائم والسبي



وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج أياماً ثم عادوا نانياً ونهبوا صيدا  
والشقيف وعادوا الى مرج عكا فاقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان  
وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى نابلس  
لمنع الفرنج من طروقها والوصول الى بيت المقدس فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر  
يوماً ثم عادوا الى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بمجموعهم البحر وساروا الى  
دمياط في صفر فزلوا عليها يوم الثلاثاء رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وسبعمائة الموافقة  
لثامن حزيران وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة ألف راجل نخبوا اتجاه دمياط في  
البر الغربي وحفروا على عسكرهم خندقاً وأقاموا عليه سورا وشرعوا في قتال برج دمياط  
فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في  
البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وذلك أن النيل اذا انتهى الى فسطاط مصر  
مر عليه في ناحية الشمال الى شطون فاذا صار الى شطون انقسم قسمين أحدهما يمر في  
الشمال الى رشيد فيصب في البحر الملح والشرط الآخر يمر من شطون الى جوجر ثم  
يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر الى أشموم فتصب في بحيرة تينس وفرقة تمر من  
جوجر الى دمياط فتصب في البحر الملح هناك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة  
دمياط والبر الغربي وهذا البر الغربي من دمياط يعرف بجزيرة دمياط يحيط بها ماء النيل  
والبحر الملح وفي مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربي عملوا الآلات والمراسي وأقاموا أبراجاً  
يزحفون بها في المراكب الى برج السلسلة ليملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور  
في النيل الى القاهرة ومصر وكان هذا البرج مشحوناً بالقاتلة فتحيل الفرنج عليه وعملوا  
برجاً من الصواري على بسطة كبيرة وأقلعوا بها حتى أسندوها اليه وقتلوا من به حتى  
أخذوه فباع نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان يخلف أباه الملك العادل على  
ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر في ثالث يوم من وقوع الطائر بجبر نزول الفرنج  
لحمس خلون منه وأمر الى الغربية بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الاسطول فأقام  
تحت دمياط ونزل السلطان بمن معه من العساكر بمنزلة العادية قرب دمياط وامتدت  
عساكره الى دمياط لتمنع الفرنج من السور والقتال مستمر والبرج ممتنع مدة أربعة أشهر  
والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيئاً بعد شيء حتى تكاملت عند الملك الكامل  
واهتم الملك لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عالفين  
فنزله به المرض ومات في سابع جمادى الآخرة فكتم الملك المعظم عيسى موته وحملة في  
سحفة وجعل عنده خادماً وطيبياً راكباً الى جانب الحفة والشرابدار يصاح الشراب ويحمه  
الى الخادم فيشربه ويوهم الناس أن السلطان شربه الى أن دخلوا به الى قاعة دمشق وصارت



اليها الحزائن والبيوتات فأعلن بموته وتسلم ابنه الملك المظفر جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله إلى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة لعادلية قرب دمياط. فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج وألحوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لتجوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل فقالت الفرنج عليه قتالا شديدا إلى أن قطعوه وكان قد أنفق على البرج والجسر ما يذف على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية إلى دمياط لتدبير الأمور وأعمال الحيلة في مكافحة الفرنج فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب في النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد الفرنج إلى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجرى فيه قديما حفروه وعمقوا حفره وأجروا فيه الماء إلى البحر الملح وأصدوا مراكبهم فيه إلى بورة علي أرض جزيرة دمياط مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا في بورة جاؤوه وقتلوه في الماء وزحفوا إليه عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير علي أهل دمياط شيء لأن الميرة والامداد متصلة إليهم والنيل يجز بينهم وبين الفرنج وأبواب المدينة مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تحطف الفرنج في كل ليلة بحيث امتنعوا من الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوى طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يحطفونهم نهارا ويأخذون الخيم بمن فيها أو كمن الفرنج لهم عدة كمناء وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأدرك الناس الشتاء وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم فعمم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج في القتال وكادوا أن يملكوا فبعث الله ريحا قطعت مراسي مرسية الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فمرت إلى بر المسلمين فأخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ومساحتها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل إلى الآفاق سبعين رسولا يستنجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا في شوال وأنته النجدات من حماه وحلب وبيننا الناس في ذلك إذ طمع الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين علي بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك الكامل عند ما بلغه موت الملك العادل وكان له لقيف يتقادون إليه ويطيعونه وكان أميرا كبيرا مقدما عظيما في الأكراد الهكارية وافر الحرمة عند الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك عالي الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعا أبي النفس تهابه الملوك وله الوقائع المشهورة وهو من أمراء دولة صلاح الدين يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد على خلع الملك الكامل وإقامة أخيه الملك الفائز إبراهيم ليصير له الحكم ووافقهم الأمير عز الدين الحميدي والأمير أسد الدين الهكاري والأمير مجاهد



الدين وجماعة من الامراء فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف بين أيديهم ليحلفوا للفائز فلما رأوه انفضوا فغشي على نفسه فخرج فاتفق وصول صاحب صفى الدين بن سكر من آمد الى الملك الكامل فانه كان استعداه بعد موت أبيه فلقاه وأكرمه وذكر له ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية في جريدة الى أشموم طنح فزها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على أخيه وتركوا أنقاهم وخيامهم وأموالهم وأساحمتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة بغير منازع ولا مدافع وأخذوا سائر ما كان في عسكر المسلمين وكان شيئاً لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم عظيم وكاد أن يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في أرض مصر كلها وظنوا أنهم قد ملكوها الا أن الله سبحانه وتعالى أغاث المسامين ونبت السلطان ووافاه أخوه الملك المعظم بأشموم طنح فاشتد به أزره وقوى جاشه وأطاعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم ان المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستعداه للركوب معه ومسارته فاستمهله حتى يلبس خفيه وثياب الركوب فلم يمهل وأعجله فركب معه وسار به حتى خرج به من العسكر الكامل ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك وأشتهى أن تبها لنا وأعطاء نفقة وسلمه الى جماعة من أصحابه يثق بهم وقال لهم أخرجوه من الرمل ولا تفارقوه حتى يخرج من الشام فلم يسع ابن المشطوب الامتثال مقال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماه ثم مضى منها الى المشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وأمر أخاه الفائز ابراهيم أن يسير الى ملوك الشام في رسالة عن أخيه الملك الكامل لاستدعائهم الى قتال الفرنج فمضى الى دمشق وخرج منها الى حماه فمات بها مسموماً على ما قيل فبنت للملك الكامل أمر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط برا وبحرا وأحرقوا وضيقوا على أهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقاً وبنوا عليه سورا وأهل دمياط يقاتلونهم أشد القتال ويمنعونهم وقد غلبت عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام وأقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمائل أحد الجنادرية في الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح في الماء ويصل الى أهل دمياط فيعدهم بوصول النجدة فخطي بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى عمله والى القاهرة واليه تنسب خزانة شمائل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى أن دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك المنصور محمد بن عمرو بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه ابنه المظفر تقي الدين محمودا الى مصر نجدة لخاله الملك الكامل على الفرنج



في جيش كنيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل وأزله في ميمنة العسكر منزلة أبيه  
 وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فألح الفرنج في القتال وكان بدمياط نحو العشرين  
 ألف مقاتل فهكمتهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة  
 دنائير \* قال الحافظ عبد العظيم المنذرى سمعت الشيخ أبا الحسن على بن فضل يقول  
 كان لبعض بني خبار بقره فذبحوها وباعوها في الحصار فاجتعت ثمانمائة دينار وقال في المعجم  
 المترجم سمعت الامير أبا بكر بن حسن بن خسويام يقول كنت بدمياط في حصار العدو بها  
 فيبيع السكر بها بمائة وأربعين دينارا الرطل والدجاجة بثلاثين دينارا قال واشترت ثلاث  
 دجاجات بتسعين دينارا والراوية بأربعين درهما والقهر يحفر بأربعين مثقالا وأخذت أختي  
 جملا فشقت جوفه وملائه دجاجا وفاكهة وبقلا وغير ذلك وخاطه ورمته في البحر وكتبت  
 اليّ تقول قد فعلت كذا فاذا رأيتم جملا ميتا فخذوه فوقع لنا ليلافأ خذناه وكان فيه ما يساوي جملة  
 ففرقه على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاثة جمال على هيئته ففطن لها الفرنج فأخذوها وامتلات  
 مساكنهم وطرقات البلد من الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة الياقوت وفقدت  
 اللحوم فلم يقدر عليها بوجه وآلت بهم الحال الى أن لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير  
 فقط ففسور الفرنج وأخذوا منه البسلة في يوم الثلاثاء خمس بقين من شعبان وكانت مدة  
 الحصار ستة عشر شهرا وأثنى وعشرين يوما ولما أخذوا البلد وضعوا السيف في الناس  
 فتجاوزوا الحد في القتل وأسرفوا في مقدار القتلى وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد أخذ  
 دمياط بيومين ونزل قبالة المنصورة على رأس بحر أشموم ورأس بحر دمياط وحيز في المنزلة  
 التي صار يقال لها المنصورة وحصن الفرنج أسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسه وبشوا  
 سرايهم في القرى فقتلوا ونهبوا وسير السلطان السكتب الى الآفاق ليستحث الناس على  
 الحضور لدفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر في بناء الدور والفسادق والحمامات  
 والاسواق بمنزلة المنصورة وجهز الفرنج من أسروه من المسلمين في البحر الى عكا وخرجوا  
 من دمياط ونازلوا السلطان تجاه المنصورة وصار بينهم وبينه بحر أشموم وبحر دمياط وكان  
 الفرنج في مائتي ألف راجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسامون شوانيهام امام المنصورة  
 وعدتها مائة قطعة واجتمع الناس من القاهرة ومصر وسائر النواحي من اسوان الى القاهرة  
 ووصل الامير حسام الدين يونس والفقير تقي الدين أبو الطاهر محمد بن الحسن بن عبيد  
 الرحمن المحلي فأخرجوا الناس من القاهرة ومصر ونودي بالتفير العام وخرج الامير علاء  
 الدين جلدك وجمال الدين بن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهرة الى آخر الحوف الشرقى  
 فاجتمع عالم لا يتبع عليه حصر وأنزل السلطان على ناحية شاره مساح ألف فارس في آلاف  
 من العربان ليحولوا بين الفرنج ودمياط وسارت الشواني ومعها حراقة كبيرة على رأس



بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط فقدم منهم أم لا محصي يريدون التوغل في أرض مصر فلما تكاملوا بدمياط خرجوا منها في حدهم وحديدهم ونزلوا بجها الملك الكامل كما تقدم فقدمت النجيدات يقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقها الملك المعظم عيسى فتلقاهم الملك الكامل وأنزلهم عنده بالمنصورة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وتتابع مجيئ الملوك حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين ألف فارس فخاربوا الفرنج في البر والبحر وأخذوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة وأسروا من الفرنج ألفين ومائتين ثم ظفر المسلمون بشيلاط قطائع أخر فتموضع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام فبعثوا يطلبون الصلح فقدم عند مجيئ رسلهم أهل الاسكندرية في ثمانية آلاف مقاتل وكان الذي طلب الفرنج القدس وعسقلان وطبرية وجبله واللاذقية وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر فبذل المسلمون لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا لا بد من أخذهم الكرك والشوبك ومبلغ ثلثمائة ألف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس وكان المعظم لما مات أبوه العادل واستولى الفرنج على دمياط ونزلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف أن يصل منهم في البحر من يأخذ القدس ويحصنوا به فأمر بتخريب أسواره وكانت أسواره وأبراجه في غاية العظمة والمنعة فأنى الهدم على جميعها ما خلا برج داود وانقل أكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل وقيل المعظم ما كان بالقدس من الأسلحة والآلات فامتنع المسلمون من اجابة الفرنج الى ذلك وقتلوهم وعبر جماعة من المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج وحفروا مكانا عظيما في النيل وكان في قوة الزيادة فركب الماء أكثر تلك الارض وصار حائلا بين الفرنج ومدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فأمر السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشعوم طنح فعبرت العساكر عليها وملكت الطريق التي يسلكها الفرنج الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها فاضطربوا وضقت عليهم الارض وانفق مع ذلك وصول مرمة عظيمة للفرنج في البحر حولها عدة حراقات تحميها وقد ملئت كلها بالميرة والأسلحة فقاتلتهم شواني المسلمين وظفرها الله بهم فأخذها المسلمون وعندما علم الفرنج ذلك أيقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم وألقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراكبة على الارض وخشوا من الإقامة لقلة أقاتهم فذلوا وسألوا



الامان على أن يتركوا دمياط للمسلمين فاستشار السلطان في ذلك فاختاف الناس عليه  
فهمهم من امتنع من تأمين الفرنج ورأى أن يؤخذوا عنوة ومنهم من خنج الى اعطائهم  
الامان خوفا ممن وراءهم من الفرنج في الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وأن يعطي كل  
من الفريقين رهائن فتقرر ذلك في تاسع شهر رجب سنة ثمان عشرة وسير لفرنج عشرين  
ملكا رهنا عند الملك الكامل وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وجماعة  
من الامراء الى الفرنج وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدم ملوك الفرنج وقدوقف اخوته  
وأهل بيته بين يديه وصار في أهبة وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى  
دمياط فسلموها للمسلمين في تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون  
دمياط وصارت بأيديهم قدمت نجدة في البحر للفرنج فكان من جميل صنع الله تأخرها حتى  
ملكتم دمياط بأيدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك لقوى بها الفرنج فان المسلمين وجدوا  
مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعث الفرنج بولد السلطان  
وأمرائه اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك في الرهن وتقررت الهدنة بين  
الفرنج والمسلمين مدة ثمانين سنة وكان مما وقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والفرنج  
يطلق ما عنده من الاسرى وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى  
بلادهم ودخل الملك الكامل الى دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام  
المذكورة ورحل الفرنج الى بلادهم وتاد السلطان الي مقر ملكه وأطلقت الاسرى من  
ديار مصر وكان فيهم من له من أيام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام  
بعساكرها الى بلادها وعمت بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائر الأفاق فان التتر  
كانوا قد استولوا على ممالك المشرق فأشرف الفرنج على أخذ ديار مصر من ايدي المسلمين  
وكانت مدة نزول الفرنج على دمياط الى أن أقلموا عنها سائرين الى بلادهم ثلاث سنين  
وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة  
وعشرون يوما فلما كان في سنة ست وأربعين وستمائة حدث بالسلطان الملك الصالح نجم  
الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ورم في أبيضه تكون منه ناصور فتح وعسر برؤه فرض  
من ذلك وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش الا أن علو همته اقتضى مسيره من  
ديار مصر الى الشام فسار في محفة ونزل بقلمة دمشق فورد عليه رسول الامبرطور ملك الفرنج  
الالمانية بجزيرة صقلية في هيئة تاجر وأخبره سرا بأن بواش الذي يقال له رواد فرنس عازم  
على المسير الى أرض مصر وأخذها فسار السلطان من دمشق وهو مريض في محفة ونزل  
بأشموم طنح في الحرم سنة سبع وأربعين وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد  
والاسلحة والالقتال شيئا كثيرا خوفا أن يجري على دمياط ماجرى في أيام أبيه فأخذت بغير  
(م ٤٥ - خططل)



ذلك ولما نزل السلطان بأشموم كتب الى الامير حسام الدين أبي علي بن أبي علي الهدياتي  
نائبه بديار مصر أن يجهز الاسطول من صناعة مصر فشرع في الاهتمام بذلك وشحن  
الاسطول بالرجال والسلاح وسائر ما يحتاج اليه وسيره شيئاً بعد شيء وجهز السلطان الامير  
نخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ ومعه الامراء والعساكر فزل بحيرة دهباط من برها  
الغربي وصار النيل بينه وبينها فلما كان في الساعة الثانية من نهار الجمعة لتسع بقين من صفر  
وردت مراكب الفرنج البحرين وفيها جموعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل  
وأرسوا بازاء المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتابا نصه أما بعد فإنه لم يخف عليك  
اني أمين الامة العيسوية كما انه لا يخفى على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك أن  
عندنا أهل جزائر الاندلس وما يحملونه الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر  
ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأمر البنات والصبيان ونحلى منهم الديار وأنا قد أبدت  
لك مافية الكفاية وبذات لك التصح الى النهاية فلو حلقت لي بكل الايمان وأدخلت على  
الاقساء والرهبان وحملت قدامى الشمع طاعة للصليان لكنك واصلا اليك وقاتلك في أعز  
البتاع اليك فلما أن تكون البلاد لي فيأهدية حصلت في يدي وأما أن تكون البلاد لك  
والغلبة على فيدك العليا ممتدة الى وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي  
تملاً السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسيايف القضاء فلما قرئ  
الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكتب القاضي بهاء الدين زهير  
ابن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه  
أجمعين أما بعد فإنه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فجنح أرباب  
السيوف وما قتل منا فرد الا جددناه ولا نبي علينا باغ الا دمرناه ولو رأيت عينك أيها المغرور  
حد سيوفنا وعظم حروبنا وقتحتنا منكم الحصون والسواحل ونحربنا ديار الا واخر منكم  
والاوائل لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولا بد أن نزل بك القدم في يوم أوله لنا  
وأخره عليك فهناك تسمى الظنون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فاذا قرأت  
كتابي هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر  
سورة ص وتعلمن نبأ بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة  
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغي له صرع وبقيك  
يصرعك والى البلاء يقلبك والسلام \* وفي يوم السبت ورد الفرنج وضرخوايمهم في  
أكثر البلاد التي فيها عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك رواد فرانس حراء فناوشهم  
المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين يوسف ابن شيخ الاسلام والامير صارم  
الدين أربك الوزيرى فلما أمسى الليل رحل الامير نخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ



بعساكر المسلمين جنبنا وصلفنا وسار بهم في بردمياط وسار الى جهة أشموم طنح نخاف من كان في مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم في الليل لا يلبثون الى شي وتركو المدينة خالية من الناس ولحقوا بالسكر في أشموم وهم حفاة عرايا حياض حيارى بمن معهم من النساء والاولاد ومروا هاربين الى القاهرة فأخذ منهم قطاع الطريق ما عليهم من الثياب وتركوهم عرايا نشنت اقالة على الامير نحر الدين من كل أحد وعد جميع منازل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة وغيرها خوفا أن يصيبها في هذه المدة ما أدامها في أيام الكامل فانه ما أتى عليها ذلك الامن قلة الاقوات بها ومع ذلك امتعت من الفرنج أكثر من سنة حتى فنى أهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد ولما أصبح الفرنج يوم الاحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فاذا أبواب المدينة مفتحة ولا أحد يدفع عنها فظنوا أن ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر لهم خلوها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة وآلات الحرب والاقوات الخارجة عن الحد في السكثرة والاموال والامتعة صفوا بغير كلفة فأصيب الاسلام والمسامون بلاء لولا لطف الله لمحي اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسامين مع شدة مرض السلطان وعدم حركته وأما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير نحر الدين وقال أما قدرت أنت والعساكر أن تقفوا ساعة بين يدي الفرنج وأقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاضياء وغضب على الكنائسين الذين كانوا بدمياط ووبخهم فقالوا ما نعمل اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمرأوه هربوا وأخربوا الزردخاناه كيف لانهرب نحن فأمر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير اذن وكانت عدة من شق من الامراء السككانية زيادة على خمسين أميرا في ساعة واحدة ومن جاتهم أمير جسيم له ابن جميل سأل أن يشنق قبل ابنه فأمر السلطان أن يشنق ابنه قبله فشنق الابن ثم الاب ويقال ان شنق هؤلاء كان بفتوى الفقهاء نخاف جماعة من الامراء وهموا بالقيام على السلطان فأشار عليهم الامير نحر الدين ابن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة فان مات فقد كفيتم أمره والا فهو بين أيديكم وأخذ السلطان في اصلاح سور المنصورة وانتقل اليها الخمس بقين من صفر وجعل السائر على السور وقدمت الشواني الى تجاه المنصورة وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدم من العربان وأهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم وأخذوا في الاغارة على الفرنج فملا الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات فلما كان أول ربيع الاول قدم الى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفي خامس ربيع الآخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفي سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا وفي سادس عشره ورد خمسة



وأربعون أسيرا منهم ثلاثة خيالة وفي ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسون أسيرا هذا  
ومرض السلطان يتزايد وقواه تناقص حتى أيس الأطباء منه وفي ثالث عشر رجب قدم الى  
القاهرة سبعة وأربعون أسيرا وأحد عشر فارسا وظفر المسلمون بمسطح للفرنج في البحر  
فيه مقابلة بالقرب من نسترأوة فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان مات الملك  
الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل في تابوت الى قلعة الروضة وقام بأمر العسكر الامير  
نفر الدين ابن شيخ الشيوخ فان شجرة الدر زوجة السلطان لما ماتت أحضرت الامير نفر  
الدين والطواشي جمال الدين محسنا واليه أمر المماليك البحرية والحاشية وأعلمتها بموته فكتمتا  
ذلك خوفا من الفرنج لانهم كانوا قد أشرفوا على تملك ديار مصر فقام الامير فخر الدين  
بالتدبير وسيروا الى الملك المعظم توران شاه وهو بمحصر كيفا الفارس اقطاعى لاحضاره وأخذ  
الامير فخر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده  
وللامير فخر الدين بأنا بكية العسكر والقيام بأمر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة  
في دار الوزارة عند الامير حسام الدين بن أبي على في يوم الخميس لاثنتي عشرة بقية من  
شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال  
له سهيل لايشك من رآها انها خط السلطان ومسمى ذلك على الامير حسام الدين بالقاهرة  
ولم يتفوه أحد بموت السلطان الى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى  
القاهرة بدعاء الخطباء في الجمعة الثانية للملك المعظم بدم الدعاء للسلطان وأن ينقش اسمه على  
السكة فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم وشوانيمهم تحاذيهم  
في البحر حتى نزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة من الغد  
كتاب الى القاهرة من العسكر أوله انقروا خفافا وثقالا واجاهدا باموالكم وأنفسكم في سبيل  
الله ذاكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة بالحث على الجهاد فقري على منبر  
جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه فارجت القاهرة ومصر وظواهرها بالبكاء والويل  
وأيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد فخلو الوقت من ملك يقوم بالامر لكانهم لم يهنوا  
وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلاثاء أول  
شهر رمضان اقتتل المسلمون والفرنج فاستشهد العسلائي أمير مجلس وجماعة ونزل الفرنج  
شارمساح وفي يوم الاثنين سابعه نزلوا البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلزالا شديدا  
لقربهم من العسكر وفي يوم الاحد ثالث عشره وصلوا تجاه المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين  
بحر أشموم وخذقوا عليهم وأداروا على خندقهم سورا ستروه بكثير من الساتر ونصبوا  
الجنايق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانيمهم بازائمهم في بحر النيل وشوانى المسلمين  
بازاء المنصورة والتعمم القتال برا وبحرا وفي سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة



أخبروا بمضايقة الفرنج وفي يوم عيد الفطر أسروا من الفرنج كند من أقارب الملك وأبلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلاء كبيرا وأنكوهم نكاية عظيمة وصاروا يقتلون منهم في كل وقت ويأسرون ويلقون أنفسهم في الماء ويمرون فيه الي الجانب الذي فيه الفرنج ويحيلون في اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وحملها على رأسه وغطس في الماء حتى حاذى الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى يأخذها فخطفه وأتى به الى المسلمين وفي يوم الاربعاء سابع شوال أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند ومائتا رجل وفي يوم الخميس النصف منه ركب الفرنج الى بر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم أربعون فارسا وسير في عدة الى القاهرة بسبعة وستين أسيرا منهم ثلاثة من أكبر الدوادارية وفي يوم الخميس ثاني عشره أحرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان بحر أشموم فيه مخاض فدل بعض من لا دين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عايبها فركبوا سحر يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة أورابه ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على العسكر وكان الامير نحر الدين قد عبر الى الحلم فأناه الصريح بأن الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ وساق ليأمر الامراء والاجناد بالركوب في طائفة من مماليكه فلقيه عدة من الفرنج الدوادارية وحملوا عليه ففر أصحابه وأنته طعنة في جنبه وأخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله عز وجل وفي الحال غدت مماليكه في طائفة الى داره وكسروا صناديقه وخزائنه ونهبوا أمواله وخيوله وساق الفرنج عند مقتل الامير نحر الدين الى المنصورة ففر المسلمون خوفا منهم وتفرقوا بينة ويسرة وكادت الكسرة أن تكون وتمحو الفرنج كلمة الاسلام من أرض مصر ووصل الملك روادفرنس الى باب قصر السلطان ولم يبق الا أن يملكه فأذن الله تعالى أن طائفة المماليك من البحرية والجمدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقدارى حملوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقاء حتى أزاحوهم عن مواقعهم وأبلوا في مكائمتهم بالسيوف والدايبس فانهزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الحائلة في هذه النوبة ألفا وخمسة مئتي فارس وأما الرجالة فانها كانت وصلت الى الجسر لتمدى فلو تراخى الامر حتى صاروامع المسلمين لاعضل الداء على أن هذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما أفلت من الفرنج أحد فبجا من بقى منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا خندقا وصارت طائفة منهم في البر الشرقي ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكسبة سرحت على جناح الطائر الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوق وبعض العسكر ولم تغلق أبواب القاهرة ليلة الاربعاء وفي يوم الاربعاء سقط الطائر بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزينت القاهرة وضربت البشارت بقلعة الجبل وسار المعظم توران



شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان واستولى على من بها ولاربع مضين  
 من شوال سقط الطائر بوصوله الي دمشق فضربت البشار في العسكر بالمنصورة وفي قلعة  
 لجيل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدمه وخرج الامير حسام  
 الدين بن أبي على الى لقاءه فوافاه بالصالحية لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة ومن يومئذ  
 أعلن بموت الملك الصالح بعد ما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة بل الامور على  
 حالها والدهايز السلطاني بحاله والسماط على العادة وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان  
 تدبر الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول ثم سار من الصالحية فلقاه الامراء  
 والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة وفي أثناء  
 هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال الي بحر المحلة وألقوها فيه وشحنوها  
 بالمقاتلة فعند ما حاذت مراكب الفرنج بحر المحلة وتلك المراكب فيه مكمنة خرجت عليهم  
 ووقع الحرب بينهما وقدم الاسطول الاسلامي من جهة المنصورة وأحاط بالفرنج فظفر  
 بأثنين وخمسين مركبا للفرنج وقتل وأسر منهم نحو ألف رجل فانقطعت المرة عن الفرنج  
 واشترع عندهم الغلاء وصاروا محصورين فلما كان أول يوم من ذى الحجة أخذ الفرنج من  
 المراكب التي في بحر المحلة سبع حراريق وفر من كان فيها من المسلمين وفي يوم عرفة  
 برزت الشواني الاسلامية الي مراكب قدمت للفرنج فيها ميرة فأخذت منها اثنين وثلاثين  
 مركبا منها تسع شواني فوهنت قوة الفرنج وزابد الغلاء عندهم وشرعوا في طلب الهدنة  
 من المسلمين على أن يسلموا دمياط ويأخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم  
 يجابوا الي ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذى الحجة أحرق الفرنج أخشابهم  
 كلها وأنفقوا ما كبرهم يريدون التحصن بدمياط ورحلوا في ليلة الاربعاء لثلاث مضين من  
 المحرم سنة ثمان وأربعين وسبائة الي دمياط وأخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب  
 المسلمون أفقيتهم بعد ما عدوا الي برهم وطلع الفجر من يوم الاربعاء وقد أحاط المسلمون  
 بالفرنج وقتلوا وأسروا منهم كثيرا حتي قيل ان عدد من قتل من الفرسان على فارسكور  
 يزيد على عشرة آلاف وأسر من الخيالة والرجال والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف  
 ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال مالا يحصى وانحاز الملك روادفرنس وأكابر  
 الفرنج الي تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالح  
 ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسبقوا الي المنصورة فقيد روادفرنس واعتقل في الدار التي  
 كان ينزل فيها القاضي نضر الدين ابراهيم ابن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشي صبيح  
 المعظمي واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يجعل اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف  
 الدين يوسف بن الطوري أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الاسرى فكان



يخرج منهم كل ليلة ثلثائة رجل ويقتلهم ويلقبهم في البحر حتى فنوا \* ولما قبض على الملك روادفرنس رحل الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برجا من خشب وتراخي في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نائبه بدمشق وولده توران شاه الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بنعمة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها نبشر المجلس السامى الجمالي بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين فانه كان قد استكمل أمره واستحكم شره ويثر العباد من البلاد والاهل والاولاد فتودوا لا تأسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهى سنة ثمان وأربعين وستائة تم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزائن وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجمنا العربان والمطوعة وخلقنا لا يملهم الا الله جاؤا من كل فج عميق ومكان سحيق فلما رأى العدو ذلك أرسل يطالب الصالح علي ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأبينا ولما كانت ليلة الاربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هارين فسرنا فى آثارهم طالين وما زال السيف يعمل فى أديبارهم عامة الليل وقد حل بهم الحزى والويل فلما أصبحنا يوم الاربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه فى الميبحج وأما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيس الى المينة وطلب الامان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وسلمناه دمياط بعون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهى أشكر لاطا

احمر بفرو سنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارة الفرنسيس جاءت \* فهى حقاً لسيد الامراء  
كياض القرطاس لونا ولسكن \* صبغها سيوفنا بالدماء

وقال آخر

أسيد أملاك الزمان بأسرهم \* تنجزت من نصر الاله وعوده  
فلا زال مولانا يبيح حمى العدى \* ويلبس أبواب الملوك عبيده  
وأخذ الملك المعظم يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطلبها بمال أبيه نخافته وكأبت ممالك الملك الصالح تحرضهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أقطاي الى حصن كيفا وعده أن يعطيه امره فلم يف له بها وأعرض مع ذلك عن ممالك أبيه وأطرح أمراءه وصرف الامير حسام الدين بن أبي على عن نيابة السلطنة وأحضره الى العسكر ولم يعأ به وأبعد غلمان أبيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم فى الوظائف السلطانية فجعل الطواشي مسرورا خادمه استادارا وعمل صبيحا وكان عبدا حبشيا فخلا خازن داره وأمران



تكون له عصا من ذهب وأعطاه مالا جزيلا واقطاعات جليمة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب رؤسها بالسيف حتى تنقطع ويقول هكذا أفعل بالبحرية فانه كان فيه هرج وخفة واحتجب على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وبقي كذلك الى يوم الاثنين ناسع عشر المحرم وقد جلس على السباط فتقدم اليه أحد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع أصابع يديه ففر الى البرج فاقتموا عليه وسيوفهم مصلثة فصعد أعلى البرج الخشب فرموه بالنشاب وأطلقوا النار في البرج فألقى نفسه ومرا الى البحر وهو يقول ما أريد ملككم دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطنعني ويحيرني وسائر العساكر بالسيوف واقفة فلم يحبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية وأدر كوه فقطع بالسيوف ومات حريقا غريبا قتيلا في يوم الاثنين المذكور وترك على الشط ثلاثة أيام ثم دفن ولما قتل الملك المعظم اتفق هل الدولة على اقامة شجرة الدر والدة خليل في مملكة مصر وأن يكون مقدم العسكر الامير عز الدين الرومي فقدم عليها في قلعة التركاني الصالحى وحلف السكلى على ذلك وسيروا اليها عز الدين الرومي فقدم عليها في قلعة الجبل وأعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع علامتها وهي والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجري الحديث مع الملك رواد فرنس في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حشام الدين بن أبي على الهدياتي فأجاب الى تسليمها وأن يحل عن بعد محاورات وسير الى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلموها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعدما أقامت بيد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الملك رواد فرنس وعن أخيه وزوجته ومن بقي من أصحابه الى البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر وأقلعوا الى عكا \* وفي هذه التوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته \* مقال نصح عن قوول نصيح  
 أجرك الله على ماجرى \* من قبل عباد يسوع المسيح  
 أتيت مصر بتبتي ملكها \* تحسب أن الزمر ياطبل ربح  
 فساقك الحين الى أدهم \* ضاق به عن ناظريك الفسيح  
 وكل أصحابك أودعهم \* بحسن تدبيرك بطن الضريح  
 خمسون ألفا لارى منهم \* الا قتل أو أسير جريح  
 وفقك الله لامثالها \* لعل عيسى منكم يستريح  
 ان كان باباكم بذا راضيا \* فرب غش قد أتى من نصيح  
 قل لهم أن أضروا عودة \* لاخذ نار أو لنقد صحيح



دار ابن لقمان على حالها \* والقيدياق والطواشي صبيح

وقدر الله أن الفرنسيين هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس فقال شاب من أهلها يقال له أحمد بن اسمعيل الزيات

يافرنسيس هذه أخت مصر \* فتأهب لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر \* وطواشيك منكر ونكير

فكان هذا فالاحسنا فانه مات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامراء دمياط وردت البشري الى القاهرة فضربت البشارت وزينت القاهرة ومصر فقدمت العساكر من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان في سلطنة الاشرف موسى ابن الملك المسعود أفسيس ابن الملك الكامل والملك المعز عز الدين التركياني وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف ابن العزيز على دمشق اتفق ارباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة أخرى فسيروا اليها الحجارين والقملة فوقع الهدم في أسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وأربعين وستائة حتى خربت كلها ومجيت آثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قلبها أخصاص على النيل سكنها الناس الضمفاء وسموها المنشية وهذا السور هو الذي بناه أمير المؤمنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استبد الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالح بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج من مصر عدة من الحجارين في سنة تسع وخسين وستائة لردم فم بحر دمياط فضوا وقطعوا كثيرا من القراييص وألقوها في بحر النيل الذي ينصب من شمال دمياط في البحر الملح حتى ضاق وتعدر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب البحر السكبار أن تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع في مراكب نيلية تعرف عند أهل دمياط بالجروم واحدها جرم وتصير مراكب بحر الملح واقفة بأخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم أهل دمياط الآن أن سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل في فم البحر أو رمل يتربى هناك وهذا قول باطل حملهم عليه ما يجردونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان وجهلهم بأحوال الوجود وما مر من الوقائع والى يومنا هذا يخاف على المراكب عند ورودها فم البحر وكثيرا ماتتلف فيه \* وقد سرت اليه حتى شاهدته ورأيته من أعجب ما يراه الانسان \* وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تخريب مدينة دمياط وعمل هناك أخصاص وما برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها تشرف على النيل الاعظم ومن ورائها البساتين وهي أحسن بلاد الله منظرا \* وقد أخبرني الامير الوزير المشير الاستادار بلبغا السلمي رحمه الله أنه لم يرفي البلاد التي سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه فظننت أنه يفلو في



مدحها الى أن شاهدها فاذا هي أحسن بلد وأنزهه \* وفيها أقول

سقى عهد دمياط وحياء من عهد \* فقد زادني ذكرا ووجد اعلى وجد  
ولا زالت الانواء تسقى سحابها \* ديارا حكمت من حشنها حنة الخلد  
فياحسن هاتيك الديار وطيبها \* فكم قد حوت حشنا بجمل عن المد  
فله أنهار تحف بروضها لكسا \* لم رهف المصقول أو صفحة الحد  
وبشئنها الريان يحكي متبا \* تبدل من وصل الاحبة بالصد  
فقام على رجليه في الدمع غارقا \* يراعي نجوم الليل من وحشة الفقد  
وظل على الاقدام تحسب انه \* لطول انتظار من حيب على وعد  
ولا سجا تلك النواوير انها \* نجد حزن الواله المدتف الفرد  
اطارحها شجوى وصارت كأنما \* تطارح شكواها بمثل الذي أبدى  
فتد خلتها الافلاك فيها نجومها \* تدور بمحض النفع منها وبالسعد  
وفي البرك الغراء يا حسن نوفر \* حلا وغدا بالز هو يستطو على الورد  
سما من البلور فيها كواكب \* عجيبة صبغ اللون محكمة النضد  
وفي شاطئ النيل المقدس نزهة \* تعيد شباب الشيب في عيشه الرغد  
وتنشى رياحا تطرد الهم والاسى \* وتنشئ ليالي الوصل من طيبها عندي  
وفي مرج البحرين جم عجائب \* تلوح وتبدو من قريب ومن بعد  
كان التقاء النيل بالبحر اذ غدا \* مليكان سارا في الحجال من جند  
وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا \* ولا طعن الا بالمتقفة المسلد  
فضلا كما بانا وما برحا كما \* هامن جليل الخطب في اعظم الجهد  
فكم قد مضى لي من افانين لذة \* بشاطها العذب الشهي لذى الورد  
وكم قد نعمنا في البشائين برهة \* بعيش هني في أمان وفي سعد  
وفي البرزخ المأنوس كم لي خلوة \* وعند شطا عن أيمن العلم الفرد  
هناك ترى عين البصيرة ما ترى \* من الفضل والافضال والخير والمجد  
فيارب هني لي بفضلك عودة \* ومن بها في غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التي هدمت جامع من أجل مساحد المسلمين تسميه العامة  
مسجد فتح وهو المسجد الذي أسسه المسلمون عند فتح دمياط أول ما فتح الله أرض مصر  
علي يد عمرو بن العاص وعلي بابة مكتوب بالقلم الكوفي انه عمر بعد سنة خمسمائة من  
الهجرة وفيه عدة من عمد الرخام منها ما يبرز وجود مثله وانما عرف بجامع فتح لتزول  
شخص يقال له فاتح به فقالت العامة جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمان الاسمر التكروري



قدم من مرا كش الى دمياط على قدم التجريد وسقى بها الماء في الاسواق احتساباً  
من غير أن يتناول من أحد شيئاً ونزل في ظاهر الثغر ولزم الصلاة مع الجماعة وترك  
الناس جميعاً ثم أقام بناحية تونة من بحيرة تينيس وهى خراب نحو سبع سنين ورم  
مسجدها ثم انتقل من تونة الى جامع دمياط وأقام في وكر بأسفل المنارة من غير أن يخالط  
أحد الا اذا أقيمت الصلاة خرج وصلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه أحد  
بحديث كله وهو قائم بعد انصرافه من الصلاة وكانت حاله أبداً اتصالاً في انفصال وقرباً في  
استعاد وأنساً في نفار وحج فكان يفارق أصحابه عند الرحيل فلا يرويه الا وقت النزول  
ويكون سيره منفرداً عنهم لا يكلم أحداً الى أن عاد الى دمياط فأخذ في ترميم الجامع  
وتنظيفه بنفسه حتى نقي ما كان فيه من الوطواط بسقوفه وساق الماء الى صهاريجيه وبلط  
صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا  
في يوم الجمعة فقط فرتب فيه اماماً راتباً يصلي الخمس وسكن في بيت الخطابة وواظب على  
اقامة الاوراد به وجعل فيه قراء يتلون القرآن بكرة وأصيلاً وقرر فيه رجلاً يقرأ ميعاداً  
يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط مكاناً أفضل من الجامع لاقت به ولو  
علمت في الارض بلداً يكون فيه الفقير أسخلم من دمياط لرحلت اليه وأقت به وكان اذا  
ورد عليه أحد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به وكان بيته ويصبح  
وليس له معلوم ولا ما يقع عليه العين أو تسمعه الاذن وكان يؤثر في السر الفقراء والارامل  
ولا يسأل أحد شيئاً ولا يقبل غالباً واذا قبل ما يفتح الله عليه أثر به وكان يبذل جهده  
في كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك وعرفت له عدة  
كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة والنفور عن الفتنة  
وترك الدعاوى واطراحها وستر حاله والتحفظ في أقواله وأفعاله وكان لا يرافق أحد في  
الليل ولا يعلم أحد يوم صومه من يوم فطره ويجعل دائماً قول ان شاء الله تعالى مكان قول  
غيره والله ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميرى أشار عليه بالنيكاح وقال له النكاح من السنة  
فتزوج في آخر عمره بامرأتين لم يدخل على واحدة منهما نهراً البتة ولا أكل عندهما  
ولا شرب قط وكان ليله ظرفاً للعبادة لكنه يأتي اليهما أحياناً ويتقطع أحياناً لاستغراق  
زمنه كله في القيام بوظائف العبادات وايتار الحلوة وكان خواص خدمه لا يعملون بصومه من  
فطره وإنما يحمل اليه ما ياكل ويوضع عنده بالحلوة فلا يرى قط آكلاً وكان يحب الفقر  
ويؤثر حال المسكينة ويتطرح على الخمول والجفا ويتواضع مع الفقراء ويتعاطف على العظماء  
والاغنياء وكان يقرأ في المصحف ويطلع الكتب ولم يره أحد يخط بيده شيئاً وكانت تلاوته  
للقرآن بمخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة قط ولا أخذ على أحد عهداً ولا لبس طاقية ولا



قال أنا شيخ ولا أنا فقير ومتى قال في كلامه أنا تفتن لما وقع منه واستعاذ بالله من قول أنا ولا حضر قط سماعا ولا أنكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحا من غير اصلاح وبلغ في الترفع على ابناء الدنيا ويتراحمي على الفقراء ويقدم لهم الاكل ولم يقدم اغني أكلا البتة واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغني واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف بنسير نعل ووقف علي قدميه بنظره حتى يتوارى عنه ومن كان من الفقراء يشار اليه بمشيخة جاس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه في الطريق ويقول ما أقول لاحد افعل أولا تفعل من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى أفعاله فان من لم يتسلك بنظره لا يتسلك بسمعه وقال له شخص من خواصه ياسيدي ادع الله لنا أن يفتح علينا فتحن فقراء فقال ان أردتم فتح الله فلا تبقوا في البيت شيئا ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك فقد جاء لانسأل الله ولك خاتم من حديد ومن كلامه الفقير بحال البكر اذا سأل زالت بكارته وسأله بعد خواصه أن يدعو له بسعة وشكاله للضييق فقال أنا ما أدعوك بسعة بل أطلب لك الافضل والاكمل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق أوقاته فيها لا يفغل عن صاحبه ولا ينسى حاجته حتى يقضيها ويلزم الوفاء لاصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الايتام ويشفق على الضعفاء والارامل ويبذل شفاعته في قضاء حوائج الخاص والعام من غير أن يمل ولا يتبرم بكثرة ذلك ويكثر من الايثار في السر ولا يمك لنفسه شيئا ويستقل مامنه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيرا ويكافئ عليه باحسن منه ولم يصحب قط أميرا ولا وزيرا بل كان في سلوكه وطريقه يرفع في تواضع ويعزز مع مسكنة وقرب في ابتعاد واتصال في انفصال وزهد في الدنيا وأهلها وكان أكبر من خبره ومن دعائه لنفسه ولمن يسأل له الدعاء اللهم بعدنا عن الدنيا وأهلها وبعدها عنا وما زال على ذلك الى أن مات آخر ليلة أسفر صباحها عن الثامن من شهر ربيع الآخرة سنة خمس وتسعين وستمائة وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ ألفي درهم دينا ودفن بجوار الجامع وقبره يزار الى يومنا هذا

### ذكر شطا

شطا مدينة عند تينس ودمياط واليهما تنسب الثياب الشطوية ويقال انها صرفت بشطا بن الهاموك وكان أبوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على أرض مصر جهز بعثا لفتح دمياط فنازلوها الى أن ملكوا سور المدينة فخرج شطا في ألفين من اصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويميل الى ما يسمعه من سيرة أهل الاسلام ولما ملك المسلمون دمياط امتنع عليهم صاحب تينس فخرج شطا الى البرلس والدميرة وأشموه طنح يستنجد فجمع الناس لقتال أهل تينس وسار بهم مع



من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مددا من عند عمرو بن العاص الى قتال أهل تنيس  
فالتقى الزريقان وأبلى شطا منهم بلاء حسنا وقتل من أبطال تنيس اثني عشر رجلا واستشهد  
في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من الهجرة فقبور حيث هو الآن خارج  
دمياط وبني على قبره وضار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويفدون  
للحضور من القرى وهم على ذلك الى يومنا هذا وكانت تعمل كسوة السكبة بشطا قال  
الفاكهى ورأيت فيها كسوة من كسا أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطى مصر مكتوبا  
عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن  
الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا كسوة السكبة سنة احدى وتسعين ومائة\*  
ومن المواضع المشهورة بدمياط\* (البربخ)\* وهو مسجد بحيرة دمياط تسميه العامة البربخ  
ولا أعرف مستندهم في ذلك وشاهدت فيه عجبا وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر  
اذا هزها أحد اهتزت فلما صعدت أعلاها حيث يقف المؤذنون وحركتها رأيت ظلها قد  
تحرك بتحريكها ويوجد حول هذا المسجد روم أموات يشبه أن تكون ممن استشهد في  
وقائع الفرنج والله يعلم وأنتم لا تعلمون\* (ديبق)\* قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب  
الثقيلة والعمائم الشرب الملونة والديبقي العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها  
ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب  
خمسائة دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمائم وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز  
سنة خمس وستين وثلثمائة الى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة\* (النجارية)\*  
قرية من الاعمال الغربية أسس حكرها الامير شمس الدين سنقر السعدى نقيب الجيش في أيام  
الناصر محمد بن قلاوون وبالغ في عمارتها فبلغت في أيامه عشرة آلاف درهم فضة ثم خرج  
عنها فعمرت للسلطان واتسع أمرها حتى أنشئ فيها زيادة على ثلاثين بستانا ووصل حكرها  
لكثرة سكانها الى ألف درهم فضة لكل فدان وصارت بلدا كبيرا العمل يبلغ في السنة ما بين  
خراجه وهلاله ثلثمائة ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف دينار ذهبا ومات سنقر هذا  
في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدره البقر خارج باب  
زويلة\* (جزيرة بني نصر)\* منسوبة الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك  
أن بني حماس بن ظالم بن جعيل بن عمرو بن درهمان بن نصير بن معاوية بن بكر بن هوازن  
كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملؤا أسفل الارض وغلبوا عليها حتى  
قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلوانة ولوانة تزعم انها من قيس فأجلت بني نصر  
وأسكنتها الجدار فصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل وهى جزيرة بني نصر هذه



ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق

اعلم أن البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كيشتاسف بن كيهراسف أحد ملوك الفرس وأما في الاسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله بغالا وابلا وذلك في سنة ست وستين ومائة وأصل هذه الكلمة بريد ذنب فإن دارا أقام في سكك البريد دواب محذوفة الأذنان سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها نصفها الأخير فقليل بريد وهذا الدرب الذي الذي يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل إلى مدينة غزة ليس هو الدرب الذي يسلك في القديم من مصر إلى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيه من الرمل الآن إلا بعد الحسمائة من سني الهجرة عندما انقرضت للدولة الفاطمية وكان الدرب أولا قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الأرض والطريق من دمشق إلى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم إلى جاسم أربعة وعشرون ميلا ثم إلى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم إلى طبرية مدينة الأردن ستة أميال ومن طبرية إلى اللجون عشرون ميلا ثم إلى القلمسوة عشرون ميلا ثم إلى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة إلى ازدود اثنا عشر ميلا ثم إلى غزة عشرون ميلا ثم إلى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم إلى الورداء ثمانية عشر ميلا ثم إلى أم العرب عشرون ميلا ثم إلى الفرما أربعة وعشرون ميلا ثم إلى جرير ثلاثون ميلا ثم إلى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم إلى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم إلى بليس أحد وعشرون ميلا ثم إلى القسقاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذا كما ترى إنما كان الدرب المسلول من مصر إلى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بليس إلى الفرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من الفرما وهي بالقرب من قطية إلى أم العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والورداء ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من أم العرب إلى الورداء وكانت بلدة في غير موضعها الآن قد ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمائة لاخذ البلاد من أيدي المسلمين وأخذ بفسدوين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حيثئذ من مصر إلى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج إلى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدي الفرنج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وأكثر من الإيقاع بالفرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل



وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى أن ولي ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأنشأ بأرض السباخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة أربع وأربعين وسبعمائة وصار ينزل بها ويقم فيها ونزل بها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في سائر الطرقات حتى صار الخبز يصل من قلعة الجبل الى دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويحكم في سائر ممالكه بالعدل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق في ذلك مالا عظيماً حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وسبعمائة وما زال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندنا عدة سواس وللخيل رجال يعرفون بالسواقين وأحدهم سواق يركب مع من رسم بركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني فتارة يمنح الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهامه وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن أدركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زادا ولا ماء فلما أخذ ثيمورلنك دمشق وسبى أهلها وحرقها في سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من الخن وما دها به من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل باقطاعه طريق الشام خلافاً فاحشاً والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة

#### ذكر مدينة حطين

هذه المدينة آثارها الى اليوم باقية فيما بين حبة والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين قطية والعريش تجاهها بميل ماء عذب تسميه العرب أبا العروق وهو شرقيها وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال حطلى بن الملك أبي جاد المدني وأهل قطية اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطين والجفر وملك حطين هذا أرض مصر بعد موت أبيه وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة في جبال الاردن قريباً من طبرية واليه تنسب قرية حطين التي بها الآن قبر شعيب بالقرب من صفد

#### ذكر مدينة الرقة

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عندما خرج موسى عليه السلام بني اسرائيل من مصر قوم من لحم آل فرعون يعبدون البقر وياهم



عني الله بقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون على أصنام لهم  
 الآلة قال قتادة أولئك القوم من لحم وكانوا زولا بالرقة وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر  
 ولهذا أخرج لهم السامري مجلا وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيما بقي من مدينة فاران  
 والقازم ومدين وأيلة تمر بها الاعراب

### ذكر عين شمس

وكان يقال لها في القديم رعساس وكانت عين شمس هيكلًا يحج الناس اليه ويقصدونه  
 من أقطار الارض في جملة ما كان يحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان  
 الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد وثمود ويزعمون أنه عن شيث بن آدم وعن هرمس  
 الاول وهو ادريس وان ادريس هو أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية  
 وبني الهياكل ومجد الله فيها ويقال ان الهياكل كانت عدتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكلًا  
 وهي هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت  
 هذه الهياكل الخمسة مستديرات وهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس وبعده هيكل  
 المشتري وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو أيضاً مربع وهيكل  
 الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر  
 ممتنع وعللوا عبادتهم للهياكل بأن قالوا لما كان صانع العالم مقدسا عن صفات الحدوث وجب  
 العجز عن ادراك جلاله وتعين أن يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعا  
 لهم ويكونوا وسائط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا أنها المديرات للكواكب  
 السبعة السيارة في أفلاكها وهي هياكلها وانه لا بد لكل روحاني من هيكل ولا بد لكل  
 هيكل من فلك وأن نسبة الروحاني الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا أنه لا بد  
 من رؤية المتوسط بين العباد وبين بارئهم حتى يتوجه اليه العبد بنفسه ويستفيد منه فزعموا  
 الى الهياكل التي هي السيارات فعرفوا بيوتها من الفلك وعرفوا مطالعها ومغارها واتصالاتها  
 وما لها من الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف  
 في موضعه من العلم الرياضي وسموا هذه السبعة السيارة أربابا وآلهة وسموا الشمس اله  
 الآلهة ورب الارباب وزعموا أنها المقيضة على السنة أنوارها والمظهرة فيها آثارها فكانوا  
 يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيين لتقربهم الى الباري لزعمهم أن الهياكل كل أبدان  
 الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب  
 يوما يزعمون أنه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة أوقات الاولى عند طلوع الشمس  
 والثانية عند استوائها في انفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لزحل يوم السبت وللمشتري  
 يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلاثاء وللزهرة يوم الاربعاء ولعطارد يوم



الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان ببلخ هيكل بناء بنو حمير على اسم القمر لتعارض  
به الكعبة فكانت الفرس تحججه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهر فلما تمجست الفرس  
عملته بيت نار وقيل للموكل بسدائه برمك يعني والى مكة وانتهت البرمكة الى جد خلد  
جد جعفر بن يحيى بن خالد فأسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا  
الهيكل قيس بن الهيثم في أول خلافة معاوية سنة احدى وأربعين وكان بناء عظيما حوله  
أروقة وثلاثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه وكان بضماء قصر غمدان من بناء الضحاك  
وكان هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمان بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين  
جزيرة الاندلس والارض الكبيرة هيكل الشترى من بناء كلوطرة بنت بطليموس وكان  
بفرغانة بيت يقال له كلوسان هيكل للشمس بناء بعض ملوك فارس الاول خربه المعتصم وقد  
اختلف فيمن بني هيكل عين شمس وساقص من أخباره ما لم أره مجموعا في كتاب \* قال  
ابن وصيف شاه وقد كان الملك مناقوس اذا ركب عملوا بين يديه التخاييل العجيبة  
فيجتمع الناس ويعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له خصوصا  
ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها أصناما ومعجائب فكان  
الملك يركب اليه ويقم فيه سبعة أيام وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذي عمله  
فيه وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع الذي يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا  
وجواهر وطلسمات وعقاقير ومعجائب ودفنها بها وبنوا حياها وأقام منكا احدى وتسعين سنة  
ومت من الطاعون وقيل من سم وعمل له ناس في صحراء الغرب وقيل في غربي قوص  
ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجواهر ومن الذهب المضمروب شيء  
كثير ودفن معه تمثال روحاني الشمس من ذهب يلمع وله جناحان من زبرجد وصم على  
صورة امرأته وكان يحبها فلما ماتت أمر أن تعمل صورتها في الهياكل كلها وعمل صورتها  
من ذهب بذؤابتين سوداوين وعليها حلة من جواهر منظومة وهي جالسة على كرسي وكان  
يجمعها بين يديه في كل موضع يجاس فيه يتسلى بذلك عنها فدفنت هذه الصورة معه تحت  
رجليه كأنها تخاطبه \* وقال الحكمم الفاضل أحمد بن خايفة في كتاب عيون الانبياء في  
طبقات الاطباء واشتاق فيثاغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا بمصر فورد على أهل  
مدينة الشمس المعروفة في زماننا بعين شمس فقبلوه قبولا كريها وامتحنوه زمانا فلم يجدوا  
عليه نقصا ولا نقصيرا فوجهوا به الى كهنة منف كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه على كراهة  
واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه ميبا ولا أصابوا له عثرة فبعثوا به الى أهل ديوسوس  
ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادحاضه سيلا ففرضوا عليه فرائض صعبة كما يتمتع  
من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لفرائض اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتهد



عجائبهم به وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى أماسيس ملك مصر فأعطاه سلطانا على ضحايا الرب وعلى سائر قرابينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كان للكواكب السبعة السيارة هياكل تخرج الناس اليها من سائر أقطار الدنيا وضعا القدماء جعلوا على اسم كل كوكب هيكلًا في ناحية من نواحي الارض وزعموا أن البيت الاول هو الكعبة وانه مما أوصى ادريس الذي يسمونه هرمس الاول المثلث أن يخرج اليه وزعموا أنه منسوب لزحل والبيت الثاني بيت المريخ وكان بمدينة صور من الساحل الشامي والبيت الثالث للمشتري وكان بدمشق بناه جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بني أمية والبيت الرابع بيت الشمس بمصر ويقال انه من بناء هرثيك أحد ملوك الطبقة الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة وكان بمنتيخ والبيت السادس بيت عطارد وهو بصيدا من ساحل البحر الشامي والبيت السابع بيت القمر وكان بجران ويقال انه قلعها ويسمى المدور ولم يزل عامرا الى أن خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابئة الاعظم \* وقال شافع بن علي في كتاب عجائب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محذقا بها مهدوما ويظهر من أمرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحت الحجر ما يكون طول الصنم بقدر ثلاثين ذراعا واعضاؤه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام قائمة على قواعد وبعضها قاعد على نصبات عجيبية واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى الآن وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على شكل الانسان وغيره من الحيوان وكتابة كثيرة بالقلم المجهول وقلما ترى حجرا خلا عن كتابة أو نقش أو صورة وفي هذه المدينة المستلتان المشهورتان وتسميان مسلتى فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة أذرع في مثلها عرضا في نحوها سمكا قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مثلث مخروط ينسف طوله على مائة ذراع يتدنى من القاعدة ببسطة قطرها خمسة أذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى نحو ثلاثة أذرع منها كالقمع وقد ترنجر بالمطر وطول المدّة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة وكلها عليها كتابات بذلك القلم وكانت المستلتان قائمتين ثم خربت احداهما وانصدعت من نصفها العظم الثقل وأخذت نحاس من رأسها ثم ان حوّلها من الاصنام شيئا كثيرا لا يحصى عدده على نصف تلك العظمى أو يلبها وقلما يوجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم أكثرها وانما بقيت قواعدها \* وقال محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه وفي رابع شهر رمضان يعني من سنة ست وخمسين وسبعمائة وقعت احدى مسلتى فرعون التي بأراضي المطرية من ضواحي القاهرة فوجدوا داخلها مائتي قطار من نحاس وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار \* ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دويمع من الملوك العماليق وقبل بناها الريان بن الوليد



وكانت سرير ملكه والفرس تزعم أن هرشيك بناها \* ويقال طول العمودين مائة ذراع وقيل أربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا ويقال ان بخت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل الى مصر وقال القضاة وعين شمس وهي هيكل الشمس بها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وبينهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعيتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسيهما مانستينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري من أسافلها فينبت في أصلهما العوسج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة من الجدى وهو أقصر يوم في السنة انتهت الى الجنوبي منها فطلعت عليه على قمة رأسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو أطول يوم في السنة انتهت الى الشمالي منها فطلعت على قمة رأسه وهما منتهى الميلين وخظ الاستواء في الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجاشية سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك \* وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وكانت عين شمس في قديم الزمان عظمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة النسطاط الآن ولما قدم عمرو بن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى فتحها \* وقال جامع السيرة الطولونية كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كدان أبيض محكم الصنعة يتخيل من استعرضه أنه ناطق فوصف لاحد بن طولون فاشتاق الى تأمله ففاه ندوسة عنه وقال مارآه وال قط الاعزل فركب اليه وكان هذا في سنة ثمان وخمسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطاعين وأمرهم باجتماعه من الارض ولم يترك منه شيئا ثم قال لندوسة خازنه ياندوسة من صرف منا صاحبه فقال أنت أيها الامير وعاش بعدها أحمد ثاني عشرة سنة أميراً \* وبني العزيز بالله نزار بن المعز قصورا بعين شمس \* وقال أبو عبيد البكري عين شمس بفتح الشين واسكان ثانية بعده سين مهملة عين ماء معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بني فرعون الصرح وزعم قوم أن عين شمس الى هذا الماء اضيف وأول من سمي هذا الاسم سبا بن يشجب وذكر الكلبي ان شمسا الذي تسموا به صنم قديم وقال ابن خرداديه واسطوانتين بعين شمس من أرض مصر ومن بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل اسطوانة طوق من نحاس يقطر من احدهما ماء من تحت الطوق الى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا يتقطع قطره ليللا ولا نهارا فوضعه من الاسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء الى الارض وهو من بناء أو سنك \* وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الالباب أن هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة محدد الرأس على قاعدة من حجر وعلى رأس المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة انسان على كرسي قد استقبل المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة أذرع وقد نبت منه شيء كالطلح فلا يبرح لمعان الماء على تلك الخضرة أبدا



صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يصل الى الارض منه شيء وبعين شمس نبت يزرع كالتقضان يسمى  
 البلم يتخذ منه دهن اللسان لا يعرف بمكان من الارض الا هناك وتؤكل لحي هذه التقضان  
 فيكون له طعم وفيه حرارة وحرافة لذيدة وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس اللسان  
 وهو شجر قصار يسقى من ماء بئر هناك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقصدوها وتغسل  
 بمائها وتستشفى به ويخرج لاعتصار اللسان أو ان ادراكه من قبيل السلطان من يتولى  
 ذلك ويحفظه ويحمل الى الخزانة السلطانية ثم ينقل منه الى قلاع الشام والمسارستانات  
 لمعالجة البرودين ولا يؤخذ منه شيء الا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم بذلك وملوك  
 النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهدونه من صاحب مصر ويرون  
 أنهم لا يصح عندهم لاحد أن يتصر الى أن يتغمس في ماء المعمودية ويعتقدون انه لا بد  
 أن يكون في ماء المعمودية شيء من دهن اللسان ويسمون الميرون وكان في القديم اذا وصل  
 من الشام خبر انتهى الى صاحب عين شمس ثم يرد من عين شمس الى الحصن الذي  
 عرف بقصر الشمع - حيث الآن مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة منف حيث كانت  
 منف تحت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن اللسان ما ذكره في كتاب السنكسار وهو  
 يشتمل على أخبار النصارى أن المسيح لما خرجت به أمه ومعهما يوسف التجار من بيت  
 المقدس فرارا من هيرودس ملك اليهود نزلت به أول موضع من أرض مصر مدينة بسطة  
 في رابع عشري بشنس فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها وأقاموا أياما ثم ساروا الى مدينة  
 سمونود وعدوا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشمونين وكان بأعلىها اذ ذاك شكل  
 فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم اليها غريب سهل فجأوا ونظروا في أمر  
 القادم فندما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر  
 فدخلت به أمه وظهرت له عليه السلام في الاشمونين آية وهو أن خمسة جمال محملة زاحمتهم  
 في مرورهم فصرخ فيها المسيح في الاشمونين فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين  
 وأقاموا بقرية تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وهي التي يقال لها  
 اليوم القوصية فنطق الشيطان من أجواف الاصنام التي بها وقال ان امرأة أمت ومعهما ولدها  
 يريدون أن يبحرخوا بيوت معابدم نفرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردهم عن المدينة  
 فمضوا الى ناحية ميرة في غربي القوصية ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير المحرق  
 وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف التجار في منامه قائلا يخبره بموت هيرودس ويأمره  
 أن يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذي يعزف اليوم  
 في مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا بمغارة تعرف اليوم بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها  
 الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد



اتسخت وصبت غسالها بتلك الاراضي فأثبت الله هنالك اللبسان وكان اذ ذلك بالاردن  
فانقطع من هناك وبقى بهذه الارض وغمرت هذه البئر التي هي الآن موجودة هناك على  
ذلك الماء الذي غسلت منه مريم وبلغني أنها الى الآن اذا اعتبرت يوجد ماؤها عيناً جارية  
في أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر ولللبسان فإنه انما سقى منها والله أعلم

### المنصورة

هذه البلدة على رأس بحر أشعوم تجاه ناحية طلخا بنها السلطان الملك الكامل ناصر الدين  
محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ست عشرة وسبائة عند ما ملك الفرنج مدينة  
دمياط فنزل في موضع هذه البلدة وخيم به وبني قصرا السكناه وأمر من معه من الامراء  
والعساكر بالبناء فبني هناك عدة دور ونصبت الاسواق وأدار عليها سورا مما يلي البحر  
وستره بالآلات الحربية والستائر وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى  
استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا فصارت  
مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق ولما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج  
ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصورة وبين يديه اخوته الملك المعظم عيسى  
صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرها من أهله وخواصه  
فأمر الملك الاشرف جاريته ففتت على عودها

ولما طفي فرعون عكا وقومه \* وجاء الى مصر ليفسد في الارض  
أي نحوهم موسى وفي يده العصا \* فأغرقهم في اليم بعضاً على بعض  
فطرب الاشرف وقال لها بالله كرري فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها وقال  
لجاريته غني أنت فأخذت العود وغنت

أي أهل دين الكفر قوموا لتظنوا \* لما قد جرى في وقتنا وتجددا  
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه \* وموسي جميعاً ينصران محمداً  
وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن حبارة أولها ( أي الوجد الآن أبيت مسهداً )  
فأعجب ذلك الملك الكامل وأمر لسكل من الجاريتين بخمسة دینار فنهض القاضي الصدر  
الاجل الرئيس هبة الله بن محاسن قاضي غزة وكان من جملة الجلساء على قدميه وأنشد يقول

هنيئاً فان السعد جاء مخليداً \* وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا  
حبانا له الخالق فتحنا لنا بدا \* مينا وانعاما وعزنا مؤبدا  
تهلل وجه الارض بعد قطوبه \* وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا  
ولما طفي البحر الخضم بأهله الـ \* طغاة وأضحى بالمسراكب مزبدا  
أقام لهذا الدين من سل عزمه \* صقيلا كما سل الحسام المهندا



فلم ينج الا كل شلو مجدل \* نوى منهم أو من تراه مقيدا  
ونادى لسان الكون في الارض رافما \* عقيرته في الحافقين ومنشدا  
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه \* وموسى جميعاً ينصران محمداً

فكانت هذه الليلة بالمتصورة من أحسن ليلة مرت لملك من الملوك وكان عند انشاده  
يشير اذا قال عيسى الى عيسى المعظم واذا قال موسى الي موسى الاشرف واذا قال محمداً  
الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذي أنشد هذه الابيات اتما هو راجح المحلى الشاعر  
\* (العباسة) \*

هذه القرية فيما بين بليس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها لملوك مصر  
وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس وولد بها أيضاً الملك الامجد تقي  
الدين عباس بن العادل أبي بكر بن أيوب وكان الملك الكامل محمد بن العادل يتيم بها كثيراً  
ويقول هذه تعلق مصر اذا أقت بها أصطاد الطير من السماء والسمك من الماء والوحش من  
النضاء ويصل الخبز من قاعة الجبل اليها في قلاتي وهو سخن وبني بها آدرا ومناظر وبساتين  
وبني أمراؤه بها أيضاً عدة مساكن في البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك  
الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل المنزلة الصالحية فلأشئ حينئذ أمر العباسة وخربت  
المناظر في سلطنة الملك المعز أيبك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس  
مر على السدير وهو فم الوادي فأعجب به وبني في موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية  
وأنشأ بها جامعاً وذلك في سنة ست وستين وسبعمائة \* وسميت بالعباسة بنت أحمد بن طولون  
فأنها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت حمارويه بن أحمد بن  
طولون لما حملت الى المعتضد وضربت هناك فساطيطها ثم بنت قرية فسميت باسمها  
\* ( ذكر مدينة قفط بصعيد مصر ) \*

هذه المدينة عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصرام بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام  
وكانت في الدهر الاول مدينة الاقائم وانما بدا خرابها بعد الاربعمائة من تاريخ الهجرة  
النبوية وآخر ما كان فيها بعد السبعمائة من سني الهجرة أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر  
للقصب ويقال كان فيها قباب بأعلي دورها وكانت اشارة من ملك من أهلها عشرة  
آلاف دينار أن يجعل في داره قبة وناقرب منها معدن الزمرد ولم يبطل الا من قريب فان  
قفطريم ولي الملك بعد أبيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان أكبر ولد أبيه وكان جباراً  
عظيم الخلق وهو الذي وضع أساسات الاهرام الدهشورية وغيرها وهو الذي بني مدينة  
دندرة ومدينة الاصنام وهماكت عاد بالريح في آخر أيامه وأثار من المعادن ما لم يثره غيره  
وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحي ومن الزرجد مثل الاسطوانة ومن الاسبادهشم



في صحراء الغرب كالكوفة وعمل من العجائب شيئاً كثيراً وبني منارا عاليا على جبل قفط يرى  
 منه البحر الشرقي ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه تمثالا كالعمود لا يحل ولا يذوب  
 وعمل البركة التي سماها صيادة الطير اذا مر عليها طائر سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتي  
 يؤخذ وهذه البركة يقال انها هناك الى الآن وأما المنار فسقط وعمل عجائب كثيرة وفي أيامه  
 أثار عبادة الاصنام التي كان الطوفان غرقها وزين الشيطان أمرها وعبادتها ويقال انه بنى  
 المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب وبني غربي النيل وخاف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها  
 عجائب كثيرة ووكل بها الروحانيين الذين يمتعون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا  
 يدخلها الا أن يعمل قرابين لأولئك الروحانيين وأقام قفطريم ملكا أربعمائة وثمانين سنة  
 وأكثر العجائب عملت في وقته ووقت ابنه البودسير ولذلك كان الصعيد أكثر عجائب من  
 أسفل لان حيز قفطريم فيه ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناسا في الجبل الغربي قرب  
 مدينة السكهان في سرب تحت الارض معقود على آزاج الى الارض ونقر تحت الجبل دارا  
 واسعة وجعل دورها خزائن منقورة وفي سقفها مسارب للرياح وباط السرب وجميع الدار  
 بالمرمر وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية أركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك وجعل  
 في سقفه جواهر تسرج وجعل في كل ركن من أركان المجلس تمثالا من الذهب بيده كالبوق  
 الذي يبوب به وتحت القبة دكة مصفحة بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش  
 من حرير وجعل عليها جسد بعد أن لطخ بالادوية المجففة ووضع في جانبه آلات كافور  
 وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكل وعن جوانب  
 الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك في صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب وعلى  
 صدره من فوق الثياب سيف فاخر قائمه من زبرجد وجعل في تلك الخزائن من الذخائر  
 وسبائك الذهب والتيجان والجوهر وبرابي الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف  
 العلوم مالا يحصى كثيرة وجعل على باب المجلس ديكا من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور  
 الجناحين مزبورا عليه آيات مانعة وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس بأيديهما  
 سيفان وقدامهما بلاطة تحتها لوالب من وطئها ضرباه باسيافهما فقتلاه وفي سقف كل أزج كرة  
 وعليها لطوخ مدر يسرج فيقد طول الزمان وسد باب الازج بالاساطين المرصعة ورسوا  
 على سقفه البلاط العظام وردموا فوقها الرمال وزبروا على باب الازج هذا المدخل الى جسد  
 الملك المعظم المهيب الكريم الشديد قفطريم ذي الايد والفخر والغلبة والقهر أقل نجمه وبقي  
 ذكره وعلمه فلا يصل أحد اليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد سبعمائة وسبعين ودورات  
 مضت من السنين وقال المسعودي ومعدن الزمرذ في عمل الصعيد الاعلى من مدينة قفطومنها  
 يخرج الى هذا المعدن والموضع الذي هو فيه يعرف بالخربة وهي مفازة وجبال والبحج تحمي



هذا المكان المعروف بالخربة واليهما يؤدي الحفارات من برد الى حفر الزمرذ ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر يخبرون أنه يكثر ويقبل في فصول السنة فيكثر في قوة مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الاربع وتقوى الحضرة فيه والشعاع النورى في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن الزمرذ وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي فقط وقوص وغيرها من صعيد مصر وقوص راصبة النيل وبين النيل وقفت نحو من ميلين \* ولمدينتي فقط وقوص أخبار عجيبة في بدء عمارتهما وما كان في أيام القبط من أخبارها الا أن مدينة فقط في هذا الوقت متداعية للخراب وقوص أعمر والناس فيها أكثر وكان بقط بربا موكل بها روحاني في صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا حكى أنها رؤيت بها مرارا ومعدن الزمرذ في البر المتصل باسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على العمال به وتنال لهم المؤن لحفره واستخراج الزمرذ منه وهو في جبال مرملة يحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فأتوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى القساطط ومنه يحمل الى البلاد وقد كان الناس يسرون من قوص الى معدن الزمرذ في ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت البجاء تنزل حوله وقريبا منه لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الآخذ على شرقي النيل في بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى اقرشدة وليس هناك من الجبال أعلى منها وهو في منقطع من البر لاعماره عنده ولا حوله ولا قريبا منه والماء عنه مسيرة نصف يوم أو أزيد وهو ما يحصل من المطر ويعرف بتقدير العين يكثر بكثر المطر ويقل بقلته وهذا المعدن في صدر مفازة طويلة في حجر أبيض يستخرج منه الزمرذ وهذا الحجر الابيض ثلاثة أنواع أحدها يقال له طاق كافورى والثاني يقال له طاق فضى والثالث يقال له حجر جروى ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرذ وهو كالغريق فيه وأنواعه الرياني وهو أقل من القليل لا يخرج الا في النادر واذا استخرج ألقى في الزيت الحار ثم يحط في قطن ويصر ذلك القطن في خرق خام أو نحوها وكان الاحتزار على هذا المعدن كثيرا جدا ويفتش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك فيختلسون منه بصناعات لهم في ذلك ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرذ الى أن ابطل العمل منه الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زنبور في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سنة بضع وستين وسبعماية \* وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة كانت فتنة كبيرة بمدينة فقط سبها أن داعيا من بني عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل فقط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها



ظاهر فقط بعمائمهم وطيبالسهم

❦ ذكر مدينة دندرة ❦

هي احدى مدن الصعيد الاعلى القديمة بناها قفطريم بن مصر ايم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام وكان فيها ربا عظيمة فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل يوم من كوة حتى تأتي على آخرها ثم تكرر راجعة الى حيث بدأت وكانت روحانيتها الموكلة بها تظهر في هيئة انسان له رأس أسد بقرنين وكان بها أيضا شجرة تعرف بشجرة العباس متوسطة وأوراقها خضر مستديرة اذا قال الانسان عندها يا شجرة العباس جاك القاس تجتمع أوراقها وتحزن لوقها ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص بريد واحد وكانت بربادندرة أعظم من بربا اخميم

\* (ذكر الواحات الداخلة) \*

الواحات منقطة وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها من قبل الساطط وال وانما يحكم عليها من قبل مقطعتها \* وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة بعضها داخل ببعض وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر الى سواه وأرضها شديدة وزاجية وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الحل وعيون مختلفة الطعوم من الحامض والقابض والمالح ولكل نوع منها خاصية ومنفعة وهي على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة جملتها أربع واحات ويقال ان الواحات ولدو حويلا بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وان آخر سبابن كوش أبو الحبش وأبو شنبأ بن كوش أبو زغاوة وأبو شنجيا بن كوش أبو الحبش الرمرم \* قال ابن وصيف شاه ويقال ان قفطريم بنى المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب منها الماء القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين أى صيادة الطير اذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر اذا قرب الاسد أو الحيات أو غيرها من الاشياء المضرة من تلك المدينة صفر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب الا ألقى عليه الثوم والسبات فينام عندها ولا يبرح حتى يأتيه أهل المدينة وينفتحون في وجهه ليقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال نائما عند الاصنام حتى يهلك وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعمل على رأس المنار صورة صنم من أخلاط كثيرة وفي يده كالفوس كأنه يرمي عنها فان عينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى يحيه أهل المدينة وكان ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الآن وان الناس يحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من السكنوز والعجائب الظاهرة خوفا



من ذلك الصنم أن تقع عين انسان عليه فلا يزال قائماً حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قامه فما أمكنه وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل في بعض المدائن الداخلة مرآة يري فيها جميع ما يسأل الانسان عنه وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدناً عمل فيها عجائب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخاها أو يعمل قرايين أولئك الروحانيين فيوصل اليها حينئذ ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر وبني الملك صابن الساد وقيل صابن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف وملك الاحياز كلها وعمل عجائب وطلسمات ورد السكينة الى مراتهم وبني الملهيين وأهل الشر ممن كان يصحب الساد بن مرقونس وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على غربي النيل منابر يوقد عليها اذا حزمهم امر أو قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء اليه ونظر في نجومه وكان بها حاذقا فرأى أن بلده لا بد أن تفرق بالطوفان من نياها ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبني في الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعاً وأودعها جميع الحكم والاموال وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني أمية لما قدم من المغرب فلما دخل مصر أخذ على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب من حديد فلم يتمكن فتح الابواب وكان اذا صعد اليها الرجال وعلوا الحصن وأشرفوا على المدينة ألقوا أنفسهم فيها فلما أعياء أمرها مضى وهلك من أصحابه عدة قال وفي تلك الصحارى كانت منزهات القوم ومدنهم العجيبة وكنوزهم الا أن الرمال غلبت عليها ولم يبق يملك ملك الاوقد عمل للرمال طاسماً لدفعه ففسدت طلسماتها لقدم الزمان قال ولا ينبغي لاحد أن ينكر كثرة بنيانهم ولا مدائنهم ولا مانصوبه من الاعلام العظام فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان آثارهم لينة مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما في صحارى الشرق والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فيها والادوية المنحوتة ومثل ما بل الصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من حكمتهم فلو تعاطي جميع ملوك الارض أن يبنوا مثل الهرمين ما نهبوا لهم وكذلك أن ينقشوا ربما لطلال بهم الامد ولم يمكنهم \* وحكى عن قوم من البنائين في ضياع الغرب أن عاملاً عندهم عنف بهم ففروا في صحراء الغرب ومعهم زاد الى أن تصلح أحوالهم ويرجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا الى سفح جبل فوجدوا عيراً أهلياً قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فانتبه الى مساكن وأشجار ونخل ومياه تطرد وقوم هناك يزعون ولهم مساكن وكلمهم وأعجب بهم فناء الى أصحابه وقدم بهم على أولئك القوم فسألوهم



عن حالهم فأخبروهم وأقاموا عندهم حتى صاحت أحوالهم وخرجوا ليأتوا بأهاليهم ومواسيهم  
ويقيموا عندهم فساروا مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأني لهم العود فأسفقوا على  
ما فاتهم \* وضل آخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس  
والمواشي والنخل والشجر فأضافوهم وأطعموهم رسقوهم وبنوا في طاحونة فسكروا من  
الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من حر الشمس فاذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد فخافوا  
وخرجوا وظلوا يومهم سائرين الى المساء فظهرت لهم مدينة أكبر من الاولى وأعمروا أكثر  
أهلا وشجرا ومواشي فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الاولى فجعلوا يعجبون منهم  
ويضحكون وانطلقوا بهم الى وليمية لبعض أهل المدينة فأكلوا وشربوا وعنوا بهم حتى  
سكروا فلما كان من الغد اتبها فاذاهم في مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحوها نخل قد  
تساقط ثمره وتكدس فخرجوا وهم يجسدون ريح الشراب ومبادي الخمر فساروا يوما الى  
المساء واذا راع يرعى غنما فسألوه عن الطريق فدلهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا  
مدينة الاشمونين بالصعيد قال وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجبان  
ومنها ما سترته عن العميون فلا ينظر اليها أحد وقال ان البودسيرين فنطريم بن قبطيم بن بصرين  
حام بن نوح عليه السلام في أيامه بنيت بصحراء الغرب منائر ومبتهرات وحوالها جماعة من  
أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض العرب عارة كلها وأقامت على  
ذلك مدة كثيرة فخالفهم البربر ونكحوها منهم ثم تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت فيها  
تلك الجهات وبادت الاقبة منازل تسمى الواحات

\* ( ذكر مدينة سنترية ) \*

ومدينة سنترية من جملة الواحات بناها مناقبوش باني مدينة اخميم كان أحد ملوك  
القبط القدماء قال ابن وصيف شاه وكان في حزم أبيه وحسبته تعظم في عين أهل مصر  
وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه بريضة أنفسهم فيه وأول من عمل المازستان لعلاج  
المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الاطباء وأجري عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على  
ذلك وصنع لنفسه عيداً فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك في يوم من السنة  
فيأكلون ويشربون سبعة أيام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب  
وألبيت فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج  
والذهب وفي أيامه بنيت سنترية في صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفي كل  
حائط باب في وسطه شارع الى حائط محاذ له وجعل في كل شارع يمنة ويسرة أبواباً تنتهي  
طرقاتها الى داخل المدينة وفي وسط المدينة ملعب يدور به من كل ناحية سبع درج وعليه قبة  
من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من



صوان أسود يدور مع الشمس بدورانها وبسائر نواحي القبسة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة فكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الماعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤساء الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمنجمون والاطباء وأرباب العلوم وعلى الخامسة أصحاب العمارات وعلى السادسة أصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم أنظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم لا تلحقونهم وهذا ضرب من التأديب وقتلته امرأته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنة وسترية الآن بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البر يعرفون بسيوة ولغتهم تعرف بالسيوية تقرب من لغة زناة وبها حدائق نخلك وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الآن نحو العشرين عيناً تسيح بماء عذب ومسافتها من الاسكندرية أحد عشر يوماً ومن جيزة مصر أربعة عشر يوماً وهي قرية يصيب أهلها الحمى كثيراً وثمرها غاية في الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيراً وتختطف من انفرد منهم وتسمع الناس بها عزيف الجن

\* ( ذكر الواحات الخارجة ) \*

بناها أحد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قفطيم بن قفطيم بن مصر ايم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وأراد البودسير أن يسير مغرباً لينظر الى ما هنالك فوقع على أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب فبني فيها مناراً ومنزهات وأقام فيها جماعة من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عمارة كلها وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فنكح بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض فكانت بينهم حروب فخرّب ذلك البلد وباد أهلها الأبقية منازل تسمى الواحات \* وقال المسعودي وأما بلاد الواحات فهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب وأرض الاحابش من التوبة وغيرهم وبها أرض شبية وزاحية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواتة الا أنه مرواني المذهب ويركب في آلاف من الناس خيلاً ونجياً وبينه وبين الاحابش نحو من ستة أيام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العماثر هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والجناب \* وحدثني وكيل أبي الشيخ المعز حسام الدين عمرو بن محمد بن زنكي الشهرزوري أنه سمع ببلاد الواحات أن فيها شجرة نارنج يقطف منها في سنة واحدة أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ما هو أخضر فلم أصدق ذلك لغرابته وقت حتى شاهدت الشجرة المذكورة



فاذا هي كأعظم ما يكون من شجر الجوز بمصر وأكبر وسألت مستوفي البلد عنها فأحضر  
الى جرائد حساباته وتصفحها حتى أوقفني على أن منها في سنة كذا قطف من النارجية  
الفلاينية أربعة عشر ألف حبة نارنج مستوية صفراء سوي ما بقي عليها من الاخضر وسوى  
ما تآثر منها وهو صغير \* وبالواحات الشب الابيض بواد نجاه مدينة ادفو كان في زمن الملك  
الكامل محمد بن العادل أبي بكر وفي زمن ابنه الصالح نجم الدين أيوب على مقطعي الواحات  
حل ألف قطار شب أبيض في كل سنة الى القاهرة ويطلق لهم في نظير ذلك جوالى الواحات  
ثم أهمل هذا فبطل \* وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة سار ملك النوبة في جيش عظيم الى  
الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسركثيرا

\* (ذكر مدينة قوص)

اعلم أن قوص أعظم ممدائن الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في أيام ملك من  
ملوك القبط الاول يقال له سدان بن عديم بن البودسير بن قفطريم قيل سميت باسم قوص  
ابن قفط بن أخميم بن سيفاف بن أشمن بن مصر قال ابن وصيف شاه سدان بن عديم  
هو الذى بنى الاهرام الالهشورية من الحجارة التى قطعت في زمن أبيه وعمل مصاحف  
النيرنجيات وهيكلا أرمنت وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا هيكلأ وأقام فيه في أريب  
وهيكلأ في شرقي الاسكندرية وبنى في الجانب الشرقي مدائن وفي أيامه بنيت قوص العالية  
وأسكن فيها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات وكانت الحبش والسودان قد عاثوا في  
بلده فأخرج لهم ابنه متقاوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبي واستعبد الذين سباهم وصار  
ذلك سنة لهم واقطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك السبي يعملون فيه ويحملون الذهب  
اليه وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب  
والكلاب الالهية وعمل من المعجائب والطلسمات لسكل فن ما لا يحصى كثرة \* وقال  
الادفوى في تاريخ الصعيد وقوص بجانب قفط حكي بعض المؤرخين انها شرعت في العمارة  
وشرعت قفط في الحراب من سنة أربعمائة قيل انه حضر مرة قاضي قوص فخرج من  
أسوان أربعمائة راكب بغلة الى لقائه \* وفي شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة أحضر الى  
الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص فأخذ منها فلس فاذا على أحد وجهيه  
صورة ملك واقف وفي يده البني ميزان وفي اليسري سيف وعلى الوجه الآخر رأس  
فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة وبدائر الفلس كتابة فقرأها راهب يوناني فكان تاريخه الى  
وقت قراءته ألفين وثلاثمائة سنة وفيه أنا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن أطاع  
والسيف في يساري لمن عصي وفي الوجه الآخر أنا غليات الملك أذني مفتوحة لسمع المظلوم  
وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي وقوص كثيرة العقارب والنام أبرص وبها صنف من



العقارب القتالات حتى انه كان يقال بها أكلة العقرب لانه كان لا يرجي لمن لسمته حياة واجتمع بها مرة في يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا وكان الواحد من أهلها اذا مشى في الصيف ليلا خارج داره يأخذ بأحدى يديه مسرحة تضي له وبالأخرى مشك من حديد يشك به العقارب ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانمائة فلما كانت الحوادث والمحن مات بها سبعة عشر ألف انسان في سنة ست وثمانمائة وكانت من العمارة بحيث انه تعطل منها في شراقي البلاد سنة ست وسبعين وسبعمائة مائة وخمسون مغلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جدا

\* (ذكر مدينة أسنا) \*

قال الادفوى وذكر أن أسنا في سنة حصل منها أربعون ألف أردب تمر واثنا عشر ألف أردب زبيب وأسنا تشتمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل وقيل انه كان بها في وقت سبعون شاعرا

\* (ذكر مدينة ادفو) \*

ومدينة ادفو يقال بالدال المهملة ويقال أيضا بالياء المثناة من فوق قال الادفوى أخبرني الخطيب العدل أبو بكر خطيب ادفو أن جمارة طرحت ثلاثة شماريح في كل شمرخ تمرة واحدة وأنه قلع الجمارة بأصلها ووزنها ثمان وخمسة وعشرين درهما كلها بجر يدها وخشبها وذلك بأدفو ولما كان بعد سنة سبعمائة حفر صناع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسي وعليها مثال شبكة وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني رأيتها على هذه الحالة في مدينة ادفو

\* (اهناس) \*

هي كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى بن مرهم عليه السلام ولد بها وان نخلة مرهم ثابها السلام التي ذكرت في قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل بها الى آخر أيام بنى أمية والذي عليه الجمهرة أن عيسى عليه السلام اتما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس واهناس شجر البنج

﴿ ذكر مدينة البهنسا ﴾

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والنياب الخبرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب واذا صنع بها شيء من الستور والاكسية والنياب من الصوف أو القطن فلا بد أن يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا



حيلاً بعد حيل \* وقبط مصر مجموعون على أن المسيح وأمه مريم كانا بالبهنسا ثم انتقلا عنها  
 الى القدس \* وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح وأمه وآبائهما الى ربوة ذات  
 قرار ومعين الربوة بالبهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقوش \*  
 قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه واستخرج كتبها  
 واكرم أهلها وبذل فيهم الجوائز وطلب الاغراب في عمل المعجائب وكان كل من ملوكهم  
 يجهد جهده في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وزير  
 على الحجارة في تواريتهم وهو أول من عبد البقر من أهل مصر وكان السبب في ذلك أنه  
 اعتل علة يئس منه فيها فرأى في منامه صورة روحاني عظيم يقول له انه لا يخرجك من علتك  
 الا عبادتك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين فعمل ذلك وأمر بأخذ  
 ثور أباق حسن الصورة وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة فكان يجره ويطيب  
 موضعه ووكل به سائسا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سرا من أهل مملكته فبرأ من علته  
 وهو أول من عمل المعجل في علته فكان يركب عليها السيوت من فوقها قباب الخشب وعمل  
 ذلك من أحب من نسائه وخدمه الى المواضع والمنزهات وكان البقر يجره فاذا مر بمكان  
 نزهة أقام فيه واذا مر بمكان خراب أمر بعمارة فيقال انه نظر الى ثور من البقر الذي  
 يجرع عجاته أبلق حسن الشبة فأمر بترفيهه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلامن  
 ديباج فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار اليه وقد انفرد عن عبيده وخدمه والثور  
 قائم اذ خاطبه الثور وقال له لو رفعتني الملك عن السير معه وجعلني في هيكل وعبدني وأمر أهل  
 مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريد وعاونته على أمره وقويته في مملكته وأزلت عنه جميع  
 علة فارناع لذلك وأمر بالثور ففسل وطيب وأدخل في هيكل وأمر بعبادته فأقام ذلك الثور  
 يعبد مدة وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل الا اطراف ورق القصب  
 الاخضر في كل شهر مرة فافتتن الناس به وصار ذلك أصلا لعبادة البقر وبني مواضع كثير  
 فيها كنوزا وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منازرا  
 ودفن حولها كنوزا ويقال ان هذه المدينة قائمة وان قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد  
 ضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجن ورأوا ضوءا يترأى بها وفي بعض كتبهم أن ذلك  
 الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ويؤخذ من رأسه  
 شعرات ومن ذنبه ومن نحامة قرونيه وأظلافه ويجعل في التمثال المذكور وعرفهم أنه يلحق  
 بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر أحمر ويدفن في الهيكل وينصب تمثاله عليه  
 وزحل في شرفه والشمس تنظر اليه من تثليث القمر زائد الثور وينقش على التمثال علامات  
 الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكلوه بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عينيه جزعتين



وغرسوا في الهيكل عليه شجرة بعد مادفونه في الحرن الاحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تضى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الاول وكسوا الهيكل ألوان الثياب وشقوا نهرا من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلسمات رؤسها رؤس القروذ على أبدان الناس كل واحد منها لدفع مضرة وجلب منفعة وأقام عند الهيكل أربعة اصنام على أربعة أبواب ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسكنها الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النيروز بمصر وفي زمانه بنيت البهنسا وأقام بها اسطوانات وجعل فيها فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس القت شعاعها على المدينة ويقال انه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في أحد الاهرام الصغار القبلية وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال والجواهر والعجائب شيء كثير واصناف السكواكب (٣) السبعة التي يرى الدفين والحياة وألف سرج ذهب وفضة وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج وألف عقاقير لفسون الاعمال وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته \* وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ظهر بالاشمونين في واد بين جبلين فساقى مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا فمشى شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها ويقال انها من عمل سوريد باني الاهرام لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان ناري فقدم هذا الوادي بعد ذلك خوفا من تلاف الناس \* يقول الشيخ الامام محمد بن أحمد الغرياني حدثني علي بن حسن بن خالد الشعري ثلاث مرات لم يختلف قوله على فيها قال حدثني رجل من فزارة الساكنين بكورة البهنسا قال خرجت أنا ورجل رفيق لي زتاد البلاد ونطلب الرزق في الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فقطعنا الحبل الغربي من ناحية البهنسا وسرنا متوكلين على الله تعالى فأقنا أياما ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب فوق معنا في واد كثير الشجر والنبات والماء والكلاليس فيه أنيس وهو واد واسع في الطول والعرض نحو يوم في الطول ويوم في العرض كله أعين وبساتين نخل وزيتون كثير الابل والمعز والذئب والضبع به كثير والابل به متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آنسه به وليس بالوادي لارائح ولا غاد من الناس قال فأخبرني أمهما أقاما بالوادي نحوا من شهرين أو ثلاثة وانهما رأيا في وسط الوادي مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فاذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما وأصواتا مهولة مخوفة ورأيا دخانا يرتفع الى جو السماء حتى يغطي سور المدينة وجميع ما فيها وان تلك الابل الوحشية عدت على رواحلها الانسية فاذتها وقتلتها فتحيل عند ذلك الرجالن الفزاريان بحيل وقتلا جبالا وأشراكا شباكا من ليف النخل وقيدا تلك الابل الوحشية وقتلا خوصا وضفرا قففا من الخوص لزادها وملاها تمرا ووزلا من تلك الابل الوحشية



مكان رواحلها عوضا عنها وركبها متوجهين نحو الشرق وحملامهما من الجريد أعنى جريد النخل ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها ويجملان ذلك أمارات لمرورها اليها فكانا كلما مرا على شرف جملا عليه جريدتين عالما حتى وصلا الى الجبل الغربي من مصر فترا الى البهنا فمرقا قومهما وتحملا بأهاليهما فلما علوا سطح الجبل الغربي وجدوا كل ما فرقه من جريد النخل على رؤس الآكام مجتمعا في مكان واحد في أعلى الجبل فرجعا عند ذلك لاهاليهما ومن معهم الى أرض البهنا وهذا ما حدثني به والله أعلم

### ❦ ذكر مدينة الاشمونين ❦

كانت من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء أشمون بن مصر بن بصر بن حام ابن نوح عليه السلام \* وقال ابن وصيف شاه كان أشمون أعدل ولد أبيه وأرغبهم في صنعة تسمى ويبقى ذكرها وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون وسط النيل وتقول القبط انه بنى سربا تحت الارض من الاشمونين الى أنصنا تحت النيل وقيل انه حفر وعمله لبناته لانهن كن يمتصين الي هيكل الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف بالزجاج النخين الملون وقيل ان أشمون كان أطول اخوته ملكا وقال أهل الأثر انه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد فانتقلوا الى الدينة من طريق الحجاز الى وادي القرى فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع وبلط الله عليهم الذر فأهلكهم وعاد ملك مصر الى أشمون ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكان الغريب اذا جاء ليدخل المدينة صاحت الاوزة وصفت بجناحيها فيعلم به فان أحبوا منعه وان أحبوا تركوه وكثرت الحيات في وقته فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها أدوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادي الحيات في جبال لوية ومراقبة فسجنوها هناك \* وقال في كتاب هروشيخ ان أشمون ابن قبط أول ملوك المصريين وانه كان في زمان شاروخ بن راغو بن قانع بن عابر بن شالح ابن أرخشيد بن سام بن نوح وان سني الدنيا صارت الى زمان شاروخ ألفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الضوفان بستائة وثلاث وستين سنة وبها كانت فرهة الخليل والبالغ والحير وكان يعمل بها فرش القرمز الذي يشبه الارمني وكان ينزل بأرض الاشمونين عدة بطون من بني جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه وكانوا بادية أصحاب شوكة وكان معهم بنو مسامة بن عبد الملك بن مروان حلفاء لهم ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون أنهم من بني أمية صلبية وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ينزلون أرض دلجة عند أشمون



ذكر مدينة اخميم

ضبطها البكري بكسر الهمزة واسكان الخاء ثم ميم وياه وميم على بناء افعل وهو في الجانب الشرقي من النيل والذي بناها مناقبوش أحد ملوك القبط الاول \* قال ابن وصيف شاه كان جلدا محتسما فاستأقت العمارة وبني القرى ونصب الاعلام وجمع الحكم ومصاحف الملوك والحكام وعمل المعائب وبني لنفسه مدينة انفرد بها وعمل عليها حصنا ونصب عليه أربعة اعلام في كل ركن من أركانها علم وبين تلك الاعلام ثمانون صنما من نحاس واخلاط في أيديها السلاح وزبر على صدرها آياتها وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حدقوا علم غيرهم فأمر الملك أن يبني له مدينة ويحول إليها وهي اخميم فلما بنوا مناقبوش نيفا وأربعين سنة ومات فدفن في الهرم المحاذي لاطفيح ومعه شيء كثير من المال والجواهر والآنية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذي هلك فيه قال وذكر أهل اخميم أن رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البربا ويأتي اليه كل يوم بخور وخلق فيبخر ويطبب صورة في عضادة الباب فيجد تحتها دينارا فياخذُه وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل مالا وخرج عن البلد \* وكانت بربا اخميم من أعجب البرابي وأعظمها قد بنيت لخزن برهم فأنهم قضوا على أهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرائن لكثرتهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نار فتحرق ما على جميع وجه الارض وقال آخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البرابي قبل الطوفان وكان في هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر وكانت مبنية بحجر المرمر وطول كل حجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين وهي سبعة دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع مدهونة باللازورد وغيره من الاصباغ التي يحسبها الناظر كأنما فرغ الدهان منها الآن لجدهتها وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيات والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيمياء والسيما والطلسمات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك أودعها تلك الصور \* وذكر ابن جبير في رحلته أن طول هذه البربا مائة وعشرون ذراعا وسعتها مائة وسبعون ذراعا وأنها قائمة على أربعين سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون شبرا وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا ورؤسها في نهاية العظم كلها منقشة من أسفلها الى أعلاها ومن رأس كل سارية الى الاخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها مائة وستة وخمسون شبرا طولها في عرض عشرة أشبار وارتفاع ثمانية أشبار وسطحها من ألواح الحجارة كأنها فرش واحده في التصاوير البديعة والاصبغة الغربية كهيئة الطيور والادميين وغير ذلك في داخلها وخارجها وعرض حائط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوفة كذا قالها ابن جبير في سنة ثمان



وسبعين وخمسمائة ويقال ان ذا النون عرف منها علم الكيمياء وما زالت هذه البربا قائمه الي  
سنة ثمانين وسبعمائة نثر بها رجل من اهل اخميم يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب  
علم الدين على ونال منها مالا فلم تطل حياته ومات ومن حينئذ تلاشى امر اخميم الي ان خربت  
وقد ذكر جماعة ان بربا اخميم كانت في هيئة غلام أمرد عريان وأن قوما دخلوها مرة فبهمهم  
وأخذ يضربهم ضربا وجيما حتى خرجوا هاربين وحكي مثل ذلك عن دخل الاهرام أيضا\*  
وقد حكي أن رجلا ألصق على صورة من بربا اخميم شمعة فكان اذا تركها في موضع  
التجأت العقارب اليها واذا وضع الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في  
بربا اخميم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الي الهواء وفي جبهته  
وحوايه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحنط وكان يذكر أن من احتال حتى يتقب على  
ذلك الاحليل حتى يخرج منه غير أن ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال منعظا الي أن  
ينزعه ويجماع مأحوب ولا يفتر مادام معلقا عليه وأن بعض من ولي اخميم اقتلعه فوجد منه  
شيئا عجيبا من ذلك وكانت الانطاع تجاب من اخميم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر  
ألف عريف على السحرة وكان بها شجر البنج ويقال ان الذي نبي بربا اخميم اسمه دومريا  
وانه جعل هذه البربا مثلا للامم الآتية بعده وكتب فيها تاريخ الامم والاحيالي ومفاخرهم  
التي يفخرون بها وصور فيها الانبياء والحكماء وكتب فيها من يأتي من الملوك الي آخر الدهر  
وكان بناؤه اياها والنسر برأس الحمل والنسر يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة قلت  
والنسر في زماننا باخر باب برج الجدى فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلاثين  
الف سنة\* وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفا الالاب أن هذه  
البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة أبواب يفضى كل باب الي بيت له أربعة أبواب  
كلها مظلمة ويصعد منها الي بيوت كالغرف على قدرها

### ذكر مدينة العقاب

قال المسعودي مدينة العقاب غربي اهرام أبو صير بالحيزة على مسيرة خمسة أيام بلياليها  
للاكب المجد وقد عور طريقها وعمى المسلك اليها والسمت الذي يؤدي نحوها وفيها عجائب  
البيان والجواهر والاموال\* وقال ابن وصيف شاه وكان الوليد بن دومع العمليقي قد  
خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلاماً له يقال  
له عون فسار الي مصر وفتحها ثم سار فثاقاد عون ودخل مصر فاستباح أهلها ثم سنج له  
أن يقف على مصب النيل فخرج في جيش كثيف واستحاف عوناً على مصر وأقام في  
غيبته أربعين سنة وان عوناً بعد سبع سنين من مسيره نجبر وادعى أنه الملك وأسكر أن  
يكون غلام الوليد وانما هو أخوه وغاب بالسحر وسي الحرائر فقال الناس اليه ولم يدع



امرأة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبه وهو مع ذلك يكرم  
 الكهنة ويمظم الهياكل فانفق انه رأى الوليد في منامه وهو يقول له من أمرك أن تسمى  
 باسم الملك وقد علمت أنه من فصل ذلك استحق القتل ونكحت بنات الملوك وأخذت  
 الاموال بغير واجب ثم أمر بقدر ملئت زيناً وأحيت حتى غلت ونزع نياه لياقيه فيها  
 فأثاء عقاب فاختطفه وحلق به في الجب وجعله في هوة على رأس جبل فسقط الى واد فيه  
 حمأة منقاة فاتبه مرعوباً وقص ذلك على كهنته فقلوا نحن نخلصك منه بأن تعمل عقاباً  
 وتعبده فإنه الذي خلصك في نومك فقال أشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنسه  
 فعمل عقاباً من ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجواهر وعمل له هيكلًا لطيفاً  
 وأرخي عليه ستور الحرير وأقبلوا على تجيره وقربانه حتى نطق لهم فأقبل عون على عبادته  
 ودعا الناس الى ذلك فأجابوه ثم أمر بجمع له كل صانع بمصر وأخرج أصحابه الى صحراء  
 الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل اليها من مواضع صعبة وجبال وعرة بحيث  
 يقرب من مغيض الماء التي هي اليوم الفيوم وكانت مغيضاً لماء النيل حتى أصلحها يوسف عليه  
 السلام ليجرى الماء منها الى المدينة فخرجوا وأقاموا شهراً يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم  
 يبق بمصر فاعل ولا مهندس ولا أحد له بصير بالبناء وقطع الصخور ونحتها الا وجه اليها  
 وأنفذ الف رجل من الجيش وسبعمائة ساحر لمعاونتهم وأنفذ معهم الآلات والازواد  
 على العجل وطريق هذه العجل الى الفيوم في صحراء الغرب واضحة من خلف الاهرام  
 فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة خطوا المرسية فرسخين في مثلها وحفروا في  
 الوسط بئراً جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى  
 الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيراً ولطخوا  
 التمثال بدمه في وجهه وبجروه بشيء من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه  
 ومرارته وجعلوا في اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده في قبة من نحاس  
 بين يدي التمثال ونقشوه بأيات زحل ثم شقوا في البئر من الجهات الاربع في كل جهة سرباً  
 الى حيطان المدينة وعملوا على أفواهاها منافس تجذب الهواء وسدوا البئر وعقدوا فيها قبة  
 على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من أبواب  
 المدينة وفضلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب  
 ووجوهها تجاه الابواب وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود فوقه حجر أحمر عليه حجر  
 أصفر من فوقه حجر أخضر وفوق الجميع حجر أبيض يشف وكلاهما مبنية بالرصاص المصبوب  
 بين الحجارة وفي قلوبها اعمدة من حديد على بناء الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعاً  
 في عرض عشرين وعلى رأس كل باب حصن بأعلاه عقاب كبير من صفر وأخلاق قد تشر



جناحيه وهو أجوف وعلى كل ركن فارس بيده حربة ووجهه الى خارج المدينة وساق الماء الى الباب الشرقي يتحد في صبه الى الباب الغربي ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي وقرب العقاب عقباناً ذكورا واحتاب الرياح الى افواه التماثيل فصار يسمع لها اصوات هائلة ووكل بها ارواحاً تمتنع للداخل اليها الا أن يكون من أهلها ونصب العقاب الذي يتبع له تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة اركان على كل ركن وجه شيطان وجعلها على عمود يدبرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم في كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل الى المدينة الاموال والجواهر التي بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الفضة والعقاير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا يختلط أهل صناعة بسواهم وعمل بهارياً لأصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار قناطر يمتد عليها الداخل الى المدينة وجعل الماء يدور حول الرض ونصب عليها أعلاماً وحرساناً غرس وراء ذلك مما يتصل بالبرية النخل والكرم وجميع اصناف الشجر على اقسام مقسومة ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة كل ذلك خوفاً من الوليد \* قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام وكان يقيم فيها ويخرج اليها ثم يعود الى منف وكان لها أربعة أعياد في السنة وهي الاوقات التي يحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمان قلبه الى أن وافى اليه كتاب الوليد من التوبة يأمره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في البر والبحر بما أراد وحول أهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والسكراء الى المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها ونحصر فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع ما فعله عون فغضب وهم أن يبعث اليه جيشاً فحرف بجنح المدينة ومنعتها وخبر السحرة فكتب اليه أن يقدم عليه ويحذره عاقبة التخلف فأجابه ما على الملك مني مؤنة ولا تعرض ولا عيب في بلده لاني عبده وأنا له رده في هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب ولا أقدر على المسير اليه لخوفي منه فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه اليه ما يلزمني من خراجه وهداياه وبعث اليه بأموال جليلة وجواهر نفيس فكف عنه وأقام الوليد بمصر حتى مات

#### ❦ ذكر مدينة الفيوم ❦

اعلم أن موضع الفيوم كان مفيض ماء النيل فلما ولي السيد يوسف الصديق علياً السلام تدبير أمور مصر عمرها \* قال ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف والقبض تسميه نهراوش فجلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه ناقلاً متمكناً فوعد بالجميل وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفرق المال في الخاص والعام وملك على البلد رجلاً من أهل بيته يقال له أطفين وهو الذي يسميه أهل الاثر العزيز فأمر أن ينصب



له في قصر الملك سرير من فضة يجلس عليه ويغدو فيه ويروح الى باب الملك ويخرج العمال  
 والكتاب بين يديه فكفي نهر اوش ماخاف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذته فانغمس  
 نهر اوش في لهوه ولم ينظر في عمل ولا ظهر للناس حينما والبلد عامر وهو لا يسأل عن شئ  
 وعمل له مجالس من زجاج ملون وحوولها ماء فيه أسماك مفزطة ولبور ملون فكان اذا وقعت  
 عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعمت له عدة منزهات على عدد أيام السنة فكان كل  
 يوم في موضع منها وعمل له في كل موضع من الآنية والفرش ما ليس لغيبه فأتصل بملوك  
 النواحي تشاغله بلذته وتدير أطفين فسار ملك من العماليق يقال له أبو قابوس عاصر بن  
 يخوم الى مصر ونزل على حدودها فجهز اليه العزيز جيشا عليه قائد يقال له بريانس فأقام  
 بحاربه ثلاث سنين فظفر به العماليق وقتله وهدم الاعلام والمصانع وقوى طمعه في البلد  
 فاجتمع الناس الى قصر الملك واستغاثوا بفرج اليهم وعرض جيوشه وخرج في ستمائة ألف  
 مقاتل سوي الاتباع فالتقوا من وراء الحوف وكان بينهما قتال شديد فانهزم العماليق وتبعه  
 نهر اوش الى حد الشام وقتل خلقا من أصحابه وأفسد زروعهم وأشجارهم وحرقت وصاب  
 ونصب أعلاما على الاماكن التي وصلها وزبر عليها اني لمن تجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل  
 انه بلغ الموصل وضرب على أهل الشام خراجا وبني عند العريش مدينة لطيفة وشحنها  
 بالرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع الاعمال جنودا واستعد لغزو ملك الغرب وخرج  
 في سبعمائة ألف فر بأرض البربر وأحلي كثيرا منهم وجهز قائدا في السفن من ناحية  
 رقودة الى جزائر بني يافث فعاتب فيها وخرج من ناحية أرض البربر فقتل وصالح بعضهم على  
 مال حملوه اليه ومضى الى أفريقية وقرطاجنة فصالحوه على مال ومر حتى بلغ مصب البحر  
 الاخضر الى بحر الروم وهو موضع أصنام النحاس فأقام هناك صنما زبر عليه اسمه وتاريخ  
 خروجه وضرب على أهل تلك النواحي الخراج وعدى الى الأرض الكبيرة وسار الى  
 الاندلس فخاربه ملكها اياما ثم صالحه على مال وأن يمنع من يغزو مصر من ناحيته وانصرف  
 على غير البحر مشرقا في بلاد البربر فلم يمر بأمة الا ودخلت في طاعته ومر في الجيوب  
 فقتل خلقا وبعث قائدا الى مدينة على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكر له حال الريان  
 ومصالحة الملوك له فقال ما بلغنا أحد قط وسأله القائد عن البحر هل ركب أحد قط فقال  
 ما يقدر أحد على ركوبه وربما اظله غمام فلا يرى اياما وقدم الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكحة  
 أكثرها الموز وحجارة سوداء اذا جعلت في الماء صارت بيضاء ثم سار الملك على أمم السودان  
 الى مملكة الدمدم الذين بأكلون الناس فخرجوا اليه عراذ فهزمهم وظفر بهم ومر على البحر  
 المظلم فمشيهم منه غمام فترجع شمالا حتى انتهى الى تمال من حجر أحمر يومي بيده ارجعوا  
 وعلى صدره مزبور ماورائي أحد فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادي



المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحداً لشدة ظلمته وسار الى وادي الرمل فرأى على معبره أصناما عليها أسماء الملوك فأقام عليه صنما زبر عليه اسمه فلما أدت الرمل جاز عليه الى الخراب المتصل بالبحر الاسود فرأى سباعا يزتر بعضها على بعض فحكيم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعدى وادى الرمل ومسر بأرض العقارب فهلك بعض أصحابه ودفعوا عن أنفسهم أذاها بالرقى وجازها الى مدينة الحكماء وتعرف بمدينة الكند ففروا منه الى جبل فأقام عليه اياما حتى كاد يهلك جيشه عطشا فنزل اليه من الجبل رجل من أفضل الحكماء وقد لبس شعره جسده فقال للملك أين تريد أيها المغرور الممدود له في الاجل المرزوق فوق الكفاية أتبت نفسك وجيشك ألا اجترأت بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت الراحة وتركت العناء والغرر بهذا الخلق فمجبج من قوله وسأله عن الماء فدلّه عليه وسأله عن موضعهم فقال لا يصل اليه أحد ولا يبلغه قلبك أحد فقال ما عيشك قال من أصول النبات تقنع به ويكفينا اليسير قال فمن أين تشربون قال من الامطار والثلوج قال فلم هربتم منا قال زهادة في مخالطتكم والا فليس لنا ما نخافكم عليه قال فكيف بكم اذا حمت الشمس قال نأوى الى غيران تحت هذا الجبل قال فهل لكم في مال اخلفه لكم قال انما يريد المال أهل الترف ونحن لانستعمل منه شيئا استغنيا عنه بما قد اكتفينا به وعندنا منه مالو رأيت لاحتقرت ما عندك قال فأرنيه فانطلق بنفر من أصحابه الى أرض في سنح جياهم فيها قضبان ذهب نائمة وأراهم واديهم في حافتيه حجارة زبرجد وفيروز فأمر نهر اوش أصحابه أن يحملوا من كبار تلك الحجارة ففعلوا ورأى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم فسأل الملك أن لا يقيم بأرضهم وخوفه من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يمر بأمة الا أثر فيها حتى بلغ النوبة فصالحهم على مال وأقام على دقلة صنما وزبر عليه اسمه ومسيره وسار يريد مدينة منف فكان أهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور والرياحين والطيب الى أن بلغ منف فخرج أهلها اليه مع العزير بأصناف الرياحين والطيب وكان العزير قد بني له مجلسا من زجاج ملون وفرشه بأحسن فرش وغرس حوله الاشجار والرياحين وجعل فيه بحيرة من زجاج سماوى وفي أرضه شبه السمك من زجاج أبيض فنزل الملك فيه وأقام الناس يأكلون ويشربون اياما كثيرة وتفقد جيشه ففقد منهم سبعين ألفا ووجد فيهم ممن أسره نيفا وخمسين ألفا فكانت مدة غيبته عن مصر في مسيره هذا احدى عشرة سنة فلما بلغ الملوك قدمه هاويه واشتد بأسه ونجبر وبني في الجانب الشرقي قصورا من رخام ونصب عليها أعلاما وأمر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضى حتى زاد الخراج على مائة ألف دينار ودخل الى البلد في أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تمرس بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام ونودى عليه وهو \*



يوسف الصديق ابن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم وسلامه فاشترأه  
اطفين ليهديه الى الملك فلما أتى به قصره رأته امرأته زليخا وهى ابنة عمه فقالت اتركه  
لنا تربيته لينفعنا وكان من أمرها ما قصه الله تعالى فى القرآن فكانت تكتم حبه حتى غلبت  
نخلت به وتزينت له وعرفته أنها تحبه وانه ان واتاها على ما تريده منه حبه بمال عظيم فامتنع  
من ذلك ورأت أن تغلبه فما زالت تماركه وهو تمتع منها الى أن وافى زوجها وراه وهو  
حارب منها وكان العزيز عينا لا يأتي النساء فجعل يوسف يعتذر اليه وقالت انى كنت نائمة  
فأتانى يراودنى عن نفسي وتبين من شاهد أهلها أن الامر من قبل امرأته فقال ليوسف  
أعرض عن هذا أى عن اعتذارك وقال لها استغفرى لذنبك وقد كان خبر أطفين والغلام  
بلغ الملك وكان نهراوش عاود العكوف على اللهم والاحتجاب عن الناس واتصل خبر زليخا  
ويوسف بنساء الخاصة فغيرنها بذلك فدعت جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشرابا وعملت  
مجلسين مذهبيين وفرشتها بديباج أصفر مذهب وأرخت عليهما ستور الديباج وأمريت  
المواشط بتزيين يوسف واخراجها من المجلس الذى يحاذى المجلس الذى كانت مع النسوة  
فيه وكان المجلس محاذيا للشمس فأخذته المواشط ونظمن شعره بأصناف الجواهر واللبسة  
ثوب ديباج أصفر قد نسج بدارات حمر مذهبة فيها اطيار صغار خضرمبطن ببطانة خضراء  
ومن تحته غلالة حمراء وعلى رأسه تاج قد نظم بالدر والجزهر وأخرجن من تحت التاج  
أطراف شعره على جبهته ورددن ذوائبه على صدره وجعلن جبهته مكشوفة والتاج محيط بها  
وفى اذنيه قرطى جوهر ومن خلف طوق اللقبا شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب  
والجوهر وفى عنقه طوق منظوم بذهب مشدد بجوهر أحمر ودر فاخر وفى وسطه منقلقة  
ذهب فيها الوالب جو هو ملون ولها معاليق منظومة وألبسته خفين أبيضين منقوشين بأخضر  
على نقوش ذهب وجعلن للقباء الذى عليه وشاحين وافرور يحيط بأسفله وكميه من جوهر  
أخضر وعقر بن صدغيه على خديه وحكن عيذه ودفعن اليه مذبة شعرها أخضر فلما فرغ  
النساء من طعامهن وشربن أقداحا قدمت اليهن سكاكين قبضهن من جوهر ليقطن بها  
الفأكة فيقال انهن اخذن اترجاوهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغني حديثكن فى أمرى مع  
عبدى فقلن لها الامر كما بلغك لانك أعلى قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن أولاد الملوك  
لحسنك وشرفك فكيف ترضين بغلامك فقالت لم يبلغمكن الصدق ولا هو عندى بهذا أو مات  
الى المواشط أن يخرجن يوسف فرغمن الستور عن المجلس الذى يحاذى مجلسها وبرز منه  
يوسف محاذيا بوجهه الشمس فأشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف وأقبل بالمذبة وهن  
يرمقنه فوقف على رأس زليخا يذب عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقطعن أيديهن موضع  
الفأكة التي كانت معهن ولا يمين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن يوسف فقالت



لمن زليخا مالكن قد اشتغلتن عن خطائني بالنظر الى عبدى فقلن معاذ الله ما هذا عبدك  
 ان هذا الاملك كريم ولم سبق منهن امرأة الا حاضت وأنزات شهوة من محبته فقالت زليخا  
 عند ذلك فهذا الذى لمتني فيه فقلن ما ينبغي لاحد أن يلومك في هذا ومن لامك فقد ظلمك  
 فدونك قالت قد فعلت فأبى على مخاطبته لي فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا  
 الى نفسها وتبذل له وهو يمتنع عليها فاذا يئست منه أن يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا  
 وقالت مولامك تحبك وأنت نكرهما ما ينبغي أن تخالفها فقال مالي بذلك حاجة فلما رأين ذلك  
 اجمن على أخذه غضبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لسكنه ان لم يفعل لامنعه اللذات ولأسجنه  
 وأترع جميع ما أعطيته فقال يوسف رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه فأقسمت  
 بالله وكان صنما من زرجد أخضر باسم عطارده انه ان لم يفعل لتعجلن له ذلك ثم أمرت بنزع  
 ثيابه وألبسته الصوف وسألت العزيز حبسه ليزول ما قدفها به فأمر به فحبس ورأى الملك  
 في منامه كان آتيا آناه فقال له ان فلانا وفلانا قد عزما على قتلك يريد صاحبى طعامه وشرابه  
 فلما أصبح قررهما فاعترفا له وقيل اعترف أحدهما وأنكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم  
 صاحب الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان يوسف عليه السلام وهو في  
 السجن رؤفا بمن فيه وبعدهم الفرج فأخبره صاحبا طعام الملك وشرابه برؤيائهما التي قصها  
 الله في كتابه فوقع كما قصه يوسف ورأى الملك البقرات والسنابل ففرقه الساقى خبر يوسف  
 فضى اليه وقصها عليه فلما عاد الى الملك قال جيوئني به فقال يوسف ما أخرج أو يكشف  
 أمر النسوة اللاتي من أجلهن حبست فكشف عن ذلك فاعترفت زليخا بالقصة ووجه اليه  
 فأخرج وغسل من درن السجن وألبس ما يائق بالدخول على الملوك فلما رآه امتلا قلبه من  
 حبه واكباره وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك  
 قال أنا نافع عليه خلع الملوك وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الجيش معه وتردد الى  
 قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه الملك على ملكه مكانه \* ويقال ان العزيز  
 أطمنين كان قدمات فزوجه امرأته وقال لها يوسف هذا أصلح مما أردت فقالت اعذرني ان  
 زوجي كان عينا ولم ترك امرأة الا صبا قلبها اليك من حسنك وجاءت سنو خصب في مصر  
 فجمع يوسف الغلال وخبزها وأكثر منها فلما جاءت سنو الجذب بدأ النيل في النقصان وكان  
 ينقص كل سنة أكثر من التي قبلها فقحط البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب  
 والثياب والآنية والعقار وكاد أهل مصر يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وخط الشام أيضاً  
 وكان من محبي اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى أبيه فحمل الى مصر وجميع أهله  
 وخرج في وجوه أهل مصر فنلقاه وأدخله على الملك وكان يعقوب مهايا فأعظمه الملك وسأله  
 عن سنه وصناعته وعبادته فقال سنى عشرون ومائة سنة وأما صناعتي فلنا غنم نرتع بها



وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني وهو اله أبائي والهك واله كل شيء وكان في مجلس الملك كاهن جليل القدر فقال للملك اني أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا فقال له الملك فأني لنا خبره فقال الكاهن ليعقوب أرني الهك أيها الشيخ قال الهى أعظم من أن يرى قال فانا نرى آلهتنا قال ان آلهتكم من ذهب وفضة وحجارة وجوهر ونحاس وخشب مما يعمله بنو آدم وهم عبيد الهى لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهل ان كل شيء لا تراه العيون ليس بشيء فغضب يعقوب وكذبه وقال ان الله شيء لا كالاشياء وهو خالق كل شيء لا اله الا هو قال فصفه لنا قال انما يوصف المخلوق لسكنه خالق واحد قديم مدبر أزي يرى ولا يرى وقام يعقوب مغضبا فأجلسه الملك وأمر الكاهن فكشف عنه فقال الكاهن انا نجد في كتبنا أن خراب مصر يجرى على ايدي هؤلاء فقال الملك هذا يكون في ايامنا قال لا ولا الى مدة كثيرة والصواب أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته أحدا فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا أن ندفعه ولا نقدر على قتل هؤلاء وأنزل يعقوب ومن معه بوادى السدير الى أن مات فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهر اوش الملك آمن وكنم ايمانه خوفا من فساد امره وأقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف النجوم فان أهل مصر كانوا وشوا به الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفعه فاخبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابنتي وكانت مغايب للماء فدفنها فعملها يوسف واحتال للمياه حتى أخرجها وقلع او حاطها وساق المنهى وبنى اللاهون وجعل الماء فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهر اربعة فمجبوا من حكيمته \* ويقال انه أول من هندس بمصر ومات نهر اوش خلف ابنه درمجوش وسمته أهل الاثر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم تخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فقتل منه بعضا وخالفه في البعض فمات يوسف في أيامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وجعل في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فأخضب ونقص الشرق فحول اليه فأخضب ونقص الغربي فاتفقوا على أن يجعلوه في الشرق عاما وفي الغربي عاما ثم حدث لهم من الرأي أن يجعلوا له حلقة وناقا ويشدوا التابوت في وسط النيل فأخضب الجانبان كلاهما . وقال ابن عبد الحكم فلكهم الريان بن الوليد بن دومع وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى الملك رؤياه التي رأى وعبرها يوسف أرسل اليه الملك فأخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما فأتاه الرسول فقال ألقى عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وقم الى الملك فدعاه أهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أتاه رأى غلاما حدثا فقال أعلم هذا رؤياي ولا تعلمها السحرة والسكينة وأقعدته قدما وقال له لا تخف قال فلما استنطقه وسأله عظم في عينيه وجعل اليه أمره فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرحة مزينة كدابة الملك وضرب بالبطيل



بمصر ان يوسف خليفة الملك \* وعن عكرمة أن فرعون قال ليسوف قد ساطنتك على  
 مصر غير أني أريد أن أجعل كرسي أطول من كرسيك بأربع أصابع قال يوسف نعم وأجلسه  
 على السرير ودخل الملك بيته مع نسائه وفوض أمر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رؤيا الملك  
 ملك يوسف مصر \* وعن اليبث بن سعد قال حدثني مشيخة لنا قالوا اشتد الجوع على أهل  
 مصر فاشترى الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهباً فاشترى بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشترى  
 بأغنامهم حتى لم يجدوا غنماً فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاة ولا  
 بقرة في تلك السنين فأثوه في الثالثة فقالوا لم يبق لنا الا أنفسنا وأهلوانا وأرضونا فاشترى  
 يوسف أرضهم كلها لفرعون ثم أعطاهم يوسف طعاماً يزرعونه على أن لفرعون الخمس  
 ويقال في خبر بناء يوسف عليه السلام مدينة الفيوم أنه لما وزر لفرعون ثلاثين سنة عزله  
 فقال لم عزلتني فقال لم أعزلك لرابية ولا أنسى بركتك ولكن آبائي عهدوا الي أن لا يتولى  
 لنا وزيراً أكثر من ثلاثين سنة وأنا نخشى أن يتأسل الوزير حتى يدبر على الملك فقال له  
 يوسف قد علمت نصحي لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكاً لك فأقطعني أرضاً تكون  
 لقوتي وقوت أهلي وعشيرتي فقال له فرعون اختر حيث شئت فمشى يوسف في فقار الأرض  
 حتى رأى أرض الفيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها  
 يركبه النيل فخرق خرقة في ذلك الجبل وساق الماء فيه الى الفيوم فسقى الأرض وعمل في  
 جوانب الماء ثلثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة وشجنتها بالغلل والاقوات التي ازدرعها  
 فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه في قرية من قرى الفيوم  
 حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها للملك فعظم شأن يوسف وكثر ماله فرده الملك بعد مدة الى  
 وزارته وتوفي وهو وزير فأوصى بمخروج جثته الى الأرض المقدسة فخرج بها هارون بن  
 افرائيم بن يوسف في مائة ألف من بني اسرائيل فهزمتها الجيابة فيما بين مصر والشام وهلك  
 أكثر من معه وعاد بمن بقي معه الى مصر فأقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه  
 السلام الى فرعون رسولا فخرج ببني اسرائيل من مصر ومعه جثة يوسف عليه السلام وفي  
 ذلك الزمان استبطلت الفيوم وقيل كان سبب ذلك أن يوسف عليه السلام لما ملك مصر  
 وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنه مائة سنة قال وزراء الملك له ان يوسف قل عامه  
 وتغير عقله ونفدت حكمته فعنفهم فرعون ورد عليهم مقالهم وأساء اللفظ لهم فكفوا ثم  
 عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال لهم هلموا ماشتم من أي شيء أختبره به وكان بلد  
 الفيوم يومئذ يدعى الجوبة وإنما كانت لمصالة ماء الصعيد وفضوله فاجتمع رأيهم على أن  
 تكون هي الحمة التي يمتحنون بها يوسف فقالوا لفرعون سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة  
 عنها ويخرجه منها فترداد بلدا الى بلدك وخرابا الى خرابك فدعا يوسف فقال تعلم مكان



ابنتي فلانة مني وقد رأيت اذا بلغت أن أطلب لها بلدا وانني لم أصب لها الا الجوبة وذلك أنه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه الا من غاية أو صحراء وكذلك ليست هي تؤتى من ناحية من النواحي من مصر الا من مفازة وصحراء فالقيوم وسط مصر كمثل مصر في وسط البلاد لان مصر لا تؤتى من ناحية من النواحي الا من صحراء أو مفازة قال وقد اقتطعتها اياها فلا تتركن وجهها ولا نظرا الا ببلغته فقال يوسف نعم أيها الملك متى أردت ذلك فابعث الى فاني ان شاء الله فاعل ذلك قال ان أحبه الى وأرفعه اعجبه فأوحى الي يوسف أن تحفر ثلاثة خلج خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى موضع كذا فوضع يوسف العمال تحفر خليج المنهي من أعلى أشمون الى اللاهون وأمر البنائين أن يحفروا اللاهون وحفر خليج القيوم وهو الخليج الشرقي وحفر خليجا بقرية يقال لها بنهت من قرى القيوم وهو الخليج الغربي فخرج ماؤها من الخليج الشرقي فصب في النيل وخرج من الخليج الغربي فصب في صحراء بنهت الى الغرب فلم يبق في الجوبة ماء ثم أدخلها الفعلة فقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء وأخرجه منها وكان ذلك ابتداء جرى النيل وقد صارت أرض الجوبة نقية برية وارتفع ماء النيل فدخل في رأس المنهي فجرى فيه حتى انتهى الى اللاهون فقطعه الى القيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل وخرج اليها الملك ووزراؤه وكان هذا كله في سبعين يوما فلما نظر اليها الملك قال لوزرائه أولئك هذا عمل الف يوم فسميت القيوم وأقامت تزرع كما تزرع غوايط مصر قال وقد سمعت في استخراج القيوم غير هذا أن يوسف عليه السلام ملك مصر وهو ابن ثلاثين فأقام يدبرها أربعين سنة فقال أهل مصر قد كبر يوسف واختلف رأيه فمزلوه وقالوا اختر لنفسك من الموات أرضا تقطعها لنفسك وتسلحها وتعمل رأيك فيها فان رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم انك في زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية في نواحي مصر فاختار موضع القيوم فاعطياها فشق اليها خليج المنهي من النيل حتى أدخله القيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله في سنة \* قال يزيد بن أبي حبيب وبلغنا أنه انما عمل ذلك بالوحي وقوى على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فظنوا فاذا احياء يوسف من القيوم لا يعامون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا فقالوا ما كان يوسف قط أفضل عقلا ولا رأيا ولا تدبرا منه اليوم فردوا اليه الملك فأقام ستين سنة أخرى تمام مائة سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك وانه انما كان ذلك على الخنة منهم له فقال للملك عندي من الحكمة والتدبير غير ما رأيت فنال له الملك وما ذاك قال أنزل القيوم من كل كورة من كور مصر أهل بيت وأمر أهل كل بيت أن يبناوا لانفسهم قرية وكانت قرى القيوم على



عدد كور مصر فاذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما أصير لها من الارض لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص وأصير لكل قرية شربا في زمان لا يبالغهم الماء الا فيه واصير مطاطنا للمرتفع ومرتفعا للمعاطى باوقات من الساعات في الليل والنهار وأصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه ولا يزداد فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السماء قال نعم فبدأ يوسف فأمر ببنيان القرى وحدد لها حدودا وكانت أول قرية عمرت بالفيوم قرية يقال لها سانه وهي القرية التي كانت تستزها بنت فرعون ثم امر بحفر الخليج وبنيان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الماء ومن يومئذ حدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك وكان أول من قاس النيل بمصر يوسف ووضع مقياسا بمنف \* قال جامعه وفي التوراة ان فرعون أزم بني اسرائيل البناء وضرب اللبن فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعمرسيس قال الشارح هي الفيوم وحوف رمسيس وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون نفسا ما بين رجل وامرأة فأزلهم يوسف يوسف مابين عين شمس الى الفرما وهي أرض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهوذا الى يوسف فخرج اليه يوسف فآخيه فالزمه وبكى فلما دخل يعقوب على فرعون كله وكان يعقوب شيخا كبيرا حايلما حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون أيها الشيخ كم أتى عليك قال عشرون ومائة وكان يهمن ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسي صلوات الله عليهم في كتبه وأخبر أن خراب مصر وهلاك أهلها يكون على أيديهم ووضع البربايات وصفات من تخرب مصر على يديه فلما رأى يعقوب قام الى مجلسه فكان أول ما سأله عنه أن قال من تعبد أيها الشيخ قال له يعقوب أعبد الله اله كل شيء نقال فكيف تعبد من لا تري قال يعقوب انه أعظم وأجل من أن يراه أحد قال فنحن نري آلهتنا قال يعقوب ان آلهتنا من عمل أيدي بني آدم من يموت ويبلى وان الهى لأعظم وأرفع وهو أقرب الينا من جبل الوريد فنظر يهمن الى فرعون فقال هذا الذي يكون هلاك بلادنا على يديه قال فرعون أفي أيامنا أوفي أيام غيرنا قال ليس في أيامك ولا أيام بئيك قال الملك فهل تجد هذا فيما قضى به الهكم قال نعم قال فكيف تقدر أن تقبل من يريد الهه هلاك قومه على يديه فلا يعاب هذا الكلام وعن كعب أن يعقوب عاش في أرض مصر ست عشرة سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفن بمصر فاذا مت فاحملوني فادفوني في مغارة جبل جيرون وجيرون مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا قال فلما مات لطخوه بمر وصبر وجعلوه في تابوت من ساج فكانوا يفعلون به ذلك أربعين يوما حتى كلم يوسف فرعون فأعلمه أن أباه قد مات وانه سأله أن يقبره في أرض كنعان فأذن له وخرج معه أشرف أهل مصر



حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر فأقام بها نحوًا من ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس  
 وأوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان بن الوليد فملكهم من بعده ابنه دارم بن الريان  
 وفي زمانه توفي يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون من أرض مصر  
 الى أرض آباءكم فاحملوا عظامي معكم فثابت فجعلوه في تابوت ودفنوه في أحد جانبي النيل  
 فأخضب الجانب الذي كان فيه وأجذب الجانب الآخر فجعلوه الى الجانب الآخر فأخضب  
 الجانب الذي جعلوه اليه وأجذب الآخر فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها في صندوق من  
 حديد وجعلوا فيه سلسلة وأقاموا عمودًا على شاطئ النيل وجعلوا في أصله سكة من  
 حديد وجعلوا السلسلة في السكة وألقوا الصندوق في وسط النيل فأخضب الجانبان جميعًا\*  
 وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام أن سارة ابنة أسر بن يعقوب عمرت حتى  
 صارت عجوزًا كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام بني إسرائيل غشيتهم ضيابة حالت  
 بينهم وبين الطريق أن يبصروه وقيل لموسي أن تعبر الا ومعه عظام يوسف قال ومن يدري  
 أين موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع موسى فلما سمعت حسه  
 قالت ما ردك قال أمرت أن أحمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا الا وأنا معكم قال دليني  
 على عظام يوسف فدلته عليها فأخذ عظام يوسف معه الى التيه\* ( يوسف بن يعقوب بن  
 اسحاق بن ابراهيم )\* خليل الرحمن صلوات الله عليهم أحد الاسباط الاثني عشر ولد بارض  
 كنعان من بلاد الشام ورأى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعمره سبع  
 عشرة سنة وكاد اخوته على ذلك وباعوه من قوم مدينيين فساروا به الى مصر وباعوه لقايد  
 فرعون فأقام في منزله اثني عشر شهرًا ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت  
 عليه الى أن حبس ومك في السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى أن  
 رأى الساقى والحجاز ذينك المتنايمين وفسر لهما يوسف وخرجا فأنتى الساقى يوسف سنين  
 الى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره وأناه فقص عليه الرؤيا وعبرها فأخرج من السجن  
 وله حينئذ ثلاثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت الى أن صار يعقوب الى مصر  
 تسع سنين منها سبع سنين من سفي الشبع وستان من سفي الجوع وكان ليعقوب في السنة  
 التي صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان أهل بيته حينئذ سبعين نفسًا ومنذ صار  
 الى مصر الى أن ولد موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة أخرى فلما مضى له بمصر سبع  
 عشرة سنة توفي وعمره مائة وسبع وأربعون سنة تخاف الاسباط حينئذ مقابلة يوسف  
 اياهم فقالوا ان أباك أوصى أن تغفر ذنب اخوتك فالك وهم عبيد الله اله أيبك فبكي يوسف  
 وقال لهم لا تحتاجون الى ذلك وواعدهم بخير تمه لهم ومات يوسف وله مائة سنة وعشر  
 سنين والله أعلم



﴿ ذكر ما قيل في الفيوم وخلقها وضيعها ﴾

قال اليعقوبي كان يقال في متقدم الايام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها وبها القمح الموصوف وبها يعمل الخيش \* وحكى المسعودي أن معنى الفيوم ألف يوم \* قال القضاعي الفيوم وهي مدينة دبرها يوسف النبي عليه السلام بالوحي وكانت ثمانمائة وستين ضيعة تدير كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تدير مصر السنة وكانت تروى من اثني عشر ذراعا ولا يستبحر ما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم مجرى ورتبه ليديم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المتضدة وبنى به اللاهون \* وقال ابن رضوان الفيوم يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى أنك ترى هذا الماء اذا خلى يغير لون النيل وطعمه وأكثر ما تحسن هذه الحالة في البحيرة التي تكون في أيام القيظ سفت ونها وصاعدا الى ما يلي الفيوم وهذه حالة تزيد في رداءة أهل المدينة يعني مصر ولا سيما اذا هبت ريح الجنوب فان الفيوم في جنوب مدينة مصر على مسافة بعيدة من أرضها وقال القاضي السعيد أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن بقية الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف القرشي الخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج وهذه الاعمال من أحسن الاشياء تديرا وأوسعها أرضاً وأجودها قطرا وإنما غلب على بعضها الخراب فخلوها من أهلها واستيلاء الرمل على كثير من أرضها وقد وقفت على دستور عمله أبو اسحاق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحاق لذكر خلع الاعمال المدثورة وما عليها من الضياع وقد أوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما تغيرت أسماؤه ومنه ما جهات مواضعه بالدثور ولكن أوردته ليعلم منه حال العامر الآن ويستقصى به من له رغبة في عمارة ما يقدر عليه من العامر وفي ايراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع ونسخته \* (دستور) \* على ما أوضحه الكشف من حال الخليج الامهات بمدينة الفيوم وما لها من المواضع وشرب كل ضيعة منها ورسمها في السد والفتح والتعديل والتحرير وزمان ذلك عمل في جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة بتدبير بعون الله وحسن توفيقه بذكر حال البحر الاعظم الذي منه هذه الخليج فنذكر مادته التي صلاحه بصلاحها \* (خليج الفيوم الاعظم) \* يصل الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهى ذي الحجر اليوسفي وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف بكرسى الساحرة من أعمال الاشموين ومنه شرب بعض الضياع الاشموينية والقيسية والاهناسية وعلى جانبيه ضياع كثيرة شربها منه وشرب كروم ماله كروم منها قال \* (الحجر اليوسفي) \* والحجر اليوسفي جدار مبني بالطوب والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبنائه من جهة الشمال الى الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بناؤه على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره ميلان منه في نهايته وطوله مائتا



ذراع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعا منه من جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم من الجنوب وقائدة بناء الجدار الاعظم رد الماء اذا انتهى الى حدود اثني عشرة ذراعا الى مدينة الفيوم وطول مايتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض من حدود هذا الميل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعا وبعد ماين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة أذرع ومقدار المنخفض منه أربعة أذرع وهذا المنخفض هو الذي يسد بحجر من حشيش يسمى لبشا وعرض ما يجري عليه الماء وهو موضع اللبش وما قابله الى جهة الشرق أربعون ذراعا وعليه مسك اللبش الثاني ويتصل بهذا النيل الى جهة الشمال ماطوله ثلثمائة وأثنان وسبعون ذراعا ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يمر على استقامته الى الحجر مبنى بالحجر طوله على استقامته الى جهة الشرق مائة ذراع ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ماطوله عشرون ذراعا وقدر المنخفض منه ذراعان وهذا المنخفض أيضا يسد بحجر حشيش يسمى الكبد وطول بقية الجدار الى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعا وقبالة هذا بطوله منه مباح وفيه قناطر مبنية بالحجر كانت قديما ترد الماء الى الفيوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم وكان عليها أبواب وعدتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذراع الجدار الاعظم من نهايته سبعمائة وأثنان وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب الى الشرق ويمر هذا الجدار الاعظم من كلتا جهتيه جميعا حتى يتصل بالجبل فتوجد آثاره في القبط مرورا على غير استقامة وعرضه مختلف وكما انتهى الى سطحه قل عرضه وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفله جميعا ستة عشر ذراعا وفيه منافس يخرج منها الماء وهي رابع زجاج ملونة بشبه المينا وأزرق وسليمانى وهو من العجائب الحسنة فى عظم البناء واتقانه لانه من الابنية اللاحقة بمئارة الاسكندرية وبناء الاهرام فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام الى هذه انفاية وما تغير عن مستقره وبدخل الماء من هذا البحر فى هذا الزمان الى مدينة الفيوم من خليجها الاعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين بدمونة واللاهون ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا ومنه شرب كرومها بالدوايب على أعناق البقر وان قصر النيل عن الصعود الى سوادها سقيت منه على أعناق البقر وزرعت وينتهى فى الخليج الاعظم الى خليج يعرف بخليج الاوسى وليس عليه رسم فى سدولا فتح ولا تعديل وينتهى الى الضيعة المعروفة ببياض فيما لا يركها وغيرها من البرك وللبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها لغايته ومقدار شرب ما عليه وينتهى الى الضيعة المعروفة بالاوسية الكبرى فمنه شربها من مقسمين لها ويرسمها باب ومنه يشرب نخاها وشجرها وعلى هذا الحدطاحونة تعمل بالماء ثم ينتهى الى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطينة منها مقسم لها ومقسم



لقبالات عدة والمقسم الثالث يسقى أحد أحياء النخل وبهذا الحى سواق وبساتين قد خربت  
 وحيز دائره وكان بها بيوت فى أقبية النخل ثم ينتهى الى حى ثان على صفة الاول ثم ينتهى  
 الى الضيعة المعروفة بالجوبة فيملاً بركها وينتهى الى ثلاثة مقاسم فى صف وفوقها خليج  
 معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع ثم ينتهى الماء من هذا الخليج الى البطس وهو  
 نهايته وعلى الخليج الاعظم بعد هذا أباليز شربها منه من أفواه لها سيحها فاذا نصب ماء  
 النيل نصب على أفواها برسم صيد السمك شبكاً ثم ينتهى الخليج الاعظم على يمنة من  
 يريد الفيوم الى خليج يعرف \* (بخليج سمسطوس) \* منه شرب سمسطوس وغيرها  
 وأباليز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه ومن قبله وهي ما بين هذا الخليج وخليج  
 الاواسى ثم ينتهى الخليج الاعظم أيضاً الى \* (خليج ذهالة) \* ومنه شرب عدة ضياع  
 وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى ثلاث خاليج ثم ينتهى الى \* (خليج  
 بينطاوة) \* وبهذا الخليج ثلاثة ابواب قديمة يوسفية سعة كل باب منها ذراعان بذراع  
 العمل ويمر فيه الماء وينتهى أيضاً الى باين يوسفين ورسم هذا الخليج أن يسد هو وسائر  
 المطاطية على استقبال عشر تخلو من هاتور الى سلخه ويفتح على استقبال كيهك الى عشر تبقى منه  
 ثم يسد الى عشر تخلو من طوبة ثم يفتح ليلة الغيطاس الى سلخ طوبة ثم يسد على استقبال أمشير  
 الى عشرة تبقى منه ثم يفتح لعشر تبقى منه الى عشر تخلو من برمات ثم يفتح الى عشر تخلو من  
 برمودة ثم يعدل فى موضعه وقد خرب ما على بحريه من الضياع ويشرب منه عدة ضياع ولهذا الخليج  
 مفيض ممول تحت الجبل بقبو يخرج منه الماء فى زمان تكاثره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى \* (خليج  
 دله) \* وهو من المطاطية وحكمه فى السد والفتح والتعديل والتحسين كما تقدم وهو على  
 يسرة من يريد المدينة وله بابان يوسفيان مبيان بالحجر سعة كل منهما ذراعان وربع ومنه  
 شرب عدة ضياع أمهات وغيرها وفي وسطه مفيض لزمان الاستبحار يفتح فيفيض الماء الى  
 البركة العظمى وفي أقصى هذه البركة أيضاً مفيض له أبواب يقال انها كانت من حديد فاذا  
 زادت فتحت الابواب فيمضى الماء الى الغرب وقيل انه يمر الى سنترية وكان على هذين  
 الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البقر وينتهى الخليج الاعظم الى \* (خليج  
 الجنونة) \* سمي بذلك لعظم ما يصير اليه من الماء وحكمه فى السد وغيره على ما ذكر ومنه  
 شرب ضياع كثيرة وبه تدار طواحين واليه تصير مصالات مياه الضياع القبلية والى بركة فى أقصى  
 مدينة الفيوم تجاور الجبل المعروف بأبي قطران ويلقى ما ينصب من مصالات الضياع البحرية  
 فيها وهي البركة العظمى ثم ينتهى الخليج الاعظم الى \* (خليج تلاله) \* وله بابان يوسفيان  
 مئينان مبيان بالحجر سعة كل منهما ذراعان وثلاث ذراع وليس فيه رسم سد ولا فتح ولا  
 تعديل ولا تمييز الا فى تقصير النيل فانه يحيز بحشيش ومنه شرب طوائف المدينة وعدة



أراض وضياع وفيه فوهة خليج البطش الذي اليه مفاضل المياه وفيه أبواب تسد حتى يصعد الماء الى أراض مرتفعة بقدر معلوم وإذا حدث بالسد حدث يفسده كانت التفقة عليه من الضياع التي تشرب منه بقدر استحقاقها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلجان من جانبه في قبليه وبحريه ثم ينتهي الى \* (خليج سموه) \* وهو على يمنة من يريد مدينة الفيوم وهو من المطاطة وله بابان يوسفيان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم ما تقدم ومنه شرب طوائف كثيرة وعدة ضياع وينتهي الى أربعة مقاسم بأبواب والى خلجان تسقى ضياعا كثيرة منها \* (خليج تددود) \* فيه عين حلوة فاذا سد هذا الخليج سقى منها أراضى ما جاورها وظهرت هذه العين لما عدم الماء وحفر هذا الموضع ليعمل بئرا فظهرت منه هذه العين فاكتفى بها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلجان بها شاذروانات ومقاسم قديمة يوسفية وبها أبواب يوسفية بها رسوم في السد والفتح يشرب منها ضياع كثيرة ورسم الترع أن يسد جميعها على استقبال عشرة أيام تخلو من هاتور الى سلخه وتفتح على استقبال كيهك مدة عشرين يوما وتسد لعشر تبقى منه الى الغطاس وتفتح يوم الغطاس الى سلخ طوبة وتسد على استقبال أشهر عشرين يوما ثم تفتح لعشر تبقى منه الى عشرين من برمها وتفتح عشرة أيام تخلو من برمودة ثم تعدل فيهم بممارتها ولهم في التعديل قسم تعطي منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت أسماء الضياع التي ذكرها لخرب أكثرها

الآن والله أعلم

ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخليل الى القرى التي حولها فأقامت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصديقي فلما سلكوا في الحجابة لم يروا شيئا فهموا بالانصراف فقاؤا لا تمجلوا سيروا فان كان قد كذب فما أقدركم على ما أردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصديقي وهو صاحب الاشقر على فرسه ينفذ الحجابة ولا علم له بما خلفها من الفيوم فلما رأى سوادها رجع الى عمرو فأخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس فرائ على عمرو وخبره فقال ربيعة بن حبيش كيفت فركب فرسه فأجاز عليه البحر وكانت أنى فأناها بالخبر ويقال انه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى الى الفيوم وكان يقال لفرسه الاعمى والله أعلم \* وقال ابن الكندي في كتاب فضائل مصر ومنها كورة الفيوم وهي ثلثمائة وستون قرية دبرت على عدد أيام السنة لاتقص عن الري فان قصر النيل في سنة



من السنين مار بلد مصر كل يوم قرية وليس في الدنيا ما يني بالوحى غير هذه السكوزة ولا  
بالدنيا بلد أنفس منه ولا أخصب ولا أكثر خيراً ولا أغزر أنهاراً ولو قايسنا بأنهار الفيوم  
أنهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفه مرافق  
الفيوم وخيرها فإذا هي لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك  
لاحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوي والضعيف فإذا هو فوق السبعين صنفاً \* وقال  
ابن زولاق في كتاب الدلائل على امراء مصر للسكندي وعقدت لكافور الاخشيدي الفيوم  
في هذه السنة يعنى سنة ست وخمسين وثمانمائة ستمائة ألف دينار ونيفا وعشرين ألف دينار \*  
وقال القاضي الفاضل في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقات ان الفيوم بلغت في سنة  
خمس وثمانين وخمسمائة مبالغ مائة ألف وأربعين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير  
وقال البكري والفيوم معروف هنالك يغل في كل يوم ألفي مثقال ذهباً

### مدينة النحريرية

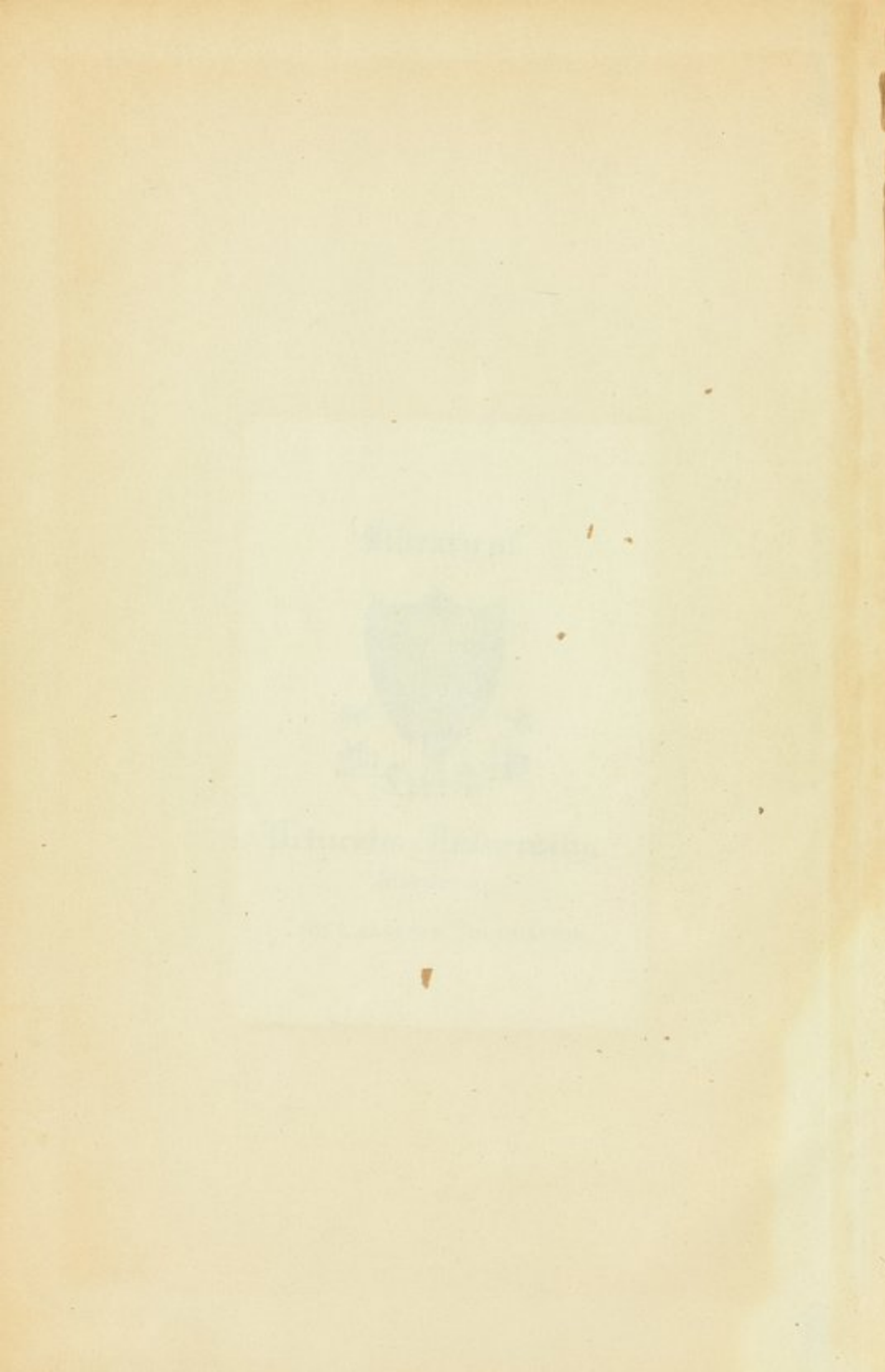
كانت أرضاً مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جملهم شمس الدين سنقر السعدي فأخذ قطعة  
من أراضي زراعتها وجعلها اصطبلًا لدوابه وخيله فشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور  
قلاون فسأله عن ذلك فقال أريد أن أجعله جامعاً تقام فيه الخطبة فأذن له السلطان في ذلك  
فابتدأ عمارته في اخريات سنة ثلاث وثمانين وستمائة حتى كمل في سنة خمس وثمانين فعمل له  
السلطان منبراً وأقيمت به الجمعة واستمرت الى يومنا هذا وأنشأ السعدي حوائط حول الجامع فلم  
ترل بيده حتى مات وورثها ابنه عز الدين خليل وركن الدين عمر فباعها بعد مدة للامير  
شيخو العمري فجعلها مما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين أنشأها بخط صليبية جامع  
ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس  
فصارت مدينة من مدائن أراضي مصر بحيث بلغت انوال القزازين فيها  
(٣) وترقي سنقر السعدي في الخدم حتى صار من الامراء وولي  
نقيب المماليك السلطانية وأنشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة  
قريباً من حدرة البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل  
في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبنى أيضاً رباطاً  
للنساء وكان شديد الرغبة في العمائر محباً  
للزراعة كثير المال ظاهر الغنى ثم انه  
أخرج الى طرابلس وبها مات سنة  
ثمان وعشرين وسبعمائة

(تم الجزء الأول من الخطة المقرزية وبليه الجزء الثاني وأوله ذكر تاريخ الخليفة)











Princeton University Library



32101 075684918

